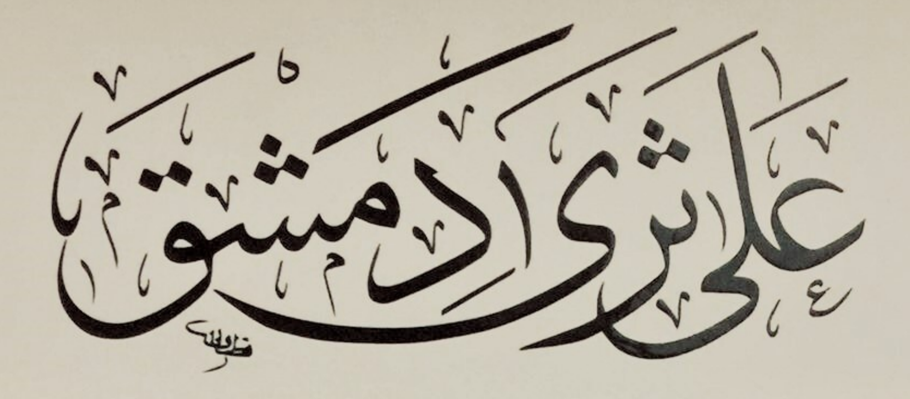
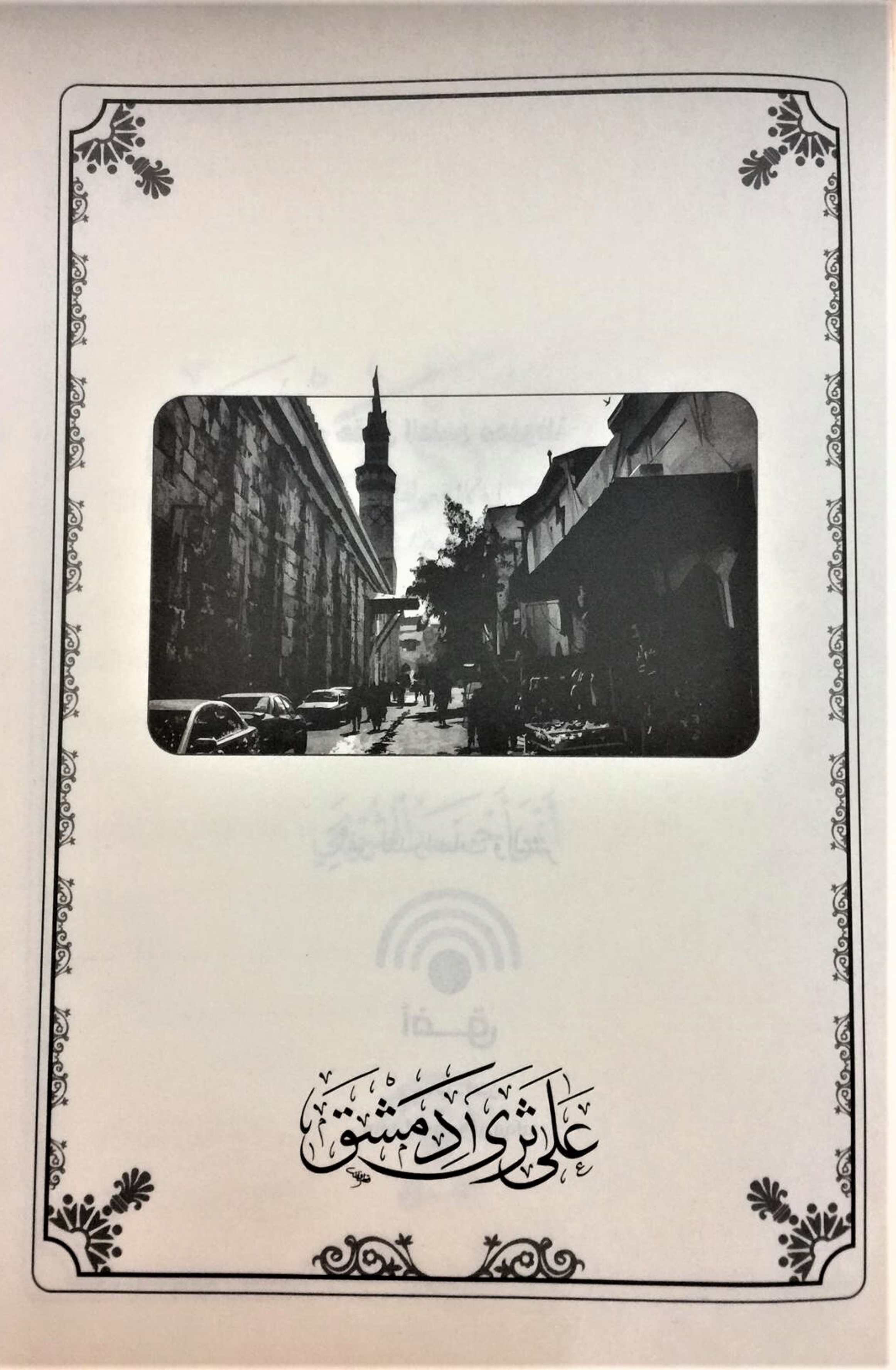
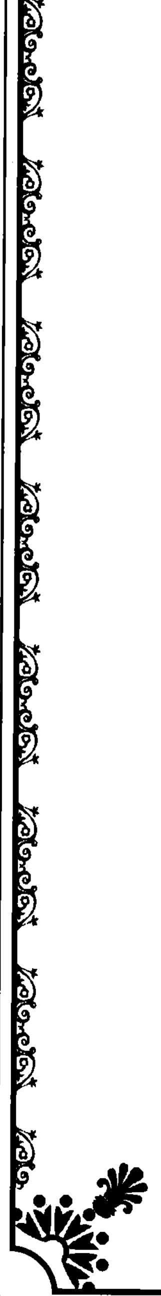


أيمن أحمد الشربجي






على ثرى دمشق

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

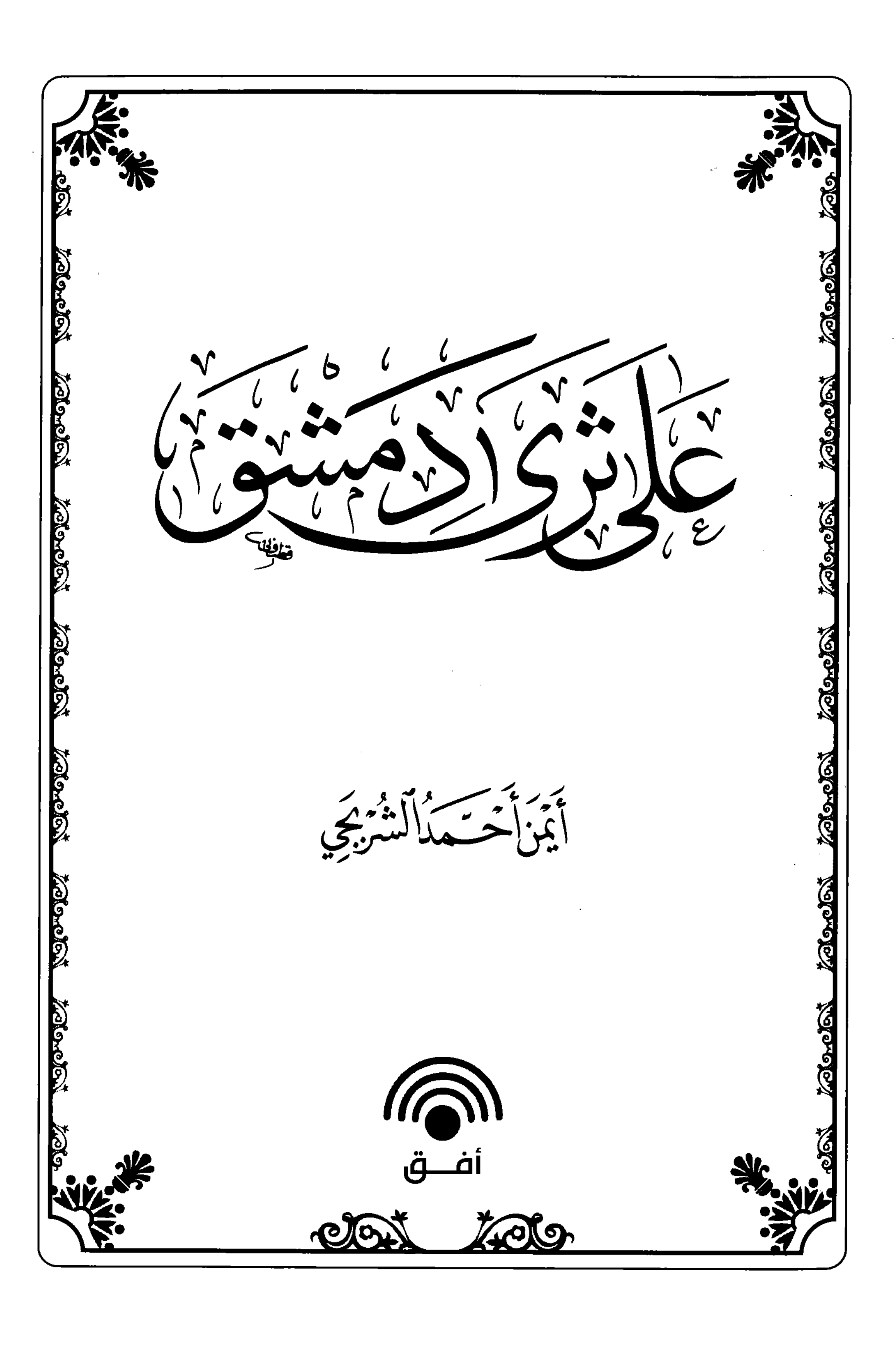
أفق للدراسات والنشر



بريطانيا ـ لندن

ufoq.ai@gmail.com

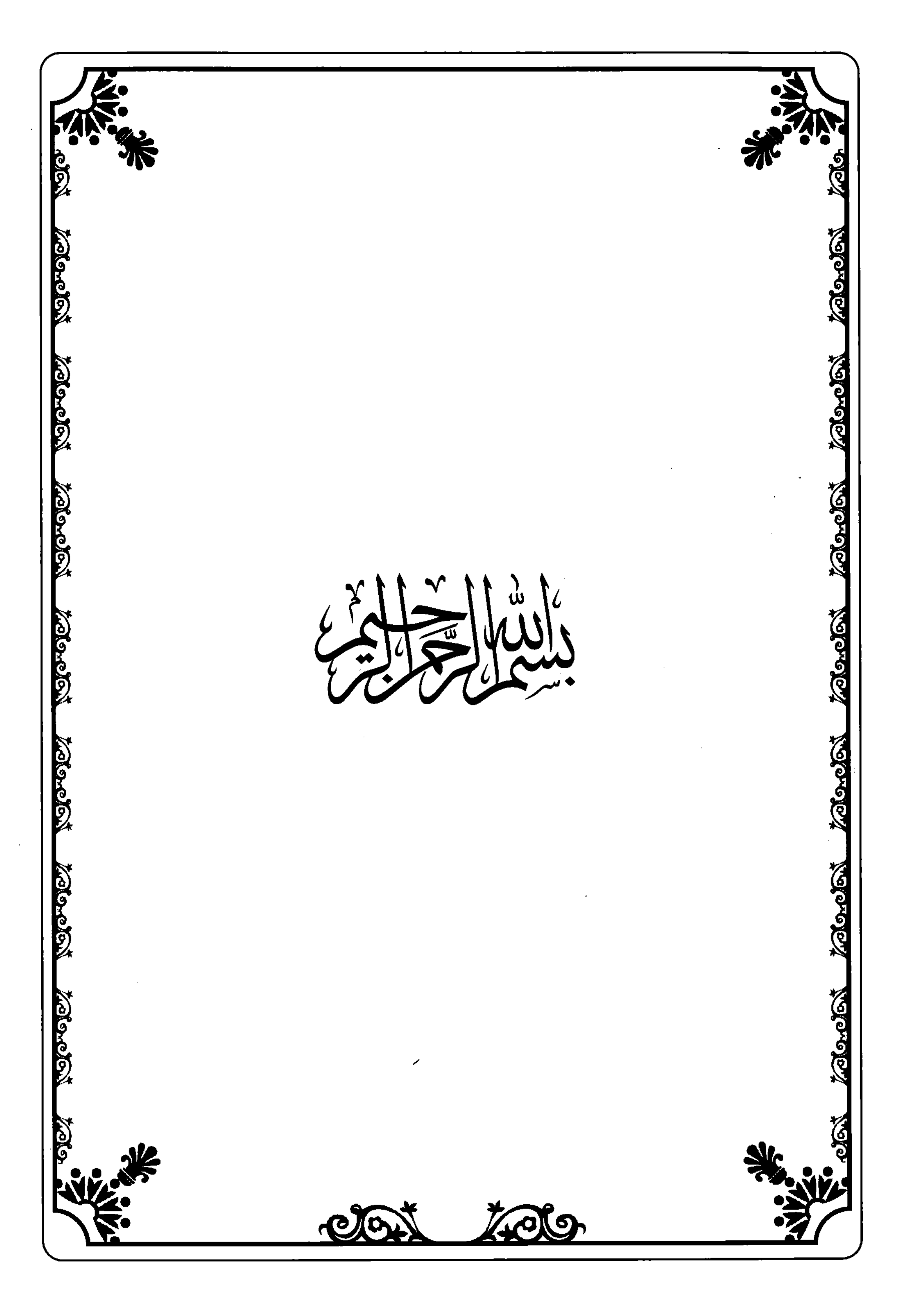


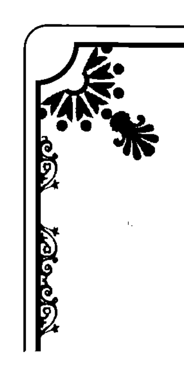



على أثر دمشق

أيمن أحمد الشربجي

أفق


بسم الله الرحمن الرحيم




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

لابد لنا في هذه المقدمة أن نبين لمحة عن الكتاب والرجل الذي عاش أحداثه، وعاصر تلك المرحلة، وكان أحد أهم أركان القرار فيها، والمنفذ الفعلي لكثير من أحداثها، وكان يؤثر البعد عن الظهور والإعلام، حتى ذهب إلى رحمة ربه شهيدًا بإذن الله.

هذا الكتاب كتب بمداد من دماء المجاهدين، كتبه الأبطال الميامين، تاريخًا مجيدًا في واقع شعبنا، وبعد ذلك تمت كتابته حروفًا على الورق.

وهذه المقدمة المتواضعة لن تنقل الصورة الكاملة لتلك المرحلة، ولا تكفي لتحليل خفاياها، ولكن حسبنا أن نضع النقاط الرئيسية، ونسلط بعض الإضاءات التي توضح الكثير من المفاهيم المغلوطة التي علقت في الأذهان.

إن دراسة تلك المرحلة وشخصياتها الفاعلة، ومنهم الأخ أيمن وإخوانه، لم تحظ إلى الآن بالاهتمام اللازم، ولا أقصد هنا الاهتمام العاطفي من مدح وتبجيل،

وإنما أقصد الدراسة التحليلية التفصيلية لتلك الحقبة، التي تمكننا من استخلاص العبر الصحيحة.

ويجب أن نعترف بأن ما حصل في تلك المرحلة منذ تأسيس «الطليعة المقاتلة» على يدي الشيخ مروان حديد، مغيب عن الناس حتى هذا الوقت، لقد قام النظام بطمس بطولات تلك المرحلة وتشويهها، وهذا أمر مفهوم لدينا، أما أن يتغافل الإسلاميون عن تلك المرحلة ويساهموا في تغييبها فهو أمر لا نجد تبريرًا له بحال من الأحوال.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى تلك الدروس والعبر، إنه تاريخنا القريب المشرق، وإن كثيرًا ممن كونوا أفكارهم ورؤيتهم عن تلك المرحلة إنما بنوها على تجارب شخصية محدودة، أو سمعوا قصصًا مجتزأة، ومما زاد الأمر صعوبة أن عمل «الطليعة المقاتلة» كان عملًا غاية في السرية والانضباط، ولا يصح بناء تصور عن موضوع بهذه الخطورة دون الإحاطة به، ومعرفة تفاصيله، ضمن السياق التاريخي لتسلسل الأحداث.

ولابد لنا ونحن نقدم للتعريف بأيمن الشربجي من التعريف بالتنظيم الذي كان أيمن أحد أهم مرتكزاته الأساسية، ألا وهو:

«الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين»

أولًا: التسمية:

قرر الشيخ مروان حديد رحمه الله عام ١٩٧٠م تأسيس تنظيم جهادي مسلح مستقل تمامًا عن «الإخوان المسلمين» وعن المجموعات الإسلامية القائمة في سورية باسم: «الطليعة المقاتلة لجند الله». وكانت النشرات الداخلية تصدر تحت هذا

الاسم حتى عام ١٩٧٩م، حيث قرر القائد عبد الستار الزعيم تغيير الاسم إلى: «الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين». لاعتبارات عدة، نذكر أهم بند فيها، وهو: **تثبيت الخلفية الفكرية للقائمين على العمل الجهادي في سورية** ولا يقصد من الاسم أي ارتباط تنظيمي مع «الإخوان المسلمين»، لاسيما أن «الإخوان» حينها لم يكونوا تنظيمًا واحدًا، بل كانوا تنظيمين منفصلين، منذ انشقاق عام ١٩٦٩م، الذي أسفر عن تنظيم في دمشق، وتنظيم في حلب، آنذاك.

ثانيًا:

تنظيم «الطليعة المقاتلة» ابتدأ مشواره مع الشيخ مروان عام ١٩٧٠م، واستمر حتى خرجت آخر مجموعة من دمشق في نهاية عام ١٩٩٧م، في ظل ظروف أمنية قاهرة. وأُنوه إلى أن بعض الإخوة يذكرون أن «الطليعة» قد تم إنشاؤها عام ١٩٧٤م، أو عام ١٩٧٥م، ولا مشكلة في ذلك، فهم يقصدون أنه في هذين العامين تمت النقلة النوعية من الوضع العام إلى وضع الانضباط والتنظيم الدقيق، الذي تم تتويجه عام ١٩٧٦م بتسلم الأخ عبد الستار الزعيم زمام القيادة، والبدء بترتيب الخطط الفعلية للمواجهة المقبلة، بعد سلسلة المحن المتلاحقة التي كادت أن تودي بالتنظيم بعد اعتقال الشيخ مروان.

ثالثًا:

«الطليعة المقاتلة» قدمت كل قادتها وأفرادها في سبيل الله- إلا النزر اليسير الذين كتب الله لهم البقاء- على مدى سبعة وعشرين عامًا تقريبًا من الصراع مع النظام النصيري، وأذكر هنا قول هشام بختيار ضابط المخابرات السوري، وعضو مجلس الأمن القومي، لأحد المعتقلين عقب خروج المجموعة الأخيرة، وذلك بعد أن سب وشتم: (الآن ارتحنا وارتاحوا).

رابعًا:

كان الشيخ مروان قائدًا عامًّا للتنظيم منذ إنشائه عام ١٩٧٠م وحتى اعتقاله عام ١٩٧٤م، وقد تعاقب بعده على قيادة التنظيم عدة منظومات قيادية، استشهد أو اعتقل أكثرهم في ظل الفوضى الحاصلة بعد اعتقال الشيخ مروان، منهم: القائد موفق عياش، والشيخ عرفان المدني، وكثير غيرهم من الإخوة الذين لا تحضرني أسماؤهم ومواقعهم القيادية، وذلك من عام ١٩٧٤م، وحتى عام ١٩٧٦م، وإن استمرار التنظيم بعد هذه الضربات القاصمة التي تعرض لها في تلك الحقبة إنما يدل على صفات أولئك الرجال وعزيمتهم التي لا تلين، وإصرارهم على تحقيق الأهداف المنشودة في معركة ليس فيها أي درجة من درجات التكافؤ المادي، مع العلم أنهم حتى هذا التاريخ لم يقوموا بأي عمل ضد النظام، وإنما كانت مراحل إعداد وتدريب.

خامسًا:

في عام ١٩٧٦م تسلم القائد عبد الستار الزعيم زمام القيادة بعد سلسلة من المشاورات مع الإخوة الفاعلين في أنحاء سورية، فوضع الأسس التنظيمية الصارمة لوقف النزيف الحاصل، وكذلك الأسس الاستراتيجية للمعركة القادمة، وقد استقر الرأي في تلك المرحلة على خيار حرب العصابات طويلة الأمد داخل المدن، رغم إدراكهم لصعوبة هذا النوع من الحروب، ومع ذلك وضعوا خطة لمدة خمس سنوات على ما أعلم، وبعض الإخوة قال لي: (إن المدة ست سنوات)، إلا أن عوامل وجماعات أخرى دخلت على الخط فأفسدت الخطة، وأربكت هذا التوجه بشكل مؤثر، وكادت تقضي على «الطليعة المقاتلة» عام ١٩٨٠م.

سادسًا:

تم تقسيم سورية إلى ثلاثة قطاعات رئيسية، في كل قطاع لجنة عسكرية مستقلة، وترتبط جميع اللجان بقيادة مركزية واحدة، أصبح مقرها في حماة بعد أن كانت في دمشق منذ التأسيس:

١- قطاع حماة وحمص: بقيادة الأخ عبد الستار وإخوانه في حماة، ولمدة قصيرة تولى الأخ عبد المعين السيد القيادة في حمص حتى استشهاده.

٢- قطاع حلب وإدلب ودير الزور والساحل: بقيادة الإخوة حسني عابو، وعدنان عقلة (الناطق الرسمي باسم «الطليعة المقاتلة» فيما بعد)، وإبراهيم اليوسف (المخطط الأمني والعسكري في قطاع حلب)، والأخ مصطفى قصار في مرحلة لاحقة.

٣- قطاع دمشق وريفها: بقيادة الإخوة يوسف عبيد، وأيمن الشربجي، وأحمد زين العابدين.

سابعًا:

بعد عام ١٩٨٢م خرج قطاعا حلب وحماة من دائرة الصراع؛ في حلب بسبب تفكك التنظيم، وفي حماة بسبب تدمير المدينة، ولم يبق سوى قطاع دمشق بقيادة الأخ أيمن الشربجي الذي استمر في قيادة التنظيم حتى استشهاده عام ١٩٨٨م، وتولى القيادة بعده الأخ عاطف القهوجي الذي استشهد عام ١٩٩٠م، واستمر التنظيم حتى خروج المجموعة الأخيرة من سورية في نهاية ١٩٩٧م.

ثامنًا:

تعاقب على قيادة تنظيم «الطليعة المقاتلة» في مراحله المختلفة:

١- الشيخ مروان حديد، رحمه الله، منذ عام ١٩٧٠م، وحتى عام ١٩٧٤م.

٢- عدة منظومات قيادية، ما بين عامي ١٩٧٤م- ١٩٧٦م، واستشهد معظمهم رحمهم الله.

٣- القائد عبد الستار الزعيم، منذ عام ١٩٧٦م، وحتى استشهاده عام ١٩٧٩م.

٤- القائد هشام جنباز، منذ عام ١٩٧٩م، وحتى استشهاده عام ١٩٨٠م.

٥- القائد تميم الشققي، مدة أربعين يومًا بعد استشهاد الأخ هشام، حتى استشهد رحمه الله تعالى.

٦- القائد عمر جواد، من بعد استشهاد تميم، وحتى استشهاده في ٦/ ٢/ ١٩٨٢م.

٧- القائد مسعف البارودي، مدة عشرين يومًا من ٦/ ٢/ ١٩٨٢م، وحتى استشهاده في ٢٦/ ٢/ ١٩٨٢م.

٨- القائد أيمن الشربجي من عام ١٩٨٢م، وحتى عام ١٩٨٨م.

٩- القائد عاطف القهوجي من عام ١٩٨٨م، وحتى استشهاده عام ١٩٩٠م.

وجميع هؤلاء القادة قد استشهدوا رحمهم الله تعالى.

تاسعاً:

لابد من تثبيت المعلومات التالية لتكون الصورة واضحة دون أي لبس:

-«الطليعة المقاتلة» في سورية كيان مستقل تمامًا عن تنظيمي «الإخوان المسلمين» وعن المجموعات الإسلامية الموجودة على الساحة، وقد ضم هذا

الكيـان إلى صفوفـه العديـد مـن أفراد هـذه المجموعـات المتميزيـن بالصلابـة والصبر والشـجاعة والإقـدام، بالإضافـة إلى أفـراد مـن تنظيمي «الإخـوان المسـلمين»، حيث كانـت «الطليعـة» منـذ انطلاقتهـا مع الشـيخ مـروان عامل جـذب لكثير من الشـباب الذيـن اجتمعـوا مجاهديـن في سـبيل الله بعيـدًا عـن التحزبـات القائمـة، وقـد حققت «الطليعـة» نجاحـات، كبـيرة وكان رجالهـا رجال مبـادئ وأخلاق ما غـيروا ولا بدلوا حتى استشـهدوا، نسـأل الله لهم الرحمة والغفران، وقد سـلكوا طريق توحيد المسـلمين، والنهـوض بهـم، عـلى أسـاس صلـب ومتـين، رغم ضعـف العـدة، وقلـة العدد.

ونشير هنا إلى أن «الإخوان المسلمين» في سورية قد أنشأوا تنظيمًا مسلحًا خاصًّا بهم في الثمانينات، وما حل بالقسم الذي نزل إلى العاصمة من هذا التنظيم سيرد في هذا الكتاب، وأيضًا أرسلوا مجموعات أخرى لا علاقة لها بـ «الطليعة المقاتلة» إلى المدن الأخرى على مدى السنوات اللاحقة، وهذا أمر لم يعد سرًّا.

-لم تكن هنالك أية مشكلة على الإطلاق داخل «الطليعة» في اختيار منظومة القيادة على مدى سبعة وعشرين عامًا، بل كانت تتم بسلاسة لا نظير لها.

-كانت الاختراقات الأمنية لهذا التنظيم شبه معدومة، عدا الجاسوس مصطفى جيرو، الذي تسبب باعتقال الشيخ مروان، وكذلك الجاسوس الذي تسبب باعتقال الأخ عدنان عقلة، بل على العكس من ذلك كانت اختراقات «الطليعة» للنظام كبيرة وعميقة، وأحد أمثلتها: القائد إبراهيم اليوسف، رحمه الله، وهنالك أمثلة أخرى على مستويات مختلفة لسنا بصدد ذكرها هنا. والحقيقة أن محاولات النظام لاختراق التنظيم لم تتوقف، ومنها محاولة استمالة الأخ يوسف عبيد بعد اعتقاله في السجن

بكافة الوسائل وعلى مدى أربع سنوات، (لقد عرضوا عليه إنشاء تنظيم جهادي مسلح، تحت قيادته وبإشرافهم)، وحين لم يفلحوا أمام رفضه المطلق أعدموه.

- تنظيم «الطليعة المقاتلة» ومنذ إنشائه اعتمد التمويل الذاتي، وعمل ضمن استطاعته وإمكانيات أفراده المحدودة، ولم يخضع في يوم من الأيام لقضايا الدعم وشروطه التي قد تحرف العمل عن خطته ومساره.

- تمتع تنظيم «الطليعة المقاتلة» بخبرات أمنية وتنظيمية عالية وبانضباط قل نظيره، تفوق فيها على أجهزة المخابرات بأشواط طويلة، وما آلت إليه الأمور فيما بعد له أسبابه، لهذا **نؤكد على ضرورة دراسة تلك المرحلة بشكل جدي واستخلاص العبر الصحيحة.**

- كانت العمليات التي قام بها التنظيم غاية في الدقة والانضباط، وتمت دراستها بعناية كبيرة، ولسنا هنا بصدد التوسع في تحليل تلك العمليات.

- اتخذ القائد عبد الستار الزعيم قرارًا بتقليص عدد أفراد التنظيم الأساسيين والفاعلين إلى (٢٥) أخًا تقريبًا في سائر أنحاء سورية، وأما الباقون- وهم عدة مئات- فقد غادر معظمهم إلى خارج سورية.

- تم حصر مطالب التنظيم من النظام مقابل إيقاف العمليات في عهد القائد عبد الستار بمطلبين:

١- الإفراج عن كافة المعتقلين في السجون.

٢- إطلاق الحريات العامة في سورية، ومنها حرية الدعوة.

- من الناحية العملية كان «الإخوان» بشقَّيْهم معارضين للعمل المسلح قبل عام ١٩٧٩م، وقد دخلوا في العمل العسكري- كل حسب طريقته- عام ١٩٨٠م،

وهذا أمر يحتاج إلى تفصيل دقيق، لاسيما أن معظم قياديهم قد أصبحوا خارج سورية، ومن الأسباب التي دعتهم إلى ذلك: تفلت عناصرهم باتجاه الفئة التى تطبق الأفكار التي تربوا عليها وهي «الطليعة المقاتلة»، وأيضًا تأثير الضغط الشعبي المؤيد للعمل المسلح للخلاص من نظام الظلم والإجرام بعد النجاحات الكبيرة التي حققتها «الطليعة المقاتلة»، ولم يكن دخولهم هذا المعترك نابعًا من قناعة أو من خلال رؤية استراتيجية أو خطة واضحة، وأذكّر بقول أحد القياديين لديهم: (إذا كانت جماعة مروان حديد بهذا العدد القليل قد حققت هذه النتائج الكبيرة فكيف إذا دخل «الإخوان المسلمون» هذه المعركة بكل ثقلهم).

وحصلت الكارثة بعد دخولهم المعركة من دون رؤية ولا إعداد، وتمكن النظام من جرهم إلى مواجهة مكشوفة غير مدروسة العواقب، ولا يملكون الخبرة والإدارة اللازمة لها في هذا المجال.

وكم توسل إليهم الأخ أيمن الشربجي في دمشق، كي يوقفوا المعركة التي جرهم إليها النظام، ولكن دون جدوى، ووقعت الكارثة في دمشق، وتم تدمير التنظيم الذي أنزله «الإخوان» من خارج سورية إلى دمشق خلال أسبوعين تقريبًا، وكاد الأمر أن يقضي على «الطليعة المقاتلة» في دمشق لولا لطف الله ثم دقة العمل القائم.

- اتخذ القائد أيمن الشربجي قرارًا مع قيادة «الطليعة» في حماة، وذلك قبل حصول مجزرة حماة، بإيقاف الأعمال القتالية لمدة ستة أشهر من أجل إعداد العدة لمرحلة قادمة،حيث سيقوم الإخوة في حماة بتأمين احتياجات التنظيم في دمشق من أجل نقلة نوعية حاسمة على صعيد العمليات. ولكن بسبب حصول مجزرة حماة قرر تنفيذ عملية وزارة الإعلام كعمل استثنائي (ردًا على المجزرة ولكسر التعتيم

الإعلامي الذي رافقها). وتابع الأخ أيمن الخطة بوقف العمليات ريثما يتمكن من إعداد العمل المكافئ لإجرام السلطة. محاولًا استجلاب الإمكانات اللازمة من «الإخوان المسلمين» خارج سورية، على أثر انقطاع الإمداد من الإخوة في «طليعة» حماة بعد المجزرة واستشهاد كافة الإخوة في القيادة بحماة. (وهذا موضوع لابد أن نفرد له فصلًا خاصًا لتوضيح الصورة الداخلية في حماة أثناء المعركة، والتى لم تظهر إلى الآن).

– كان التنظيم في دمشق بعد مجزرة حماة بكامل قوته (بل في وضع من القوة لم يصل إليه من قبل)، وقادر على المتابعة، ولديه الكوادر المؤهلة لإحياء التنظيم في المحافظات الأخرى، وأمام حجم المأساة في حماة أصبحت القناعة راسخة بأنه لابد من عمل يكافئ إجرام النظام، بل ويغير الواقع في حينه، وكانت الخطة جاهزة، وقدم «الإخوان» وعودًا سارة بالدعم، لم تتحول إلى فعل حقيقي، مع الأسف الشديد، ورغم ذلك سبب هذا التوقف عبئًا أمنيًّا هائلًا على النظام الذي استنفر (٢٤) ساعة في اليوم متوقعًا الأسوأ في كل لحظة. وقد مرت سنوات طويلة في دمشق بعد مجزرة حماة عام ١٩٨٢م وحتى خروج آخر مجموعة في نهاية عام ١٩٩٧م في حرب أمنية مع أجهزة المخابرات المختلفة كان شعار «الطليعة» فيها: (لن نفتح معركة جديدة مالم يتم تأمين مستلزماتها)، وكانت المستلزمات يسيرة نسبة إلى الفعل المرجو القيام به.

– إذًا لابد من دراسة تلك المرحلة دراسة عميقة متكاملة، وأي اجتزاء لحدث من أحداثها ومحاكمته خارج سياق التسلسل التاريخي والملابسات الحاصلة سيوصلنا إلى النتائج الخاطئة، وهذا ما هو حاصل حتى هذا اليوم.

***

أيمن الشربجي

نعود فنسأل: من هو أيمن الشربجي؟

هو أيمن بن أحمد الشربجي، المولود في حي الميدان بدمشق عام ١٩٥٥م، أحد أركان «الطليعة المقاتلة» المميزين:

في دقة التنظيم وبعد النظر.

في التضحية والفداء.

في الوفاء والإيثار.

في الجرأة والتواضع.

في الشجاعة والإقدام.

في تقدمه عند مواطن الخطر مضحيًا من أجل إخوانه.

وهذا ليس من باب الكلام الإنشائي أبدًا... وإنما هي شهادة بما عرفناه في الرجل رحمه الله.

كان استراتيجيًّا من الطراز الرفيع، متفهمًا للأوضاع السياسية.

كان قائدًا نادرًا بين الرجال، وقبل كل ذلك كان جنديًّا في الدعوة إلى الله ملتزمًا بالشرع أيما التزام.

قرأ القرآن وتعمق في فهمه وتفسيره، وسعى لتطبيق ما فهم في حياته، كان يسأل العلماء ويستفتيهم ويلتزم فتاواهم قبل أن يتخذ أي قرار.

قرأ سيرة الرسول الأعظم ﷺ، وسيرة أصحابه الكرام ووعاها تمامًا، وكان يستذكر صبرهم وجهادهم عند الشدائد والملمات.

كان حريصًا على القراءة، فقرأ سير القادة والفاتحين من الصحابة والتابعين، وقرأ تاريخ الأمم والشعوب، واهتم بنشوء الدول وصعود الأمم وانحدارها.

قرأ تاريخ القرامطة في بلاد المسلمين، ولاسيما أن حكام سورية الذين واجههم مع إخوانه هم فرع من تلك الشجرة.

قرأ مذكرات القادة والزعماء من غير المسلمين، كما قرأ موسوعات الحروب، الحرب العالمية الأولى والثانية.

قرأ عن ثورات العالم وحركات التحرر، وكيف تكبر وتنتصر، وكيف تضمحل وتختفي.

كان حريصًا على متابعة أدق التطورات السياسية في العالم وتفاصيلها لاسيما في منطقتنا العربية، وبخاصة لبنان، وفلسطين، والعراق، ومصر.

كان يضع الخطط، ويدرس كل احتمالات النجاح والفشل، وإذا عزم على أمر ما فلا يقبل إلا بإتمامه ونجاحه كاملًا، حتى وصفه رئيس فرع الأمن الداخلي آنذاك بـ(اليد التي لا تخطئ). وقال حافظ الأسد مرة للعلماء: (سلموني أبو عمر وأخرج لكم المئات من السجناء).

كان مستعدًا للقتال والموت في سبيل الله في كل أوقاته، وعلى مدى ثلاثة عشر عامًا، فقد ملأ الجهاد كل كيانه.

كان يسير على قدميه متنقلًا في مدينة دمشق بين أحيائها في مهامه التنظيمية ما يقارب ثمان ساعات كل يوم، في ظروف أمنية رهيبة.

حباه الله بذاكرة قوية وعقل راجح، وشجاعة وإقدام قل نظيرهما.

كما منحه الله طلعة بهية حببته إلى الناس.

وإذا جلست معه فلن تسأم حديثه، وتود أن لا تتركه أبدًا.

كان يتعامل مع شباب التنظيم وكأنهم عائلة واحدة.

ولم يذكر أيمن إلا بالاحترام حتى عند ألد الخصوم والأعداء.

كان رياضيًّا ذا جسم متناسق، مارس رياضة (الكراتيه) وأتقنها، ولم يتوقف عن التدريب اليومي حتى يوم استشهاده.

كان مدركًا لما يقول، ويفعل ما يقول، ولم يكن للعجز من سبيل إليه.

إنه رجل بأمة، قائد عبقري بالفطرة في زمن عزَّ فيه القادة.

رجل يأخذ بكامل الأسباب ومطلق التوكل.

نشأ على حب العلم وارتياد المساجد في حي الميدان بمدينة دمشق، ولاسيما جامع الدقاق، بعد ذلك التقى بالأخ توفيق بركات، ودرس معه العلوم الشرعية والفكرية، وكانت بينهم حوارات سياسية حول أوضاع سورية، ولم تطل صلته بالأخ توفيق (أبي طلحة) حتى اجتمع بالشيخ مروان حديد وقد جاوز عمره الثمانية عشر عامًا وتأثر به وبفكره الجهادي، وعرف الصدق والعزيمة والإخلاص في كلام الشيخ، فالتزم نهجه حتى لقي الله.

ما حاد عن هذا الدرب أبدًا حتى حينما ضاقت عليه سبل الإنجاز وسدت بوجهه كل الآفاق، لقد تفرغت له كل الأجهزة الأمنية في مدينة دمشق للقضاء عليه وعلى إخوانه، وبكل ما أوتيت من قوة، ولا معين لهم إلا الله، بينما تهاون الإسلاميون الذين لم يؤدوا الحد الأدنى من واجب الدعم والتأييد إلا القليل منهم.

لقد وصف أيمن الشربجي القيادة، وكيف يجب أن تكون، وصفات القائد، في

مقطع من آخر رسالة بعثها إلى «الإخوان المسلمين»، وأقول بكل ثقة: إنه كان يتمتع بهذه الصفات، وفيما يأتي نص ما قال:

(أيها السادة: إن قيادة الثورات تحتاج إلى الكثير من الأمور، يجب أن تعرفوها، فهي تحتاج إلى إيمان عميق، وتكوين دقيق، وعمل متواصل دؤوب، وتضحية بالغالي والنفيس، وصبر، وتصميم، وتحمل للصدمات، وامتصاص للمفاجآت، وتحتاج القيادات فيها إلى الحكمة، والشجاعة، والصبر، والثبات، والتواضع، والإخلاص، وتحمل البلاء، أكثر من العناصر. إن القيادة الحقَّة هي التي تعامل قواعدها معاملة الأب لولده، يجوع ويقدم لطفله رغيف الخبز، ويعرى ليكسو ولده، وإذا ما هدده خطر كان الأب درعًا واقيًا لطفله، وإن القيادة الحقَّة هي التي تشعر بآلام مجاهديها، وتضع كل إمكانياتها الفكرية والنفسية والمالية للحفاظ على مجاهديها، وتذليل العقبات أمامهم ليصلوا إلى أهدافهم المرسومة بأقل الخسائر، وليست القيادة التي تضحي بكل المجاهدين للحفاظ على امتيازات وهمية سرعان ما تزول).

أعود فأقول: نحسب أن الله قد اختص أيمن الشربجي بفضل كبير، واجه كل مثبطات الجهاد بجلد وجرأة وبفهم قل نظيره، وتعامل مع عقول الأمن الإجرامية في دمشق بكل اقتدار، وكان ندًّا مريرًا لهم طوال سنوات المواجهة، وتفوق عليهم حتى قال وزير الداخلية بعد تنفيذ عملية مجلس الوزراء: (هذه العملية فاقت تصورات العقول الأمنية في سورية).

كان يأخذ بكافة أسباب الاحتياط الأمني، فكان ينام في غرفة محروسة ومقفلة بباب من حديد داخل قاعدة محروسة، حتى لا يباغته الأعداء ويتمكنوا منه حيًّا فتنكشف أسرار التنظيم.

لم يفكر دقيقة واحدة في مغادرة مدينة دمشق بعد توليه المسؤوليات التنظيمية، وقال مرة لأحد الإخوة: (إنني لو غادرت مدينة دمشق عدة ساعات فسأعتبر نفسي غير جدير بالقيادة).

كان حريصًا أيما حرص على دماء المسلمين وأرواحهم.

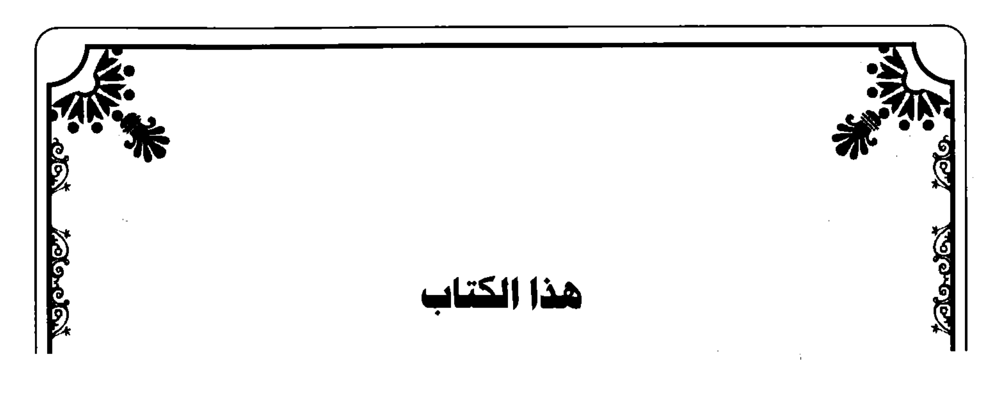
في الأشهر الأخيرة من حياته بدأت تتغير ملامح شخصيته، أصبح هادئًا، كثير الصمت، اتسم بصفاء نفسي عرف في الإخوة الشهداء قبله، وقد رأى رؤيا قبل أسابيع من استشهاده أرويها بتصرف:

(رأى أنه في وسط مدينة دمشق بالقرب من جسر فيكتوريا وهو يحمل بندقية روسية، وقد أحاطت به قوات من سرايا الدفاع والمخابرات، وهو يطلق الرصاص عليهم، وهم يتساقطون بالعشرات أمامه، حتى انتهت الذخيرة من بندقيته وهم يتقدمون نحوه، وشعر أنهم سيمسكون به حيًّا، وإذا بطائر أبيض ينقض من السماء فيضمه إليه ويطير به منقذًا إياه من بين أيديهم، وهم ينظرون إليه ولا يستطيعون شيئًا).

كانت أمنيته أن يموت شهيدًا في سبيل الله.

وفي يوم الأربعاء، ٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٨م، الساعة [٤:٤٥]، وقت صلاة المغرب صعدت الروح الطاهرة إلى بارئها، بعد سنين طويلة أمضاها جهادًا وصبرًا ودعوة، وربما نحتاج إلى كتاب كامل لذكر صفاته، وأعماله، وخططه، واستراتيجياته، وفاءً لحق الرجل وفائدة للأمة، وليعرف المسلمون في سورية قادتهم الحقيقيين والمستوى العالي من القيم والأخلاق والشجاعة والرجولة والفكر الذي كان عليه قادة «الطليعة المقاتلة»، رحمهم الله جميعًا.





هذا الكتاب

أما هذا الكتاب فقد كتبه الأخ أيمن الشربجي عام ١٩٨٢م في مدينة دمشق تحت ضغط ظروف أمنية قاهرة، وكان يقول: (إن هذا التاريخ يكاد أن يضيع ويشوه، ونحن ما زلنا على قيد الحياة، فكيف سيكون الأمر بعد موتنا). وكان العنوان الذي اختاره للكتاب آنذاك:

(تاريخ العمل المسلح في مدينة دمشق)

وليس الكتاب في واقع الأمر كتابًا سياسيًّا ولا عسكريًّا، أو حتى مذكرات شخصية، إنها مرحلة حصلت فيها أحداث تاريخية مهمة، كان لابد من تدوينها كي لا تضيع.

واليوم ننشر هذا الكتاب تحت عنوان:

«على ثرى دمشق»

إضافة لهذا الكتاب فقد أزمع الأخ أيمن على كتابة موضوعين مهمين مازالت تفاصيلها خافية تمامًا، لا أقول: على الناس، فحسب، وإنها على المطلعين والمهتمين بما حصل، وهما: موضوع مجزرة حماة وملابساتها، وموضوع مجزرة تنظيم الضباط في الجيش، البالغ عددهم أكثر من أربع مئة ضابط من الرتب المتوسطة والعالية، في الأركان والفرق، وقادة في سلاح الجو، هذا التنظيم الذي استمر يعمل بالسر

مدة عشرين عامًا وإذا به ينتهي بضربة قاضية، ولا نجد من يهتم بما حصل أو يذكر التفاصيل، ومن يتحمل مسؤولية كشف هذا التنظيم.

وهذان الموضوعان لم يكتبهما بسبب الظروف الميدانية التي لم تترك له وقتًا كافيًا للكتابة حتى توفاه الله.

وسننشر مع هذا الكتاب وبعد هذه المقدمة قصيدة كتبها أواخر حياته، رغم أنه لم يكن شاعرًا.

وأيضا سننشر آخر رسالة أرسلها إلى «الإخوان المسلمين» خارج سورية قبل استشهاده بعام تقريبًا، وهي رسالة تلخص الكثير مما حصل في تلك الحقبة، ننشرها لأهميتها.

ويجب الانتباه إلى أن صورة ما يحصل لدى «الإخوان» في خارج سورية لم تكن واضحة تمامًا عند الإخوة في «الطليعة» داخل سورية، لاسيما بعد تحول «الإخوان» إلى نهج المصالحة مع النظام بعد مجزرة حماة عام ١٩٨٢م.

أخيرًا...

رب قائل: إنكم تأخرتم بالنشر. والحقيقة هي أننا بذلنا وسعنا، وأوصلنا الكتاب وما نعرفه من تفاصيل وما استنتجناه من عبر إلى العديد من القوى المعروفة والفاعلة، وإلى من يهمهم الأمر، من خلال قنوات مؤثرة، ولكن ظلت الفائدة محصورة جدًّا، ولم تتم ترجمتها إلى أفعال مفيدة، بل إن بعض من وصلتهم تلك التجربة، عمل بشكل مغاير لما تقتضيه المصلحة خلال الثورة السورية الحالية، لاسيما وقد نبهنا منذ أيامها الأولى إلى المنزلقات الحاسمة، ولكن دون جدوى، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولا نريد هنا أن نضع قوالب جامدة لا تتناسب مع الظروف المتغيرة، لا أبدًا، وإنما نقول: إن الشعوب والأمم الحية هي التي تستفيد من تجاربها، ولا تكرر أخطاءها المرة تلو الأخرى، ناهيك عن التعلم وكسب الخبرات من أخطاء الآخرين وتجاربهم.

نسأل الله السداد والتوفيق.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

القصيدة التي كتبها أيمن الشربجي أواخر حياته

أَلَا يا صُوفي هيَّجتَ الشُّجونا	وفقدُكَ يا أخِي أبكى العُيونا
فأنتَ الشَّهمُ تَأْبى كلَّ عارٍ	وأنتَ الحُرُّ تأبَى أن تَهونا
فقدْتُكَ والرزايا قدْ أتتنِي	لتكوِي القلبَ أوْ تُدمِي الجُفونا
فأنتَ الخلُّ لم تحنثْ بعهدٍ	وأنتَ الطُّهرُ حطَّمتَ المُجونا
وأنتَ العقلُ إنْ كثُر الغباءُ	وأنتَ الفكرُ وضَّاحًا مُبينا
وأنتَ النُّورُ في ظُلَمِ الدَّياجِي	ونارٌ تحرقُ الوَغْدَ الخَؤونا
ذكَرتُكَ والحياةُ غَدتْ لَهيبًا	يَقضُّ بلاؤُها الحرَّ الأمينا
فَهَمُّ الخَلقِ في دَنَسٍ ومالٍ	وصارَ المالُ نورَ الْعارِفينا
وذُو جهلٍ يُعربدُ في غَباءٍ	وذو لُؤمٍ يُهددُ مُؤْمنينا
ومِمَّا زادَ في القلبِ اضْطرامًا	بِأنَّ الغدرَ صارَ هوًى ودِينا
فَكَمْ عانَيْنا ياصُوفِي سويًّا	وكمْ لاقيْنا جمعَ الكافرينا

وكـمْ بلـغَ البـلاءُ بفقـدِ أُمٍّ وفقـدِ كريمـةٍ لاقـتَ مَنونـا

وكـمْ رَحلـتْ قوافـلُ مِـن شـبابٍ وكـمْ ضُربـتْ قواعـدُ لـن تَهونـا

وكـمْ قاسـيْنا مـن فقـرٍ وضعـفٍ ولمْ نخـشَ الصِّعـابَ إذا رُمِينـا

وكـمْ عَصفـتْ ريـاحُ الثـأرِ فِينَـا فدَمَّرْنـا الأعـادِيَ والحُصونـا

وكـمْ قلـبٍ تمـزَّقَ مِـن حنـينٍ ولم يلقَـى مـنَ الخَلـقِ المُعِينـا

فَليتـكَ قـدْ بَقيـتَ معـي لتشـهدْ مَصائـبَ أوْهَنـتْ مِنِّـي الْيَمينـا

مصائـبُ فاقـتِ التَّعـدادَ حلَّـتْ ولم تخطـرْ ببـالِ الْأوَّلِينـا

مصائـبُ مثـل قِطْـعٍ مِـن دياجِـي كـما المصـدوقُ أخـبرَ صَاحِبينَـا

وإنِّي صامـدٌ يـا صُـوفي صامـدْ بـإذنِ اللهِ لا أخشَـى المَنونـا

وإنْ قـومٌ تخلَّـوْا عـن جهـادٍ وتابَعهـمْ أُنـاسٌ آخرونـا

ومهـما طـالَ ظلـمُ الْأقربينـا فإنَّـا في جهـادٍ لـنْ نَلينـا

وإنْ زَهِـدَ الدعـاةُ المُدَّعُونـا وباعُونَـا وباعـوا المُصلِحينـا

ويـا صُـوفي عـلى عهـدٍ مَشـيْنا لنـا الرحمـنُ لا نخشَـى السُّـجونا

رِضَى الرحمـنِ لا نبغِـي سِـواهُ وليـسَ النـصرُ هَـمَّ الواصِلينـا

جُمـوعَ الكفـرِ لا نخشـى وإنـا بحـبِّ اللهِ عَفَّرْنـا الجَبينـا

فيـا صُـوفي سـلامُ اللهِ يُهـدى مِـن الأعـماقِ ملتاعًـا حَزينـا

عليـكَ وصحبِـكَ الغُـرِّ الـلَّآلي مِـن الرحمـنِ رَحْمـاتٌ هدينـا

سـلامِي للصَّـوارم باتـراتٍ سـلامي للشـبابِ المؤمنينـا

الصوفي في هذه القصيدة: هو الأخ غسان خوجه زاده، الذي استشهد في قاعدة ساحة السخانة في حي الميدان بدمشق عام ١٩٨٧م، وسبب إطلاق هذا اللقب عليه؛ أنه كان يتدثر بجلد خروف من الصوف في يوم شديد البرد، فأطلق اللقب عليه على سبيل المداعبة، وأصبح ملازمًا له، رحمه الله.

وهنا نضع الرسالة الآخيرة التي أرسلها أيمن الشربجي إلى «الإخوان المسلمين»

والسبب المباشر وراء كتابة هذه الرسالة، هو أن «الإخوان المسلمين» أرسلوا إلى أبي عمر قائد «الطليعة المقاتلة» عام ١٩٨٦م، عشرة آلاف ليرة سورية، بعد عدة سنوات من تجفيف أي دعم مالي، وطلبوا مقابل المبلغ وضع عبوة ناسفة في حاوية للقمامة بساحة المرجة وسط مدينة دمشق، ووعدوا بفتح باب الدعم والإمداد في حال تم تنفيذ العملية، وأما جواب أيمن الشربجي فهذا ما تضمنته الرسالة التي بعثها اليهم:

(... لقد كان لتصرفكم هذا الذي قمتم به بالغ الأسى في نفسي، ولقد أذهلني كثيرًا أن هذه الاهانة لم يوجه لنا في حياتنا مثلها، وإنا والله لا نقبلها من أعدائنا أبدًا، وما أظن أن سننساها على مر الأيام، والكل يعلم أن انطلاقتنا الجهادية المباركة كانت بدافع من عقيدتنا ومن كتاب الله تعالى وبنهج سيدنا محمد ﷺ، ولذلك تحملنا قتل الأهل وتشريدهم، ومصادرة الممتلكات، وضياع الأموال، وتحملنا الإرهاب والتعذيب، كل ذلك في سبيل الله وفي سبيل مرضاته، ولم نكن نتوقع - أو يخطر على بالنا - أن يحدث هذا أبدًا، خاصة وأننا نعتبركم قيادة العمل الإسلامي في سوريا، لقد تعلمنا الإسلام وقرأنا كتاب الله، وسيرة رسوله ﷺ، وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم، ودرسنا تاريخ الدول الإسلامية، كما عرفنا الكثير عن حقائق الثورات والحركات الإسلامية في العالم، فلم نجد قيادة

تعامـل مجاهديها على أنهـم مرتزقة، إن هذا الأمر إهانة للمسـلم في عقيدته وإنسـانيته وكرامتـه، ومتـى كان المسـلم يبيـع روحه مقابـل المال قـلَّ أم كثر؟!

إن الأمـوال لم ولـن تحركنـا قـي يـوم مـن الأيـام، وأنتـم تعلمـون كيـف كانت بدايـات عملنـا بعـد اعتقـال الشـيخ مـروان عـام ١٩٧٤م، يـوم بدأنا بقتـل رؤوس النظـام، ولم يكـن لدينـا ثمن الطعـام أو المكان الذي نـأوي إليه، وكنا نتـوكل على الله فحماـنا ورزقنـا طول اثني عـشر عامًـا. إن هذه الصفقـات تعقد مع أنـاس لا مبادئ لهـم وليـس معنا... إنكـم - أيها السـادة- لا تعرفون نوعيـات إخواننـا، ولا تعرفون تفكيرهـم ونفسـياتهم، **إنهـم شـباب تربـوا طويـلًا بنهـج الرسـول ﷺ، وضحـوا بأهليهـم، وتركـوا أملاكهـم وبيوتهـم التي تقـدر بالملايـين، وتحملوا سـجن أمهاتهم وأخواتهـم وهـم صابرون محتسـبون**، فهل تعتقـدون أن كل مـا في الأرض من أموال يكافـئ ذلـك؟ لا والله، إننـا نحتكـم في أمورنـا إلى ميزان السـماء وليـس إلى القوانين المتعـارف عليهـا عند تجـار الدماء، وهل تحسـبون أننا مـن أوباش النـاس وغوغائهم حتـى تدار رؤوسـنا بعـشرة آلاف لـيرة؟ لا أيها السـادة، إن كنتم لا تعرفون فاسـألوا عـن أهـلي وأقربائـي عندكـم، واسـألوا النـاس عـما يمتلكونـه، لقـد رأينـا الكثـير مـن الأمـوال، فكانـت في جيوبنـا ولم تكـن في قلوبنـا، وهـؤلاء إخواننـا مـن أفضل العائـلات نسـبًا في دمشـق، وليس فيهـم من يُشْـترى بالمال أبـدًا، أم أنكـم تعتقدون أن حاجتنـا للأمـوال أوصلتنـا إلى بيع عملياتنا مقابـل عشرة آلاف لـيرة؟! أم تظنون أننـا نتسـول على أبـواب المسـاجد ونسـتجدي النـاس في الطرقات؟!

لا يا سادة، إننا نعيش في بلدنا وبين أهلنا وشعبنا، ولسنا بالناس المجاهيل، كما تعلمون، فكم من مسلم نوافقه في الطريق فيتبرع بالآلاف من الليرات وهو خجل أنه لم يستطع أن يقدم أكثر من ذلك.

فالقضية ليست كما تظنون قضية طعام أو شراب، إن الأموال التي طلبناها كانت من أجل توسيع العمل والإعداد لمعركة جديدة ضد النظام، والقضية ليست قضية أموال إنما هي قضية العمل الإسلامي، أما الرزق الشخصي فهذا أمر تكفل الله سبحانه وتعالى به ونحن مؤمنون بذلك، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢].

إن إلحاحنا عليكم كان لتجميع الصفوف، وتوحيد الكلمة، والاستفادة من أخطاء الماضي، والله يعلم أن غايتنا كلها رضى الله، ثم مصلحة المسلمين.

لقد خرجت إلى عمان عام ١٩٧٥م، ومكثت أربعة أشهر، واسألوا الأخ خالد البنا، أبا خطاب، إن كان لا يزال على قيد الحياة، اسألوه إن قبلت منه دينارًا واحدًا لمصروفي الشخصي، والله يشهد إن الرجل كان في غاية الكرم، وعرض علي المال مرارًا فرفضت، وعملت هناك، وكسبت مصروفي بعرق جبيني، وعدت إلى بلدي مرفوع الرأس، محفوظ الكرامة.

وأؤكد أن الشيخ عبد الستار الزعيم لو أعطاني ذهب الأرض وطلب مني مقابل ذلك تنفيذ عملية صغيرة لرفضتها وتركت التنظيم، ولكنه دفعني إلى الموت عشرات المرات، وكنت أذهب مسرورًا منشرح الصدر، لأن الثمن كان جنة عرضها السموات والأرض.

إننا انطلقنا في جهادنا في سبيل الله وللجهاد سهم في الزكاة واجب على المسلمين دفعه من أموالهم الخاصة، فكيف بالذين جمعوه من أموال الناس لدعم المجاهدين...؟! وهل أصبح الجهاد فرض كفاية حتى يحبس آلاف الشباب خارج الحدود، ويترك الأخوة في الداخل دون دعم أو مدد.

أيها السادة، إننا مرابطون في سبيل الله، نطلب من الله الشهادة، وستكون في حينها بإذن الله، وقد تبنينا طريقنا طول الحياة، ولسنا في عجلة من أمرنا، وسنعمل على شق طريقنا بمفردنا بعون الله، ولن نتخلى ولو تخلى عنا الجميع.

إننا في بلدنا، ولسنا عبئًا على أحد، ولن نسرع المعركة لكسب موقف سياسي فنتسبب في بلاء يصيب المسلمين، ولسنا يائسين حتى نخوض معركة فاشلة، بل إننا ماضون في الإعداد حسب طاقتنا، وسنتدبر أمورنا إن رفضتم شرف المشاركة في الجهاد، فإذا قُتلنا كان استشهادنا في مصلحة المسلمين إن شاء الله، وليس ذلًّا لهم، واعلموا أن كلام الناس لا يهمنا طالما كانت علاقتنا بالله قوية، ونحن مرتبطون بحبل الله المتين، فلن يضيعنا، وهو حسبنا.

إن الإخوة الذين صمدوا مدة اثني عشر عامًا في وجه النظام الذي استخدم كل إمكانيات الدولة للقضاء عليهم- فلما عجز حاول دفعهم إلى الخارج ومغادرة سوريا واستخدام كافة أساليب القمع والضغط الإعلامي لإرهابهم- إن هؤلاء الإخوة الذين سخروا من كل ذلك، وقدموا أفواج الشهداء، إنهم يملكون نفوسًا أكبر من أن تشترى بالمال، ويعرفون قول الله تعالى في الحديث القدسي: (إني أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملًا أشرك فيه غيري فهو للذي أشرك)[1]، هؤلاء الأخوة الذين يتلون كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، ويطلبون العلم، ولا يضيعون دقيقة واحدة دون عمل، وهم مستعدون للموت في كل لحظة، إنهم

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٠١ و٤٣٥، ومسلم (٧٥٨٤، وابن ماجة (٤٢٠٢)، وغيرهم، من حديث أبي هريرة، به مرفوعًا، ولفظه عند مسلم: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه). (الناشر).

يعرفون طريقهم جيدًا وليس فيهم من يبيع نفسه بالمال، أما إذا دعوا إلى الموت بأمر أميرهم للقتال في سبيل الله (وسبيل الله فقط)، عند ذلك لن يتوانوا لحظة واحدة.

عشر سنوات قضيناها بين النار والبارود والإرهاب والتعرض للخطر، حتى أصبح ذلك شيئًا طبيعيًّا في حياتنا، وأصبح السلاح قطعة من أجسادنا، فهل تظنون أن الخوف قد تسرب إلى نفوسنا؟ لا والله، إننا أشد عزيمة، وأكثر إيمانًا، بل إننا نعتبر الخروج من سوريا توليًا من الزحف، ووالله لو كنت وحدي لما خرجت، وموتي شهيدًا في سوريا- بإذن الله- خير من قصور الدنيا، فما عند الناس ينفد، وما عند الله باق، قال تعالى:

﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣].

عندما بدأ الشيخ مروان رحمه الله اتهمتموه بالتهور والتسرع والتسبب في ضرب الجماعات الإسلامية، وعندما انطلقنا بعد استشهاده كانت مواقفكم سلبية، لأننا لم ننسق مع الجميع، أما الآن، وبعد أن توقفنا لإصلاح أخطاء الماضي والإعداد لمعركة فيها أدنى نوع من التكافؤ مع النظام، وقفتم موقف المتفرج ولم تقدموا واحدًا بالمئة مما طلبناه، بل أصبحنا نحن القاعدين عن الجهاد وأنتم المجاهدين الذين يعيبون علينا قعودنا! فلعمري كيف حدث هذا؟ ولو أننا تابعنا تنفيذ عملياتنا وقُضي علينا وتسببنا في ذل المسلمين لقيل عنا كما قيل عن إخواننا الشهداء في حماة وحلب على لسان أحد القياديين عندكم بالحرف الواحد: (استنتجنا أن العمل في حماة عفش، وفي حلب أعفش).

فلوا استمرينا وقضي علينا لكنا الأعفش.

أيها السادة: هل تعتقدون أن كل ما مر ويمر معنا من مواقف تطلعون

عليهـا؟ لا أبـدًا! إن المواقـف التـي تمـر مـع إخواننـا في مسـيرتهم الجهاديـة المباركـة المحفوفـة برعايـة الله سـبحانه وتعـالى أكثر مـن أن تحصى، وأقسـم بالله لـو دُفع لي في بعـض المواقـف كل مـا تملكونه مـن أموال لمـا قبلت بذلـك، ولكني مسـتعد لتقديم روحـي وإفنـاء شـبابي وكل حيـاتي في سـبيل الله.

إن الذين قتلوا المجرم إبراهيم نعامة، والمجرم أحمد خليل، والمجرم درويش الزوني، والمجرم جوزيف الصايغ، والمجرم شحادة خليل، والعشرات غيرهم، ونسفوا باصات مملؤة بصف الضباط التابعين للمخابرات، وقتلوا وجرحوا في مجلس الوزراء أكثر من مئتين من أزلام السلطة، وقتلوا وجرحوا ألف ضابط وعنصر في الآمرية، بينهم أكثر من مئة قتيل من كبار الضباط، وتحملوا مسؤولية ذلك، وتابعوا عملهم وصمدوا... ونفذوا [عملية] الأزبكية التي كانت أخف من غيرها، وأظنكم تابعتم أخبارها، إن هؤلاء الإخوة أكبر من أن يعاملوا هكذا، وأشرف وأطهر من أن يبيعوا دماء مروان حديد، وعبد الستار الزعيم، وموفق عياش، وأحمد زين العابدين، ويوسف عبيد، ومئات، بل آلاف الشهداء في سوريا بثمن بخس، وهل تعتقدون أن لدي من الإخوة من يقبل إطلاق رصاصة في سبيل المال مهما بلغ حجمه في التنظيم؟! لا، أيها السادة: لقد ذهبتم في أحلامكم بعيدًا جدًّا... سامحكم الله.

أمـا إن كان الموضـوع موضـوع تجارة فهنـاك مـن يدفـع أكثـر، ولا تظنـوا أننـا محصـورون لا نسـتطيع الاتصـال بأحـد، لقـد عُرضـت علينـا الأموال مـن أطراف كثـيرة مقابل بعض العمليـات، فرفضنا، وما حرصنا على العلاقـة معكم إلا لحرصنا عـلى إسـلامية المعركة وإخوانيتهـا، وإذا كان الموضوع موضوع أموال فنسـتطيع دون وسـيط، ولكننا عقدناها صفقـة مع الله عز وجـل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ...﴾ [التوبـة: ١١١].

ولو أردنا كنز الأموال، أو كان المال بغيتنا، لكنا من أغنى الناس، ولكننا انفقنا كل ما لدينا وكل ما يأتينا في سبيل الله، وليس لدينا نية في ركوب السيارات واقتناء العمارات، وهل تعرفون أن العشرة آلاف ليرة التي أرسلتموها إلى الأخ كم ستكلفنا لو انكشف أمر الأخ؟! إنها ستكلفنا خسارة إمكانيات بمليون ليرة على الأقل، فضلًا عن دم الأخ الذي تعرفون وضعه، ولا داعي للشرح، ووالله لو أنكم أرسلتم مليون ليرة دون مقابل لما قبلت بذلك، لأنكم عرَّفتم إنسانًا جديدًا على هذا الأخ، والسرِّية والحذر والحرص على دماء المسلمين وأعراضهم بعيدة- فيما يبدو- عن تفكيركم.

وأمر آخر وهو: إذا كانت لديكم قناعة بأننا فقدنا قدرتنا على حرب النظام فأنتم مخطئون، ومن سيبقى منكم سيرى ويسمع عندما يأذن ربي، فلن نعود بعد كل هذه السنين لعمليات تافهة مثل عملية البراد تحت جسر القابون والتي اعتقل سائقها بعد ساعتين، وسنصبر حتى يفتح الله علينا بلوازم المعركة.

أيها السادة: إن الأمر بحاجة إلى وقفة صادقة مع النفس ومحاسبتها، لأننا سنجتمع معكم في ساحة القيامة أمام الله، وإنه بصير يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فالأمر بحاجة إلى صلح مع الله ونبذ الأحقاد والضغائن والعمل بإخلاص للتكفير عن الماضي، والعمل لمصلحة المسلمين، فلا يجوز لأحد أن يعطل فريضة الجهاد أبدًا، إن الدوامة التي تعيشون فيها- أيها السادة- قد أبعدتكم كثيرًا عن حقائق الجهاد، فهل سمعتم بالأعرابي الذي قال للرسول ﷺ: (بايعتك على أن أُرمى بسهم ها هنا فأقتل في سبيل الله)[1]؟!

---

(١) لعله أراد الحديث الذي أخرجه النسائي في «سننه» ٤/ ٦٠، وفي «الكبرى» (٢٠٩١)، عن شداد بن الهاد؛ أن رجلًا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ، فآمن به واتبعه... فلما كانت غزوة، غنم النبي ﷺ سبيًا، فقسم وقسم له... فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا:

إن المجاهـد الحـق مثل هـذا الأعـرابي الصحابي الجليـل، وليـس للدنيا مكان في قلبه.

إنني أعرف حراجة وضعكم، وحاجتكم لأية عملية تثبتون بها وجودكم، ولكنني لن أفتح المعركة أبدًا قبل استكمال استعداداتها، ولن أكون كالساعي للهيجا بدون سلاح، وكما قال شيخ الإسلام العز بن عبد السلام: إذا رأى الأمير أن لا أمل له بالنصر وجب عليه الانهزام بجيشه، لأنه في هذه الحالة لا يحافظ على جنوده لأنفسهم، وإنما لمصلحة المسلمين؛ لأن في قتلهم ضررًا على المسلمين، وشفاءً لصدور الكافرين، وإذلالًا للمسلمين، ونجاتهم لمصلحة الإسلام وليس لمصلحتهم؛ لأنهم سيجاهدون في السبل المتاحة، فما بالكم بمن فقد المئات من إخوانه، ولم يستطع تعويض بعضهم إلا بشق النفس!

إننا لم نسمع منكم إلا الكلام، فبكم رجل دعمتم معركتنا؟ وبكم قاعدة؟ وكم طنًّا من الديناميت قدمتم؟ وهل تقبلون أن ندعوا الشباب ونربيهم ونعدهم للجهاد، ونؤمن لهم السلاح، وندفعهم لحب الاستشهاد، ونؤمن لهم القواعد إن لوحقوا، ونخطط وننفذ العمليات، ونجمع الأموال من الناس، ونتحمل الضغط الأمني الهائل، ونقتل ونستشهد، ثم تكونون أنتم القيادة، وهل سمعتم بمثل هذه القيادة في التاريخ؟!

قسـم قسـمه لـك النبـي ﷺ. فأخـذه فجـاء بـه إلى النبـي ﷺ، فقـال: ما هـذا؟ قال: (قسـمته لـك). قـال: ما على هـذا اتبعتك، ولكنـي اتبعتك على أن أرمـى إلى هاهنا- وأشـار إلى حلقه- بسـهم فأمـوت، فأدخـل الجنة. فقـال: (إن تصـدق الله يصدقك)، فلبثـوا قليلًا، ثـم نهضوا في قتـال العـدو، فـأتي بـه النبي، ﷺ يحمـل قد أصابه سـهم حيث أشـار، فقـال النبـي ﷺ: (أهو هـو؟) قالـوا: نعم. قـال: (صـدق الله فصدقـه)... الحديث.

إنكم تعلمون أننا نستطيع الوصول إلى الكثير من الإسلاميين الذين اختلفوا معكم، ونطلب منهم جمع التبرعات باسمنا، ولكننا لم نفعل ذلك لأننا لا نقبل أن نكون طرفًا في المهاترات، ولقد اتصل بي الكثيرون منهم فرفضت ذلك، وأنتم ما زلتم منذ سنتين ونصف تماطلون وتقدمون الأعذار الواهية، وأنا ألتمس لكم العذر أمام إخواني، وأقنع إخواني بذلك، ففي البداية: المسؤول المالي غير موجود، أو أنكم مشغولون، ثم طلبتم خروجي إليكم، وعطلتم كل الإمكانيات، وربطتم ذلك بمجيئي إليكم، ثم ادعيتم أني معتقل ومسير من قبل المخابرات، ثم أقررتم أني موجود، ثم كانت الكارثة التي أذهلت الجميع هنا: أنكم تعتبروننا مرتزقة!

إذًا أصبح الجهاد والتجمع الحركي بكامله والعمل لدولة الإسلام وحرب النظام، أصبح ذلك كله في ميزان المضاربات التجارية. لو أنكم قلتم هذا منذ البداية لأرحتمونا وأرحتم أنفسكم وكان أفضل من تعطيل أوقاتنا وإرهاق أعصابنا وتعريض إخواننا للخطر، وأنتم تلعبون أوراقكم السياسية معنا، واحدة بعد أخرى.

لقد كشفت المعركة جميع الناس، فكم سمعنا في أيامنا الأولى الخطب الحماسية التي تطالب المسلمين بالوحدة والإخاء ونصرة بعضهم، ورأينا التطبيق على أرض الواقع، فعندما كان العشرات من إخواننا سنة ١٩٨٠م يستشهدون بسبب تجوالهم في الشوارع لعدم توفر القواعد لهم، وعندما كان المئات من الشباب الإسلامي يعتقلون لأنهم لم يتمكنوا من الاختفاء في القواعد، كانت ملايين الدولارات معكم، وكنتم تتفرجون علينا، وكأن الأمر لا يعنيكم، مما أصاب الأخ غالب آلوسي بالذهول، فقرر ترك تنظيمكم والانضمام إلينا، فهل ننسى هذا الماضي؟ لا والله لن ننساه أبدًا، وسيجازي الله الذين كانوا السبب. وهل تريدون تكرار ذلك؟

لقد اختلف الوضع اليوم، والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، فما لم تؤمن كافة لوازم المعركة فلن نفجرها لنصبح تحت الابتزاز البغيض الذي لم نكن نتصور وجوده في الصف الإسلامي.

إننا نسمع الصراخ من إذاعتكم كل يوم، ونسمع حزنكم على حماة وشعبها الذبيح، وتضعون اللوم في بياناتكم على حكام العرب ودعمهم لنظام الأسد، فهل هذه المعاملة التي عاملتمونا بها ستنصر حماة؟ وهل الذين يدعمون نظام الأسد أشد ضررًا بالمسلمين أم الذين يسعون لنسف المجاهدين من الداخل، وحصرهم في زاوية ضيقة، ومسح الجهاد، وتحويلهم إلى أدوات تافهة تعمل دون تفكير، لتخرب أكثر مما تبني؟ وتحاولون إفساد نفوسهم وشراءهم بالمال؟!

إن الأمر- أيها السادة- بحاجة إلى مراجعة حسابات، وعودة إلى الأصول، فلن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وانظروا إلى الشيخ المجاهد سعيد شعبان عندما حوصرت صيدا بقوات المجرم سمير جعجع بعد انسحاب إسرائيل وقصفت بالمدافع، ماذا قال؟ قال: (إن مسلمي طرابلس لن يتركوا إخوانهم في صيدا، لا يجوز لمسلم لديه فائض عن حاجته الضرورية إلا وجب عليه تقديمه لإخوانه في صيدا).

فهل وضع الشيخ سعيد شعبان الشروط على المسلمين المهددين بالإبادة، أم عمل بما يمليه عليه الواجب وترك المسلمين في صيدا يفعلون ما يرونه مناسبًا لمصلحة المسلمين؟!

إنكم تقومون بجمع الأموال للمجاهدين، فهل أصبحت هذه الأموال ملكًا لكم؟ ولو أنكم أعلنتم أن لا علاقة لكم بالمجاهدين فهل سيصلكم من الناس دينارٌ واحد؟!

إن كل ما حققتموه من أمجاد ومكاسب على دماء شهدائنا، وأنتم تعلمون كم رفعت عملياتنا من شأنكم في الخارج وكان خطابكم لنا بالحرف الواحد:

(لقد كان لعملياتكم الجبارة بالغ الأثر عندنا، وقد رافق ذلك تحركنا السياسي، فكان له أطيب النتائج).

وأنتم أدرى بما تعنيه كلمة التحرك السياسي، فلا أعتقد أن هذا التحرك لتأمين الأموال والسلاح والرجال للمجاهدين في الداخل، وإنما هذا التحرك لتدعيم مراكزكم في الخارج، ولعمري ماذا أفاد المجاهدون من ذلك؟

يجب أن تعرفوا- أيها السادة- أن الدول والأنظمة لا تعرف المبادئ، وإنما تعرف المصالح، فمتى تعارضت مصالحها مع وجودكم فإنكم ستكونون ثمن صفقة للصلح بين الأنظمة، وستصبح الأموال والإمكانيات التي بين أيديكم حسرة في قلوبكم- لا سمح الله- وبالنسبة لي فقد أمرت بقتل العشرات من الجنرالات الخبراء الروس، وأمرت بقتل جوزيف الصايغ، وغيره من عملاء المخابرات الأمريكية، فأنا لا أثق بأي نظام موال للشرق أو للغرب ولا أظن أن روسيا وأمريكا تتهاون في ملاحقة خصومهم، وستذكرون قولي إن شاء الله.

لقد أهانكم الملك حسين على رؤوس الأشهاد واعتبركم ضالين مضلين، وفاسدين مفسدين، وأنكم خدعتموه، وأنتم أدرى ماذا يعني بكلمة خدعتموه، فماذا تتوقعون في المستقبل من كل الأنظمة؟

لو أنكم دعمتم التنظيم الجهادي في الداخل، واستؤنِفَت المعركةُ من جديد لكان لكم من الكرامة والاحترام أكثر مما تتصورون.

إن ما يجري عندكم من مهاترات ونزاعات على المناصب قد أساء إلى دماء

الشهداء والمجاهدين، وشوه تاريخهم، ولذلك وجدت من واجبي كتابة تاريخ المجاهدين في دمشق منذ عام ١٩٧٤م وحتى عام ١٩٨٢م، وسينشر على الناس عندما تحين الفرصة بإذن الله، حتى يطلع المسلمون على الحقائق، ويستفيدوا من التجربة الجهادية في سوريا، التي كادت أن تضيع وتشوه ونحن ما زلنا على قيد الحياة. وسأذكركم من مآسي الماضي، الأخ نبيل حبش الذي أثبت جبنه وخوره عندنا، فلم يكتف برفض تنفيذ العمليات، بل إنه رفض أن يحمل سلاحًا للدفاع عن نفسه، ثم هرب خارج سوريا، وهو يعرف قاعدتين عندنا وأكثر من ثلاثين أخًا في مسجد الغواص، هرب دون أن يعلمنا بنيته في الخروج، ولو أنه اعتقل على الطريق لتسبب في مجزرة للمسلمين.

فماذا كانت النتيجة؟ عوضًا عن أن تحاكموه على فراره رفعتموه إلى القيادة العليا، وسلمتموه مسؤوليات أكبر من عقله وقدرته، ورأيتم ماذا كان الثمن في النهاية، اللهم لا شماتة، ولكن متى توزع المسؤوليات على أساس الكفاءة وليس على أساس المحسوبيات، ومتى نرجع إلى الله، ونعدل ونتقي الله في دماء المسلمين؟ لقد تسبب نبيل حبش في مجزرة سجلها التاريخ، فكل الإمكانيات أعطيت لنبيل حبش، وهو الذي كان ينصحني منذ عام ١٩٧٦م بالخروج من سوريا أنا وإخواني الذين صمدنا في الساحة، ثم نعامل كمرتزقة يُدفع لنا عشرة آلاف ليرة مقابل عبوة، وبقية الثمن يأتي بعد تفجيرها.

إن المجرم محمد ناصيف وجماعته كانوا يسمونني اليد التي لا تخطئ، والمجرم أسد قال للعلماء في إحدى مقابلاته معهم: لو أنكم سلمتموني أبا عمر لأطلقت سراح المئات من المعتقلين! ووضع جائزة (١٠٠) ألف ليرة عام ١٩٧٨م لمن يدلي بمعلومات تساعد في القبض علينا، فهل أصبحت قيمتي عند النظام أعلى

منها عندكم؟! ومنذ سنين أرسلتم إلى حلب أحد الأخوة الذي اعترف على أربع قواعد، استشهد فيها حوالي عشرين أخًا، فمن المسؤول عن ذلك؟ وهل أصبح الدم الإسلامي رخيصًا إلى هذا الحد؟!

إن العصبية البغيضة تظهر في كل تصرفاتكم، ومن يسمع إذاعتكم تتكون لديه فكرة أن الثورة والعمل المسلح لم تكن إلا في حماة أو حلب، وكأن دمشق - وهي العاصمة - لم يحدث فيها شيء! ولم يستشهد المئات ويعتقل آلاف المسلمين! مع العلم أن عمليات دمشق هي التي أعطت للعمل هيبته في الداخل والخارج، بل إن العصبية وصلت إلى التفريق بين الشهداء، حتى لو كانوا في حماة وحلب، فهذا من جماعة مروان حديد، وهذا من جماعتكم، فمن سمع عن النقيب إبراهيم اليوسف شيئًا؟ أو عن الأخ الحجي بدر ذكرى، وعن الأخ أحمد زين العابدين، أو مازن نحلاوي، وعشرات الإخوة الذين أرسلنا أسماءهم إليكم، فتذيعون أخبار المداهمات، ولا تذيعون أسماء الأخوة الشهداء، وليس حرصنا بإذاعة أسمائهم لكي نشهرهم، ولكن حتى يعرف أقرباؤهم باستشهادهم، فالنظام لم يكن يجرؤ على إخبار الناس باستشهاد أبنائهم.

بل ماذا سمع المسلمون عن مروان حديد من إذاعتكم وهو مؤسس التنظيم الجهادي المسلح ومفجر الثورة؟! ولا أظن أن أخبار موفق عياش أو عبد الستار الزعيم أحسن حظًّا من ذلك.

لقد فاوضتم السلطات السورية مدة سنتين ونصف دون أن نعلم شيئًا عن هذه المفاوضات، ثم سمعنا بالبيان الذي أعلنتم فيه فشل المفاوضات وعودة وفد النظام مهزومًا أمام جحافل المفاوضين.

فهل كانت المفاوضات حول إعادة الحياة إلى عشرات الآلاف من شهداء حماة؟! أم كانت حول إسقاط الأجنة من بطون آلاف المسلمات اللواتي اغتصبهن علوج الكفر النصيري؟ أم أن المجرم أسد تاب إلى الله وأراد الحكم بالإسلام؟ لقد خدعكم النظام أيها السادة! فقد كان في أزمة داخلية خانقة بسبب تصادم رؤوسه على السلطة، فجعلكم تسترخون وتتركون الإعداد للمعركة، فكيف تأمنون لهذا النصيري الخبيث وأنتم أعلم بكفره وعقيدته، فلو أنكم توصلتم إلى الصلح معه فلن يتوانى عن إعدام كل الذين سيدخلون سوريا.

وذكرتم في بيانكم أيضًا أنكم أعددتم العدة لجولة نهائية مع النظام، وهل هذه الجولة هي وضع عبوة ناسفة مقابل عشرة آلاف ليرة؟! فمتى تراجعون أنفسكم وتحاسبونها بصدق مع الله، وتتركون الهذرمة الإعلامية التي لا تقتل ذبابة.

أيها السادة: إن معاناة الشعب في سوريا قد بلغت حدًّا من الذل والهوان أكثر مما يعانيه العبيد، وقد كان في مقدوركم تخفيف آلام الناس وبث الأمل في نفوسهم بدعم المجاهدين، وليس التسبب بالمزيد من الآلام للناس مقابل عمليات تافهة الغاية فيها الإعلام والدعاية لأوضاع سياسية عندكم، فهل أصبح كل الشعب في الداخل وكل الآلام التي يتعرضون لها ثمنًا لأوضاع فئة قليلة في الخارج تريد أن تحافظ على امتيازاتها؟! ولا تقولوا: إن الحفاظ على أوضاعكم لمصلحة المسلمين. فكم من شهيدٍ لا يجد أهلُه ثمن الطعام! وكم من حرائر المسلمين اللواتي لم تكن تراهن عين الشمس حفظًا وصيانة خرجن للعمل ومزاحمة الرجال بسبب فقد معيلهنَّ! أم أن الثورات أصبحت عمليات قتل، وعمليات دعاية وإعلام فقط؟!

لقد كان بمقدوركم مساعدة كل هؤلاء الناس حتى يتمكن المجاهدون من الاستمرار في التنفيذ.

إننا نثق بالشيخ سعيد حوى، ونعلم أنه لا يقبل بهذا، فلماذا جمدتموه؟

والأخ أبو أنس أيضًا كان يتعاون معنا بكل دقة وأمانة وإخلاص، جزاه الله خيرًا، فلماذا عزلتموه؟ والدكتور حسن الهويدي الذي تفهم حقيقة أوضاعنا، ولا نشك في إخلاصه وتفانيه، فلماذا أبعدتموه؟ هل يعني هذا أن هناك قرارًا بضرب المجاهدين في الداخل وإبعاد كل من يتعاون معهم في الخارج؟!

وهل تخبرونا لماذا أُبعد هؤلاء المخلصون، وأصبحنا نسمع بأسماء نكرات، مثل أبي (...)، وأبي (...)...؟ لم نسمع لهم تاريخًا بالجهاد ولا بالدعوة... ولمصلحة من تسلط هؤلاء على رقاب «الإخوان المسلمين»...؟ إن تجربتنا مع هؤلاء الناس- على قصر عمرها- بينت أنهم لا يفقهون شيئًا في أصول الحركة والتنظيم، ولا يتمتعون بشيء من الدقة والسرية والحذر التي يقتضيها العمل في مثل هذه الظروف، لقد كشفوا عن أنانية ولامبالاة بإخوانهم لا تقبل من الإخوة غير القياديين، فكيف بإخوة يمسكون بزمام القيادة! ولو أنهم كانوا في الداخل لأخذوا حجومهم الطبيعية، فالخطأ عندنا لا يتكرر، فإما أن يذهب صاحبه ويصبح من ذكريات الماضي، وإما أن يتسبب بفقدان إخوة آخرين، وعندها لا يسكت له بقية الإخوة أبدًا، بل يجرد من صلاحياته، ويفسح المجال لغيره، وكم من مسؤول في تنظيمنا جرد من صلاحياته! وكم من أخ جديد رفع بكفاءته! وهذا سرٌّ من أسرار استمرارنا واستعصائنا على النظام، أما أن يفعل الإنسان ويقول ما يحلو له ويعرض أرواح المسلمين للخطر ثم لا يحاسب فهذا لا يحدث عندنا أبدًا.

إن إرسالكم لهذا المبلغ التافه إنما يدل على أنكم لا تعرفون شيئًا عن الأوضاع في سوريا؛ فهذا المبلغ لا يساوي إلا ثمن دراجة نارية فقط، وإن مئات الآلاف لا تساوي عندنا شيئًا، وهل تتوقعون أن الناس الذين يفتحون بيوتهم للمجاهدين ويموهون عليهم بنسائهم وأطفالهم وأمهاتهم يقبلون ثمنًا لهذا كل ما تملكون من أموال؟!

أيها السادة: إن قيادة الثورات تحتاج إلى الكثير من الأمور، يجب أن تعرفوها، فهي تحتاج إلى إيمان عميق، وتكوين دقيق، وعمل متواصل دؤوب، وتضحية بالغالي والنفيس، وصبر، وتصميم، وتحمل للصدمات، وامتصاص للمفاجآت، وتحتاج القيادات فيها إلى الحكمة، والشجاعة، والصبر، والثبات، والتواضع، والإخلاص، وتحمل البلاء، أكثر من العناصر. إن القيادة الحقة هي التي تعامل قواعدها معاملة الأب لولده، يجوع ويقدم لطفله رغيف الخبز، ويعرى ليكسو ولده، وإذا ما هدده خطر كان الأب درعًا واقيًا لطفله، وإن القيادة الحقَّة هي التي تشعر بآلام مجاهديها، وتضع كل إمكانياتها الفكرية والنفسية والمالية للحفاظ على مجاهديها، وتذليل العقبات أمامهم ليصلوا إلى أهدافهم المرسومة بأقل الخسائر، وليست القيادة التي تضحي بكل المجاهدين للحفاظ على امتيازات وهمية سرعان ما تزول.

لقد كان أولى بكم أن تباركوا خطوتي بوقف التنفيذ بعد مجزرة حماة، والتجربة الجهادية في سوريا، وتفهموا ما أريد لإعداد تنظيم في العاصمة قادر على التصدي وقتل من أصدروا الأوامر لتدمير حماة واستباحة حلب وإدلب وجسر الشغور، لا أن تقفوا مني موقف المتفرج ثم تطلبوا مني فتح المعركة قبل أن نستعد لها، وكأنكم لا تريدون أن يبقى مجاهد واحد على قيد الحياة في سوريا! والله لو أنني عاملت إخواني هكذا لما قبل إمارتي أحد، لكن الإخوة يعرفون أنني دائمًا في مكان الخطر لا أغفل ليلًا

أو نهارًا، وأعمل كل ما لدي من فكر وجهد لتأمين لوازم معركتهم والحفاظ عليهم، وهل تعتقدون أن إدارةَ قاعدةٍ واحدةٍ في الداخل شيء سهل! أظن أنكم جربتم هنا في دمشق كما جربتم في حماة وحلب، وأنتم أدرى بما كانت النتيجة، إن لكل شيء ثمنًا في هذه الحياة، فالقيادة ثمنها كما قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

فالصبر على مشاق الطريق، واليقين بوعد الله، هو الذي يجعل من القياديين مسؤولين عن أرواح الناس وعقائدهم، أما المال فإنه لا يقدم ولا يؤخر، وهل تعتقدون أن إخواني قبلوا بي أميرًا كل هذه السنين لأنني أكثرهم مالًا؟

هل جاهد مروان حديد من أجل المال؟ وهل عذب حتى الموت- كما تعلمون- مقابل الأموال؟ وهل عذب عرفان المدني، وظافر بدوي، وجمال زيتونة، وغالب حداد، وبقية الإخوة الذين يعرفهم سيدي الشيخ سعيد حوى عندما كان في السجن حفظه الله- اسألوه عن أخلاقهم فهو أدرى الناس بهم- هل ضحى هؤلاء الأطهار بزهرة شبابهم مقابل المال؟!

إن الدعوات- كما قال الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله- لا تقوم على الأموال، ولكن الدعوة بحاجة إلى المال في بعض مراحلها، **وإن معركة الإسلام في سوريا طويلة جدًّا، ولن تنتهي في بضعة أشهر لتصل بعدها إلى سدة الحكم، إنها معركة يجب على الذين قرروا خوضها أن يدفعوا كل ما يملكونه، ويضحوا بدمائهم ولا يضيعوا ثانية واحدة، وأن يكون أملهم الاستشهاد في سبيل الله.**

إما محاولة تسريع المعركة وإخراجنا عن مخططاتنا فقد بذل النظام كل إمكانياته القمعية ليدفعنا إلى ذلك دفعًا، فلم يستطع، فما بالكم تسعون بنا إلى تحقيق ما عجز عنه دون أن تشعروا بذلك، وأود أن أسأل: هل يعامل العلماء الأفغانيون المقيمون في باكستان مجاهديهم في الداخل هكذا ويعتبرونهم مرتزقة؟ وهل كان المجاهد أحمد شاه مسعود يستطيع أن يصمد لعشرات الهجمات على وادي «بانشير» المدعومة بأحدث آلات الحرب الروسية؟ وهل تتوقعون أن يصل وضع «الإخوان المسلمين» في السودان إلى ما وصل إليه لو أن الشيخ حسن الترابي كان يعامل إخوانه هذه المعاملة؟!

وهذا الدكتور مصطفى السباعي، رحمه الله، يقول في الكتاب الذي نشرتموه تحت عنوان «كتاب في المعركة»: (إن فلسطين ضاعت لأن حكام العرب منعوا عن المجاهدين الأموال والسلاح)، فكيف تبررون منعكم الأموال والعتاد عن المجاهدين في سوريا، وهل مأساة سوريا أقل من مأساة فلسطين؟!

أما موقف إيران من نظام المجرم أسد فقد سألناكم عن ثورة الخميني المجوسي، وعن الشيعة الجعفرية، وهل هم مسلمون؟ وهل ثورتهم إسلامية؟ فقلتم: إن مبعوثنا طار إلى طهران، واجتمع مع عدد من قادة الثورة الذين أعلنوا أن مواقفهم من نظام أسد مؤقتة نظرًا لضرورة ظروفهم الدولية الصعبة، ثم طردتهم من إيران، وعندما دققنا في عقيدة الشيعة الاثني عشرية وجدنا أنهم مجوس كفرة حاقدون على الإسلام أكثر من اليهود ويتقربون إلى الله بقتل المسلمين بزعمهم!

وهل سمعتم الإهانة التي قالها عنكم الدكتور عبد الله الغريب[1] في كتابه:

---

(١) يعني به الشيخ محمد سرور زين العابدين رحمه الله تعالى، فقد كان نشر كتابه: «وجاء دور المجوس» باسم عبد الله الغريب لمصلحة رآها حينها، والكتاب مطبوع

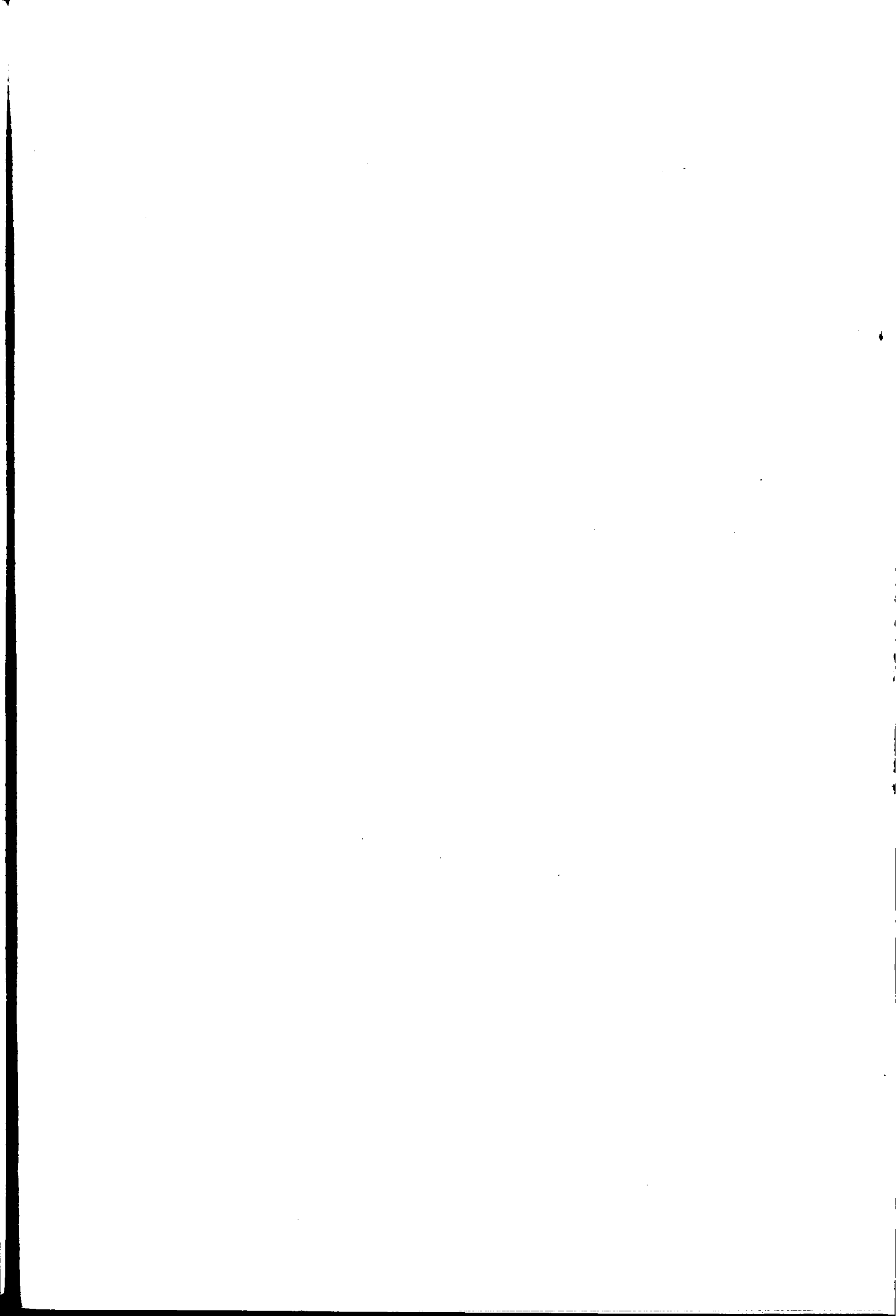
«وجاء دور المجوس»؟ أم أن خلافاتكم والدوامة التي تعيشون فيها لم تترك لكم من الوقت ما يسمح لكم بدراسة عقيدة الخميني الذي بارك مجزرة حماة ؟!

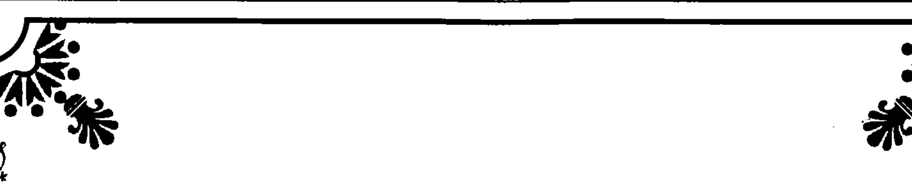
لقد دمرت حماة، وبعد ذلك بأربعة أشهر خرج عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية من بيروت، والآن ها قد عاد عرفات ومنظمة التحرير إلى بيروت والجنوب، وفرض نفسه على سوريا، وإسرائيل، وعلى حركة أمل العميلة، وعلى الكتائب، ومن ورائهم أمريكا، فهل تمكن عرفات ومنظمة التحرير من استعادة قوتهم وإمكانياتهم بمثل هذه المعاملة التي تعاملونا إياها؟!

لا والله، أيها السادة: ربما أصابتكم الدهشة لرسائلنا السابقة بسبب لطفها، وظننتم أن ذلك منا موقف سياسيٌّ لا أننا كنا صادقين، فنحن قد سمعنا مقابلة الأخ المخلص خالد الشامي - فك الله أسره - وأنا أعلم أن كل ما قاله صحيح فقد أخبرني بذلك قبل أن يسجن، ولكني تغاضيت عن هذه الحقائق، وقلت: إن مجزرة حماة ومجزرة الضباط ستوحد الصف وتنقي الصفوف. ولكن الأمر بقي على حاله، وقد آن الأوان لأن تعرفوا الحقيقة كاملة، فإن خفتم على مراكزكم بسبب ما وصل لي من شهرة فاطمئنوا، إني والله لم أفكر يومًا في منصب أو كرسي ولن أغادر سوريا نهائيًّا إن شاء الله، وليس لي غاية إلا نصر الإسلام والاستشهاد في سبيل الله، ولي قدوة حسنة بالمجاهد أحمد بن عرفان الشهيد، فقد كانت حياته شبيهة بحياة سيدي الشيخ مروان رحمه الله، فلم يتخل عن الجهاد، بل استشهد في ساحة المعركة رغم كل النكسات التي تعرض لها، والتي جعلت حياته سلسلة من المآسي.

***

عدة مرات، ذكر اسمه صراحة في الطبعات الأخيرة منها.

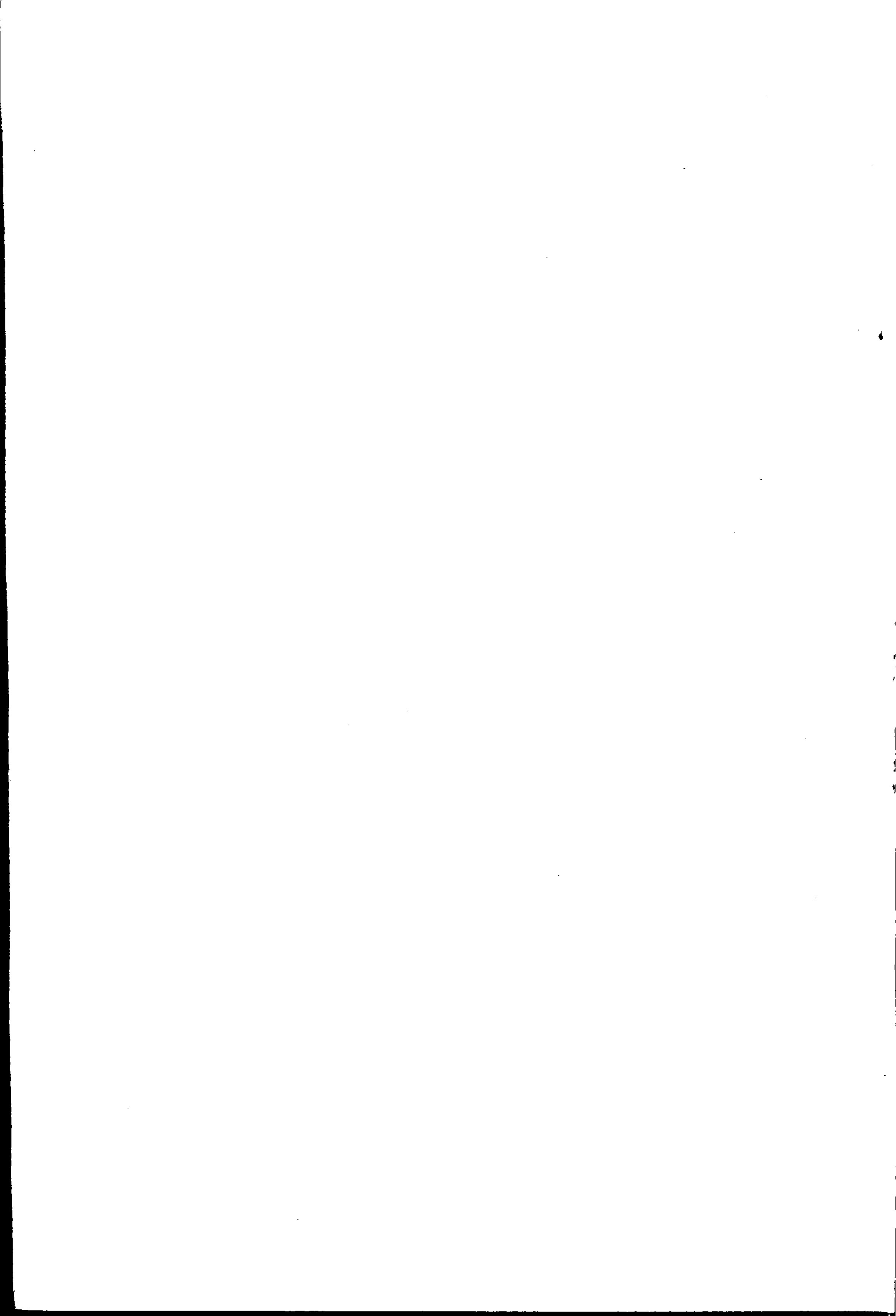





على ثرى دمشق

أيمن أحمد الشُّربجي






بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، وصلَّى الله تعالى على نبيه الكريم، سيدنا محمد إمام المجاهدين، وقائد الغر الميامين، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فما من شك بأن الحرب الدائرة اليوم ضد الإسلام والمسلمين في سوريا هي من تخطيط الغرب الصليبي الحاقد، بالاشتراك مع اليهودية الخبيثة الماكرة، التي اتخذت صنيعةً لها المجرم حافظ أسد وطائفته النصيرية المرتدة أداة مسخرة لهذه الحرب الظالمة.

ونحن نعلم أن هذه الحرب ليست إلا معركة واحدة من معارك الإسلام العظيم، معركة واحدة من سلسلة معاركه الطويلة مع أعدائه من أهل الظلم، والطغاة، والمستبدين.

إن الكيد والدس والتآمر لم يتوقف لحظة واحدة منذ انطلاقة الإسلام الأولى وحتى اليوم، فتارة بشكل علني، وأخرى بشكل سرِّي متخف، وذلك تحت حكم الظروف المتغيرة والأوضاع المستجدة في كل مرحلة من مراحل التاريخ.

وإننا نتعرض اليوم لمؤامرة شديدة الوطأة خبيثة المراد، ولكي ندفع الخطر عن أنفسنا، وحتى لا نعيش بذلة وصغار وجب علينا أن نبذل ونضحي

لنرفع الظلم ونزيل الطغيان، قال الله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

ويجب علينا - إذا أردنا أن نعيش أحرارًا بعقيدتنا - أن نقاتل ما بدا أمام أعيننا قتال، ونجاهد ما دام الجهاد هو الطريق الصحيح الذي ارتضاه لنا الله رب العالمين لحماية ديننا وعقيدتنا، ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]. وسنحارب حتى تعلو راية الرحمن وتنتكس راية الطغيان.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

القائد الشهيد مروان حديد وفكرة التنظيم الجهادي المسلّح:

إن تنظيم «الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين» في سوريا الذي يتصدى للنظام الطائفي العميل، ويقف بوجه المخططات الغادرة التي يحركها التحالف الصليبي اليهودي ضد الإسلام وأهله المسلمين في سوريا، نقول: إن هذا التنظيم لم يصل إلى ما هو عليه من بأس وقوة إلا بعد أن اجتاز مراحل خطيرة كادت تودي به وتقضي عليه لولا لطف الله وعنايته المستمرة، لقد سار هذا التنظيم على نفس الخطوات التي خطها رسول الله ﷺ، فلم يكن هذا التنظيم بدعًا في نشأته وتكوينه ولم يكن بدعًا في مساره وخطاه، وإن الفضل في إنشائه لَيرجع إلى القائد الشهيد الشيخ مروان حديد الذي رفع لواء الجهاد: قولًا، وعملًا، منهجًا، وسلوكًا، ضد نظام الإجرام والطغيان - الذي تسلط على رقاب الشعب المسلم في سوريا - من أجل تحرير الشعب من طائفيته البغيضة.

إن الأفكار الجهادية وإقامة تنظيم إسلامي مسلَّح يتبنى فكرة الجهاد في سبيل الله ويعمل بمقتضاها، إن هذه الأفكار التي نعتبرها اليوم بديهية لا جدال حولها كانت في زمن مضى من الأفكار التي تثير الغرابة وتدعو إلى العجب، ليس عند عامة الناس فحسب وإنما عند الطبقة الواعية المتنورة الخبيرة بما يحدث للمجتمع المسلم وما يحيط به من مخاطر ومؤامرات، ومن هنا نلحظ الصعوبات التي واجهت فكرة الجهاد المسلَّح لدى نشأتها، ووعورة الدرب الذي سلكته، وضخامة الجهد الذي بذل لدفعها إلى الأمام.

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

الأوضاع العامة داخل سوريا:

وصل المجرم حافظ أسد إلى كرسي الحكم في سوريا عام ١٩٧٠م، بعد حركة انقلابية قام بها ضد رفاقه في الحزب الحاكم آنذاك، وأعلن إسلامه على يد المفتي مفتي النظام آنذاك- الذي تدور حوله شبهات عديدة- أحمد كفتارو، في محاولة للتغطية على نسبه العائد للطائفة النصيرية الباطنية الحاقدة على الإسلام والمسلمين، المعروفة بتاريخها الأسود الحافل بالجرائم والاغتيالات ضد قادة المسلمين، والمعروفة أيضًا بممالأة أعداء المسلمين على مر العصور، وقد ادعى في أقواله أنه إنما جاء ليعيد للوطن حريته وللمواطن كرامته، وكذَّب الواقع كافَّة ادعاءاته، فالأمور تجري على عكس ما يدعي، فالحرية سُلبت، والكرامة أُهدرت، والأخلاق دُمرت.

لقد كان يعمل ضمن مخططات مرسومة لتدمير الإسلام وإبادة أهله، مستعينًا على ذلك بباطنيته الخبيثة، وكان مما أعدته هذه المخططات إلغاء

الدستور القديم واستبداله بآخر غيره، والشيء الذي أثار الانتباه هو حذف عبارة (دين الدولة الإسلام)، واستبدالها- بعد ما حصل من أحداث- بعبارة: (دين رئيس الجمهورية الإسلام).

إن هذا العمل الخبيث قد أجج مشاعر المسلمين في كل أرجاء سوريا، وقام الإخوان المسلمون بتوزيع منشور في كافة المدن السورية، يطالب بإلغاء الدستور العلماني الجديد وإلغاء الحكم العسكري، وبيَّن نوايا المجرم أسد الباطنية، ونبَّه المسلمين في سوريا إلى حالة الخطر الداهم والمستقبل الرهيب الذي ينتظرهم، وَوُقِّعَ المنشور باسم نخبة كبيرة من علماء المسلمين في سوريا، وتم توزيعه على خمس دفعات بأوقات الصلوات في معظم مساجد سوريا، وكذلك قام الكثيرون من الخطباء في المساجد بتبيين حقيقة النظام ونواياه الشريرة وكيده للمسلمين، وعمَّ الغليان أنحاء كثيرة من سوريا لا سيما حماة وحمص.

رأي الإخوان المسلمين:

لم يكن الإخوان المسلمون ولا علماء المسلمين في سوريا غافلين عن نوايا حافظ أسد ونظامه الطائفي الحاقد، ولم تنطلِ عليهم ادعاءاته في الحرية والكرامة والتحرير، فقد كان تاريخ طائفته النصيرية ظاهرًا لهم، وأهدافها الباطنية واضحة أمامهم، فعرفوا أنه يريد تمزيق سوريا وإخضاع أهلها؛ لتصبح فريسة سهلة في متناول اليهود.

كانت هذه الحقائق واضحة في أذهان قادة «الإخوان المسلمين»، ووقفت مقابل هذه الحقائق أسئلة استفهام كثيرة منها:

- كيف يمكن درأ الخطر الداهم الذي يحيط بالمسلمين؟

- ما هي الخطط المعدة والوسائل المهيأة لمواجهة هذه الأوضاع وتطوراتها؟

إن الأحداث التي جرت تدل على أن «الإخوان المسلمين» لم يهيئوا التنظيم السري الفعال، الذي يتمكن من مواجهة النظام وإفشال خططه، دون أن تتعرض قياداته وعناصره للتصفيات البشعة التي اشتهر بها النظام الطائفي المجرم منذ حصول انقلاب آذار ١٩٦٣م، لذلك قرروا اللجوء إلى الأساليب السلبية التي ترفض تسلط الطائفة النصيرية، وحاولوا توعية الشعب الذي كان يغط في سبات ونوم عميق، والذي رأى لبرهة في حافظ أسد ووعوده المعسولة خلاصًا من تسلط الحكم البعثي القديم، بعد أن عانى في ظله صنوفًا من القهر والإذلال.

لقد كانت عمليات «الإخوان المسلمين» في مواجهة السلطة عبارة عن ردود أفعال لما تقوم به هذه السلطة، لذلك نجد أن السلطة سرعان ما تطوق الأحداث وتنهي أي بادرة ضدها، فبعد الحوادث التي جرت في المدن السورية احتجاجًا على الدستور قامت قوات السلطة وأجهزتها السرية بحملة اعتقالات واسعة للشباب المسلم في سوريا، ولكثير من العلماء المسلمين منهم على سبيل المثال: الشيخ سعيد حوى، والشيخ محمد علي مشعل.

وقامت بنشر الإرهاب بين صفوف الشعب المسلم، وبلغت بها الوقاحة إلى أحط الدرجات حين اعتدت على بيوت الله ومن فيها، فخيم على البلاد جو من الخوف والترقب، ترك آثاره على أبناء شعبنا المسلم الذين ما عادوا يجرؤون على دخول المساجد خوفًا من الاعتقال، فالناس يعرفون ما ينتظرهم من بطش وإرهاب في فروع المخابرات، وقد بدا واضحًا أن المجرم أسد وأعوانه إنما أرادوا من وراء ذلك كبت أي معارضة وإنهاء أي مقاومة، باستخدام أخس الوسائل في تعذيب المعتقلين: من ضرب بالسياط، إلى كيٍّ بالنار، إلى قلع للأظفار، واستخدام الكهرباء في الأماكن الحساسة من الجسم، إلى آخر ما تفتقت عنه عقول المجرمين في القرن العشرين من وسائل التعذيب.

وفي أحيان كثيرة يكون التعذيب الوحشي حتى الموت، مما أسفر عن استشهاد عدد من المعتقلين.

وهكذا نجد أن عمليات «الإخوان المسلمين» ضد السلطة قد انتهت عند هذا الحد، ولم تقدم جهودًا مؤثِّرة تحد أو تقلل من إرهاب السلطة الطائفية.

نظرة الشيخ مروان حديد:

أما الشهيد مروان حديد فقد كانت له نظرة في الأمر، وفكرة واضحة لمواجهة إجرام السلطة وطغيانها، فحين بدأ النظام بشن حملات الاعتقال أخذ يستعد للدفاع عن النفس، ويحرض من حوله على الدفاع عن أنفسهم ومواجهة إجرام النظام، ويحضهم على الثبات، وأخذ ينتقل من مسجد لآخر في مدينة حماة، يقوي العزائم ويبث روح الجهاد في سبيل الله بنفوس الناس، وأشيع في حماة أن المجرم رفعت أسد قد وصل إليها لاعتقال الشيخ مروان مع عدد من علماء المدينة، فما كان من الشيخ مروان إلا التصميم على القتال ومواجهة إجرام السلطة، وكان يردد قائلًا: (والله لا أعطيهم الذلة من نفسي؛ لأن رسول الله ﷺ يقول: من أعطى الذلة من نفسه طائعًا غير مكره فليس مني)[1]، كما كان يردد دائماً: (الموت في سبيل الله أفضل من سياط الذل في السجون).

أما سلاحه الذي كان يملكه فهو رشاش قديم من نوع: بور سعيد- عيار (٩ ملم)، كما كان يملك عددًا من القنابل اليدوية.

لقد اتخذ الشيخ رحمه الله تعالى قرارًا بالمقاومة حتى الاستشهاد في سبيل الله، ولكن

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني، وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي، وهو متروك.

إخوانه وطلابه أقنعوه بأن القتال على تلك الحال خطأ تكتيكي لا ينبغي ارتكابه؛ حتى لا تتكرر مأساة مسجد السلطان التي حدثت عام ١٩٦٤م، هذه المعركة جرت بين الشيخ مروان وطلابه وبين زبانية النظام العميل عام ١٩٦٤م، واستمرت لمدة يومين سقط فيها عدد من الشهداء الأبرار، بينما أخذ الشيخ وبقية الإخوة أسرى بعد أن أصيبوا بجراحات بليغة، ولم تتورع السلطة عن استخدام الدبابات في هذه المعركة، بينما كان سلاح الإخوة عددًا من المسدسات وبعض القنابل اليدوية ورشاشين أو ثلاثة من نوع قديم، بعد اعتقال الشيخ مروان حكم عليه بالإعدام إثر محاكمة هزلية جرت في مدينة حمص ترأسها المجرم مصطفى طلاس، وقد ذهل الحاضرون من شدة بأس الشيخ واستهانته بالموت وجرأته الكبيرة على أزلام النظام المتكبرين، ولم ينفذ هذا الحكم بل اضطرت السلطة إلى إطلاق سراحه تحت ضغط الشعب المسلم بقيادة علمائه وخاصة عالم حماة المجاهد الشيخ محمد الحامد رحمه الله.

لهذا السبب التكتيكي ونزولًا عند رغبة الإخوة في حماة قرر الشيخ مروان حديد رحمه الله الانتقال إلى دمشق.

في نفس الوقت أمر المجرم رفعت أسد عددًا من عناصره المجرمين- يبلغ عددهم (٣٠٠) عنصرٍ- بمداهمة منزل الشيخ مروان وقتله داخل المنزل مباشرة بإطلاق النار عليه، وكم كان ذهولهم كبيرًا حين علموا بأن الشيخ مروان قد غادر مدينة حماة!

وبدأت الملاحقة في كل مكان؛ إذ أن السلطة لم تكن تجهل حقيقة الشيخ مروان وقدرته الكبيرة على استقطاب الشباب في أي موقع يوجد فيه، وهي التي عرفت شدة بأسه وإصراره على تحقيق الهدف مهما عظمت الخطوب. وفي دمشق

ظل الشيخ متواريًا عن الأنظار مدة عام كامل تنقل خلاله بين أصحابه ومعارفه بسرية تامة وحذر شديد، فقد وزعت السلطة صوره على مخبريها، إضافة لذلك كان الشيخ رحمه الله مميزًا بجسامته وبطوله البالغ ١٩٠ سم.

كانت السلطة في هذه المرحلة تبذل جهودًا متواصلة في عملية إتمام السيطرة على دوائر الدولة ومؤسساتها السياسية والعسكرية، فقامت بتوسيع سرايا الدفاع التي تنتمي عناصرها إلى الطائفة النصيرية، وعملت على ضم أبنائها إلى الجيش والمؤسسات العسكرية الأخرى، بينما كانت تبطش من جهة أخرى بالعلماء والدعاة، وتعتقل وتعذب المثقفين الذين يشكلون نخبة الشعب الواعية، وبدأت تتسع خطورة الوضع الجديد وتتضح معالمه بشكل يوحي بأنه إن لم يُتدارك الموقف بتحرك مكافئ لأعمال النظام ونهجه المتبع فإن الأمور ستسوء، وبالتالي سيزداد تسلط النصيريين في الحكم، وسيضعف المسلمون حتى يأتي يوم لن يستطيعوا معه شيئًا لا سمح الله.

إن وضوح الرؤية عند الشيخ مروان حديد وإدراكه لخطورة الوضع الذي وصل إليه المسلمون جعله يتحرك بسرعة أكبر على مستوى القيادات الإسلامية الموجودة على الساحة آنذاك، فاتصل بقادة «الإخوان المسلمين» وأطلعهم على رأيه حول هذه الأوضاع، وكان رأيه رحمه الله يتلخص بما يلي:

أن يقوم الإخوان المسلمون بتعبئة كوادرهم وتشكيلها ضمن تنظيمات عسكرية سرية مسلحة، هذه التنظيمات سوف تستقطب الشعب، وبالتعاون مع الضباط المسلمين في الجيش يتم الإعداد والتنسيق للقيام بثورة عامة يشترك فيها الجيش والشعب لإسقاط النظام العميل.

إن أفكار الشيخ مروان حديد وآرائه بصدد مقاومة السلطة بالأسلوب المسلح الذي لا تفهم غيره لم تلق الإقبال المناسب أو التجاوب اللازم لدى قيادات «الإخوان المسلمين»، الذين ارتأوا أن الوقت لم يحن بعد لحمل السلاح بوجه النظام الطائفي الظالم، وأنه متى ظهرت ضرورة ذلك فإنهم لن يتوانوا أبدًا عن حمل السلاح ومقارعة السلطة، وطالبوا الشيخ مروان بمغادرة سوريا، لكنه رفض هذا الطلب قائلًا: (إذا كانت السلطة مجنونة في باطلها فإننا مجانين في حقنا، والله لأقاتلنهم ولو كنت وحدي، ولا أقبل إلا بحكم الإسلام أو أموت شهيدًا في سبيل الله).

واستمر الحوار طويلًا إلى أن وصل إلى درب مسدود، عندها قرر الشيخ إنشاء تنظيم مسلح يحمل على عاتقه راية الجهاد في سبيل الله ضد النظام الطائفي الإجرامي في سوريا، ولأجل هذا الغرض قرر الاتصال بشباب «الإخوان المسلمين» لإنشاء هذا التنظيم.

التنظيم المسلح والأسس التي اعتمدت في بنائه:

-شباب مسلم متعطش للجهاد في سبيل الله.

-سلطة طائفية باطنية محاربة للإسلام تبطش بالشعب الأعزل.

-قيادات إسلامية تعارض اللجوء للقوة المسلحة ضد السلطة.

-هذا هو الوضع الذي واجهه الشيخ مروان في بداية تشكيل التنظيم المسلح، لذلك انتهج في بناء التنظيم الجديد خطة مكونة من عدة مراحل:

١- مرحلة التعريف الفكري.

٢- مرحلة الاستيعاب التنظيمي.

٣- مرحلة الإعداد والتدريب.

٤- مرحلة الصدام مع النظام.

لقد عرف القائد الشهيد مروان حديد أنه لا بد للنجاح من مناخ خاص وشروط محددة، لذلك وضع أمام عينيه- وهو يعمل في بناء التنظيم الجهادي المسلح- كل مستلزمات النجاح وأسبابه، وأدرك أنه لا بد من أمرين اثنين لنجاح هذه الفكرة:

١- تعيين الهدف الأساسي لهذا التنظيم، ألا وهو التخلص من ظلم النظام الباطني وإجرامه، وإقامة حكم إسلامي رشيد، وتحرير الشعب السوري المسلم في سوريا من عبوديته للطغاة.

٢- تحديد الأسلوب الذي يجب انتهاجه للوصول إلى الهدف المنشود، وكان هذا الأسلوب هو مواجهة القوة بالقوة، والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، وقد اعتبر الشيخ رحمه الله أن العمل المسلح أمر أساسي يجب على المسلمين أن يتمسكوا به، كما اعتبر الأساليب والطرق الأخرى أعمالًا رديفة للعمل المسلح، ولا أدل على ذلك من قوله: (ألف قذيفة كلام لا تساوي قذيفة حديد واحدة).

وما كان القائد مروان حديد من الذين يعرضون الأفكار ويلقون الكلام دون أن يكون لكلامهم نصيب من العمل في حياتهم، لقد كانت أفكار القائد الشهيد جزءًا من كيانه ورسمًا لشخصيته وبيانًا عن حياته، فحين دعا للقتال في سبيل الله كانت قنابله ورشاشه بين يديه، وكان مستعدًّا لمواجهة كل الاحتمالات المترتبة على ذلك من تعذيب وتشريد وإيذاء وقتل في سبيل الله، وبذلك فقد شق لحركة الجهاد في سوريا طريقها الصحيح، وحدد لها مسارها الصريح.

فالبلاد تحكمها طائفة حاقدة مستبدة، ومراكز القوى الفاعلة بين يديها،

والمسلمون ليس لهم أمر أو نهي، لذلك فالقوى غير متكافئة، وهذه المواجهة لا يمكن الرجوع عنها مهما كانت العقبات، لهذا فإن أفضل أسلوب لخوض هذه الحرب هو أسلوب حرب العصابات داخل المدن حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

إن شباب «الإخوان المسلمين» الذين انتظموا ضمن صفوف جماعة الشيخ مروان حديد رحمه الله كانوا على استعداد كامل للجهاد في سبيل الله طبقًا للشعار الذي رفعه الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله تعالى: (الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا).

إن رفض القيادات الإسلامية للعمل العسكري لم يثنِ الشيخ مروان عن رأيه أو يفت في عضده وإنما زاده صلابة، فقام بتحرك واسع دعا فيه القيادات الإسلامية الأقل مسؤولية، ودعا الناس غير القياديين، واحتاج ذلك منه إلى جهد كبير وعمل دؤوب مستمر، وخاصة في بلد مثل سوريا، وقد عانى الشيخ أثناء عمله من مشكلة كبيرة وهي صعوبة تنقله من مكان إلى آخر، لذلك لم يكن ينتقل من بيت إلى آخر إلا وقت الحاجة الملحَّة.

وهناك مشكلة أخرى لا بد من تبيانها، وهي انقسام جماعة «الإخوان المسلمين» إلى قسمين: قسم يعمل تحت قيادة الأستاذ عدنان سعد الدين والشيخ سعيد حوى، وقسم ثان يعمل تحت قيادة الأستاذ عصام العطار ومركزه دمشق، وللقسمين نشاطات مختلفة في بقية المحافظات، وإضافة لذلك وجدت على الساحة جماعات مستقلة تعمل ضمن خط «الإخوان المسلمين» الفكري، ولكنها تنتظر وحدة التنظيمين حتى تعطي ولائها لتنظيم موحَّد.

وقد بين الشيخ مروان حديد في مناقشاته المستمرة مع «الإخوان المسلمين» وعناصرهم أن سبب الانشقاق الحاصل إنما هو البعد عن الجهاد الحقيقي في سبيل الله.

ثم جاءت المرحلة الثانية، وهي مرحلة استيعاب الشباب ضمن خلايا تنظيمية مسلحة، واعتمد الشيخ مروان في هذا العمل على طلابه القدامى الذين تدربوا في معسكرات الفدائيين الفلسطينيين لعدة سنوات، وكان من أبرزهم ثلاثة:

١- القائد الشهيد عبد الستار الزعيم.

٢- القائد الشهيد موفق عيَّاش.

٣- القائد الشهيد غالب حداد.

إن هؤلاء القادة وكثيرين غيرهم قد خاضوا العديد من المعارك فوق أرض فلسطين، واكتسبوا خبرة عسكرية واسعة انعكست فوائدها على التنظيم في فترات لاحقة، وقدَّر الله لي أن ألتقي بالشيخ مروان رحمه الله تعالى سنة ١٩٧٤م، وبعد مناقشات مطولة وشرح للموقف من جوانبه المختلفة تم تنظيمي في أسرة ضمت كلًّا من الإخوة:

ظافر بدوي، مواليد دمشق- ميدان ١٩٥٥م.

عدنان أبو جيب، مواليد دمشق- ميدان ١٩٥٤م.

زهير طبوش، مواليد دمشق- ميدان ١٩٥٤م.

والعبد الفقير إلى الله تعالى كاتب هذه السطور.

وتولى إمارة هذه المجموعة القائد الشهيد: برهان لحام مواليد دمشق ١٩٥٥م، الذي تميز بذكائه الوهَّاج، وإخلاصه في العمل ونشاطه في الدعوة إلى الله.

في المرحلة الأولى التي انتظمنا فيها كنا نتردد على البيوت التي كان يستخدمها الشيخ مروان حتى توطدت العلاقة بيننا وبينه بشكل جيد.

بعدها دخلنا في المرحلة العملية لهذا التنظيم وهي الإعداد والتدريب، وتوزعت معسكرات التدريب في الجبال الساحلية وفي الغابات، وضم كل معسكر حوالي ٣٠-٤٠ أخًا من دمشق وحماة وحلب، وتسلم قيادة هذه المعسكرات الإخوة: عبد الستار الزعيم، غالب حداد، موفق عياش، كما تم جمع التبرعات لشراء السلاح اللازم لخلايا التنظيم.

وبدأ اسم جماعة مروان حديد بالظهور على الساحة، وكان ذلك في أواخر ١٩٧٤م، فقد تشكل عدد كبير من الخلايا المدربة المسلحة المستعدة للقيام بأي عمل يطلب منها.

كان رأي الشيخ مروان رحمه الله أن مرحلة التبليغ لم تنته بعد، ويجب علينا الاستمرار في تبليغ دعوتنا والتنبيه إلى حركتنا وأهدافها حتى نصل إلى مرحلة اليأس من انضمام عناصر جديدة لتنظيمنا، عندها نقرر أساليب المرحلة الصدامية هل ستكون حربًا مفاجئة شاملة، أم حرب عصابات طويلة الأمد.

معركة العدوي:

استمرت عملية استيعاب العناصر الجديدة في خلايا تنظيمية مسلحة عام ١٩٧٤ وبداية عام ١٩٧٥م، حيث شعرت السلطة بوجود الشيخ مروان حديد في دمشق، وأحسَّت بنشاطه التنظيمي المسلح، وكان لها عدد كبير من المخبرين في بعض التنظيمات الإسلامية، فعملت على تحريكهم باتجاه جماعة مروان حديد المسلحة، وشاء الله أن يصل المخبر المجرم مصطفى جيرو مواليد اللاذقية ١٩٥٠م، وهو رقيب أول، إلى منزل الشيخ مروان في العدوي، وبذلك عرفت السلطة المكان الذي يقيم فيه الشيخ رحمه الله، وفي صباح يوم الاثنين منتصف

عـام ١٩٧٥م قامـت أعـداد كبـيرة من قوات السـلطة بتطويـق منزل الشـيخ مروان في منطقـة العـدوي تمهيـدًا لاعتقاله.

كان الشيخ رحمه الله تعالى على عظم قدره وغزارة علمه وشدة بأسه متواضعًا للإخوة بشوشًا لهم يستقبلهم ويودعهم بنفسه، واستغل المجرم جيرو هذه الصفة التي تحلى بها الشيخ أبشع استغلال، فحين قام الشيخ ليودعه عند الباب ومدَّ يده ليصافحه جذبه المجرم إلى خارج المنزل حيث قامت عناصر المخابرات المدربة بالإطباق على الشيخ والإمساك به، وحاول الشيخ مروان التخلص منهم ولكن دون فائدة، فأخذ يكبر بصوت مرتفع: الله أكبر، الله أكبر. فتنبه الشباب داخل المنزل إلى ما حدث، وابتدأت المعركة العنيفة التي استمرت من الساعة السادسة صباحًا إلى الساعة الرابعة عصرًا، استخدم فيها الإخوة القنابل اليدوية والبنادق الروسية، بينما استخدم المجرمون الذين أرسلتهم السلطة الغاشمة الـ (آر- بي- جي). والبنادق الروسية، والرشاشات من عيار (٥٠٠).

نتائج المعركة:

أسـفرت المعركـة عـن استشـهاد الأخ زكي الصفـدي مواليد دمشـق- مزرعة ١٩٥٢م، وهـو أخ حافـظ لكتـاب الله عز وجل، يدرس في كليـة التجارة من جامعة دمشـق، واعتقـل الأخـوان: مأمون كاخي من حمـاة، وفريد قداح مـن بانياس، وهما مثخنـان بالجراح، كـما اعتقلت زوجة الشـيخ مروان حديـد رحمه الله.

مـا أن انتهـت معركـة العدوي حتـى قامت السـلطة بإزالة الآثار التـي تركتها المعركـة، ونصبـت الكمائـن في المنـزل المداهـم والمنـازل التـي حولـه، وأخفـت عناصرهـا بشـكل جيـد في المنطقـة المحيطة بالمنـزل، وبتقديـر من الله عـز وجل تم

اعتقال عدد من الإخوة القادمين إلى المنزل ولَّما يعلموا بعد بخبر المداهمة التي حصلت، أذكر منهم الأخوين:

محمد جوهر مواليد دمشق- شيخ محي الدين ١٩٥٤م.

عدنان الرز مواليد دمشق- شيخ محي الدين ١٩٥٤م.

انتشرت أخبار المعركة في دمشق ومن ثم في جميع أنحاء سوريا، وكان الشعب يتلهف لمعرفة هوية هؤلاء الأبطال الذين صمدوا في وجه السلطة عشر ساعات في منزل محاصر على الرغم من ضعف السلاح وقلة العتاد.

في بداية الأمر حاولت السلطة التعمية على الخبر وذلك بعدم ذكر أسماء الإخوة وانتمائهم للصف الإسلامي، بل راحت تتهم العراق وحزبه وعملاءه بأنهم يقومون بأعمال تخريبية ضد سورية؛ لإشغالها عن معركتها مع العدو الصهيوني!

لقد أرادت السلطة من وراء ذلك منع أي تعاطف شعبي مع التنظيم الإسلامي المسلح، ولكن هذا الأمر لم يخف على الناس كما ظنت السلطة، واتضح الأمر بشكل جلي حين قامت أجهزة السلطة ومخابراتها باعتقال الشباب الإسلامي من مختلف المحافظات، وخاصة دمشق وحماة، واعتقل أمير أسرتنا الأخ برهان لحام، ضمن هذه الحملة من الاعتقالات، كما اعتقل الأخ عدنان أبو جيب، وتمكنت أنا والأخ ظافر بدوي والأخ زهير طبوش من التواري عن الأنظار، ومن ثم عدت أنا والأخ ظافر لمتابعة العمل مع الأخ عرفان المدني فيما بعد.

كيف اتسعت دائرة الاعتقالات داخل التنظيم:

بعد اعتقال بعض الإخوة الذين كانوا داخل المنزل أثناء المداهمة والذين أتوا إلى المنزل بعد ذلك، قامت السلطة باستخدام وسائل تعذيب متطورة استخدمتها بخسة ودناءة لانتزاع المعلومات من المعتقلين، وهكذا تمكنت من معرفة أسماء وعناوين بعض الشباب، وكذلك عرفت بعض الخلايا السرية، وقامت باعتقال ثلاثين شابًّا في دمشق، إزاء هذا الوضع توارى بقية أفراد التنظيم عن الأنظار وقاموا بتغيير أماكن سكناهم، وفي حماة كان نطاق الملاحقات أوسع منه في دمشق، أما في حلب فقد كانت الاعتقالات طفيفة لا تذكر؛ لأن السلطة لم تتمكن من اعتقال أي أخ من مدينة حلب بعد معركة العدوي، لذلك حافظ التنظيم في مدينة حلب على سريته التامَّة.

البصمات التي تركتها معركة العدوي:

إن آثار معركة العدوي ونتائجها ظهرت على التنظيم مباشرة، فلم تكن المعركة خسارة لقائد مثل الشيخ مروان فحسب، وإنما كانت نقطة تحوُّلٍ كادت تقضي على التنظيم بما خلفته من معتقلين ورهائن وشهداء، وإن ضربة كهذه يتم فيها تدمير القيادة وتشتيت القاعدة لأي تنظيم، حري بها أن تشل حركته لسنوات طويلة إن لم نقل تنهي وجوده، ولكن التربية القائمة على الإيمان بالله وتحمل الصعاب في سبيله، والتضحية بالغالي والنفيس من أجل هذا الدين جعلت الإخوة الذين مروا بهذه المحنة يتابعون الطريق بعزيمة لا تلين وقوة لا تقهر بإذن الله.

متابعة الطريق:

تسلم قيادة التنظيم الأخ عبد الستار الزعيم في حماة، وحمل الراية في دمشق الأخ القائد الشيخ عرفان المدني مواليد دمشق- ١٩٤٥م.

تميزت هذه المرحلة بالعمل على استقطاب أعداد جديدة من الإخوة لتوسيع التنظيم، مع متابعة التدريب في الجبال المحيطة بمدينة دمشق وبساتينها، كما تم شراء كميات محدودة من السلاح، وكان التنظيم في هذه المرحلة يعاني ضعف الإمكانات المادية، ورغم ذلك حرصت قيادة التنظيم على الاكتفاء باشتراكات الإخوة دون طلب المساعدة المادية من أيٍّ كان، حفاظًا على سرية التنظيم، ولإبعاد الشكوك حول استمراره.

في هذه المرحلة كان التعذيب داخل السجون قد بلغ أشده، وكانت السلطة تهدف من وراء ذلك إلى القضاء على البقية المتبقية من التنظيم المسلح، فصبت ألوان التعذيب المختلفة على الشيخ مروان رحمه الله، وخلال سبعة شهور متوالية لم تحصل على أي اعتراف رغم علم الشيخ بكل شيء عن التنظيم، وقد وصف الشيخ رحمه الله التعذيب بقوله:

(إنني شهدت تعذيب «الإخوان المسلمين» بمصر، وقرأت وسمعت عن مختلف أنواع التعذيب في العالم، إلا أنني لم أجد أخس ولا أحقر ولا أحط من زبانية حافظ أسد).

لقد ارتكب زبانية النظام كل المحرمات في تعذيب الشيخ وإخوانه المجاهدين، واتبعوا شتى الأساليب التي يترفع القلم عن ذكرها، وكانت أخبار التعذيب تنتقل إلى الشعب وإلى قيادة التنظيم.

في بداية عام ١٩٧٦م، اتخذت قيادة التنظيم قرارًا بتوزيع منشور في سوريا يحمل توقيع الحزب الشيوعي السوري من أجل هدفين اثنين:

١- تخفيف التعذيب عن شباب «الإخوان المسلمين» الموجودين في السجون.

٢- إشغال السلطة فترة من الزمن يستغلها التنظيم في توسيع قاعدته وزيادة إمكاناته.

تم توزيع المنشور في دمشق وحماة وحلب، لكن إرادة الله شاءت أن ينكشف هذا الأمر، فأثناء توزيع المنشور اشتبك الأخ عمر ريحاوي مواليد دمشق- ١٩٥٥م مع إحدى دوريات السلطة فقتل عنصرًا منهم وأصيب بجراح بليغة نقل على أثرها إلى المستشفى، اعتقد الإخوة أن الأخ عمر ريحاوي قد استشهد، ولكن بعد عدة أيام قامت السلطة باعتقال بقية أفراد أسرته في كمائن رتبتها لهم، فاعتقلت الأخوين نبيل زيتونة، ممتاز وانلي- مواليد دمشق ١٩٥٥م، وأثناء خروج الأخ جمال زيتونة من منزله الكائن في منطقة الإطفائية أطبقت عليه عناصر المخابرات في محاولة لاعتقاله، إلا أنه تمكن من إلقاء قنبلة يدوية بينه وبينهم قتل فيها عنصرًا وجرح آخرين، كما جرح الأخ جمال جراحًا مختلفة نقل على أثرها إلى المستشفى.

إن عدم التأكد من استشهاد الأخ عمر ريحاوي وتمشية الأمر على ذلك دون وضع احتمال اعتقاله في الحسبان كان خطأً تكتيكيًا واضحًا، فها هي الاعتقالات تتوالى بسرعة دون اتخاذ الإجراءات المناسبة لتفاديها، وبعد ثلاثة أيام تقريبًا من اعتقال الإخوة: نبيل وممتاز، تم اعتقال الأخ ظافر بدوي وأخذه من عمله في شركة الطيران السورية، وكان الأخ ظافر مسلحًا بمسدس وقنبلة يدوية إلا أنهم تمكنوا منه غدرًا، ولم يتمكن هو من استعمال سلاحه. وكانت الخسارة أليمة باعتقال الأخ ظافر الذي امتلك جرأة كبيرة في الحق ونشاطًا واسعًا في العمل.

لقد تمت هذه الاعتقالات بسبب خطأ في التقدير كما بينت سابقًا، إذ كان يجب على الإخوة التواري عن الأنظار فترة من الزمن، حتى يتم التأكد التام من استشهاد الأخ عمر ريحاوي.

ساءت الأحوال بعد اعتقال هؤلاء الإخوة فتوارينا عن الأنظار بمنزل الأخ رياض حموليلا- أكراد، والإخوة الذين تواريت معهم هم:

عبد الناصر عباسي، عبد القادر عباسي، الشيخ عرفان المدني، بسام فرعون. واستمر اختفاؤنا مدة عشرين يومًا كنا خلالها نتابع التطورات الأمنية لأوضاعنا الخاصة، فظهر أن السلطة لم تداهم أي واحد منا كما هي عادتها من قبل، بل عملت على بث المخبرين لمراقبة المنازل والأماكن التي يتردد إليها كل واحد منا مما طمأن الإخوة إلى أوضاعهم الأمنية، وغلب الظن على عدم اعتراف أي واحد من الذين دخلوا السجن مجددًا.

اعتقال الأخ القائد الشيخ عرفان المدني:

عاد الأخ القائد عرفان المدني إلى منزله الكائن في منطقة العمارة بعد دراسة أمنية دقيقة للمنزل وما حوله، وأقام في بيته ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع أثناء توجهه إلى عمله تمكنت السلطة من اعتقاله إثر كمين غادر أعدته مسبقًا.

كان الشيخ عرفان عالمًا وخطيبًا ومدرسًا في كثير من مساجد دمشق، وخاصة مسجد صلاح الدين في الأكراد ومسجد (بعيره) في السبع بحرات.

إن اعتقال أمير التنظيم في دمشق الشيخ عرفان المدني، والأخ ظافر بدوي- وهو من العناصر القيادية البارزة- قد ترك آثارًا قاسية في نفوس الإخوة الباقين وهز معنوياتهم، ذلك لأن معظم الإخوة الذين اعتقلوا كانوا مسلحين بمسدسات

وقنابل، وقد اتبعت السلطة الغادرة من أجل ذلك أساليبها الخبيثة، فهي لم تعد تداهم منزل الأخ المكشوف لديها مباشرة، بل صارت تقوم بعملية مراقبة واستطلاع للأخ وللأماكن التي يرتادها، وبعد أن يطمئن الأخ إلى وضعه الأمني تنصب له كميناً وتعتقله في الطريق.

إن الوضع النفسي الذي صاحب هذه المرحلة كان بالغ الصعوبة والشدة: الاعتقالات، وطوق الإرهاب الذي ضربته السلطة حول الإخوة، إضافة إلى الفقر المدقع والتشريد الدائم. ثم شددت السلطة طوقها الإرهابي حول الإخوة الملاحقين حين وزعت صورهم على المخبرين، ووضعتها في مخافر الشرطة ودوائر الدولة وفي مراكز الحدود، وكان عدد الإخوة الذين عممت صورهم حوالي سبعين ملاحقًا من المدن السورية، وقد زاد في حقد السلطة المجرمة على الإخوة المعتقلين والقياديين منهم بشكل خاص ضبطها لعدد من الرشاشات والقنابل اليدوية في بيوت الإخوة المعتقلين.

تسلم قيادة هذه المرحلة في مدينة دمشق الأخ موفق عياش مواليد حماة ١٩٤٨م، وهو مهندس ميكانيكي من طلاب الشيخ مروان القدامى الذين عاشوا عدة سنوات في معسكرات الفدائيين الفلسطينيين، وخاض عدة عمليات داخل فلسطين.

اتصف الأخ موفق بالسرية والانضباط، وقد تركزت الجهود في هذه المرحلة على عدة نقاط رئيسية:

١- سد الثغرة التي فتحتها السلطة داخل التنظيم، ومنع حصولها على مزيد من المعلومات.

٢- القيام بحركة نشطة لاستيعاب أعداد جديدة من الإخوة المجاهدين.

٣- التفكير بحل المشكلة الجديدة التي نشأت بعد ملاحقة عدد من الإخوة، وهي تأمين القواعد الثابتة التي ينطلق منها الإخوة لمتابعة العمل داخل التنظيم الحركي.

كانت محاولات حل هذه المشكلة تصطدم بعقبة كبيرة وهي تأمين المال اللازم لشراء أو استئجار البيوت، فميزانية التنظيم كانت تقوم على الاشتراكات التي يدفعها الإخوة، وكان معظم هؤلاء الإخوة من الطلاب الذين لا يملكون إلا القليل من المال، ولكن رغم هذه الصعوبات تمكن الإخوة الملاحقون من تأمين أماكن يلجؤون إليها، اعتبرت بمثابة قواعد ثابتة استعصت على السلطة وسببت لها إرباكًا شديدًا، وازداد نشاط الإخوة الحركي وبدأ التفكير نحو مواجهة النظام.

واتضحت الخطوط العامة لهذه المواجهة، وتم سبك الأسلوب المناسب، ووضع المنهج الذي سيتبعه التنظيم في مواجهة النظام، وهذا الأسلوب هو: حرب العصابات، (الحرب اللامتكافئة)، التي ليس لها إلا هذه القاعدة: اضرب واهرب، تابع الضربة الأولى دون أن يؤدي ذلك إلى مواجهة.

والمبررات العملية التي دعت لاستخدام هذا الأسلوب:

١- قلة العدد والعدة نسبة إلى إمكانيات النظام الضخمة.

٢- عدم تخلي أعدائنا عن حربنا حتى نكمل استعدادنا ونتمكن من استخدام كل قوتنا.

فبعد أن خسر التنظيم العديد من قياداته وأفراده في دمشق وحماة بشكل خاص، قررت القيادة البدء بعمليات اغتيال لضرب رؤوس النظام، وخاصة

المخابرات الذين كانوا يشكلون كابوسًا على صدر الشعب، وقام بوضع الخطوط الأساسية لهذه المرحلة كل من الإخوة:

١- الأخ القائد عبد الستار الزعيم: مواليد حماة ١٩٤٧م، طبيب أسنان، شارك بالعمل الفدائي لعدة سنوات، أصبح القائد العام للتنظيم المسلح في سوريا بعد اعتقال الشيخ مروان.

٢- الأخ القائد موفق عياش: مواليد حماة ١٩٤٨ م، مهندس ميكانيك، شارك بالعمل الفدائي، وأصبح أمير تنظيم دمشق بعد اعتقال الأخ عرفان المدني.

٣- الأخ القائد حسني عابو: مواليد حلب ١٩٥٠م، خريج كلية الشريعة، وهو من طلاب الشيخ مروان القدامى، كما أنه كان أميرًا للتنظيم في مدينة حلب.

بدء التنفيذ:

كثفت السلطة من ضغطها الإرهابي على الصف الإسلامي بشكل عام، وراحت تعتقل كل من تظن أن له علاقة بتنظيم الشيخ مروان بشكل خاص، عند هذا الحد قررت قيادة التنظيم القيام بعدة عمليات ضد السلطة ورموزها، كانت أولاها:

عملية اغتيال المجرم: محمد غرة:

محمد غرة رئيس فرع مخابرات حماة، وهو ابن خالة المجرم حافظ أسد، تمت العملية بنجاح في أوائل عام ١٩٧٦م، أمام منزله في حماة، وقتل معه ثلاثة من مرافقيه، وتمكن الإخوة من الانسحاب على دراجة نارية، كان لهذه العملية وقع كبير على معنويات أزلام السلطة، فهي أول عملية انتقام ينفذها التنظيم المسلح ضد شخصيات السلطة المجرمة، وكان لهذه العملية وقع آخر على رأس طاغية النظام

المجرم حافظ أسد وعائلته المشؤومة الذين زادوا بطشهم وإرهابهم على الشعب السوري وخاصة أهالي حماة، وأعقب هذه العملية عملية أخرى، وهي قتل المجرم النصيري سديف الحموي، وهو أحد جلادي النظام الذين اشتهروا بتفننهم في تعذيب شباب «الإخوان المسلمين» في حماة.

ازدادت مخاوف السلطة بعد هاتين العمليتين، وثبت لها أن التنظيم المسلح الذي ينفذ هذه العمليات قادر على توجيه ضربات مباشرة إلى رؤوس النظام وزبانيته، فراحت تبحث عن وسائل أشد ضراوة وأكثر فعالية للقضاء عليه خوفًا من توسعه وانتشاره؛ لأنها لاحظت السرور الشديد والفرح العارم الذي ظهر على وجوه أبناء الشعب السوري، وانتشرت الأحاديث بين الناس حول هؤلاء الأبطال الذين مرَّغوا رؤوس النظام، وأزالوا هالة الوهم التي صنعها حول نفسه، وبدا الأمر بالنسبة للسلطة مرعبًا إلى حد كبير. وقررت قيادة التنظيم أن ترد بحزم وقوة على كل اعتداء تتعرض له، وهذا يعني أن السلطة ستخسر عددًا كبيرًا من رموزها في حرب حقيقية سوف تخوضها مع هذا التنظيم المجاهد، لا مجال فيها للَّف والدوران، ولا مجال فيها لتصنع الصمود والتصدي كتلك المعارك التي ترتبها مع إسرائيل.

استشهاد الشيخ مروان حديد:

اشتدت حدة التعذيب على المعتقلين داخل السجون وتحمل الشيخ مروان القسط الأكبر من هذا التعذيب، فقد مارس جلَّادو السلطة ضد الشيخ رحمه الله أنواعًا مختلفة، وحاولوا انتزاع المعلومات منه بشتى الوسائل، لكنهم لم يفلحوا أبدًا بسبب صمود الشيخ الذي وصل إلى درجة من الإيمان والصلابة والثبات فاقت أدوات التعذيب، وفاق كل أساليب السلطة الدنيئة.

إن حقارة النظام العميل الذي يتحكم في رقاب الشعب بدأت تظهر بشكلها الحقيقي، وقررت السلطة الانتقام من الشيخ مروان والتخلص منه، فزادت في التفنن في أساليب تعذيبه، وأخذت تظهر كل ما في دخيلتها من خسة وقذارة، حتى قضى نحبه شهيدًا بإذن الله، ومما يجب ذكره أن وزن الشيخ مروان حين اعتقاله كان (١١٠ كغم)، وبعد التعذيب نزل إلى (٣٥ كغم).

رحمك الله أيها القائد الشهيد!

رحمك الله يا من كنت علمًا نيِّرًا في درب جهادنا الطويل!

رحمك الله يا أبا خالد! يا فخر الأبطال المؤمنين!

اهتزت سوريا لنبأ استشهاد الشيخ مروان رحمه الله، وقامت السلطة بتوزيع إعلانات ادعت فيها أن الشيخ قد مات إثر نوبة قلبية في مستشفى حرستا العسكري، وأعلنت أنه سيتم دفنه في مقبرة باب الصغير بدمشق، وما أن انتشر الخبر حتى خيَّم الحزن على البلاد، وعمَّ الأسى بين صفوف المسلمين داخل سورية وخارجها، فالشيخ الشهيد كان يحتل مكانة كبيرة بقلوب أبناء الشعب المسلم لما تمتع به من خصال المؤمنين المجاهدين، وخرجت جنازة الشهيد في موكب محاط بآلاف الجنود وعناصر المخابرات الذين اصطفوا على الطريق المؤدية إلى المقبرة، كما احتلوا أسطح الأبنية المجاورة خوفًا من قيام الشعب بأي عمل ضد السلطة، ومنعوا أهل الشهيد من فتح التابوت كي لا يروا آثار التعذيب على جسد القائد الشهيد، وسارت مواكب المشيعين غير عابئة بإرهاب السلطة ولا بجنودها.

وبعد أن تمَّ الدفن قامت السلطة ببناء القبر من الإسمنت المسلح، واستمر عناصرها فترة طويلة من الزمن يمنعون الناس ويبعدونهم عن مكان القبر.

ولم يمـض يومـان عـلى دفـن القائد الشـهيد حتى قررت قيـادة التنظيـم القيام بمعسـكر تدريبي في الغابات السـاحلية، لاسيما وأن السـلطة لن تتوقع القيام بهذا العمل.

تسلم إمارة هذا المعسكر الأخ موفق عياش، وضم المعسكر حوالي خمسة عشر أخًا من دمشق وحلب، بينما اعتذر تنظيم حماة عن الاشتراك بهذا المعسكر نتيجة للأوضاع الأمنية السيئة التي كانت تعاني منها مدينة حماة بعد استشهاد الشيخ مروان، ونذكر هنا أسماء الشباب الذين شاركوا بالمعسكر من دمشق، وهم:

يوسف عبيد، بسام فرعون، عبد الناصر عباسي، رياض حموليلا، أحمد كناكري، وكنت بينهم في هذا المعسكر.

ومـن حلب خرج سـتة إخوة كان بينهـم الأخ عدنان عقلة، ومـن بانياس خرج الأخ عبـد المنعـم الشـغري، كانـت مدة المعسـكر سـتة أيـام، خرجنا ونحـن نحمل أوراقًـا مـزورة من مفوضية كشـافة دمشـق باللبـاس الكشـفي الكامل، ومـرَّ يومان وأمور المعسـكر تجري بشـكل طبيعي، وفي اليـوم الثالث حضرت بعـض الدوريات الأمنيـة التابعـة للسـلطة مدعيـة بأنها مـن حـرس الغابـات، وطرحـت علينا بعض الأسـئلة ممـا أثار شـكوكنا حولهـا واعتقدنا بـأن هوية المعسـكر أصبحت مكشـوفة، وانتظرنـا إلى المسـاء حيث فككنا خيامنا وسرنا بسرية تامة مسـافة تقـدر بـ(٢٠) كم وسـط الغابـات، ومضـت الليلـة بهـدوء كامل فلم نشـعل نـارًا أو ننصـب خيامًا أو نقوم بـأي حركـة تدل عـلى وجودنا.

وفي الصباح عدنا إلى اللاذقية على عدة دفعات متفرقة، ثم قفلنا راجعين إلى دمشق وحلب، وتم لنا بذلك تفادي أكبر فرصة كان باستطاعة السلطة من خلالها قتل وأسر حوالي خمسة عشر أخًا دفعة واحدة.

المجرم الخائن الجاسوس مصطفى جيرو:

هـذا المجرم مـن مواليد اللاذقيـة- ١٩٥٠ م، ذكرنا سـابقًا أن هـذا المجرم هو الـذي تسـبب باعتقال الشـيخ مـروان، أمـا كيف وصـل إلى التنظيم فهـذا الأمر قد تـم عـن طريـق الأخ عصـام السـمان، مواليـد دمشـق- مهاجريـن ١٩٥٠م، الذي كان مـن أصدقائـه في الجيش.

كان الخائن مصطفى جيرو يدعي الزهد والصلاح والتقوى، وقد سبق له أن انتسب إلى بعض الجماعات الإسلامية في سن مبكرة إلا أن انحرافه النفسي وطمعه بالمنصب والمال جعله ينتظم في سلك زبانية السلطة، وتمكن هذا المجرم من الوصول إلى بيت الشيخ مروان بغلطة ارتكبها الأخ عصام السمان، وبعد اعتقال الشيخ مروان بفترة من الزمن التقى المجرم الجاسوس بالأخ موفق عياش في الطريق العام وكانا يعرفان بعضهما من خلال لقاءاتهما عند الشيخ مروان، ولم يكن المجرم جيرو يعرف الأخ موفق عياش ولكنه يعرفه باسمه الحركي.

وأبدى المجرم جيرو أسفه لما حصل للشيخ مروان في العدوي، وأظهر رغبته في العودة إلى التنظيم فأعيد اتصاله مع أحد الإخوة باسم حركي مستعار.

لقد قررت السلطة الاستفادة من هذا الجاسوس إلى أبعد الحدود، إلا أن العمل السري والبناء الهرمي للتنظيم والاحتياطات الأمنية الشديدة لم تمكن هذا المجرم من القيام بأي دور يذكر بعد اعتقال الشيخ مروان رحمه الله.

وشاء الله أن يكون هذا المجرم بين الإخوة في المعسكر الأخير، فبدأت الشكوك تحوم حوله أثناء التدريب، وتبين لنا فيما بعد أنه هو الذي كشف هوية المعسكر أمام السلطة، ولكن بفضل الله، ثم بانتباه الإخوة وحذرهم، تم تفويت الفرصة على السلطة آنذاك.

وتم التأكد من أن هذا المجرم يعمل لحساب السلطة، وذلك بعد مراقبته مراقبة دقيقة، فقد كلفني الأخ موفق عياش بالسكن معه ومراقبته في منزله عدة أيام للتعرف على أحواله عن قرب، فأمضيت عنده ثلاثة أيام مدعيًا بأنني من منطقة دوما القريبة من دمشق وأن سبب ابتعادي عن منزلي هو الخوف من الاعتقال بسبب مشاجرة حصلت بيني وبين عناصر من سرايا الدفاع في دوما.

لقد كانت فترة وجودي عنده كافية لكي استطلع كافة الوثائق التي كانت بحوزته، فأثناء غيابه فتشت منزله وعثرت على أشياء كثيرة توحي بشكل قاطع أنه غير ملتزم بالإسلام، ومن هذه الأشياء: الصور العارية، القصائد اللاأخلاقية، وعدد من أسماء المخبرين الذين يتعاون معهم، وتبين لي أيضًا أنه يقوم بتمثيل حركات الصلاة دون قراءة أي شيء فيها، وكان مفطرًا في شهر رمضان المبارك، وحاول مرارًا معرفة اسم الأخ موفق عياش فكنت أجيبه في كل مرة بأنني لا أعلم سوى اسمه الحركي، وقد كنت خلال فترة وجودي عنده حذرًا، فالمسدس في جيبي دائمًا والطلقة في حجرة الانفجار ويدي على المسدس، وأحضر مرة بعض عناصر المخابرات وقدمهم إليَّ مدعيًا بأنهم من أصدقائه، وكان ذلك من أجل اعتقالي، لكن حذري الشديد واستنفاري الدائم فوت عليهم الفرصة فكنت أبتعد عنهم ولا أصافح أحدًا منهم لأن يدي كانت على زناد المسدس، وشعر بذلك فانتظر فرصة أفضل.

في النهاية كتبت تقريرًا مفصلًا يتألف من ثلاث صفحات ضمنته كل شيء لاحظته عن المجرم الجاسوس، وقدمته إلى الأخ موفق عياش الذي رفعه إلى القيادة، وقد دونت في هذا التقرير كل ما شاهدته وعرفته عن هذا الخائن، وكتبت في نهاية التقرير: (إنَّ هذا الإنسان مخبر جاسوس للعدو، وأنا مستعد للقضاء عليه إذا طُلب مني ذلك).

اعتقال الأخ موفق عيّاش:

أثناء التقاء الأخ موفق عياش بهذا المجرم في أحد شوارع دمشق استوقفتهما دورية أمنية راجلة مؤلفة من ثلاثة عناصر وطلبت منهما إبراز هويتهما، وكان الأخ موفق مسلحًا بمسدس، ولكن الأسلوب اللطيف الذي تصرف به عناصر المخابرات منعه من استعمال مسدسه وقام بإبراز هويته، فاعتذروا له وأعلموه بأنهم يراقبون أحد المجرمين المطلوبين جنائيًّا، وانتهى الحادث بشكل طبيعي. فيما بعد تبين أن هذه العملية تمت بالتنسيق بين المجرم جيرو وعناصر المخابرات؛ لمعرفة اسم الأخ موفق عياش.

بعد ذلك وصلت أنباء مؤكدة إلى قيادة التنظيم تقول: إن مصطفى جيرو خائن وجاسوس، فهو الذي كشف منزل الشيخ مروان للسلطة وساعد على اعتقاله.

وفور وصول هذا الخبر صدر أمر بالابتعاد عنه وترك موضوعه، وأُخبر بذلك جميع الإخوة في المحافظات السورية.

تم اعتقال الأخ موفق عياش بعد حوالي أسبوعين أو ثلاثة من حادثة إبراز الهوية، وقد اعتقل وهو يؤدي امتحان التخرج في الجامعة، وبما أن السلطة تعلم أنه يمتلك معلومات واسعة عن التنظيم فقد عمدت إلى تعذيبه تعذيبًا وحشيًّا، وحاولت انتزاع المعلومات منه بأي أسلوب ولكن دون جدوى، فقد صمد الأخ موفق صمودًا بطوليًّا يشهد على ذلك التحقيق الذي جرى معه؛ إذ لم يتفوه باسمه إلا بعد ثلاثة أسابيع من اعتقاله، وقد ثقب غشاء الطبل في أذنه اليمنى، كما أنه أصيب بارتجاج في الدماغ من شدة التعذيب، بينما انحصرت اعترافاته بأنه رياضي يحب ممارسة الرياضة وتسلق الجبال، وقد التقى بشخص مجهول عندما كان يؤدي

صلاة الجماعة في أحد مساجد دمشق، ونشأت بينهما علاقة تعارف قام على إثرها هذا الشخص بدعوته للقيام برحلة إلى الساحل السوري فلبى الدعوة، ونظرًا لخبرته الرياضية فقد طلب منه القيام بتدريب مجموعة من الشباب، وعلى هذا الأساس فهو لا يعلم شيئًا عن تنظيمات مسلحة، فاستمروا في تعذيبه واستمر في صموده حتى أشرف على الموت مرارًا فاضطر جلادو السلطة إلى الكف عن تعذيبه.

الاتصال مع الأخ عبد الله الشماع:

بعد اعتقال الأخ موفق عياش انقطع اتصالنا مع التنظيم في حماة، فأقمنا اتصالًا مع الأخ عبد الله الشماع، أحد مسؤولي «الإخوان المسلمين» في مركز دمشق التابع لقيادة الأخ عدنان سعد الدين، وهو من مواليد دمشق ١٩٤٥ م، متزوج وله خمسة أولاد، يملك محلًّا لبيع الألبسة الجاهزة في منطقة الشعلان، ويسكن في منطقة العمارة بالقرب من جامع التوبة، حائز على شهادة ليسانس في الجغرافيا، عمل مدرسًا في الجزائر لعدة سنوات، وبالإضافة لمحل الألبسة الذي يملكه كان يعمل مسؤولًا إداريًّا في تعيين العمال في ورشات التنقيب عن الحديد التابعة لوزارة النفط والثروة المعدنية.

وكان الأخ عبد الله الشماع على معرفة جيدة بالإخوة: موفق عياش، عرفان المدني، عبد الستار الزعيم. وحين علم باعتقال الأخ موفق عياش أبدى حزنه وتأثره وألمه لفقده، كما أبدى استعداده لاستضافة عدد من المطلوبين في بيته، لكننا اتفقنا معه على العمل حراسًا لمغارات التنقيب عن الحديد براتب شهري قدره (٤٠٠) ل. س. تكفل هو بإعطائها لنا دون إبراز هوياتنا الشخصية، لقد عملت أنا والأخ بسام فرعون، والأخ عبد الناصر عباسي، والأخ رياض

حموليلا، بجوار مغارتين عند مفرق الصحراء على الطريق المؤدي إلى بيروت، واتخذنا براكتين[1] للسكن.

أعيد الاتصال مع تنظيم حماة وبالأخ عبد الستار الزعيم عن طريق الأخ عبد الله الشماع، فأرسلت رسالة أخبرته (عبد الستار الزعيم) فيها عن اعتقال الأخ موفق عياش، وطلبت منه إرسال مراسل لنا إن لم يتمكن من الوصول إلى دمشق.

حضر الأخ عبد الستار الزعيم بعد أسبوعين أو ثلاثة من عملنا في البراكات إلى دمشق، فالتقيت به وتباحثنا في شؤون التنظيم، ودرسنا الوضع العام الذي وصل إليه المسلمون في سوريا، كما بحثنا في أخطاء الماضي وما أحدثت في التنظيم من ثغرات، وبينت له احتياجاتنا من المال والسلاح لترميم ما تهدم من التنظيم.

أما هو فقد أصر على سلامة الإخوة ووعدني خيرًا، وأخبرني بأن الأوضاع الأمنية في حماة أصبحت لا تطاق خاصة بعد تنفيذ العملية الثالثة باغتيال الرائد النصيري المجرم علي حيدر وهو من سلك المخابرات، كما اتفقنا على خطة مرحلية للشهور الستة القادمة تقوم خلالها القيادة في حماة بتقديم الدعم بالمال والسلاح، بينما نقوم نحن بتوسيع قاعدتنا ورفع مستوى عناصرنا بالتدريب الجيد والعمل المتواصل حتى تصبح جاهزة للقيام بعمليات مسلحة ضد رؤوس السلطة.

وتكررت اللقاءات مع الأخ عبد الستار الذي كان يأتي إلى دمشق كل أسبوعين مرة، وكانت تجري لقاءات مطولة نعيد فيها تقييم الأوضاع ونبحث ما استجد من الأمور، وندرس أخطاء الماضي وأوضاع الحاضر وخطط المستقبل وعلاقاتنا مع

---

(١) البراكة هي: غرفة مسبقة الصنع، تصلح للسكن المؤقت.

الجماعات الإسلامية، فسارت الأمور بشكل جيد إلى نهاية عام ١٩٧٦م، حيث أخبرني الأخ عبد الستار بأن الوضع الأمني في حماة لم يعد يسمح بتنفيذ أي عملية ضد النظام، وقال لي:

(إذا استمر التنفيذ في حماة فإن السلطة عازمة على البطش بأهالي المدينة، ولن تتوانى عن تدمير المدينة إذا تطلب الأمر ذلك، ونحن من طرفنا لن نتخلى عن الكفاح المسلح أو الجهاد في سبيل الله، لذلك سننطلق إلى دمشق وحلب لتنفيذ العمليات، وفي دمشق سيقع عليكم العبء الأكبر في تحمل نتائج هذه المرحلة، وعلى هذا فسوف ينطلق بعض الإخوة المطلوبين من حماة إلى دمشق؛ كي نخفف عن حماة، ولمساعدتكم في تنفيذ العمليات من جهة أخرى).

كما طلب مني استطلاع شخصيتين نصيريتين؛ الأولى عسكرية، والثانية مدنية، وأخبرني بأننا لا نستهدف من عناصر السلطة إلا الشخصيات النصيرية؛ لأن العناصر السنية غير ثابتة في السلطة، فهي معرضة في أي لحظة للتغيير والتبديل، وعلى هذا فسيقتصر عملنا على الرؤوس المدبرة في السلطة السياسية، والجيش، والمخابرات، وبحثنا وضع المجرم الجاسوس مصطفى جيرو، وطلبت منه السماح لنا بقتله لمعرفته عددًا من إخواننا معرفة شخصية، وحتى ينال جزاءه العادل نتيجة لخيانته الكبيرة، فما كان من الأخ عبد الستار إلا أن أجاب:

إننا لن نستفيد شيئًا من قتله لأننا كشفنا أمره، وبالتالي فلم يعد له أي تأثير يذكر علينا، فقد أخبرنا كل الأخوة بقصته وحذرناهم منه، إضافة إلى ذلك فإن السلطة ما زالت تتخبط في تحقيقاتها حول هوية الذين قاموا بتنفيذ العمليات الأخيرة في حماة، فإذا تركنا هذا المجرم فإننا سنبعد الشبهة عن أنفسنا.

وبالفعل فقد استبعدت السلطة تنظيم مروان حديد من حسابها في أن يكون له أي ضلع في عمليات الاغتيال الحاصلة، فما دام هذا التنظيم قد عجز عن قتل المجرم مصطفى جيرو الذي تسبب باعتقال الشيخ مروان المؤسس الأول لهذا التنظيم، مع مجموعة من خيرة إخوانه رغم التأكد التام من أنه هو القائم بهذه الجريمة، لذلك فهذا التنظيم أعجز عن الوصول إلى رؤوس النظام ورموزه، وهكذا نجد أن ترك المجرم جيرو قد أبعد الشبهة عن التنظيم مدة عام ونصف تقريبًا.

التنفيذ في مدينة دمشق: المجرم محمد الفاضل:

وقع اختيار القيادة على أحد أعمدة النظام، وهو المجرم الدكتور محمد الفاضل رئيس جامعة دمشق وعضو القيادة القومية لحزب البعث، ومستشار رئيس الجمهورية للشؤون القانونية، وهو أكبر مشرع قانوني في الشرق الأوسط، وأحد العقول المدبرة في الطائفة النصيرية، من أجل تصفيته، فقد كلفني الأخ عبد الستار باستطلاعه، وقصر مهمتنا في هذه المرحلة على الاستطلاع فقط.

وبعد أن تمَّ استطلاعه استطلاعًا دقيقًا دام قرابة الشهر، قام الإخوة بتاريخ ١١/ ٧/ ١٩٧٦م باغتياله داخل الجامعة.

نفذ العملية الأخ عبد الستار الزعيم، واستخدم في هذه العملية رشاشًا من عيار (٧ ملم)، وأفرغ في جسد هذا المجرم ستة عشر طلقة دراكًا، وكان الأخ فيصل غنامة عنصر الحماية في هذه العملية، بينما كان الأخ مهدي علواني سائقًا للدراجة النارية التي أقلت المنفذين، وتمكن الإخوة من الانسحاب بسلام، والحمد لله.

نتائج العملية:

هزت هذه العملية أركان النظام الحاكم، وسارع كبار ضباط المخابرات وأعضاء القيادة القطرية للحزب إلى مكان الحادث، كما نزل المجرم حافظ أسد بعد ساعة تقريبًا إلى مكان العملية، ولم يصدق أركان النظام أعينهم فيما شاهدوه على ساحة الواقع، فمن الذي يتجرَّأ على رؤوس النظام وهو يعلم أن مصيره الموت، ومن الذي يمكنه أن يقوم بهذا العمل الجريء.

تناقلت وكالات الأنباء والإذاعات خبر العملية، ونشرت الصحف والمجلات نبأ الاغتيال، وخيم على السلطة في سورية جو من القلق والخوف، فهي لم تتمكن من العثور على دليل واحد يشير نحو هوية الفاعلين، وبالمقابل فهي لا تستطيع أن تعلن عجزها أمام الشعب وأمام زبانيتها بشكل خاص، لذلك قامت باعتقال مجموعة من المواطنين في مدينة حماة وقادتهم إلى محاكمة صورية وقدمتهم إلى الشعب على أنهم القائمين باغتيال المجرم محمد الفاضل، وتم إعدامهم ظلمًا وعدوانًا، وقد حدثت ضجة كبيرة في صفوف القضاء السوري بعد عامين تقريبًا حينما اعترف الأخ مهدي علواني على شاشة التلفزيون عن المنفذين الحقيقيين.

بالإضافة لما ذكر قامت السلطة باتهام نظام البعث في العراق بتدبير عمليات الاغتيال في سوريا، وتبادل النظامان الشتائم والاتهامات عبر وسائل الإعلام.

أما على الصعيد الداخلي فقد ازداد الضغط الأمني على مدينة دمشق، وكثفت السلطة من دورياتها في الشوارع العامة، وراحت تعتقل كل من تشتبه به خوفًا من تكرار هذه العملية الجريئة، إلا أن أبعاد حرب العصابات- التي اتخذها التنظيم الجهادي وسيلة في محاربة النظام- بدأت تأخذ ملامحها بشكل واضح.

تفجير صحف النظام:

بعد شهر تقريبًا تمت عملية تفجير في مباني صحف النظام الثلاثة: تشرين، البعث، الثورة، وذلك في الساعة [٦:٣٠] صباحًا، أسفرت هذه العملية عن وقوع أضرار مادية لا بأس بها، وبلغ وزن كل عبوة ٢ كغ، كانت الغاية من هذه العملية إعلامية بالدرجة الأولى، ولم يكن يراد منها إزهاق الأرواح، لذلك كانت العبوة صغيرة، وأُفسح المجال أمام المضلَّلين من العاملين في مجال الإعلام للتخلي عن دعم النظام.

تركت هذه العمليةُ السلطةَ مذهولةً لما حدث، ولم تلتقط أنفاسها حتى حصلت العملية الثالثة.

حرق مؤسسات البيع بالمفرق:

كان الهدف من هذه العملية إرباك النظام وتشتيت جهوده الأمنية، كي لا تنحصر اهتماماته بعمليات الاغتيال فقط.

وسارت أمور التنظيم بشكل جيد في دمشق وحلب وحماة.

في هذه المدة نفذ الإخوة في حلب ثلاث عمليات اغتيال، أذكر منها: الدكتور النصيري، المجرم علي عابد العلي رئيس جامعة حلب، الدكتور علي بدور.

المجرم العميد عبد الكريم رزوق:

استمرت عمليات التدريب الشاقة في الجبال المحيطة بدمشق، وقمنا بتدريب العناصر على الرمي بالأسلحة المتوفرة لدينا:(مسدسات، قنابل يدوية، رشاشات خفيفة)، إضافة إلى عمليات التفجير وزرع الألغام، وبدأ عدد المتعاطفين بالتزايد

المستمر، ولم تتمكن السلطة من اعتقال أي من الإخوة المنفذين أو المنظمين، في هذه المدة قررت القيادة اغتيال المجرم العميد عبد الكريم رزوق قائد سلاح الصواريخ، وتمت العملية أمام بيت المجرم المذكور في منطقة المزة فيلات الغربية، نفذ العملية كل من الإخوة: بسام أرناؤوط، تميم الشقفي، خليل الشقفي.

والمجرم المذكور هو أحد أعمدة النظام النصيري العميل، كان كثيرًا ما يؤذي العناصر الإسلامية التي تعمل تحت إمرته في الجيش.

لقد كان لهذه العملية وقع شديد على أجهزة النظام التي ذهلت من العملية وجرأتها، فتكتمت على أخبارها حتى لا يزداد حماس الشعب لهذه العمليات، وراحت تعتقل وتبطش بكل من تشتبه به أو تظن أن له علاقة بهذه العملية، وخاصة أولئك الذين يتمتعون بصفات إسلامية ممن يؤدون خدمة العلم تحت إمرة المجرم السابق الذكر.

وأنوه هنا إلى أننا كنا قد تركنا العمل في البراكات قبل شهرين من اغتيال المجرم محمد الفاضل، حيث تمكنا بعون الله من إيجاد قواعد ثابتة لنا داخل مدينة دمشق.

بعد عمليات الاغتيال والتفجير وانتشارها في دمشق، حماة، حلب، زادت السلطة من ضغطها الأمني، وشاء الله أن يعتقل الأخ عبد الله الشماع بسبب اعتراف عليه من أحد معارفه المعتقلين من مدينة درعا، وكان الأخ عبد الله الشماع في هذا الوقت يعمل في إحدى ورشات التنقيب في منطقة أبو الشامات، فقد اتجهت إليه ثلاث سيارات محملة بعناصر المخابرات البالغ عددهم حوالي (٣٠) عنصرًا، وعندما شعر الأخ عبد الله بالطوق حوله سارع إلى سلاحه وتبادل معهم إطلاق النار فأصيب بعدة طلقات نقل على إثرها إلى المستشفى، وفتشت السلطة منزله وضبطت

عددًا من القنابل والوثائق، هذا وقد تعرض الأخ عبد الله الشماع إلى صنوف مختلفة من ألوان التعذيب الوحشي إلا أنه لم يكن يعلم أي شيء عن عمليات الاغتيال ومنفذيها، فرغم علاقة المودة التي بيننا إلا أننا كنا حذرين في موضوع التنفيذ لدرجة إخفاء هذا الأمر على إخواننا داخل التنظيم.

تجدد الاعتقالات:

كانت الأمور تسير بسرعة كبيرة، فعمليات استيعاب العناصر الجديدة مستمرة وتدريب هذه العناصر في الجبال المحيطة بدمشق كان يجري على قدم وساق، وقد تسلم مهمة التدريب عدد من الإخوة منهم: الأخ يوسف عبيد، والأخ بسام فرعون.

وفي أحد المعسكرات الذي كنت أشرف عليه، وبعد انتهاء مدته، اعتقل اثنان من الإخوة وهما في طريق العودة إلى منزليهما، إذ نزلا من الباص في منطقة ساحة الأمويين بالقرب من دورية تابعة للمخابرات، وكانا يحملان معهما متاع المعسكر، فأثار ذلك شكوك الدورية فاستوقفتهما فورًا، ولم يتمكنا من المقاومة بسبب وجود سلاحهما داخل الحقائب.

لقد حدث هذا الأمر نتيجة خطأ ارتكباه، إذ كانت الأوامر صريحة إليهما بأن لا ينزلا من الباص إلا في منطقة البرامكة، ومن هناك يتوجها إلى بيتيهما، والأخوين هما:

الأخ نبيل بيطار، مواليد دمشق- طلياني ١٩٥٤م.

الأخ حكم كركوتلي، مواليد دمشق- مزة ١٩٥٥م.

أما أنا فقد توجهت مباشرة من مكان المعسكر إلى جديدة الشيباني لألتقي

بالأخ يوسف عبيد على موعد بيننا، وعند اللقاء دار الحديث عن مجريات الأمور في المعسكر، وفي المساء عدت إلى دمشق حيث لاحظت أن الجو غير طبيعي، فدوريات الأمن تجوب منطقة البرامكة، وعناصر المخابرات منتشرة في كل مكان، وبالطبع فلم أكن أعلم بخبر الاعتقال.

وفي نفس المساء ذهب الأخَوان: بسام فرعون، وعبد الناصر عباسي، إلى منزل الأخ نبيل، ووقف الأخ عبد الناصر في الجوار يراقب الجو العام، عاد بعد ذلك حاملًا معه النبأ الحزين، نبأ اعتقال الأخ بسام فرعون إثر كمين نصبه رجال المخابرات في منزل الأخ نبيل بيطار، ضبطت أجهزة المخابرات في منزل الأخ نبيل ثلاث رشاشات من نوع بورسعيد عيار (٩ ملم)، وعددًا لا بأس به من القنابل اليدوية (١٥- ٢٠) قنبلة، وفور اعتقال الإخوة بدأت السلطة الحاقدة بعمليات التعذيب الشرسة لانتزاع المعلومات منهم، إلا أن صمودهم كان بطوليًّا حيث تمكنوا من تضليل السلطة، فانحصرت اعترافاتهم بمجال محدود، وهو أنهم تعرفوا إلى تاجر سلاح يدعى (س) فاشتروا منه بعض الأسلحة وقام بتدريبهم عليها.

وفي تلك الليلة قمنا بتبليغ كافة الإخوة الذين يعرفهم المعتقلون والبالغ عددهم (١٠- ١٥) أخًا بخبر الاعتقال، وانتهينا من تبليغهم حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وفي صباح اليوم التالي انطلقت أنا والأخ يوسف عبيد من دمشق إلى الجديدة، وسرنا هناك بمحاذاة سكة القطار حيث أبصرنا الحوامات وهي تمشط منطقة المعسكر، فعرفنا أن الإخوة قد اعترفوا على مكان المعسكر.

كانت عملية الاعتقال بمثابة كشف أوراق التنظيم في دمشق، وكانت استنتاجات السلطة كالآتي:

١ - استمر تنظيم الشهيد مروان حديد بالعمل، وأنه عاد للانتعاش من جديد.

٢ - ازدياد الشكوك حول التنظيم وحول قيامه بعمليات الاغتيال السابقة التي جرت في مدينة دمشق، وعلى هذا الأساس صعَّدت السلطة التعذيب داخل السجون، وزادت من ضغطها على الإخوة، إلا أنهم - وبعون الله - لم يعترفوا على هذا الأمر.

وبعد مضي أسبوع واحد جاءني الأخ عبد الستار، وسألني عن أحوال التنظيم، فأخبرته بما جرى من اعتقال الإخوة وبالإجراءات التي اتخذناها بعد اعتقالهم، كما أخبرته بانعدام إمكانيات التدريب في الجبال المحيطة بدمشق، وأن التدريب يعتمد على جهود الإخوة الفردية، وأما الرمي على الأسلحة فيختار كل إنسان منا المكان الآمن ويرمي فيه بشكل فردي، وانتهى الحديث على أن الخير فيما اختاره الله عز وجل.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦].

تفجير مراكز تابعة للسلطة:

في احتفالات النظام بمناسبة تجديد تسلط المجرم حافظ أسد:

لم تتوقف الأخبار من السجون عن عمليات التعذيب الرهيبة التي تمارسها أجهزة السلطة المجرمة العاجزة عن الوصول إلينا، وكم كان تَحَرُّق الإخوة شديدًا وتلهفهم كبيرًا للانتقام من رموز السلطة الجبانة التي لم تراع أبسط الحقوق الإنسانية في معاملة الأسرى.

إن هذا التعذيب الوحشي دفع الإخوة للاستمرار في استعدادهم وتدريباتهم بزيادة نشاطهم لمواجهة أخطار المرحلة المقبلة وتحمل ضغوطها الأمنية.

لقد ملك تنظيمنا في دمشق الإمكانيات اللازمة للتنفيذ، ولكن كانت تنقصه الخبرة الضرورية في التنفيذ، لذلك تم الاتفاق مع تنظيم حماة للقيام بعمليات مشتركة ريثما يشتد ساعد التنظيم الدمشقي، ويقوى عوده، وتتمرس عناصره.

إن تنظيمنا يملك القدرة على الاستطلاع والتحرك داخل المدينة بكل سهولة ويسر، لأن أفراده هم أبناء المدينة، وعلى هذا الأساس نفذت أول عملية مشتركة بتاريخ ٨ شباط ١٩٧٧م، بمناسبة إعادة انتخاب المجرم حافظ أسد لكرسي الرئاسة، وكانت هذه العملية عبارة عن وضع عبوات ناسفة في المراكز التالية:

مركز حزب البعث- فرع الجامعة.

مركز حزب البعث- فرع الميدان.

مركز حزب البعث- الأساسي.

مركز حزب البعث- فرع المهاجرين.

مركز الجبهة الوطنية التقدمية.

مجلس الشعب.

كما تم إلقاء قصاصات ورقية كالتي يستعملها النظام في مدح طاغيته بالقرب من أماكن الانفجارات مكتوب عليها: (نعم للحرية، نعم للديموقراطية، نعم لوحدة الشعب، لا للخيانة، لا للعمالة، لا لحافظ أسد).

هذا وتمكن الإخوة من الانسحاب والعودة إلى منازلهم بسلام.

أحدثت الانفجارات دويًّا هائلًا سمعه معظم سكان مدينة دمشق، كما أحدثت تخريبًا كبيرًا في هذه الأبنية، وسقط عدد من القتلى والجرحى

مـن عنـاصر السـلطة مـن جـراء الانفجـارات، كـما هرعـت عـلى الفور سـيارات الإسـعاف والنجـدة إلى مناطـق التفجـيرات.

أما الإعلام العالمي فقد بدا تواطؤه الواضح مع نظام الطاغية أسد؛ إذ تكتمت أجهزة الإعلام على هذه التفجيرات، وتجاهلتها بشكل ملحوظ، أما إعلام النظام فإنه لم يشر إلى هذه الحوادث من قريب أو بعيد، فقد كان منهمكًا بنقل برقيات التأييد التي تصل إلى المجرم حافظ أسد من أجهزته المتسلطة.

أما الشعب فقد استقبل العملية بكثير من الفرح والسرور، وراح يتطلع إلى أولئك الذين يقومون بهذه العمليات بعين ملؤها التقدير والإعجاب، ومن الجدير بالذكر أنه تمت- في نفس الوقت- تفجيرات أخرى لأهداف مماثلة في حلب وحماة، مما أربك النظام وترك عنده انطباعًا بأن تنظيمًا قويًّا ذا قيادة واحدة هو الذي ينفذ هذه العمليات في المدن الثلاث.

المجرم النصيري إبراهيم النعامة:

بعـد مرور شـهر عـلى تنفيذ العمليات السـابقة وقـع اختيار القيـادة على المجرم النصـيري إبراهيـم نعامـة للاقتصـاص منـه. أتـى الأخ عبد السـتار من حمـاة، وقال لي: إن القيـادة قـد اختـارت إبراهيـم نعامـة كهـدف للتنفيـذ، وطالبنـا بالبحـث عنه وإحضـار اسـتطلاعه، فقمنـا بالبحـث والاسـتقصاء. وبعـد مـرور فترة مـن الزمن تمكنـا مـن معرفـة بيته وعيادتـه، عند ذلك قـام الأخ القائـد عبد السـتار بوضع خطة التنفيـذ الكاملـة، وقرر تنفيـذ العملية في عيادتـه الكائنة بمنطقة الشـهداء القريبة من سـاحة عرنـوس، وعرفنـي على الأخ هشـام جنباز الذي سـيكون أمـيرًا للعملية، أما أنـا فسـأكون عنصر الحمايـة في هذه العمليـة، ويوم التنفيـذ انتظرت أنا والأخ هشـام

مـدة نصف سـاعة بالقرب مـن العيـادة، بعدها أتـى المجـرم إبراهيم نعامـة وترجل مـن سـيارته (بيجـو ٥٠٤)، ومشـى نحو مدخـل البناية، فتبعـه الأخ هشـام وأطلق عليـه خمـس طلقات من رشـاش من نوع (إسـتن) مزود بكاتم للصوت، واسـتقرت الطلقـات في رأس المجـرم، فخرَّ عـلى الأرض صريعًا، وتمكنا من الانسـحاب بهدوء تـام، حيـث كان بانتظارنا الأخ يوسـف عبيد.

نتائج العملية:

تركت هذه العملية آثارًا عميقة على النظام المتسلط، وذلك لما يتمتع به المجرم المقتول من مؤهلات، فهو: ابن أخت الطاغية حافظ أسد، وعضو للقيادتين القطرية والقومية لحزب البعث، ورئيس لجمعية الصداقة السورية السوفيتية، كما أنه يعمل طبيبًا للأسنان، ويرأس مشفى المجتهد، وهو نقيب أطباء الأسنان، وكان عمره يوم تنفيذ العملية ٣٩ عامًا.

على إثر العملية قام المجرم حافظ أسد باستدعاء اللواء ناجي جميل عضو القيادة القطرية، رئيس مكتب الأمن القومي آنذاك، وقال له بعصبية هوجاء:

(أريدك أن تحضر الفاعلين حالًا، وإلا اعتبرتك مسؤولًا عن هذه العملية).

فـرد عليه ناجـي جميل: (إن هذا الأمر يسـير، اتصل بأخيـك رفعت، فيأتيك بالمنفذيـن، فهـو عـلى علم بهـذا الأمر). وهنـا استشـاط المجرم أسـد غضبًا وجن جنونـه، وصـاح بوجـه ناجـي جميـل: (أتتهـم أخـي بقتـل ابـن أختـي!)، ولطمه عـلى وجهه.

بعد هذه العملية تم تجريد ناجي جميل من كافة صلاحياته، ووضع تحت الإقامة الجبرية، وتمت تصفية المؤيدين له، واستبدلوا بآخرين أشد ولاءً للطاغية أسد.

وفي نفس الأسبوع قام المجرم حافظ أسد بعقد اجتماع مشترك للقيادتين القومية والقطرية للحزب، وتم بحث كافة الاحتمالات المتعلقة بهوية المنفذين، واتفقوا أخيرًا على أن تنظيم مروان حديد هو الذي يقف وراء عمليات الاغتيال والتفجير، لذلك قرروا تصفية هذا التنظيم بشكل نهائي، وتواصوا للقيام بأعمال إبادة بشعة وللضرب بيد من حديد، كما صرح المجرم رفعت أسد بأنه سينتقم من ألف معتقل لمقتل النعامة.

وهكذا بدأت السلطة حملة مسعورة من الملاحقات والاعتقالات، فقد راحت تعتقل كل إنسان تشتبه به، واتسعت دائرة الاعتقالات، فلم تعد تنحصر ضمن دائرة تنظيمنا المسلح، بل توسعت لتشمل كل شباب المسلمين، وتولى قيادة هذه الحملة المجرم عدنان الدباغ، وزير داخلية النظام آنذاك، بالاشتراك مع كافة فروع المخابرات.

صحيح أن هذه الاعتقالات كانت موجهة للفئات الإسلامية جمعاء، إلا أن اتساع نطاقها قد أثر علينا بشكل غير مباشر إذ اعترف البعض على معرفته لأناس ينتمون إلى تنظيمنا، وهكذا تم للسلطة فتح عدة ثغرات داخل تنظيمنا المسلح وبدأت من جديد عمليات الملاحقة والاعتقال.

اعتقال عدد من الإخوة:

اعتقل الإخوة:

مصعب حمادة الخياط، مواليد دمشق- مهاجرين ١٩٦١م.

جمال مدغمش، مواليد دمشق- شيخ محي الدين، ١٩٦١م.

وقد اعترفا تحت التعذيب الأليم على بقية أفراد أسرتهما وهم الإخوة:

سامر لولو، مواليد دمشق- حلبوني، ١٩٦٠م.

محمد الشوا، مواليد دمشق- مهاجرين، ١٩٦٠م.

كما تمكنت السلطة من كشف هوية أمير المجموعة الأخ أحمد زين العابدين، وعلى صعيد آخر اعتقلت السلطة الأخ أحمد كناكري، مواليد ١٩٥٢م، وهو أمير مجموعة متخرج من كلية الشريعة، واعتقل كذلك كثير من الإخوة الذين انتسبوا إلى التنظيم وتركوه في مرحلة سابقة لأسباب مختلفة منهم:

الأخ عبد القادر عباسي، دمشق- أكراد، ١٩٥٢م، خريج كلية الشريعة.

الأخ مصطفى عيسى، دمشق- دمر، ١٩٥٥م، طالب في كلية الشريعة.

الأخ حسان الحاج عثمان، دمشق- أكراد، ١٩٥٤م، طالب سنة خامسة بكلية الطب البشري.

وعدد آخر من الإخوة أعرفهم بأسمائهم الحركية.

وكان بين المعتقلين عدد كبير من الشباب الصغار الذين لا علم لهم بأي شيء، وقد تمكنت السلطة في حملة الاعتقالات هذه من كشف عدد من الإخوة القياديين، فقامت بمداهمة بيوتهم.

مداهمة منزل الأخ يوسف عبيد:

داهمت السلطة منزل الأخ يوسف عبيد بعد محاصرته بثلاثة أطواق، وبلغ عدد المحاصرين مئتي عنصر، أو أكثر، حيث صعد قسم منهم إلى سطح المنزل، ووجهوا بنادقهم إلى ساحته، وقاموا بإيقاظ أهل الأخ يوسف بشكل تعسفي، وهم يسألون: من منكم يوسف؟ كي يطلقوا عليه النار فورًا، لما بلغهم عنه

مـن شـدة البـأس وقـوة الإيـمان، ولكـن الأخ يوسـف تمكـن من إلقـاء قنبلـة يدوية عليهـم وفتـح باب الـدار واقتحـم الأطـواق المحيطة بالمنـزل في هجوم استشـهادي وسـط سـيل مـن الطلقـات المنهالـة عليه مـن فوهـات البنادق الروسـية الرشاشـة، واصطـدم أثنـاء انسـحابه بأحد العناصر فألقـاه أرضًا وانتـزع منه بارودته الروسـية، وتابـع انسـحابه وهو حـافي القدمين، فعمد زبانيـة النظام بعد أن أفلت الأخ يوسـف منهـم إلى إطـلاق النار على أهله بشـكل عشـوائي، فأصابوا أخته بطلقات في سـاقها وأصابـوا شـقيقه منذر مواليـد ١٩٦٠م بطلقـات في رجله.

أما الأخ يوسف فقد تمكن من النزول إلى دمشق، والتقيت معه في أحد المنازل التي كنا نستخدمها كقاعدة للانطلاق، وأخبرني بما حصل له في الليلة السابقة.

كذلك أتاني الأخ صلاح الدين شقير، وأخبرني بأن قوة عسكرية كبيرة قامت بمداهمة منزل أهلي، وتم اعتقال والدي وإخوتي، ولم يبق في البيت إلا النساء والأطفال، كما علمت منه الكثير عن المعاملة الوحشية التي عاملوا بها أهلي، فقد مزقوا كل المفروشات، وبعثروا الأثاث، وفتشوا عن السلاح داخل أواني الأطعمة، وحين رحلوا تركوا دوريتين في الحي لانتظاري. وقد حصل الشيء نفسه للإخوة الذين انكشف أمرهم، وبخاصة:

أحمـد زيـن العابديـن، ريـاض حموليـلا، عبـد النـاصر عبـاسي، الذيـن اعتقل آباؤهـم وإخوتهـم كرهائـن، وقامـت السـلطة باعتقـال كل مـن تشـتبه بـه، وكل صديـق لأحـد المطلوبـين.

إن هذه التصرفات من قبل السلطة كانت بمثابة محاولة يائسة للوصول إلى الإخوة الذين بدا لها أن لهم دور في عمليات الاغتيال، وهكذا أصبحت الحرب

سافرة، وأصبحت الأوضاع الأمنية صعبة جدًا، وخاصة على الإخوة الملاحقين، فقد قامت السلطة بتوزيع أسمائهم وصورهم في قائمة كبيرة على مخبريها وأعوانها الأجراء، ووضعت جائزة مقدارها (١٠٠ ألف ل.س) لكل من يساهم في إلقاء القبض على واحد من الإخوة المطلوبين.

وبعد أسبوع من بدء الاعتقالات أتى الأخ القائد عبد الستار الزعيم من حماة، وأخبرني عن الوضع المتردي في مدينة حماة، وعن الصعوبات التي يعاني منها الإخوة هناك، فالاعتقالات عمت أرجاء المدينة، وأخذ الرهائن مقابل المطلوبين أصبح من الأمور المألوفة، أما في حلب فقد كانت وطأة الأحداث أخف مما هي عليه في دمشق وحماة.

واستمرت السلطة المجرمة بأعمالها الوحشية مدة ثلاثة أشهر في استنفار تام، وهذه هي أطول مدة تستنفر فيها السلطة على هذه الشاكلة، حيث استعملت خلالها أخس الأساليب وألأمها، فعمليات المداهمة والاعتقال لم تتوقف، وتعذيب الرهائن داخل السجون لم ينقطع.

كما أنها ابتدعت أساليب جديدة في التضييق على أرزاق أهالي الملاحقين، فسرحت من كان منهم موظفًا، وقطعت راتب من اعتقل.

إن هذه الأعمال التي قامت بها السلطة المجرمة لم تكن لتمر دون أن تترك آثارها السيئة على الشعب، أو على تنظيمنا المسلح.

أولًا: على الصعيد الشعبي:

زاد حقد الشعب على السلطة الجبانة، وعرف الناس عجزها عن الوصول إلى الإخوة المجاهدين، كما أنهم تأكدوا من أن الذين يقفون بوجه النظام العميل هم من

أبنائهم وليسوا عملاء لهذا النظام أو ذاك كما يدعي المجرم الكذاب، وأبدوا تعاطفًا ملحوظًا مع العمل المسلح، وبدأت ترد إلى التنظيم المساعدات المالية والتبرعات لمحاربة النظام ومساعدة الإخوة الملاحقين، ومن جهة أخرى عمَّ الخوف والذعر أوساط مسؤولي السلطة وزبانيتها المجرمين، فزادوا من حراساتهم، ودفعوا الأموال الطائلة لحماية أنفسهم من رصاص الإخوة المجاهدين.

ثانياً: على صعيد التنظيم:

إن هذه الحملة الشعواء التي قامت بها السلطة لم تكن الأولى أو الأخيرة في تاريخ تنظيمنا المسلح، فرغم حدتها وجاهليتها لم تكن لتزيد تنظيمنا إلا ترابطًا وقوة وثقة بالله عز وجل.

لقد استفاد التنظيم من هذه التجربة استفادة كاملة، وخرج منها واثقًا بنفسه، قادرًا على التحرك والتقدم، وبذلك تم قطع مرحلة جديدة في حياة التنظيم المسلح.

فهذه السلطة تغضب وتتوتر أعصابها، وتتهيج حنقًا وغيظًا، فتقتل وتداهم وتأخذ الرهائن، وبذلك لم تكن أفعالها إلا ردود أفعال رعناء، بينما كان تنظيمنا يتحرك لاستيعاب العناصر الجديدة من الإخوة الذين تحرك إيمانهم فانضموا إلى طريق التضحية والفداء.

كما استمر التركيز على رفع مستوى الإخوة إلى الذروة التي نطمح إليها، وكان التجاوب رائعًا، فتحمل المسؤولية من جانب الإخوة كان كبيرًا، وهكذا خرج إلى الوجود جيل جديد، جيلٌ الموتُ في سبيل الله أحبُّ إليه من هذه الحياة.

وأثمرت الجهود التي غرسها القائد الشهيد مروان حديد، وبدأت بإعطاء ثمارها، فلم يعد أحد من الإخوة يتأثر بكل ما ترتكبه السلطة من إجرام، وانحصر

اهتمام الإخوة بتأمين الإمكانيات اللازمة من أجل دفع العمل المسلح إلى الأمام، وأصبح ذلك شغلهم الشاغل، بعد ما لمسوا النتائج الإيجابية لهذا العمل.

كما أن هذه المرحلة شهدت تأججًا كبيرًا من قبل عناصر التنظيم، فطلبوا من القيادة الرد السريع على ما تقوم به السلطة من غدر وظلم وإرهاب، وقد قمت بنقل هذه الرغبة إلى الأخ القائد عبد الستار الزعيم الذي لخص رأيه بقوله:

(لن نهاجم عدونا وهو يضع يده على الزناد، وسننتظر قليلًا، إن حرب العصابات هي حرب الأعصاب فمن يستطيع ضبط أعصابه أكثر يحقق نتائج أفضل).

إن أجهزة المخابرات كانت في حالة استنفار قصوى وأي عملية جديدة سيردون عليها بقمع وحشي، لذلك كان لا بد من الانتظار فترة من الزمن حتى تهدأ أعصاب قيادة النظام الفاسد الموتورة، بعدها نوجه الضربة تلو الضربة إلى هذا النظام الذي سيقف مكتوف الأيدي بعد أن استنفذ سهامه دفعة واحدة.

إننا نسعى دائمًا لأن نكون البادئين بأي عمل نريد، وبذلك نضع السلطة دومًا في مواقف ردود الأفعال، وهذا ما حصل بالواقع، فبعد مقتل المجرم إبراهيم نعامة رمت السلطة بكل ما في جعبتها من سهام دفعة واحدة، وفعلت أقصى ما يمكن أن تفعله سلطة فاسدة يتربع على كرسي رئاستها مجرم موتور، بينما استغل تنظيمنا فترة هياج السلطة باستطلاع أهداف جديدة وتحضيرها للتنفيذ.

وكان قرار القيادة في هذه المرحلة هو القيام بعمليات تخريب لبعض منشآت النظام هدفها:

١- تشتيت إمكانيات العدو وجهوده؛ كي لا يحصر فكره بعمليات الاغتيال.

٢- زعزعة قوة النظام وإظهار ضعفه أمام الناس والعالم، فعمليات التفجير

والتخريب هي الرسائل الموجهة للناس يسمعها القريب والبعيد، وهي تعبر عن رفض الإخوة المجاهدين الخضوع أمام النظام جملة وتفصيلًا.

إحراق مؤسسات بيع الأقمشة بالمفرق:

قررت القيادة القيام بعملية حرق لمؤسسات حكومية تبيع الأقمشة بالمفرق، وتم التنفيذ بكل من المؤسسات التالية:

١- مؤسسة بيع الأقمشة، منطقة الصالحية.

٢- مؤسسة بيع الأقمشة، شارع ٢٩ أيار.

٣- مؤسسة بيع الأقمشة، الحريقة.

٤- مؤسسة بيع السجاد، الحريقة.

وقد استخدم الإخوة في تنفيذ هذه العمليات عبوات حارقة تم تركيبها يدويًا من مواد كيماوية متوفرة بالأسواق، لا كما ادعت السلطة أننا حصلنا عليها من دول أجنبية، وقد تمكن الإخوة من العودة إلى قواعدهم سالمين بفضل الله، تم في نفس الوقت من ذلك اليوم في الساعة [٤:٣٠] مساءً عمليات حرق لمؤسسات مشابهة في حمص وحماة وحلب.

نتائج العملية:

تركت هذه العملية انعكاسات هامة، فقد سيطر الغضب والاستياء على الطائفة المتسلطة، وأيقنت أنها أمام حرب جديدة تستهدف إمكانات السلطة بشكل عام، بينما ساد الفرح والابتهاج أوساط الشعب المختلفة؛ لاستمرار العمليات ضد السلطة

التي كانت تريد تحويل كل شيء إلى مؤسسات تابعة لها حتى تتمكن في النهاية من استعباد الشعب والسيطرة عليه، من جهة أخرى أظهرت هذه العملية كسابقاتها قوة التنظيم وترابطه بين مختلف المدن السورية.

لم تستطع السلطة أن تفعل شيئًا تجاه تنظيمنا، فقد استنفدت- كما ذكرنا سابقًا- كل ما في جعبتها من سهام دفعة واحدة، ولم يعد لأساليبها الإرهابية أي تأثير يذكر، فتوجهت للانتقام من أبناء الشعب الأعزل، كما هي عادة المجرمين المتسلطين، فأوعزت إلى عملائها بإحراق سوق الحرير بدمشق، القريب من سوق الحميدية، والذي يضم أكثر من مئة محل تجاري مليئة بالبضائع التجارية النفيسة، تمت العملية بعد منتصف الليل بشكل مدروس ومركز، حيث وضعت كميات من البنزين أمام هذه المحلات، وخلال دقائق معدودة كانت السوق قد احترقت قبل وصول سيارات الإطفاء إليها، وقد خسر أصحاب هذه المحلات التجارية أموالًا طائلة من جراء هذه العملية الغادرة.

لقد أرادت السلطة المتمثلة بأسد وزبانيته من هذه العملية الغادرة تحذير تجار دمشق من تقديم أي مساعدة للمجاهدين، وأن أي تعاطف مع المجاهدين سيجعل السلطة تبطش بهم أشد البطش، وستتصرف كما تتصرف عصابات المجرمين، بعيدًا عن الشعور بمسؤولية الحكم، وما يتطلبه من احترام للشعب.

انتشرت أنباء الحريق الغادر الذي قام به أعوان المجرم حافظ أسد، وبذلك عرف الناس المستوى المنحط للنظام اللئيم، فزاد استياؤهم وسخطهم على السلطة وأعوانها المجرمين، وأصبحت الأوضاع وكأن الشعب يطالب الإخوة المجاهدين بالرد على غدر السلطة وخستها.

إحراق مستودعات الأخشاب:

كانت السلطة تحتكر مادة الأخشاب وتستأثر بها، وكان أعوانها وسماسرتها يقومون بتوزيعها بعد الحصول على الرشاوى من المواطنين الذين يحتاجون لهذه المادة، تم تنفيذ هذه العملية بالأماكن التالية:

١- عملية إحراق مستودعات الزبلطاني الضخمة للأخشاب، الواقعة على طريق الغوطة الشرقية.

٢- عملية حرق مستودع الأخشاب الكائن بالقرب من سوق الهال الجديد، القريب من الزبلطاني.

٣- عملية إحراق مستودعات الأخشاب الضخمة بالقرب من منطقة الكسوة جنوبي دمشق.

تمت العملية حوالي الساعة السابعة مساءً، حيث انطلق الإخوة وهم يحملون العبوات الحارقة وجالونات البنزين وأسطوانات الغاز الصغيرة التي تم توزيعها ضمن أكوام الأخشاب الهائلة، وبعد حوالي نصف ساعة كانت ألسنة اللهب تنطلق إلى عنان السماء.

فوجئت السلطة بهذه العملية الذكية التي لم تكن بالحسبان، فأرسلت كل سيارات الإطفاء الموجودة في مدينة دمشق إلى أماكن الحرائق، كما استعانت بإطفاء حمص وبأعداد كبيرة من سيارات الإطفاء اللبنانية، وبذلت أقصى جهودها لإخماد الحريق لكنها لم تفلح بذلك، واستمرت ألسنة اللهب بالتصاعد طوال الليل إلى صبيحة اليوم التالي، ولم تنطفئ هذه الحرائق إلا بعد أن أتت على كل الأخشاب الموجودة في هذه المستودعات، أما في أثناء الحريق فقد سارعت أجهزة المخابرات

إلى أمكنة الحوادث وقطعت الطرقات المحيطة بها، وعلم سكان مدينة دمشق بهذه الحرائق مباشرة إذ كانت ألسنة اللهب من الضخامة بحيث شاهدها سكان المدينة من على أسطح المنازل.

هـذا وفي نفـس الوقـت تم حـرق مسـتودعات الأخشـاب في كل من: حمص، وحمـاة، وتل كلخ، كما قـام الإخوة بمحاولة حرق مسـتودعات أخشـاب اللاذقية، إلا أن العملية فشـلت بسـبب أخطاء الإخوة.

عجـزت السـلطة عـن القيـام بـأي عمـل كان، فاسـتمرار المعركـة أربكهـا، وجعلهـا لا تـدري مـاذا تفعـل، وشـعرت أنهـا تقـف أمـام تنظيـم ذكـي يتصـف أفـراده بالانضبـاط في العمـل والشـجاعة عنـد التنفيـذ، فراحـت تبث الشـائعات حـول عمليـة الإحـراق هـذه بقولهـا:

إن بعض الموظفين الذين سرقوا هذه المستودعات هم الذين أحرقوها.

المجرم أحمد خليل السلمان:

لم يمض شهر على عملية حرق الأخشاب حتى جاءت أوامر القيادة باستطلاع المجرم المقدم أحمد خليل السلمان، وهو ابن خال المجرم حافظ أسد، كما أنه يترأس دائرة شؤون الضباط في وزارة الداخلية، وقد وضعه في هذا المنصب المجرم رفعت أسد؛ ليكون الوزير الفعلي، بينما يكون المجرم عدنان الدباغ وزيرًا بالصورة فقط رغم طاعته الكاملة لأسياده المجرمين.

ومما يعـرف عن هـذا المجـرم فسـاد أخلاقـه ورداءتهـا بإدمانـه على الرشـوة، والتعـرض لأعـراض النـاس، دون أن يتمكن أحد مـن الرد عليه، وقد أصـدر أمرًا إلى أبنائـه وزبانيتـه بإطـلاق الرصـاص على كل من ينظـر إليهم في الطريـق، وبذلك أصبح كابوسًـا عـلى رقاب النـاس في المنطقـة التي يسـكن فيها.

وانطلق الإخوة في دمشق يبحثون عن منزل هذا المجرم، وبعد شهر تقريبًا استطعنا أن نحدد منزله، بعدها قمنا باستطلاعه استطلاعًا دقيقًا استمر مدة عشرين يومًا، أصبح بعدها استهداف المجرم المذكور، ممكن التنفيذ.

وفي يوم خميس، أوائل ١٩٧٨م، كلفني الأخ عبد الستار بمهمة الاشتراك في تنفيذ هذه العملية كمساعد مقتحم، بينما كان الأخ هشام جنباز أميرًا للعملية، والأخ الجريء مهدي علواني سائقًا للدراجة النارية.

وبعد انتظار دام ساعتين في الحديقة المقابلة لمنزل المجرم الكائن في منطقة الميسات القريبة من جامع الكويتي خرج المجرم أحمد خليل مع مرافقيه وكأنهم على موعد مع الموت، فتقدم الأخ هشام رحمه الله منه، وأطلق عليه النار، بينما تحركت- أنا- باتجاه الثلاثة وأطلقت عليهم النار، فخر الجميع على الأرض متخبطين بدمائهم.

كان سلاحنا في هذه العملية رشاشات من عيار (٧ ملم).

بعد إطلاق النار مباشرة توقفت حركة السير في الشارع المكتظ بالسيارات، وكان يوجد- لحظة إطلاق النار- في المنطقة عدد من عناصر المخابرات، إضافة إلى سيارات الضباط التي تمر من المنطقة بشكل دائم.

ولم تمض إلا لحظات قليلة حتى هرعت أعداد كبيرة من عناصر المخابرات إلى المنطقة، وهي تطلق مزاميرها في محاولة لتطويقنا قبل أن نتمكن من الانسحاب، ولكن كل الجهود التي بذلت لتطويقنا باءت بالفشل، وقد ساعدتنا على الانسحاب بشكل ناجح عدة أمور وهي:

- هول الصدمة.
- دقة التنفيذ.
- سرعة الانسحاب.

قامت السلطة باستخدام الحوامات التي راحت تحلق عند مداخل دمشق، والتي أطلقت النار على عدد من سائقي الدراجات النارية، ونصبت عناصر المخابرات حواجزها في طرقات العاصمة دمشق، وبدأوا بحجز كافة الدراجات النارية وسائقيها للقبض على المنفذين.

نتائج العملية:

انتشرت أخبار هذه العملية بسرعة كبيرة، وتناقلها الناس في كافة المدن السورية، وأبدوا تعاطفهم وإعجابهم بها؛ إذ كانت العملية بمثابة صفعة قوية لطاغية النظام حافظ أسد، فأحمد خليل هو القريب الثاني الذي يقتل خلال سبعة أشهر في مدينة دمشق، وكان لجرأة العملية أثر بالغ على السلطة، فالعملية تمت بوضح النهار، وحدثت في منطقة لا تتوقع السلطة أن نقوم بالتنفيذ بها، وكانت كذلك أول عملية يقتل فيها مسؤول مع مرافقيه، فهي عملية انتقال من التنفيذ الفردي إلى التنفيذ الجماعي.

تشكلت لدى السلطة قناعات معينة بصدد التنظيم والقائمين عليه، فالتنظيم المسلح قد اتسع، وعدد الإخوة الملاحقين قد زاد، وإن عملية تمشيط واسعة ودقيقة قد تؤدي إلى الوصول لطرف خيط يدل على المنفذين.

بعد العملية مباشرة سافر الأَخوان: عبد الستار وهشام إلى حماة، وبدأت السلطة بتنفيذ إجراءاتها الجديدة، فبدأت بعمليات التمشيط في مناطق مختلفة من دمشق، وكان هذا الأمر غريبًا على سكان مدينة دمشق، الذين ما عرفوا ذلك منذ خروج فرنسا من سوريا.

كانت عناصر التمشيط تقتحم بيوت الناس الآمنين، وتقوم ببث الخوف والرعب بين صفوف أبناء الشعب بحجة البحث عن المجاهدين، وتسرق كل غال وثمين بحجة البحث عن السلاح، وقد جرى التمشيط في عدة مناطق منها:

العدوي، الديوانية، شارع بغداد، باب الجابية، وبعض مناطق الأكراد.

واستمرت هذه العملية حوالي العشرة أيام، كانت السلطة خلالها تطلق الشائعات عن عزمها على تمشيط سوريا بأكملها، وذلك لجس نبض الشعب الذي كان استياؤه كبيرًا من ممارسات السلطة المجرمة، ومن معاملة زبانيتها الحقيرة، الذين اعتبروا كل الشعب شريكًا في عمليات المجاهدين، وبعد أن حصلت عدة صدامات بين الشعب والسلطة توقفت السلطة عن التمشيط، وكانت قد يئست من الوصول إلى أي من الإخوة المجاهدين، وبذلك فشلت فشلًا ذريعًا، وخرج الإخوة من هذه التجربة أشد قوة وأصلب عودًا، وبدأوا يضعون في حساباتهم عمليات التمشيط بعد كل محاولة اغتيال.

تشكيل اللجنة العسكرية في مدينة دمشق:

بعد مضي خمسة عشر يومًا على مقتل المجرم أحمد خليل جاءني الأخ عبد الستار، وأخبرني بأن تنظيمنا في دمشق أصبح ذو قدرة جيدة على التنفيذ، وأن الإخوة في حماة لن يشتركوا بعد اليوم في عمليات الاغتيال داخل دمشق، فالإخوة في دمشق سوف يتحملون كل أعباء التنفيذ، وأخبرني بأن القيادة قررت تشكيل لجنة عسكرية في كل محافظة على حدة؛ لأن العمل سيتطور، والإمكانيات ستتوسع، وبالتالي فإن التنسيق بين المحافظات سيكون صعبًا عن طريق لجنة عسكرية واحدة، وطلب مني أن أكون أحد أعضاء هذه اللجنة في دمشق.

بهذه المرحلة عرَّفت الأخ عبد الستار على الأخ يوسف عبيد، وبعد مناقشات طويلة وإلحاح شديد رضي الأخ عبد الستار برأيي، وهو أن يكون الأخ يوسف عبيد أميرًا للتنظيم في دمشق، وشكلت اللجنة العسكرية في دمشق، وشملت ضمن أعضائها الأخوين: يوسف عبيد، أحمد زين العابدين.

بعد هذا اللقاء مع الأخ عبد الستار أمر بإيقاف العمليات في كافة المدن السورية بسبب أوضاع سياسية لا علاقة لها بالتنفيذ.

إجراءات السلطة:

نعود مرة ثانية إلى إجراءات السلطة التعسفية، فبعد الفشل الذريع الذي منيت به بعد التمشيط الذي لم تحصد من ورائه إلا الخزي والندامة، وبعد دراسة متواصلة استمرت مدة أربعين يومًا، خرجت السلطة على الناس بقائمة تضم أسماء الإخوة المطلوبين وصورهم، اتهمتهم فيها بعمليات الاغتيال التي حصلت، ووضعت جائزة مالية تقدر بـ ١٠٠ ألف ليرة سورية لكل من يساهم في القبض على أحد هؤلاء الإخوة، وهددت وتوعدت كل من يؤوي أو يتستر على واحد من هؤلاء الإخوة، مدعية أنها ستتخذ أقصى العقوبات بحقه، كما ادعت أنها ستتمكن من القبض على الإخوة خلال أيام معدودة.

أثار البيان الذي أصدرته السلطة سخرية الشعب واستهزاءه، فالتناقض واضح في البيان والحالة الهستيرية للسلطة ظهرت جلية من خلال عبارات البيان الكاذب.

ومن جديد عادت السلطة خالية الوفاض، بل خسرت هذه الجولة أيضًا بتحول السكين التي شرعتها نحو نحرها، وعرف الشعب أسماء الإخوة الملاحقين فرأى فيهم أبناءه وإخوانه، وبذلك سقطت دعاوى النظام العميل بأن الذين يقفون ضده

هم عملاء هذا النظام أو ذاك، وازداد تعاطف شعبنا وتأييده لجهادنا ضد حافظ أسد وزبانيته المجرمين.

أما من الناحية الأمنية، فلم يكن لنشر الصور أي تأثير يذكر، وقد كنا نتوقع هذه الخطوة منذ أمد بعيد، وقد أخذنا لهذا الأمر عدته واحتياطاته، ومن ناحية ثانية استمر الوقف التكتيكي للعمليات العسكرية، ودام ذلك مدة تسعة أشهر تفرغنا خلالها لتوسيع التنظيم وزيادة إمكانياته، وكانت النتائج جيدة بعون الله.

اعتقال الأخ مهدي علواني:

أدى توقفنا عن التنفيذ إلى حرق أعصاب السلطة التي لا تعلم شيئًا عما تبيته قيادة المجاهدين من مخططات وعمليات، إن الإرهاب الذي مارسته السلطة المجرمة بحق أبناء الشعب من عمليات تعذيب وحشي وأخذ للرهائن؛ جعل الكثير من المواطنين يغادرون سوريا نحو الدول المجاورة كالأردن، ولم تكن العلاقات السورية الأردنية سيئة في تلك المرحلة من الزمن، بل على العكس من ذلك فقد كان هنالك تعاون وانسجام في بعض المجالات، ولم تكن السلطة الإجرامية في سورية غافلة عن هذا الأمر، بل كانت تتابع تحركات المواطنين داخل الدول العربية، وتتوسط لدى حكومات هذه الدول لتسليمهم مدعية بأنهم من المجرمين.

وفي أواخر عام ١٩٧٨م، قام عبد الحليم خدام بزيارة إلى الأردن، وبعد اجتماعات مطولة مع المسؤولين الأردنيين أقنعهم بتسليم بعض الإخوة الذين التجأوا إلى الأردن، موهمًا إياهم بأن الحكومة السورية تحتاجهم لإجراء بعض التحقيقات معهم، واعدًا بشرفه وشرف سيده المجرم بأنه لن يمس أي منهم بسوء، وسوف يتم إطلاق سراحهم حال انتهاء التحقيق، بعد ذلك للإخوة مطلق الحرية

في أن يبقوا داخل سوريا أو خارجها، وعلى هذا الأساس سلمت الحكومة الأردنية عددًا من الإخوة، منهم:

١- الأخ فارس شعار، مواليد اللاذقية- ١٩٥٢م، وهو من طلاب الشيخ محمد الحامد رحمه الله، عرف عنه نشاطه في الدعوة، وعرف أيضًا بسعة العلم والمعرفة.

٢- الأخ عمر علواني، وهو شقيق الأخ مهدي علواني رحمه الله.

كما تم تسليم عدد من الإخوة لا أذكر أسماءهم.

لم يكد الإخوة يصلون إلى سجون السلطة الحقيرة حتى بدأت عمليات التعذيب لانتزاع المعلومات، وبعد تعذيب شديد اعترف الأخ عمر علواني على بيت شقيقته الكائن في منطقة العباسيين بمدينة دمشق، وقد كان الأخ مهدي يتردد إلى بيت أخته للاطمئنان على العائلة ولتقديم بعض المساعدات المالية، ومما يجدر بنا ذكره أن كافة أفراد هذه العائلة ملاحقون رجالًا ونساءً وفي مقدمتهم والد الأخ مهدي (وجيه علواني) البالغ من العمر (٦٥) عامًا، والسبب في ذلك اتهام السلطة للأخ مهدي بالاشتراك في عملية اغتيال المجرم محمد غرة في حماة، أما شقيقته التي في دمشق فهي تسكن مع زوجها سرًّا.

كانت الخطوات التي قامت بها السلطة بعد اكتشاف المنزل هي كالآتي:

مراقبة المنزل فترة طويلة من الزمن، وحين علمت بحضور الأخ مهدي إلى البيت نصبت له كمينًا مركزًا للإمساك به حيًا ومعرفة ما بحوزته من معلومات حول التنظيم.

كان الأخ مهدي مميزًا بجرأته الكبيرة، لذلك فقد كان الكمين في منتهى الدقة والحذر، وتركوا له شخصًا ضخم الجثة في قبو البناية، بينما توزع العناصر حول البناية بشكل جيد.

عند نزول الأخ مهدي من البناية قام المجرم الذي اختبأ في القبو بإمساكه، ورغم نحافة الأخ مهدي فقد تمكن من نزع أمان إحدى قنابله اليدوية ورماها على الأرض، فما كان من المجرم إلا أن ألقاه أرضًا وانبطح فوقه فأسفر انفجار القنبلة عن قتل المجرم وجرح الأخ مهدي جراحًا أفقدته الوعي، وما هي إلا لحظات قليلة حتى أمسكوا به ووضعوه في سيارة تابعة لهم، وانطلقوا به بعد نزع سلاحه، ومن شدة ارتباكهم نسوا على المقعد بجانب الأخ مهدي مسدسًا فما كان منه بعد أن عاد إليه وعيه إلا أن أمسك بالمسدس وأطلق النار على ملازم أول داخل السيارة فأرداه قتيلًا، وأصاب عنصرين بجروح مختلفة، فردوا عليه وأصابوه بجراح نقل على أثرها إلى المستشفى.

إن خطأ الأخ مهدي كان واضحًا، فواجب الأخ الملاحق أن لا يدخل أو يخرج من بيت إلا ويده على حلقة القنبلة، فإذا تعرض لحادث ما تمكن من تفجير القنبلة، وبذلك يكون قد فوت الفرصة التي تمكن الأعداء من كشف أسرار التنظيم، ولكنها مشيئة الله! فاعتقل الأخ مهدي وأحاط به المجرمون داخل المستشفى، وعلى رأسهم المجرم رفعت أسد الذي طلب من الأخ مهدي إعطاءه اسم أمير التنظيم، ولما رفض الأخ ذلك اتبع المجرمون أخس الوسائل في تعذيبه وهددوه بطريقة تنم عن قذارتهم مع أمه التي مضى على اعتقالها سنتين، وهكذا تمكنوا من انتزاع معلومات عن أمير التنظيم الأخ عبد الستار الزعيم وبعض إخوانه الذين اشتركوا معه في تنفيذ عمليات الاغتيال، وهنا تأكد المجرم حافظ أسد أن التنظيم الذي أنشأه الشيخ مروان حديد رحمه الله هو الذي يقوم بعمليات الاغتيال، وبما أن الشيخ مروان من حماة والأخ عبد الستار الزعيم من حماة أيضًا، فقد قرر المجرم حافظ أسد الانتقام من المدينة وأهلها، فأطلق زبانيته من العناصر والضباط يعيثون داخل المدينة فسادًا، ومن ضمن ما قاموا به:

- اعتقال أعداد كبيرة من الشباب المسلمين.

- أخذ رهائن من الأطباء والمهندسين والمثقفين دون تمييز.

- وهددوا بإعدام عشرة أشخاص مقابل كل عملية اغتيال.

لقد أسفرت هذه الاعتقالات التعسفية عن كشف أمر عدد جديد من الإخوة المجاهدين، ومعرفة أسماء بعض الإخوة القياديين الذين لم يكونوا معروفين لدى السلطة، كانت هذه المرحلة من المراحل الخطيرة التي مرت على الحركة الإسلامية في تاريخ سوريا، فقد اعتقل عدد من قياديي جماعة «الإخوان المسلمين» في حماة، بينهم: الدكتور حسين خلوف، والدكتور مصطفى الأعوج، وعدد آخر من الإخوة القياديين. ونتيجة للتعذيب الشديد الذي مارسته السلطة حصلت على اعترافات جديدة، فامتدت الاعتقالات إلى مدينة حلب، وبدا أن المجرم حافظ أسد عازم على تصفية الحركة الإسلامية في سوريا رغم ادعاءه الظاهري أنه إنما يريد تنظيم الشيخ مروان المسلح فقط.

ومما يجب ذكره أن الحوار بيننا وبين قادة «الإخوان المسلمين» لم ينقطع منذ استشهاد الشيخ مروان رحمه الله وحتى اعتقال الأخ مهدي علواني، وقد تولى أمر الحوار هذا الأخ عبد الستار الزعيم.

وظهر الحذر على جماعة «الإخوان المسلمين»، فهم باتوا على يقين من أن السلطة تريد القضاء عليهم قضاءً تامًّا، فالبوادر الأولى لهذه النية ظهرت بوضوح، وذلك باعتقال العديد من قياديي «الإخوان المسلمين» وملاحقة عدد آخر منهم، وحتى هذا الحين لم يقم الإخوان بأي خطوات ملموسة لحماية تنظيماتهم وعناصرهم من الوقوع في براثن السلطة، بل على العكس من ذلك فعندما شعروا بتأزم الأوضاع سافر عدد

كبير منهم خارج سوريا، وبذلك أعطوا الضوء الأخضر لإخوانهم بمغادرة سوريا، تاركين تنظيم الشيخ مروان المسلح يجابه السلطة وحيدًا.

لقد كان باستطاعة جماعة «الإخوان المسلمين» أن تقدم الكثير لمعركة السوريين مع النظام الطائفي الحاقد، وخاصة في هذه المرحلة، ولكن شهدت الأعوام التالية مغادرة عدد كبير من شباب «الإخوان المسلمين» سورية، واعتقال عدد آخر منهم، بينما رفض قسم ثالث منهم هذا الواقع، بل تمرد عليه وسارع للانضمام إلى صفوف التنظيم المسلح الذي قبل ضم هذه العناصر رغم أن انضمامها شكل عبئًا عليه، فهي إما عناصر ملاحقة من قبل السلطة، أو عناصر شبه ملاحقة.

هذه التطورات زادت من أعباء الإخوة المجاهدين، فقد كان لا بد من استقبال العناصر الجديدة، حتى لا تتمكن السلطة من اعتقالهم وتصفيتهم داخل سجونها وفروعها الإرهابية، كما حصل في سجن تدمر وكما يحصل كل يوم.

استئناف التنفيذ:

بعد مضي شهر على اعتقال الأخ مهدي وما رافقه من أحداث؛ قررت قيادة المجاهدين استئناف التنفيذ ضد السلطة وأعوانها، فالوضع السياسي أصبح مهيأً، كما أن السلطة قد تأكدت من هوية المنفذين وأصبحت المعركة مكشوفة تمامًا.

جاءني الأخ عبد الستار ليخبرني بأن العمليات المسلحة ضد النظام سوف تستأنف من جديد في كافة المدن السورية بعد انقطاع دام تسعة أشهر.

لقد أظهرت السلطة إجرامًا كبيرًا في معاملة المعتقلين وأهليهم في هذه المرحلة، لذلك قررت قيادة المجاهدين في دمشق استهداف المجرم القاضي عادل ميني رئيس محكمة أمن الدولة العليا في دمشق.

ومن الجدير بالذكر أنه قد تم في فترة التوقف هذه تفجير عبوتين ناسفتين في السفارة الأمريكية، مما سبب إرباكًا شديدًا للنظام، فسارع المجرم عدنان دباغ وزير داخلية النظام إلى السفارة معتذرًا لدى السفير الأمريكي عما حصل، مؤكدًا أواصر الصداقة التي تربط قادة النظام مع أسيادهم في واشنطن. وقد عاد إخواننا إلى قواعدهم سالمين.

المجرم عادل ميني:

بعد مراقبة استمرت مدة شهر تقريبًا للمجرم عادل ميني، ضبطت أوقات دخوله وخروجه من منزله كما ضبط مسار حركته، وعلى هذا الأساس قام الأخ يوسف عبيد برفقة أحد الإخوة- الذي كان عنصرًا للحماية- بنصب كمين للمجرم أمام منزله في حي المهاجرين منطقة الشمسية، وبعد ركوبه سيارته الـ(شفر ليه) تحرك الأخ يوسف نحوه وأطلق عليه ست رصاصات من مسدس عيار (٩ ملم)، استقرت في أنحاء مختلفة من جسمه نقل على أثرها إلى المستشفى، وخلال دقائق معدودة تمكن الإخوة من مغادرة المنطقة، بينما هرعت أعداد كبيرة من عناصر المخابرات وطوقت مكان الحادث، وانتشرت أعداد أخرى منهم وهم يحملون البنادق الروسية والـ آر- بي- جي، مهددين كل سيارة لا تتوقف بإطلاق النار فورًا.

نتائج العملية:

تبين للسلطة أن المجاهدين قد عادوا مجددًا للتنفيذ، فاتخذت إجراءات أمن مشددة تحسبًا لعمليات أخرى، بينما تكتمت على أخبار هذه العملية ولم تعلن عن فاعليها، وقبل أن تستيقظ السلطة من هول الصدمة قام الإخوة في حماة وحلب بتنفيذ عدة عمليات ناجحة ضد السلطة.

بعد هذه العملية حصل اجتماع بيني وبين الأخ يوسف والأخ عبد الستار، قرر الأخ عبد الستار فيه إعطاء اللجنة العسكرية في دمشق صلاحية اختيار وتنفيذ الأهداف، بينما يتولى هو عملية التنسيق بين مختلف المحافظات ويحدد نوعية الهدف: شخصية عسكرية، سياسية، دورية أمنية، عملية تفجير... الخ.

المجرم يحيى بكور:

وهو أحد أركان النظام الطائفي، يشغل منصب نقيب المهندسين الزراعيين، وهو أستاذ في جامعة دمشق، يدرِّس مادة الثقافة الاشتراكية، كما أنه يمثل النظام لدى منظمة اليونسكو للأغذية، وحين سئل عن قرابته من حافظ أسد أجاب:

لا توجد قرابة بيني وبين حافظ أسد، ولكنه صديقي وأنا ألتقي به بشكل دائم، والتفت إلى من حوله من الطلاب ضاحكًا، وقال:

على كل فأنا أحمل مسدسي ولا أخشى الاغتيال.

عرف عن هذا المجرم عداؤه الكبير للإسلام والمسلمين، واستهزاؤه بأنبياء الله، عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لقد تكونت معلومات كافية لدى القيادة عن هذا المجرم فقررت استهدافه.

وبعد مضي عشرين يومًا على العملية السابقة قام اثنان من الإخوة؛ أحدهما الأخ أحمد زين العابدين، بنصب كمين لهذا المجرم أمام منزله في حي الطلياني بدمشق، وبعد انتظار دام مدة ساعة تقريبًا وصل المجرم في سيارته (المرسيدس ٢٨٠ S) وحين ترجل من السيارة تقدم الأخَوان نحوه، وأطلقا عليه الرصاص من رشاش عيار (٧ ملم)، ومسدس عيار (٩ ملم)، فأصيب المجرم بحوالي (١٢-١٥) طلقة، وخر على

الأرض متخبطًا بدمه، بينما تمكن الإخوة من الانسحاب بأمان الله تعالى، وكالمعتاد طوقت المخابرات المنطقة، واعتقلوا المارة وفتشوا السيارات المارة بالمنطقة.

نتائج العملية:

كانت هذه العملية بمثابة الضربة الموجعة على رأس المجرم حافظ أسد، الذي أسرع إلى المستشفى ليطمئن على صديقه المجرم، وهو يرغي ويزبد متفوهًا بالكلمات البذيئة، مطلقًا عبارات الكفر والإلحاد مهددًا متوعدًا «الإخوان المسلمين».

وفي مساء هذا اليوم قامت السلطة في دمشق بحملة اعتقالات اعتقل فيها الأخ زهير طبوش مواليد دمشق- ميدان ١٩٥٤م، إلا أنه لم يكن يعلم شيئًا عن شؤون التنظيم.

ازداد إجرام السلطة في حماة، حيث قامت باعتقال عدد من النساء كرهائن، مما أثار مشاعر الغضب والاستنكار عند الأهالي.

مهاجمة الدوريات:

حصل لقاء آخر مع الأخ عبد الستار كما هي العادة بعد كل عملية، وأخبرنا بأن القيادة في حماة قررت مهاجمة فرع للمخابرات واقتحامه وقتل عناصره وضباطه، وطلب منا استطلاع أحد فروع المخابرات لمهاجمته، فقمنا بعملية استطلاع تبين لنا بعدها أن هذه الفروع تتمتع بحماية كبيرة، وهي تقع في أماكن محروسة بشكل طبيعي حيث تتواجد بيوت المسؤولين من زبانية النظام ومرتزقتها، كما أن الإمدادات تصل إليها بسرعة، وعلى هذا فإن مهاجمة أي فرع بالطريقة التقليدية أي بالرشاشات والقنابل ستؤدي إلى استشهاد الإخوة المنفذين دون تحقيق النتائج المرجوة، وبعد

مناقشات ومداولات تقرر مهاجمة الدوريات السيارة لعناصر المخابرات، التي كانت تبث الخوف والرعب في نفوس المواطنين وتسبب لهم مضايقات يومية، حتى أصبح المواطن لا يستطيع أن ينظر إلى هذه الدوريات.

دورية العمارة:

انطلق ثلاثة من مجاهدينا الميامين، وهم الإخوة:

١- رياض حموليلا، دمشق- أكراد، ١٩٥٥م.

٢- أحمد زين العابدين، دمشق- مهاجرين، ١٩٥٥م.

٣- عبد الناصر عباسي، دمشق- أكراد، ١٩٥٧م.

لمهاجمة دورية تابعة للمخابرات الجوية، فبعد دراسة كافية لها قام الإخوة بمهاجمتها برشاش عيار (٧ ملم)، كما قذفوها بقنبلتين يدويتين فاحترقت السيارة الـ (رانج روفر)، وقتل العناصر الخمسة داخلها، وتمكن الإخوة من الانسحاب سالمين بفضل الله.

في نفس الوقت قامت مجموعة أخرى بزرع عبوات ناسفة تزن كل واحدة منها (٢ كغم) في مركزي الحزب والشبيبة بمنطقة الإطفائية، وبينما كانت سيارات شرطة النجدة والمخابرات تسرع لتطويق الإخوة في منطقة العمارة انفجرت العبوتان محدثتان دويًّا كبيرًا سمعه عدد كبير من الناس في مدينة دمشق، وقد أسفرتا عن خسائر مادية فادحة، كما سقط (١٥) عنصرًا من عناصر السلطة بين قتيل وجريح، كذلك تمكنت هذه المجموعة من الانسحاب بفضل الله.

وقد توليت مع الأخ يوسف عبيد عملية التنسيق بين هاتين العمليتين.

نتائج العمليتين:

عم الفرح والسرور بين المواطنين الذين عانوا طويلًا من جرائم المخابرات، وانتشرت الشائعات المختلفة حول أعداد القتلى والجرحى، بينما أغلقت المحلات التجارية أبوابها في منطقة الحادث خوفًا من انتقام السلطة.

لقد تركت هاتان العمليتان السلطة مذهولة من شدة الصدمة، فقد بدأت مرحلة جديدة من العمل الجهادي المسلح؛ جاء فيها دور تصفية الحساب مع كل عناصر السلطة مهما بلغ حجمها، وفي نفس الأسبوع قام الإخوة في حماة بمهاجمة فرع للمخابرات العسكرية وقتلوا عددًا كبيرًا من أفراده، مستخدمين البنادق الروسية والقنابل اليدوية، كما تمكن الإخوة في مدينة حلب من مهاجمة دورية للمخابرات وقتل كافة أفرادها.

دورية الدرويشية:

بعد هذه العمليات صدرت الأوامر المشددة إلى عناصر الدوريات الثابتة بالوقوف أمام سياراتهم بشكل حاجز وهم يرفعون بنادقهم إلى صدور المواطنين المارين في الطرقات، من أجل تفادي عمليات الإخوة المجاهدين، لكن هذه الطريقة لم تحمهم من رصاص المجاهدين، فقد لجأ المجاهدون إلى ضرب الدوريات المتحركة.

إذ قام مجاهدونا الميامين بنصب كمين لدورية متحركة تابعة للمخابرات العسكرية فرع (٢١٥) في منطقة الدرويشية المؤدية إلى باب الجابية، فأطلق أحد الإخوة النار عليها من رشاش عيار (٧ ملم) من مسافة قريبة جدًّا، بينما تمكن الأخ الآخر من إلقاء قنبلة يدوية داخل السيارة فقتل أربعة عناصر على الفور، وعاد مجاهدونا إلى قواعدهم سالمين.

مدرسة المدفعية:

شهدت هذه المرحلة تطورًا جديدًا على الساحة السورية؛ إذ قام الإخوة في حلب بضرب عدد من الأهداف التابعة للمخابرات، وأثناء تأدية إحدى العمليات استشهد اثنان من الإخوة المنفذين هما الأخ وليد العطار والأخ عصام مواصلي، فعملت السلطة على توسيع دائرة الاعتقالات، وقامت بإهانة أهالي المواطنين، فقرر الإخوة في حلب تنفيذ العملية التي هزت أركان النظام النصيري العميل، ألا وهي عملية مدرسة المدفعية التي خطط لها الأخ الشهيد: النقيب إبراهيم اليوسف ضابط أمن المدرسة والموجه الحزبي فيها، وقد كان يخفي انتماءه للإخوان المسلمين وللتنظيم الجهادي المسلح، وشارك في تنفيذ العملية عدد من الإخوة المجاهدين في حلب، وأسفرت هذه العملية عن قتل أعداد كبيرة من الضباط النصيريين الذين فاق عددهم المئتي ضابط.

بدأت الأخبار تنتشر، والأحاديث تزداد عن حصول عملية ضخمة في مدرسة المدفعية بحلب استهدفت الضباط النصيريين، وقد راودتنا الشكوك حول صحة هذه العملية إلى أن جاءنا الأخ عبد الستار الزعيم بعد ثلاثة أيام، وأخبرنا بصحة الأنباء الواردة عن مدرسة المدفعية، كما أكد لنا أن الإخوة في قيادة حماة لم يكونوا على بينة من أمر العملية، وأنه شخصيًّا لم يكن يعلم بها، وأن قيادة التنظيم في حلب هي التي اجتهدت باتخاذ القرار، وذلك نتيجة للجرائم المتزايدة التي يقوم بها زبانية النظام في حلب، وقال بالحرف الواحد:

(نسأل الله أن يجعل العواقب إلى خير)، وأصر على عدم تصعيد العمليات، قائلًا:

(سنستمر في خطتنا القديمة وسنقوم بعمليات اغتيال، كما سنضرب عناصر المخابرات بين الفينة والأخرى على سبيل التأديب فقط، أما معركتنا فهي مع رؤوس النظام، هؤلاء هم المجرمون وهم مسؤولون عن كل ما يحدث، وأما ضربنا لعناصر المخابرات فلكي يشعروا بأنهم لن يفلتوا من العقاب إذا استمروا بالانصياع لأوامر سادتهم المجرمين)، وأكد قائلًا:

(إنني أخشى في حالة التصعيد أن نُجَرَّ إلى معركة مكشوفة، في مواجهة غير متكافئة مع السلطة، على غرار ما حدث في مسجد السلطان بحماة عام ١٩٦٤م، وهذا ما تسعى إليه السلطة بكل ما أوتيت من قوة).

أما السلطة فقد قامت بحملة إعلامية مسعورة، ولأول مرة ظهر المجرم عدنان دباغ على شاشة التلفزيون وهو يعلن بيانًا صادرًا عن سلطته المجرمة، أكد فيه ما توارد من أنباء عن مدرسة المدفعية، كما اعترف بثلاثين قتيلًا وثمانين جريحًا، وأعلن أن الأخ إبراهيم اليوسف وإخوانه المجاهدين هم المسؤولون عن هذه العملية، واتهمهم بالعمالة لأمريكا وإسرائيل، كما أنه اعترف بمسلسل الاغتيالات دفعة واحدة، وراح يلصق صفاته وصفات أسياده بهؤلاء الإخوة الأبطال، كما أنه ركز اتهاماته على النظام في العراق، وهدد وتوعد «الإخوان المسلمين» بكل فصائلهم بالتصفية والتدمير، وراح يعلن أشد العقوبات على كل من يتستر عليهم من المواطنين.

وأعقب هذا البيان بيان آخر وضعت فيه السلطة صور عدد من الإخوة المجاهدين في حلب، وأعلنت عن جائزة قدرها (١٠٠ ألف ل.س) لكل من يساعد في الوصول إلى أحد هؤلاء الإخوة، وأذكر منهم: الأخ عدنان عقلة، والأخ الشهيد إبراهيم اليوسف.

كما تابعت السلطة حملتها الإعلامية في الراديو والتلفزيون والصحف، وراحت تعتقل العلماء وتجبرهم على الظهور أمام شاشة التلفزيون للإدلاء بأقوال كاذبة بغية تشويه صورة تنظيمنا المجاهد، وذهبت السلطة كذلك إلى أدعياء العلم من المنافقين الذين أخذوا يكيلون الفتاوى الغزيرة في تكفير الإخوة المجاهدين، بينما تقوم السلطة وإعلامها بأخذ هذه الأقوال والمتاجرة بها.

إن هذه الحملة الشعواء التي قامت بها السلطة الكاذبة لم تكن لتجعل من الحق باطلًا، ولم تكن لتخدع أبناء الشعب المؤمن الذين عرفوا المجاهدين بتدينهم وصدقهم وتقواهم، كما عرفوا السلطة بكفرها وغدرها وفجورها، وارتد كيد الساحر عليه، وانطلق أبناء الشعب الأعزل يبحثون عن المجاهدين لا لتقديم العون فحسب وإنما للانضمام إلى صفوف المجاهدين.

إن عمليات الاغتيال السابقة التي طالت رؤوس النظام النصيري الطائفي قد أقضت مضاجعهم، وبدا الخوف والرعب ظاهرًا عليهم من تلك العمليات، مما أدى إلى هروب الكثير منهم خارج البلاد، وكثرت الخلافات والانشقاقات بين عناصر السلطة، فمنهم من يطالب بمفاوضة الإخوة المجاهدين، ومنهم من يطالب بمضاعفة الإرهاب والقمع وتوسيع دائرة الاعتقالات ضد الأهالي، وكان على رأس هذا الرأي المجرم رفعت أسد، ومنهم من راح يتهم حافظ أسد وبقية أفراد عائلته بأنهم يجلسون في القصور.وحولهم الحمايات الكثيفة؛ دون أن يهتموا ببقية أفراد الطائفة الذين يتعرضون لرصاص المجاهدين، مما دفع المجرم حافظ أسد إلى إنشاء أجهزة جديدة لتخريج المرافقين وفرزهم لحماية ضباط السلطة ومجرميها، ولذلك فإن المواجهة المكشوفة مع الإخوة المجاهدين ستتيح للسلطة استخدام الأعداد الكبيرة من العناصر التي تحت أيديها، والتي لم يكن لها عمل بالسابق.

إن باستطاعة السلطة التفوق في مثل هذه المعارك، فهي تملك الإمكانيات والأعداد الكبيرة من العناصر التي لا تتردد في أن تزج بهم في المعارك دون أن تخشى على مصيرهم، وبذلك تظل رؤوس أركان النظام بمنأى عن الخطر.

إن التصعيد الذي قامت به السلطة، وملاحقة الأعداد الكبيرة من شباب «الإخوان المسلمين» في مدينة حلب؛ من جراء الاعتقالات والاعترافات، وانضمام أعداد كبيرة من الشباب الإسلامي إلى التنظيم المسلح زاد في تسارع الأحداث في حلب، وبدا الفرق يتضح بين العمليات في مدينة حلب وبين العمليات في مدينتي حماة ودمشق.

هنا بدأ التوازن الذي كان يسير عليه التنظيم بالاختلال، كما بدأت علامات انعدام التنسيق بالظهور، ونترك تفصيل هذا الأمر للإخوة في حلب، فهم أدرى بعدد العمليات والاشتباكات التي حصلت.

أما الأخ القائد عبد الستار الزعيم رحمه الله، وكما فهمنا منه، فقد كان يصر على عدم التصعيد العسكري لكي لا نقع في منزلق خطير لا نستطيع التنبؤ بأبعاده، وبهذا الوعي تمكن الإخوة بفضل الله من إفشال كافة مخططات السلطة، وقررت القيادة الاستمرار بمسلسل الاغتيالات.

المجرم حامد عباس:

قامت السلطة باعتقال أعداد كبيرة من الشباب الإسلامي في مدينة حلب وزجت بهم في فروع المخابرات، كما قامت بنقل أعداد كبيرة من حلب إلى سجون دمشق، وخاصة سجن المزة العسكري الذي كان يتولى التعذيب فيه المجرم المساعد أول حامد عباس، وهو نصيري من مدينة اللاذقية ويشغل منصب معاون مدير

السجن، وقد استمر في هذا المنصب مدة عشر سنوات، كان يمارس فيها أبشع ألوان التعذيب، كما أنه كان يتصل على الهاتف مباشرة بالمجرم حافظ أسد؛ لكي يطمئنه على ما يجري من اضطهاد وتعذيب داخل السجن، كما أنه كان جسيمًا قوي البنية، مما منحه سطوة على جميع من بالسجن، حتى إن زبانية النظام كانوا يخافونه، ولم يكن أحد منهم يتجرأ على مناداته بمساعد أول بل كان يلقب بالعقيد، هذا وقد أوذي عدد كبير من الإخوة بين يديه، كما أصيب عدد منهم بعاهات دائمة من جراء تعذيبه القذر، إضافة إلى صفاته الحقيرة فقد خسر هذا المجرم أحد أبنائه في عملية مدرسة المدفعية بحلب، فكشر عن أنيابه، وبدأت عمليات التعذيب الوحشي بين يديه وزبانيته المجرمين.

ولم تكن قيادة المجاهدين لتغفل عن هذا المجرم، فقد قام الأخ أحمد زين العابدين باستطلاعه لمدة شهرين، كان يأتي خلالها من منطقة ببيلا إلى منطقة جوبر سيرًا على الأقدام؛ كي يوفر بعض المبالغ الضئيلة لصندوق الجماعة.

وأصبح الهدف جاهزًا للتنفيذ، وانطلق الإخوة المجاهدون حوالي الساعة السادسة صباحًا، ونصبوا كمينًا للمجرم المذكور بالقرب من منزله في منطقة جوبر- قبر عكاش، وبعد فترة قصيرة خرج المجرم من بيته سيرًا على الأقدام ينتظر سائقه الذي تأخر بعض الوقت، وعلى الفور تقدم أحد الإخوة المجاهدين وأطلق عليه أربع رصاصات من مسدس نوع (شمايزر) ثلاثة في رأسه وواحدة في صدره، فخر على الأرض متخبطًا بدمه، بينما تقدم الأخ الثاني وأطلق عليه خمس رصاصات في صدره من مسدس عيار (٩ ملم)، وقد شاهد العملية ما يقرب من (٢٠- ٣٠) شخصًا كانوا يقفون بانتظار قدوم الباص بالقرب من منزل المجرم المذكور، وتمكن الإخوة من العودة إلى قاعدتهم بسلام، في حين قامت عناصر كثيفة من المخابرات بتطويق مكان العملية، ولكن بعد فوات الأوان.

نتائج العملية:

تركـت هـذه العملية زبانيـة النظـام وجلاديها في حالـة هلع وذعر شـديدين، كـما أحدثـت هزة عنيفـة داخل سـجن المزة، وسـيطر الخـوف والهلع عـلى جلادي السـجن، حيـث ذهلـوا لمقتـل رئيسـهم الـذي كان يتبجـح وهـو يضـع يـده عـلى المسـدس قائلًا:

(يظن الإخوان أني مثل غيري من المسؤولين، ولكن إذا كنت أحمل هذا- ويشير نحو المسدس- فإن ربهم لا يستطيع قتلي)، قاتله الله ولعنه.

إن هذه العملية جعلت السجانين يخففون من تعذيبهم للإخوة داخل السجون، كما راحوا يتوددون إلى الإخوة السجناء ويلبون كل طلباتهم، بينما عم السرور جميع الأهالي الذين دفعوا له الكثير من المال كي يسمح لهم بمشاهدة أبنائهم المعتقلين.

إعدام بعض الإخوة:

بعد حدوث عملية مدرسة المدفعية كثرت الاشتباكات والعمليات بين الإخوة المجاهدين وبين عناصر المخابرات في مدينتي حلب وحماة، تكبدت فيها السلطة خسائر فادحة- مما حدا بها إلى اتخاذ خطوة عدائية جديدة تعبر فيها عما يختلج في نفسها من حقد دفين، وهذه الخطوة كانت عبارة عن عرض لقطات مشوهة من محاكمات صورية أجرتها السلطة مع الإخوة المعتقلين في محاولة منها لتحقيق الأهداف التالية:

١- تأليب الرأي العام ضد المجاهدين.

٢- إظهار المجاهدين على أنهم مجرمون، لكسب تعاطف الجماهير.

وقامـت بعـد المحاكمـة بإعـلان الحكـم الهـزلي الـذي صـدر بحـق الإخـوة،

وهـو الإعـدام، وهدفـت مـن وراء هذا الحكـم إلى تخويـف الإخوة الذيـن يريدون الانضـمام إلى طريـق الجهاد.

لم يكن عمل السلطة هذا بأفضل حظًّا من أعمالها السابقة، فها هو الشعب المؤمن يرى في الإخوة صورة جديدة من صور التضحية والفداء، ويرى فيهم الصمود والعطاء، ويرى فيهم الأمل المشرق للخلاص من النظام الطائفي الفاسد، وراح الشعب يردد كلمات الإخوة المجاهدين، ولا سيما كلمات الشهيد البطل مهدي علواني عندما قال:

(لا فرق عندي بين من يؤيدون السلطة من أصغر مجند وحتى رأس النظام).

وعندما قال له رئيس ما يسمى بالمحكمة؛ المجرم فايز النوري:

(على هذا فإن ثلاثة أرباع الشعب يشكلون السلطة).

أجابه الأخ مهدي: (سنحرق ثلاثة أرباع الشعب)[1].

وحين سأل المجرم النوري الأخ الطبيب حسين خلوف:

(كم ليرة كنت تقبض من التنظيم أجرة على العمليات) أجابه الأخ:

(كنت أدفع من جيبي [٣٠٠ ل.س] شهريًّا تبرعًا لمساعدة المجاهدين).

كما أدلى الأخ مهدي ضمن المحاكمة بتفاصيل عملية المجرم أحمد خليل السلمان، لكي يعلم الشعب سيرة مجاهديه الصامدين.

---

(١) توضيح: هم أقل من ذلك بكثير، وكل طائفة النظام أقلية، لكن هذه العبارة تدل على خبث النظام في استدراج المعتقلين إلى كلام آنيٍّ يقوله المعتقل ردًّا على استفزاز، لينشره، والأخ قالها من باب التحدي. وهل حملوا السلاح إلا لتخليص الشعب من ظلم النظام الطائفي!

وتابع النظام العميل حملته الإعلامية في الإذاعة والتلفزيون والصحافة، في محاولة هزيلةٍ للضغط على الإخوة المجاهدين لمنعهم من محاولة التنفيذ، ونسيت السلطة أننا منذ انتسابنا إلى هذا الطريق قمنا بتوطين أنفسنا على تقديم كل ما نملك في سبيل الله.

طريــق الــدمِّ نســلكه ويـرضـانـا ونـرضـاه

وقـدوتـنـا رســول الله ومـا أحـلـى محيـاه

وأذكر من الإخوة الذين أعدموا:

الشهيد مهدي علواني- حماة.

الشهيد الدكتور مصطفى الأعوج- حماة.

الشهيد الدكتور حسين خلوف- حماة.

الشهيد مجاهد دباح البقر- حلب.

رحم الله إخوتنا الشهداء، وأسكنهم فسيح جنانه.

الرد الذي قمنا به:

بعد أن تمت عملية إعدام شهدائنا الأبرار التقيت بالأخ القائد عبد الستار الزعيم، الذي حضر إلى دمشق، وقمنا بدراسة شاملة للأوضاع الحاصلة على الساحة السورية، واتفقنا على القيام بعملية انتقام واسعة، تشمل: حماة، حلب، دمشق، وترك الأخ عبد الستار تقرير نوعية الأهداف لكل مدينة على حدة.

وفي دمشق اجتمعت اللجنة العسكرية، وقررت القيام بعدة عمليات تفجير لمراكز مختلفة تابعة لحزب السلطة، حتى تعلم السلطة، ومن وراءها من الأنظمة

الصليبية الحاقدة التي ظهر تواطؤها مع النظام المجرم بشكل ملموس، حتى يعلم كل هؤلاء أن الإرهاب لن يولد إلا الإرهاب، وأن حمامات الدم لن تولد إلا حمامات الدم، وأن العنف الذي يزاولونه ضد أبناء شعبنا المؤمنين الآمنين سيرتد إليهم، وأن كل ذلك لن يضعنا إلا أمام خيار واحد، وهو العنف المقابل، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

إننا لن نتراجع عن مطالبنا التي أعلناها في بعض المفاوضات التي جرت في مرحلة سابقة، ومنها:

١- إطلاق سراح المعتقلين فورًا دون قيد أو شرط.

٢- رفع الظلم عن الناس وإطلاق الحريات، ومنها الدينية والسياسية... الخ.

تفجير مراكز تابعة لحزب السلطة:

وعلى هذا الأساس قام إخواننا باستطلاع دقيق لمراكز حزب السلطة، تبين على إثرها أن الحراسات حول هذه المراكز شديدة جدًّا، سواء في الصباح أو المساء، لذلك قررت القيادة أن يكون توقيت العملية الساعة [١١:٠٠] صباحًا حين تكون الحراسة أضعف ما يمكن، وعلى الفور تجهزت خمس مجموعات من إخواننا المجاهدين، لزرع خمس عبوات ناسفة في كل من الأماكن التالية:

١- مركز حزب البعث في منطقة الجسر الأبيض.

٢- مركز حزب البعث في منطقة الإطفائية.

٣- مركز حزب البعث في منطقة الحجاز.

٤- مركز حزب البعث في منطقة السبع بحرات بجانب البنك المركزي (عين الكرش).

٥- مركز حزب البعث في منطقة الميدان.

أدى انفجار العبوات إلى إحداث تخريب كبير مع دوي هائل سمعه سكان العاصمة دمشق، كما أسفر عن قتل وجرح حوالي (١٥) عنصرًا من زبانية السلطة، وقد شوهدت سيارات الإسعاف وهي تنقل المجرمين من ساحات التفجير إلى المستشفيات.

وقد أشرفت- أنا- والأخ يوسف عبيد، والأخ أحمد زين العابدين، على عملية التنسيق فيما بين المجموعات.

اشتباك الأخ يوسف عبيد:

هذا وقد حدث تطور هام مع المجموعة المكلفة بتفجير مركز الميدان للحزب؛ إذ كان الأخ يوسف عبيد ينتظر هذه المجموعة في منطقة مساكن الزاهرة، وكانت هذه المجموعة مكونة من الأخوين مأمون إدلبي ومحمد ريم باشا، وحين حاولا تنفيذ المهمة لاحظهما المخبر مطانيوس بركات معوض، وهو من الساحل ويقيم بجانب مركز الحزب، وقام على الفور بإبلاغ المخابرات، كما أرشدهم إلى اتجاه انسحاب الإخوة، فقامت عناصر المخابرات بفرض طوق كبير على منطقة مساكن الزاهرة، وشعر الأخ يوسف بأنه أصبح داخل الطوق فطلب من الأخوين الانسحاب، واصطدم مع أول دورية اقتربت منه فبادرها بإطلاق النار وقتل ثلاثة عناصر، في حين حاول قائد الدورية وهو مساعد أول الالتفاف حول الأخ يوسف من حارة موازية، فالتقيا وجهًا لوجه وعلى مسافة مترين أطلق الأخ يوسف خمس طلقات من مسدس عيار (٩ ملم)، فأرداه قتيلًا رغم أن المساعد كان يطلق النار من بارودته الروسية.

واستمر الأخ يوسف باشتباكه حيث اتجه بعدها شمال أوتوستراد الزاهرة نحو المنطقة الصناعية، وأخذ يتبادل إطلاق النار مع عناصر السلطة وهم يلاحقونه بالسيارات، فقام الأخ يوسف بإيقاف سيارة هوندا مارة في الطريق، تبين له أن سائقها من عناصر المخابرات فأطلق عليه النار وأرداه قتيلًا، ثم اتجه نحو البساتين واستمر في سيره إلى أن وصل إلى منطقة السيدة زينب وهو بحالة إعياء شديد.

تمكن الأخ يوسف من إصابة سبع عناصر بين قتيل وجريح، بينهم ضابط برتبة نقيب، وبعد أن أخذ الأخ يوسف قسطًا من الراحة توجه إلى منطقة الضمير، وأحضر الأخ عبد الرحمن حمودة صديق الأخ مأمون إدلبي من معسكر التدريب الجامعي، وقام على الفور بتسفيره خارج سورية.

استشهاد الأخوين مأمون إدلبي ومحمد ريم الباشا:

من جهة ثانية اتجه الأخَوان محمد ريم الباشا ومأمون إدلبي إلى جنوب أوتوستراد الزاهرة حيث طوقتهم عناصر المخابرات، وبعد تبادل إطلاق النار صعد الأخَوان إلى أحد الأبنية التي في طور الإنشاء، واستمر الاشتباك مدة نصف ساعة، استعمل فيها الأخوان مأمون ومحمد مسدسين من عيار (٧ ملم) وألقيا خلالها (٣) قنابل يدوية، ثم سقطا شهيدين يرويان ثرى دمشق من دمائهما الطاهرة، وقد أصيب في الاشتباك حوالي (١١) عنصرًا من المخابرات بين قتيل وجريح، قامت السلطة بعد ذلك بعملية بحث دقيقة عن الأخ يوسف عبيد، ولكن دون جدوى، فقد تمكن الأخ يوسف من الإفلات من الطوق الذي فرضته أجهزة المخابرات بفضل الله تعالى.

لقد فقدنا في هذه المعركة اثنين من الإخوة غير الملاحقين، وهما:

١- الأخ الشهيد: مأمون إدلبي، مواليد دمشق- شيخ محي الدين ١٩٥٦م، طالب في كلية الزراعة. عُرف الأخ مأمون بصلاحه وتقواه وعلمه، وقد حجَّ إلى بيت الله الحرام في نفس العام الذي استشهد فيه، واعتقلت السلطة شقيقه محمود إدلبي وأعدمته في تدمر.

٢- الأخ الشهيد: محمد ريم الباشا، مواليد دمشق- مزرعة ١٩٥٧م، طالب بكلية الزراعة، كان من الإخوة النشطين في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

التكتيك الجديد:

في هذا الوقت كنت على موعد مع الأخ يوسف ولكن لم يحضر، وعلمت نبأ الاشتباك حين جاء الأخ رشيد حورانية، وأخبرني بأن السلطة أذاعت بيانًا قالت فيه:

إن زبانيتها قتلوا اثنين من الإخوة، وتمكنوا من جرح الثالث.

وعلى الفور قمت أنا والأخ أحمد زين العابدين بتبليغ بقية أعضاء القيادة بما حدث؛ لاتخاذُ الاحتياطات الأمنية اللازمة ولمواجهة كل الاحتمالات.

وفي المساء بينما كنت في قاعدة ببيلا، جاء الأخ عبد الناصر عباسي، ومعه خبر انسحاب الأخ يوسف سالمًا، وأخبرني بأنه موجود في منزل الأخ جمال طعمينا بالمزة.

أما السلطة فقد راحت تستغل هذه العملية إعلاميًّا، مدعية بأنها ستصفي المجاهدين وتقضي عليهم، وتضرب بيد من حديد، وتفعل وتفعل... الخ.

لكن حقيقة الأمر كانت على عكس ذلك إذ ازدادت مخاوف السلطة، فها هي تكتشف اثنين من غير المطلوبين يشتركون في التنفيذ، بعد أن ظنت بأن الذين ينفذون العمليات هم من الإخوة المطلوبين فقط.

وكما ادعى إعلام السلطة راحت أبواق الإعلام العالمية تتناقل الخبر بشكل يظهر التواطؤ بينها وبين نظام المجرم العميل حافظ أسد، وغفلت عن معاناة شعبنا في ظل الظلم والقهر والاضطهاد.

ونشير هنا إلى أن مخاوف السلطة زادت أثناء الاشتباك؛ إذ أنه حصل على مقربة من الطريق الذي سيمر منه المجرم حافظ أسد بعد استقبال صديقه المجرم معمر القذافي.

لقد حاولت السلطة توظيف استشهاد الأخوين مأمون إدلبي ومحمد ريم الباشا في أكثر من اتجاه، فقامت ببث الشائعات بواسطة أزلامها المأجورين، وزعمت هذه الشائعات أن السلطة قتلت اثنين من قياديي المجاهدين وأسرت الثالث، في محاولة منها لإعادة الثقة إلى نفوس أجرائها الذين بدأوا يتذمرون من هذا الوضع الذي حرمهم من متعهم ورغباتهم، وأخذوا يفكرون بالسفر خارج البلاد.

في هذه المرحلة كان بعض الإخوة يراقبون الدكتور المجرم محمود شحادة خليل على الطريق الكائنة بين بيته وعيادته، وتبين خلال استطلاعه أنه شديد الحذر لمعرفته أنه مستهدف من قبل المجاهدين، فكان يغير طريقه كل يوم، كما أن مرافقيه كانوا على استنفار دائم.

لذلك لجأ التنظيم إلى عملية تكتيكية حاول فيها أن يوهم هذا المجرم وغيره من المسؤولين أن التنظيم قد بلغ مرحلة من الضعف فلا يستطيع معها القيام بعمليات الاغتيال، وبالتالي فإن المسؤولين سيقللون من حذرهم وانتباههم وهذا ما حصل فعلًا.

عمليات إلقاء القنابل:

قام اثنان من إخواننا المجاهدين بإلقاء قنبلتين على فرعي الحزب والشبيبة في منطقة الإطفائية، حيث أصيب عدد من عناصر الحرس بجروح نقلوا على أثرها إلى المستشفى، وتمكن الإخوة من الانسحاب سالمين.

وبعد أسبوع تقريبًا قام اثنان من مجاهدينا بإلقاء قنبلتين يدويتين على سجن الشيخ حسن فقتل عنصر من الحراس وجرح آخر، وتمكن الإخوة من الانسحاب سالمين.

المجرم محمود شحادة خليل:

الدكتور النصيري المجرم محمود شحادة خليل، وهو رئيس قسم العصبية في مستشفى حرستا العسكري، كما أنه أحد أطباء المجرم حافظ أسد المقربين إليه، وقد تحدث عنه المجرم حافظ أسد في أحد خطاباته لما له من حب وتقدير عنده.

كان المجرم محمود شحادة خليل من الذين شاركوا في تعذيب الشيخ مروان رحمه الله، فكان يعطيه العقاقير المهيجة للأعصاب، والتي كانت تسبب للشيخ آلامًا رهيبة.

وقد قام هذا المجرم بالاشتراك مع المجرم النصيري الدكتور فيصل أيوب بتوقيع وثيقة وفاة الشيخ مروان، التي تزعم بأن الوفاة طبيعية ولا علاقة لها بالتعذيب، كما طالب المجرم محمود شحادة خليل بإحراق عائلة الشهيد النقيب إبراهيم اليوسف بعد عملية مدرسة المدفعية.

وقد بلغ حقد هذا المجرم على المسلمين درجة كبيرة، فكان يشوه ويتسبب

بالعاهـات الدائمة لكل من يشـك بالتزامه الإسـلامي من المـرضى المعالجين عنده.

ولم تكن عين المجاهدين لتغفل عن مجرم دنيء كهذا القاتل الحاقد.

لقـد أعطـى التكتيـك الجديـد ثـماره (التظاهـر بالعجـز عـن تنفيـذ عمليـات الاغتيـال والاكتفـاء ببعض عمليات تفجير القنابل)، فهاهم المسـؤولون يسـتهترون بالحراسـات وترتخـي أعصابهـم بعـد أن كانـت متوتـرة، وهذا هـو الوقت المناسـب لعمليـات الاغتيـال، فانطلقت مجموعة مـن المجاهدين للقصاص مـن المجرم محمود شـحادة خليـل، فقامـت بنصـب كمـين لـه تحت جسر شـارع الثـورة عـلى الطريق المـؤدي إلى عيادتـه في منطقـة البحصـة، وحـال مروره بسـيارته البيضاء (مرسـيدس ٢٨٠ S) انقـض عليـه الإخـوة المجاهـدون برشاشـاتهم، وتـم قتلـه عـلى الفـور مع مرافقيـه الثلاثـة حيـث بدت منهـم مقاومـة طفيفة.

وقد تمت العملية قبل أذان المغرب بنصف ساعة في السابع من شهر رمضان، وهو نفس تاريخ مقتل المجرم أحمد خليل من العام الماضي، وانسحب الإخوة من ساحة العملية بسلام، وسط ذهول مئات الناس الذين شاهدوا العملية بأم أعينهم، وكالمعتاد قامت السلطة بتطويق المنطقة وإيقاف المارة وإساءة معاملتهم.

انتشرت أخبار العملية في كافة محافظات القطر وطغت هذه العملية على بقية العمليات في تلك المرحلة، وقد آلم السلطة المسعورة أن ترى شعبنا وهو يبتهج لمقتل المجرمين، فأرادت أن تثبت لهم أنها قوية وقادرة فأخذت تهدد وتتوعد، وبادرت إلى إطلاق عناصر المجرمين في شوارع دمشق؛ لإيذاء الشعب وإهانته، وهذا ما استدعى القيام بعملية تأديبية ضد عناصر المخابرات.

مهاجمة دوريتين في الحريقة:

تعتبر منطقة الحريقة المركز الأساسي للأسواق التجارية في مدينة دمشق، وكما أسلفنا سابقًا فالسلطة قامت بزيادة عناصرها داخل مدينة دمشق وفي شوارعها، وكان نصيب ساحة الحريقة دوريتين يقف أفرادهما مترجلين وهم يصوبون بنادقهم إلى صدور المواطنين العزل الذين يمرون بكثافة من هذه المنطقة، وذلك لإشعار الشعب بقوة النظام وسطوته، ولهذا السبب اجتمعت اللجنة العسكرية في دمشق، وذلك بعد أسبوع من عملية قتل المجرم محمود شحادة خليل، وقررت تنفيذ حكم الله في دوريات الحريقة.

وتحركت إحدى مجموعاتنا باتجاه الهدف، وذلك حوالي الساعة التاسعة ليلًا، ولدى وصول الإخوة ركب عناصر إحدى الدوريتين في السيارة (الشفرليه)؛ ليقوموا بدورة على المحور المخصص لهم، فألقى المجاهدون قنبلتين يدويتين داخل السيارة قتل على أثرها ٤ عناصر من المخابرات، كما ألقى المجاهدون قنبلة يدوية ثالثة على الدورية الثانية فأصيب بعض عناصرها بجراح، وبدأ العناصر الناجون يطلقون النار بشكل عشوائي؛ لأنهم لم يروا الإخوة الذين انسحبوا تحت جنح الظلام، وأخذت عناصر المخابرات تتوارد إلى المنطقة نتيجة سماعهم صوت القنابل والرصاص، وحصل اشتباك خاطئ فيما بين عناصر المخابرات أنفسهم الذين أتوا من مناطق مختلفة دام حوالي ربع ساعة؛ حيث كانت أصوات الرصاص تسمع من مناطق بعيدة، أسفر هذا الاشتباك عن مقتل (٢٠) عنصرًا وجرح عدد آخر من العناصر.

لقد فاقت هذه العملية بنتائجها كل التصورات بفضل الله عز وجل،

فقد قتلهم الله عز وجل بأيديهم، وأصيبت السلطة بخيبة أمل كبيرة؛ إذ أنها وجدت جميع القتلى والجرحى من عناصرها، وقد كانت تظن أن بعضهم من المجاهدين.

بعد انتهاء العملية جاءت سيارات شركة جبل قاسيون إلى ساحة الحريقة، وقامت بتنظيف الشوارع من الدماء التي سفحت فيها، ونشير هنا إلى أن سبب اختيار الوقت ليلًا هو أن المنطقة في هذا الوقت تكون خالية من المارة، وحتى لا يصاب أحد من المواطنين بأذى.

شارك في تنفيذ هذه العملية الأخوان مازن نحلاوي ورياض العجمي.

وقد استنفرت السلطة بعد هذه العملية استنفارًا شديدًا تحسبًا لعمليات أخرى، فأوقف المجاهدون في دمشق عمليات التنفيذ مدة من الوقت لتأمين بعض القواعد.

تأمين القواعد البديلة:

في هذه المرحلة كنت أتنقل بين عدة قواعد لمتابعة العمل الجهادي، ولكن القاعدة الأساسية كانت في منطقة الميدان- قاعة، بمنزل يملكه أهل الأخ رشيد حورانية، ولم يكونوا قاطنين فيه، وكانت حركتي منه وإليه تتم براحة تامة، وفي نهاية شهر رمضان المبارك، أي بعد خمسة عشر يومًا من تنفيذ عملية الحريقة، بلغنا أن عناصر المخابرات تسأل عن الأخ رشيد وصفاته، وعن خروجه ودخوله، وعن مكان عمله، وكانت هذه الأسئلة محاولة تمهيدية لاعتقاله، تبين فيما بعد أن سبب ذلك هو اعتقال أحد الإخوة التابعين لجماعة «الإخوان المسلمين»، حيث أبدى الأخ المعتقل شكوكه حول الأخ رشيد وحول انتمائه للتنظيم الجهادي المسلح، كان ذلك نتيجة نقاشات جرت بينهما في فترة سابقة.

على إثر هذه الحادثة غادرنا بيت القاعة آخر يوم من رمضان، وانتقلنا إلى قاعدة أخرى، كما أخرجت الأخوين صلاح الدين شقير وعبد الناصر قباني من بيتيهما تحسبًا من انكشاف أمريهما؛ لأنهما كانا صديقين للأخ رشيد، وكل أبناء الحي يعلمون ذلك.

قمنا بعد ذلك بالبحث عن قاعدة جديدة، واستمر ذلك أيام العيد الثلاثة وأربعة أيام أخرى تلته، حيث تمكنا بفضل الله من تأمين منزل بأجرة مقدارها (٣٠٠) ل.س شهريًّا، فانتقلت إليها أنا والأخوين رشيد حورانية وصلاح الدين شقير، بينما عاد الأخ عبد الناصر قباني إلى منزل أهله؛ لأنه بعيد عن الشبهة، وأشعنا في المنطقة أن الأخ رشيد قد سافر إلى السعودية، وهذا ما خفف من حدة الطلب عليه، واقتنع ضباط المخابرات بأن الأخ رشيد لا علاقة له بالمجاهدين، كما وتمكن عدد من الإخوة من إيجاد قواعد جديدة استخدمت في المرحلة القادمة.

تفجيرات وكمائن:

استمرت فترة وقف التنفيذ هذه مدة شهر تقريبًا قررت بعدها اللجنة العسكرية القيام بعدة عمليات خفيفة، كانت الغاية منها تدريب الإخوة على التنفيذ.

فكلفت الأخوين جمال طعمينا وعصام حلاق بزرع عبوة ناسفة في مركز حزب البعث الكائن في الحجاز، وكان ذلك في الساعة التاسعة ليلًا حيث أحدث الانفجار تخريبًا كبيرًا، ولم تعرف الخسائر بالتفصيل، وانسحب الإخوة بسلام.

وبعد عدة أيام كلفت اللجنة العسكرية الأخوين: رشيد حورانية، وصلاح الدين شقير، بزرع عبوة ناسفة في شركة الطيران السورية في شارع النصر؛ حيث أحدث الانفجار دويًّا هائلًا وترك خرابًا كبيرًا، وتمكن الأخوان من الانسحاب،

وأثناء مرورهما بفرع لحزب البعث ألقى الأخ رشيد قنبلة يدوية على عناصر الحراسة ولم تعرف الخسائر.

وبعد يومين ألقى أحد الإخوة قنبلة على مركز حزب البعث التابع للأطراف، والقريب من القصر العدلي، قتل فيها عنصر من زبانية السلطة، وتمكن الأخ من الانسحاب.

كمين لدورية مخابرات عسكرية:

بعد عدة أيام كلفت بنصب كمين لسيارة مخابرات (نوع شفرليه)، تابعة للمخابرات العسكرية، تقل عشرة عناصر، وقد اشترك معي في تنفيذ العملية الأخوان: وليد طنطا و محي الدين جزائري، وذلك في شارع ابن عساكر المؤدي إلى دوار المطار، وقفنا بساحة العملية في الساعة السادسة والنصف صباحًا، وبعد عشر دقائق كانت السيارة تمر بجانبنا، فسارعت إلى إطلاق النار عليها من رشاش (استن) عيار(٩ ملم)، مخزن (٣٠ طلقة)، ورجعت إلى الوراء قليلًا حيث تقدم الأخ وليد فألقى قنبلة يدوية داخل السيارة، ثم تبعه الأخ محي الدين وألقى قنبلة ثانية، تمكنا بعد ذلك من الانسحاب من ساحة العملية بسلام.

وأثناء متابعة انسحابنا اعترضتنا دورية لشرطة النجدة في منطقة سوق الحميدية تضم ثمانية عناصر، وعلى الفور قمت بمباغتتهم بالرشاش، ولكن بعد إطلاق الطلقة الأولى حدث استعصاء بالرشاش اضطرني لاستخدام المسدس والانسحاب السريع مع تبادل إطلاق النار، وقد أصيب أحد عناصر هذه الدورية بجراح.

كانت القيادة قد قررت تنفيذ عدة عمليات هذا اليوم، ولكن بعد تطورات العملية الأولى استنفرت أجهزة المخابرات بشكل كثيف، وحتى لا يحصل أي خطأ ألغيت جميع العمليات.

استشهاد الأخ القائد عبد الستار الزعيم:

بعد تنفيذ العمليتين السابقتين كنا ننتظر قدوم الأخ القائد عبد الستار الزعيم؛ لإعادة تقييم الأوضاع المستجدة ولتنسيق العمل مع المحافظات الأخرى.

لقد عرفت السلطة بعد اعتقال الأخ مهدي علواني وإخوانه أن الأخ عبد الستار الزعيم هو قائد التنظيم المسلح (تنظيم الشيخ مروان رحمه الله)، وعرفت أنه المخطط الأول لهذا التنظيم، كما علمت بتنقلاته بين المحافظات الثلاث: دمشق، حماة، حلب، من أجل تنسيق العمل فيما بينها، وعلى هذا الأساس عملت على تكثيف أعداد مخبريها حول كراجات الباصات، كما جاءت بكل المخبرين الذين يعرفون الأخ معرفة شخصية، ووعدتهم بجوائز مالية كبيرة في حال وصولهم إلى معلومات تخص القائد الشهيد.

إن تنقلات الأخ القائد عبد الستار بين المحافظات كانت تتم بركوب الباصات العامة واستعمال هوية مزورة، ولم يكن يمتلك سيارة تمكنه من التنقل بدلًا من الباص، وكان قد شعر بخطورة تحركاته بعد اعتقال الإخوة، ولم يكن غافلًا عن النتائج المترتبة على اعتقالهم، لذلك كان يفكر بالاستقرار في مدينة دمشق وتكليف أحد الإخوة للقيام بدور المراسلة بين المحافظات.

لكن الوضع الأمني في حماة أدى إلى تأخير هذه الخطوة فترة من الزمن، وكانت الضرورة تقضي باستمراره في التنقل لفترة أخرى من الزمن للمحافظة على التنسيق الفعال بين المحافظات، وخاصة بعد توسع قاعدة المجاهدين وازدياد إمكانياتهم.

وبتقدير من الله تعالى شاهد أحد عملاء السلطة الأخ القائد وهو يركب الباص في حماة متجهًا إلى دمشق وقام بإبلاغ السلطة عن ذلك، وعلى الفور قامت قوة

عسكرية كبيرة من عناصر المخابرات تساندها بعض الدبابات التابعة للفرقة الثالثة التي يترأسها المجرم شفيق فياض بنصب كمين للأخ القائد في منطقة القطيفة على الطريق إلى دمشق.

وحين وصل الباص الذي يقل الأخ القائد عبد الستار حاول أزلام السلطة التصرف بشكل طبيعي، وذلك عندما صعدوا إلى الباص وطلبوا من الركاب إبراز هوياتهم، وأحس الأخ القائد بأن الأمور التي تجري ليست اعتيادية، وعرف أنه المقصود من عملية إبراز الهويات هذه، ولما اقترب منه اثنان من عناصر السلطة في محاولة لاعتقاله شهر مسدسه وبسرعته المعهودة أرداهما قتيلين، وحتى لا يتسبب لركاب الباص بأي أذى نزل من الباب الخلفي للباص وانتزع مسمار الأمان لقنبلة يدوية وبدأ بالجري معاكسًا لاتجاه الباص وهو يتبادل إطلاق النار مع الأعداد الكبيرة من عناصر المخابرات المتمركزين على جانبي الطريق، وقد أصيب الأخ القائد بعدد كبير من الطلقات مما أدى إلى تراخي قواه وانفجار القنبلة التي معه، وصعدت الروح الطاهرة إلى بارئها، وكان ذلك في يوم الأحد، بعد حياة أمضاها جهادًا في سبيل الله.

طار صواب المجرم حافظ أسد عند سماعه نبأ استشهاد الأخ القائد، ولم يصدق أن عناصره المجرمة قد تمكنت من قتل الأخ الشهيد، وأوعز إلى وكالة أنبائه بتوزيع الخبر على وكالات الأنباء العالمية، وأذيع النبأ من عدة إذاعات، لندن، مونت كارلو، إسرائيل، إلا أن إذاعة السلطة لم تذع النبأ واكتفت السلطة بنشره في الصحف.

إن عدم إذاعة النبأ في الراديو إنما يدل على خوف السلطة من ردة فعل الشعب التي سيقوم بها عندما يعلم أن قائد مجاهديه قد استشهد على يدي زبانية السلطة، ولكن الشعب علم بالأمر وعم السخط والغضب على النظام المتسلط في سورية،

وبدأ المواطنون يعزون بعضهم البعض، وهم يتعاهدون على الثأر من السلطة الحاقدة ونظام حكمها الإرهابي.

أمام هذا الغليان عملت السلطة على بث الشائعات التي تنفي استشهاد الأخ القائد، وجاء أحد مسؤولي السلطة إلى أهل الأخ عبد الستار، وطلب منهم إيقاف التعازي مدعيًا بأن الأخ عبد الستار لم يستشهد.

ولم تنطل الخدعة على أهل البطل الشهيد، واستمرت أفواج الناس بتقديم العزاء مدة ثلاثة أيام متحدين إرهاب السلطة وبطشها.

معرفتي بالأخ القائد عبد الستار الزعيم:

أما أنا فقد سمعت بالنبأ الحزين، ولكنني ذهبت في اليوم التالي لاستشهاده إلى مكان اللقاء في الوقت المحدد فلم يحضر الأخ القائد، حينها تأكد لي استشهاده فأصبت لفقده بصدمة عنيفة، وعادت بي الذاكرة إلى عدة سنوات مضت منذ تعرفت على الأخ عبد الستار في أحد نوادي دمشق الرياضية، وهناك توثقت علاقتنا بعد معرفته لي بأني شاب متدين، ولقد كنا نسير كل يوم بعد انتهاء التمرين فترة من الزمن نتحدث فيها عن أوضاع المسلمين ومعاناتهم مع السلطة الطائفية الإجرامية، وكم اعتصر الأسى قلبه لما يراه من أوضاع المسلمين التي يعيشونها وكان يردد دائمًا:

(يا أخي الكريم! إن هذه السلطة الفاجرة تجاوزت كل الأعراف بتسلطها وبطشها بالمسلمين، فهي تعتقل أي إنسان وتعذبه وتقتله، دون أن يتمكن أحد من تأديبها، وذلك منذ ما يسمى بثورة آذار وحتى الآن).

وفي إحدى المرات بينما كنت أقوم بزيارة للشيخ مروان رحمه الله في أحد

البيوت بمنطقة البرامكة؛ دخل الأخ عبد الستار، فوجدني جالسًا مع الشيخ، فضحك، وقال: أنت هنا!

ومنذ هذا التاريخ أخذت العلاقات فيما بيننا تأخذ منحى جديدًا، وصار بعد خروجنا من النادي يحدثني عن تاريخ «الإخوان المسلمين» وعن جهاد الشيخ مروان وإخوانه في حماة منذ ١٩٦٤م، مبينًا مخططات السلطة المبيتة للمسلمين في سوريا.

وفي وقت لاحق علمت الكثير عن هذا القائد البطل.

لقد اشترك في معارك حماة عام ١٩٦٤م وكان عمره ستة عشر عامًا، ونظرًا لجرأته الكبيرة وشجاعته النادرة وذكائه الوهاج، فقد قربه الشيخ المجاهد مروان حديد إليه، فأصبح من أخلص طلابه، وكان الأخ عبد الستار قد درس في مصر لمدة خمس سنوات، تخرج بعدها طبيبًا للأسنان، وأثناء دراسته التحق بصفوف الفدائيين الفلسطينيين هو وعدد كبير من طلاب الشيخ مروان، فكان يوزع وقته بين معسكرات الفدائيين وبين دراسته في مصر، واستمر في صفوف الفدائيين، وقد رفض الأخ عبد الستار وإخوانه الدخول في الحرب بين الإخوة: الجيش الأردني والفدائيين.

لقد كان الأخ عبد الستار أحد الأركان التي اعتمد عليها الشيخ مروان في بناء التنظيم المسلح، وبعد اعتقال الشيخ مروان عام ١٩٧٥م التقيت بالأخ عبد الستار قبل سفره إلى حماة لإعادة بناء التنظيم، فقال لي: (يا أخي تذكر هذه الآية دائمًا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]).

أثر الأخ القائد عبد الستار الزعيم في التنظيم المسلح:

يعتبر الأخ القائد عبد الستار الزعيم المؤسس الثاني للتنظيم الجهادي المسلح في سوريا بعد القائد الشهيد مروان حديد.

لقد عمل الأخ القائد عبد الستار الزعيم على إرساء دعائم التنظيم وإعطائه الصفة العسكرية المنضبطة، وكان يتحرك على أرضية التعريف الواسعة التي أنشأها الشيخ مروان رحمه الله، وفي عهده أزيلت الفوضى كما تم إخراج جميع العناصر غير الفاعلة في التنظيم.

لقد كان الأخ عبد الستار قائدًا فذًّا اتصف بوضوح الرؤية، كما أنه كان واعيًا للأوضاع السياسية التي تعيشها المنطقة، مدركًا لكل مخططات السلطة ومراحل تنفيذها، لذلك لم يكن ليضيع فرصة دون الاستفادة منها لصالح التنظيم، وأيقن- بعبقريته الرائعة- أن مواجهة النظام الطائفي في سوريا؛ المدعوم من قوى الشر والطغيان في العالم، لا يتم إلا من خلال التنظيمات السرية المسلحة التي تستعصي على الطغاة، وقد أثبتت مجريات الأحداث فيما بعد عمق هذه النظرة وشموليتها فما حدث في حماة بعد ثلاث سنين من استشهاده، كان الدليل الأكبر على خطأ الرأي القائل بإمكانية الصدام المباشر مع السلطة في معركة مكشوفة، وقد أثبت الاجتياح اليهودي للبنان عام ١٩٨٢م بالاشتراك مع النظام السوري المتواطئ؛ الذي عمل بشكل مكشوف على تصفية الثورة الفلسطينية، أثبت أيضًا صعوبة التحرك العسكري بشكل مكشوف.

لقد نزع الطاغية أسد كل الأقنعة عن وجهه بعد ما سمحت له أمريكا بذبح نصف الشعب السوري إذا تطلب الأمر ذلك، وبالتالي نجد أنه لا مناص أمامنا من الاستمرار بطريقتنا السابقة التي وضع أساسها القائد الشهيد عبد الستار الزعيم.

الحوادث التي أعقبت استشهاد القائد البطل عبد الستار الزعيم:

اعتقدت السلطة بعد استشهاد الأخ القائد عبد الستار الزعيم أنها تمكنت من شل التنظيم المسلح، كما ظنت أنها تمكنت من إرباك قياداته، وذلك لاعتقادها أن الأخ القائد هو الذي يشرف على تخطيط وتنفيذ العمليات في سوريا، ناسية أن الأخ عبد الستار قد خرَّج جيلًا قياديًّا كاملًا يستطيع أن يتابع الطريق بنفس القوة التي بدأها القائد الشهيد، لذلك لم يكن لاستشهاده رحمه الله أي تأثير على التنفيذ.

ولكن التأثير الذي تركه استشهاد القائد عبد الستار الزعيم كان ينحصر في نطاق التنسيق بين المحافظات؛ إذ أن معظم الإخوة القياديين في دمشق وحماة وحلب كانوا من المطلوبين الذين وضعت السلطة جوائز مالية كبيرة لمن يدلي بمعلومات تؤدي للوصول إليهم، كما شددت السلطة من إجراءاتها الأمنية على الطرق بين المحافظات، وقامت بنشر عدد كبير من الحواجز التي كانت تفتش المسافرين تفتيشًا دقيقًا، ولهذه الأسباب لم يعد بالإمكان التنقل بين المحافظات بالنسبة للإخوة القياديين، فصار الاتصال يتم عن طريق المراسلين، وهذا ما أثَّر كثيرًا على خطة التنظيم للمرحلة القادمة فقد ظهر التباين واضحًا بين المحافظات، وهذا ما سيرد تفصيله إن شاء الله.

بعد التأكد من نبأ استشهاد القائد عبد الستار الزعيم دعا الأخ يوسف عبيد أمير التنظيم في دمشق اللجنة العسكرية للاجتماع؛ ليتم بحث الموقف من كافة جوانبه، وبعد الاجتماع قررت اللجنة الاستمرار على نفس الطريق الذي رسمه القائد الشهيد عبد الستار، مع تغيير طفيف يتناسب مع المرحلة الجديدة، كما قررت اللجنة تنفيذ عدة عمليات في دمشق انتقامًا للقائد الشهيد وذلك بالاتفاق مع قيادة حماة وحلب.

المجرم جميل ندة:

قامت إحدى مجموعاتنا بنصب كمين للعقيد الركن جميل ندة أمام منزله بمنطقة المنصور في حي الميدان، ولدى خروجه من منزله أطلق المجاهدون عليه النار حيث أصيب برأسه عدة إصابات مباشرة سقط على إثرها صريعًا، بينما تمكن الإخوة من الانسحاب سالمين.

تمت هذه العملية في تمام الساعة السابعة صباحًا، ومن الجدير بالذكر أن المجرم النصيري المذكور يشغل منصب رئيس تخريج دورات الأركان.

المجرم خضر إبراهيم:

بعد مضي أربعة أيام وقبل أن تتمكن السلطة من التقاط أنفاسها قام إخواننا المجاهدون بنصب كمين للعقيد خضر إبراهيم، في منطقة الفحامة بالقرب من جامع زيد بن ثابت الأنصاري، وأطلقوا النار عليه بينما كان يستقل سيارته الـ (فوكس فاكن) حيث أصيب بجروح بالغة أدت إلى شلله، والمجرم النصيري يعمل في جهاز المخابرات قسم الترجمة، ويشغل عدة مناصب أخرى.

كذلك قام الإخوة خلال هذه المرحلة من الزمن في مدينة حماة بقتل اثنين من المسؤولين النصيريين، وفي حلب نفذ الإخوة المجاهدون عدة عمليات ناجحة انتقامية من السلطة الإجرامية.

أشاعت السلطة أن هذه العمليات هي من تخطيط القائد عبد الستار رحمه الله، وأنه لم يعد بمقدور القيادات الجديدة أن تستمر بتنفيذ العمليات الناجحة، وعملت على تكثيف دورياتها في الشوارع أملًا منها في الوصول إلى بعض الإخوة المجاهدين، وتحسبًا من وقوع مزيد من العمليات.

وقامت عناصر المخابرات بتفتيش المارة في الطريق، وفي أحد الأيام وكان يوم الجمعة توقفت سيارة من نوع (بيجو) في منطقة شارع بغداد، وترجل منها عدد من العناصر واتجهوا نحو الأخ يوسف عبيد الذي كان مارًّا من هناك، وعلى الفور بادرهم الأخ يوسف بإطلاق النار حيث أصابهم بجروح مختلفة، ثم قفز من فوق سور مقبرة الدحداح وتمكن من الانسحاب بسرعة.

توافق مع هذا الحادث مرورُ موكب العميد المجرم إبراهيم الصافي قائد الفرقة الأولى، وظن عناصر حراسته أنها محاولة لاغتياله، فبدأوا بإطلاق النار بشكل عشوائي مما أدى إلى إصابة عدد من المارة بجراح مختلفة.

وكانت القيادة قد قررت القيام بعملية ضد السلطة إلا أن الاستنفار الشديد الذي حصل وقلة عدد الناس بالطرقات بسبب انهمار المطر، أدى إلى إلغاء العملية.

وفي المساء، وبعد أن عدت من منطقة المزة، بينما أنا سائر في منطقة البحصة استوقفتني إحدى الدوريات التي كانت تفتش المارة، وعند اقتراب سيارة (البيجو ٣٠٤) مني أظهرت عدم المبالاة حتى توقفت بجانبي تمامًا، وترجل عنصر من بابها الخلفي وهو يحمل مسدسه، فالتفت إليه بحركة سريعة وأودعت صدره أربع رصاصات، ثم توجهت إلى الاثنين الذين كانا داخل السيارة وصوبت المسدس نحوهما فكان نصيب الأول رصاصتين والثاني ثلاث رصاصات، وذلك قبل أن يتمكنوا من القيام بأي حركة، وأثناء انسحابي قام أحد عناصر الحرس التابعين لمخفر شرطة المرجة الجديد بإطلاق النار من بارودته الروسية تجاهي إلا أنه أخطأ في التصويب، وقمت أنا بإبدال المخزن فما كان من المجرم إلا أن ولى الأدبار، فتابعت انسحابي بسلام، والحمد لله، تم كل ذلك خلال ثلاث دقائق فقط.

بعد ذلك طوقت المنطقة أعداد كبيرة من زبانية النظام وبدأت بتفتيش المارة، وكان هذا الاشتباك الثاني في هذا اليوم.

نتائج الاشتباكين:

طمعت السلطة الطائفية بعد هذين الاشتباكين بالوصول إلى الإخوة المجاهدين عن طريق الدوريات المتواجدة في الشوارع، فعملت على زيادة عدد الدوريات السيارة والراجلة، وبذلك ازدادت معاناة المواطنين سوءًا فوق سوء، فقررت قيادة المجاهدين إعطاء الدرس المناسب لعناصر المخابرات وضباطهم المأجورين، حتى يعلموا أن يد الله تعالى التي ترعى المجاهدين قادرة على أن تنالهم ولو كانوا في حصونهم المتحركة، ولم يكن بد من توجيه تحذير إلى العناصر المضَلَّلَة حتى تتوقف عن طاعة المجرمين الحاقدين.

لقد ألقينا في عمليات سابقة أعدادًا كبيرة من القصاصات الورقية التي تطلب من عناصر المخابرات الابتعاد عن الإخوة المجاهدين حفاظًا على أنفسهم، وتم إبلاغهم عن حقيقة معركتنا، وأنها مع المجرم حافظ أسد ورؤوس نظامه العميل، ولم تكن، ولن تكون، مع هؤلاء المرتزقة الأوباش، كما تم تحذيرهم بأنه في حال استمرارهم في تنفيذ أوامر السلطة المجرمة فإنهم شركاء لها، ولذلك فإن أي عنصر منهم يتحمل المسؤولية في اختياره لصف المجرمين، ولم يؤخذ هذا الأمر على محمل الجد، مما حدا بنا إلى تلقينهم الدرس القاسي بتنفيذ أكبر عملية تمت في دمشق حتى هذا التاريخ.

عملية سوق مدحت باشا:

بعد استطلاع دقيق لمنطقة سوق مدحت باشا؛ شوهدت في الشارع سيارتان من نوع (شفرليه) تقومان بأعمال الدورية في هذا السوق الضيق

المكتظ بالمارة، فقررت قيادة التنظيم في دمشق مهاجمة هاتين الدوريتين، وتم تكليفي بتنفيذ هذه العملية وتحمل مسؤولياتها، كانت كل سيارة منهما تقل (١٢) عنصرًا متوتري الأعصاب، فوهات بنادقهم موجهة إلى صدور المواطنين، عيونهم تحملق في المارة، أيديهم على الزناد، والمسافة بين السيارتين تعادل ثلاثة أمتار، وبما أن العملية هي الأولى من نوعها على هذه الشاكلة؛ أصدرت القيادة أمرًا إلى كافة الإخوة مطلوبين أم غير مطلوبين بعدم التواجد في مركز المدينة يوم تنفيذ العملية، تحسبًا من حدوث اعتقالات عشوائية، وحتى لا نتعرض لإشكالات نحن في غنى عنها.

قررت القيادة أيضًا حصر الإخوة المنفذين بثلاثة إخوة حتى لا يحصل أي خطأ أثناء التنفيذ، وفي الساعة الثانية عشرة والربع من يوم التنفيذ نزلنا إلى ساحة العملية، وتوزعنا على مسافة (٢٠ مترًا) بالقرب من دخلة فرعية.

كنت أقف في الوسط، والأخ رياض حموليلا عن يساري، والأخ عصام حلاق عن يميني، وكنا على بعد (مئة متر) داخل السوق المغطى، وبعد انتظار دام عشرين دقيقة أقبلت السيارتان وهما ممتلئتان بالعناصر، ولما دخلتا السوق لم تعد رؤيتهما دقيقة بسبب انتقالهما من النور إلى الظل ولم نميزهما تمامًا حتى اقتربتا بشكل كبير، عندها كانت السيارة الأولى قد أصبحت أمامي فرفعت الرشاش الذي معي وهو من نوع (استن) عيار (٩ ملم) إلى واجهة السيارة، ومن بعد يقدر بخمسة عشر سنتيمترًا أطلقت الرصاص على ثلاث دفعات فأصيب معظم العناصر داخل السيارة، وفي نفس الوقت كان الأخ رياض قد فتح نيران رشاشه على السيارة الثانية فأدى إلى إصابة عدد كبير منهم، بعد ذلك انسحبت إلى الدخلة الفرعية وتبعني الأخ رياض، وبعد ابتعادنا قليلًا عن مكان الحادث

وضـع الأخ عصـام حـلاق قنبلـة دفاعيـة داخـل السـيارة الأولى، وما هـي إلا ثوان حتـى انفجـرت القنبلة وقتـل كل من في السـيارة.

أما السيارة الثانية فقد نزل منها ثلاثة عناصر وبدأوا بإطلاق النار على سقف السوق، ظنًا منهم بأن الهجوم قد أتاهم من الأعلى، وكذلك قاموا بإطلاق النار على المواطنين الذين أصيب بعضهم إصابات مختلفة.

لقد كان التنفيذ والانسحاب خاطفين، وسمع آلاف الناس صوت إطلاق الرصاص، وما هي إلا لحظات قليلة حتى شرعت عناصر المخابرات المتواجدة في المنطقة بكثافة بتطويق المنطقة وقطع الطرق المؤدية إليها، وقد تمكنا بعون الله من الانسحاب عبر بعض الثغرات الموجودة داخل الطوق، وخلال مدة قصيرة ابتعدنا عن المنطقة مسافة ٧ كم، واستمرت عناصر المخابرات في إطلاق النار بشكل عشوائي وكثيف مما اضطر أصحاب المحلات التجارية إلى إغلاق أبواب محلاتهم، وبخاصة في منطقة الحريقة، وسوق مدحت باشا، وسوق الحميدية، تحسبًا من أعمال انتقامية تقوم بها السلطة ضدهم، وحدثت على إثر هذه الفوضى اختناقات سير واسعة، مما أدى إلى تأخير سيارات الإسعاف مدة نصف ساعة، ونشير هنا إلى أنه قد قتل ستة عشر عنصرًا في هذه العملية فورًا، بينهم عدد من المساعدين الأولين والرقباء، بينما جرح الباقون جراحات مختلفة.

هذا وقد نزل معظم ضباط الأمن إلى مكان الحادث وقاموا بإطلاق النار على كل مشتبه به، فقتل مواطن أمام القصر العدلي، وعدد آخر من المواطنين في منطقة المجتهد، ولم تفلح جهود السلطة في إحراز أي نجاح لتطويق الإخوة، وكان مظهر دمشق بعد هذه العملية وكأنه منع فيها التجول.

استاءت السلطة من هذه العملية الجريئة، وجمع حافظ أسد ضباط مخابراته وقرعهم تقريعًا شديدًا، مذكرًا إياهم بوعودهم التي ادعوا فيها قدرتهم على القضاء على المجاهدين وأن هذه الوعود كانت كذبًا ومباهاة، وهددهم إن لم يتمكنوا من القضاء على الإخوة المجاهدين خلال مهلة زمنية محددة فإنه سيستغني عنهم ويستبدلهم بغيرهم، فسارعت أجهزة المخابرات لاستنفار عناصرها بشكل كثيف لم تشهد العاصمة دمشق مثله إلا في آذار ١٩٨٠م، وفي اليوم التالي للعملية نزلت إلى قلب المدينة، فوجدت سيارات النجدة والمخابرات وعددًا كبيرًا من سيارات الإسعاف وهي تقف على مفترق الطرق انتظارًا لوقوع المزيد من العمليات.

توزيع المنشور الأول:

وأمام هذه المعطيات قررت قيادة المجاهدين التوقف عن التنفيذ مدة عشرة أيام، قرر فيها توزيع المنشور الأول الذي أعلن فيه لأول مرة اسم «الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين»، بديلًا عن جماعة مروان حديد.

ووزع المنشور وقت صلاة الجمعة في عدد كبير من مساجد دمشق، وكذلك وزع في بقية المدن السورية في وقت واحد، وقد وضعت أعداد كبيرة من المنشورات داخل ظروف مختومة في صناديق البريد، وفي شقوق الأبواب وعلى مساحات السيارات، واشترك عدد كبير من الإخوة المجاهدين في تنفيذ هذه العملية.

تركت عملية توزيع المنشورات السلطة مذهولة تمامًا، فقبل أن تتمكن من التوجه إلى أماكن التوزيع كانت أخبار المنشور قد عمت أرجاء المدينة.

لقد بين المنشور جرائم حافظ أسد وتاريخه الملطخ بالمخازي، وأعلن عن مسؤولية الإخوة المجاهدين عن كافة العمليات التي حصلت في سورية، كما ذكرت

في المنشور أسماء طائفة من الإخوة الشهداء الذين أعدموا مؤخرًا في حلب، منهم الأخ القائد الشهيد حسني عابو، وأخيرًا توجه المنشور بالشكر إلى الإخوة المواطنين على تقديمهم العون للمجاهدين، موصيًا إياهم بالحذر الشديد من مخبري السلطة، كما أظهر المنشور نوايا الطائفة النصيرية وما تبيته للمسلمين، طالبًا من المواطنين الإقبال على شراء السلاح للدفاع عن أنفسهم في حال قيام السلطة بمجازر ضد السكان، كما طالب الإخوة المواطنين بالصبر والثبات؛ لأن المعركة شاقة وطويلة ونحن لم نزل في مراحلها الأولى.

ارتبكت السلطة من توزيع هذا المنشور فقد تعرف الشعب على أبنائه المجاهدين، وعرف مطالبهم وفهم رؤيتهم، وتبين له كذب حافظ أسد ونظامه العميل.

كان هذا المنشور نقطة تحول هامة انعكست آثاره على المراحل المقبلة، وهذا ما سيرد تفصيله فيما بعد، بإذن الله تعالى.

المجرم حسان كركورة:

إن عمليات الاغتيال التي حصلت في المرحلة السابقة كانت ضمن إطار أساسي وخط ثابت، وهو أن لا نقتل إلا المسؤولين النصيريين الذين يهيمنون على السلطة الحقيقية في البلاد، لذلك وجد كثير من المخبرين المجرمين من أجراء السلطة الإجرامية؛ من غير النصيريين مرتعًا خصبًا لممارسة أعمالهم الدنيئة، فعملوا على إيذاء الكثير من المواطنين بوسائلهم الخسيسة، فدخلت السجون أعداد كبيرة من الأبرياء، ولهذا كان لا بد من عمل يوقف هؤلاء المجرمين أو يحد من نشاطهم؛ بقتل عدد من رؤوسهم، حتى يثوب الباقون إلى رشدهم ويكفوا عن إيذاء المواطنين.

وعلى هذا فقد صدرت الأوامر إلى الإخوة المجاهدين بالاقتصاص من المجرم

الدكتور حسان كركورة، وهو طبيب أسنان يعمل مدرسًا في جامعة دمشق، كما أنه يرأس شبكة المخبرين في حي الشيخ محي الدين، عرف هذا المجرم بولائه الأعمى لنظام المجرم حافظ أسد، واشتهر بأخذ الرشاوى من المواطنين للتوسط لهم لدى شركائه من ضباط المخابرات لرؤية أبنائهم المعتقلين، كما ساهم في اعتقال عدد كبير من الإخوة المجاهدين.

وما أن صدر قرار التنفيذ بحق هذا المجرم الحقير حتى تحركت إحدى مجموعاتنا نحو عيادته، وفي الساعة التاسعة مساءً أودع الأخ أحمد زين العابدين عدة رصاصات في رأس هذا المجرم، مما أدى إلى قتله في الحال، وانسحب الإخوة بسلام.

بعد مضي وقت قصير كانت المنطقة مطوقة بأعداد كبيرة من عناصر المخابرات، ونصبت الحواجز في شوارع دمشق، واتخذت إجراءات أمنية مشددة، إلا أن كل ذلك لم ينفع السلطة شيئًا.

عبوة ناسفة في مركز للشبيبة:

بعد حوالي خمسة أيام من العملية السابقة قام مجاهدونا بتنفيذ العملية التالية:

وهي إلقاء عبوة ناسفة داخل مركز الشبيبة في منطقة باب السريجة، أسفرت عن قتل اثنين وجرح عدد آخر من العناصر، بينما أصيب البناء بتخريب كبير من الداخل، وعاد إخوتنا إلى قواعدهم سالمين، وكان الأخ الشهيد: عبد الناصر قباني أحد المشاركين في تنفيذ هذه العملية.

بعد هاتين العمليتين السابقتي الذكر بدا وكأن السلطة مسرورة لتحولنا عن العناصر النصيرية، وتمنت استمرارنا بهذا الاتجاه حتى تتسع الدائرة علينا، مما يؤدي إلى إضعافنا من غير أن يصاب النصيريون بسوء، لكن قيادة التنظيم لم

تكـن غافلة عن هـذا الأمر ولم تكـن لتقرر اغتيال غـير عناصر النظـام النصيريين إلا مـن أجل الـضرورة وعلى سـبيل التأديب، لهـذا كان قـرار القيادة بالعـودة من جديد لاغتيـال رؤوس الإجـرام في مـن أزلام نظـام أسـد من الطائفـة النصيرية.

المجرم عدنان غانم:

وتحركت مجموعة من الإخوة المجاهدين بإمرة الأخ الشهيد: عبد الناصر عباسي وقامت بقتل المجرم عدنان غانم داخل الجامعة.

والمجرم الدكتور عدنان غانم من طائفة الطاغية أسد وأحد أعمدة النظام وزبانيته، يعمل مدرسًا في كلية العلوم، وقد قتل بعد أن أطلق الأخ عبد الناصر عباسي على هذا المجرم خمس رصاصات استقرت في رأسه، وتمكن من الانسحاب بشكل هادئ، وعاد الإخوة المجاهدون جميعًا إلى قواعدهم سالمين، دون أن يتمكن الحرس الجامعي من القيام بأي حركة كانت.

أصاب الذهول أجهزة السلطة الإجرامية من هذه العملية الجريئة التي كانت مفاجأة تامة من حيث نوعية الهدف ومكان التنفيذ، قام على إثرها الطلبة النصيريون داخل الجامعة بمهاجمة كلية الشريعة وهم يرددون عبارات الكفر والإلحاد، ويطالبون بإغلاق هذه الكلية، وكادت أن تحدث اشتباكات بين الطرفين لولا تدخل رجال الشرطة.

إن هذا العمل قد بيَّن الحقيقة القبيحة لزبانية النظام، كما بيَّن حقدهم السافر على المسلمين، وأكد أن حربهم ليست مع مجاهدي «الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين» فقط، وإنما مع كل المسلمين في سوريا.

المجرم أنطون بركات معوض:

لقد جعلت عملية اغتيال المجرم عدنان غانم المسؤولين النصيريين يزيدون من إجراءاتهم الأمنية المشددة، فكان لا بد من الابتعاد عن محورهم مدة من الزمن، وكان المجرم الذي قررت القيادة تنفيذ حكم الله فيه هو أنطون بركات معوض.

كان هذا المجرم (وهو نصراني من الساحل) موظفًا في القصر الجمهوري، وهو من مسؤولي حزب السلطة الإجرامية، وكان منزله في نفس البناء الذي يضم مركز الحزب التابع لحي الميدان، وقد ساهم مع ابنه في إرشاد عناصر المخابرات إلى اتجاه انسحاب الأخوين الشهيدين مأمون إدلبي ومحمد ريم الباشا الذين استشهدا في منطقة مساكن الزاهرة، فمنح على إثرها جائزة مالية قدرها ١٠٠ ألف ل.س بالإضافة إلى منزل فخم في منطقة المزة، وصار يتباهى أمام الناس بفعلته الخسيسة هذه ظنًّا منه- تصديقًا لما ادعته السلطة: أن المجاهدين قد قضي عليهم- ولكن بعد أن استمرت عمليات الاغتيال والتفجير شعر المجرم بأن وضعه أصبح خطيرًا، وأن معظم سكان الحي المسلمين يتحدثون عنه متسائلين: لماذا لا يقوم المجاهدون بقتل هذا المجرم؟

وهنا أصبح هذا المجرم يتبع الأساليب المختلفة في تنقلاته، فمرة يركب سيارة أجرة وثانية في الباص، وأخرى دراجة نارية، ولم تكن أعين المجاهدين غافلة عنه وعن تصرفاته، بل كانت تلاحقه دون أن يشعر بها، وقد فضلت القيادة قتله أمام حشد من الناس؛ ليعرف أمثاله مصيرهم المنتظر، ونفذ العملية الأخ أحمد زين العابدين، حين أودع رأس هذا المجرم طلقة واحدة في باص الميدان بمنطقة الشويكة، وكان الأخ عصام حلاق عنصرًا للحماية في هذه العملية، وتمكن الأخوان من الانسحاب بكل سهولة ويسر.

لقـد كان لهـذه العمليـة الأثر الكبير عـلى كيان المخبريـن، فقد عرفـوا أن قيادة المجاهديـن لـن تغفل عن المجرمـين مهما اسـتطالت الأيام.

رأي الخبراء الأجانب:

إن نجاح العمليات القتالية التي قام بها المجاهدون ضد السلطة الطائفية وعملائها المأجورين أظهر العجز الكبير الذي وقعت به السلطة، مما أدى إلى فقدان الثقة بفاعلية إجراءاتها، فقامت باستدعاء عدد من الخبراء الأمريكيين المتخصصين في مكافحة حرب العصابات، وأطلعتهم على العمليات التي حصلت وأماكن حدوثها، فطرح الخبراء الأجانب سؤالين اثنين على مجرمي السلطة، وهما:

١- هل نفذت هذه العمليات بالليل أم بالنهار؟

وكان الجواب أنها حصلت في وضح النهار.

٢- هل نفذت هذه العمليات بأماكن مأهولة بالسكان أم لا؟

وكان الجواب أنها حصلت في أماكن مليئة بالسكان.

وبعد دراسة وتمحيص وضعت اللجنة تقريرها الذي قدمته للمجرم حافظ أسد، واعتبر هذا التقرير أن المجاهدين يملكون شيئين هامين:

الأول: صفة الشجاعة والجرأة في التنفيذ.

الثاني: تعاطف الشعب معهم.

ولهذا فيجب على النظام اتخاذ إجراءات متكافئة لمواجهة الأمور الحاصلة.

وللحالة الأولى يجب نشر عدد كبير من عناصر المخابرات في الشوارع والأماكن التي يحتمل أن تنفذ فيها العمليات.

وللحالة الثانية تقوم السلطة بصب ألوان الأذى والإرهاب على المواطنين بعد كل عملية، حتى يتخوف المواطنون من نتائج عمليات المجاهدين.

وبدأت السلطة بتطبيق هذه المشورات، فنشرت أعدادًا كبيرةً من عناصر المخابرات، ودفعت بالشرطة العسكرية وشرطة النجدة إلى الشوارع، وأبلغ عناصر هذين الفرعين بأن مهمتهم أصبحت أمنية، وبالضبط ضد جماعة «الإخوان المسلمين»، وصدرت الأوامر الصريحة بإطلاق النار على كل من يشتبه به من المواطنين.

الهجوم على دورية تابعة لشرطة النجدة:

في السابق كنا نحاول إيجاد الأعذار لعناصر شرطة النجدة وعناصر الشرطة العسكرية، وكنا نقول بأنهم مأمورين، ولكن فسرت الأمور بشكل خاطئ، فالحلم فسر بالضعف، والصبر بالجبن، واتضحت الأمور بشكل أدق حين بدأت عناصر النجدة بمحاولات لقتل الإخوة المجاهدين في عدة حوادث دون أن يتمكنوا منهم، وكان الإخوة حريصين على عدم إصابتهم، ولكن استمرار هذه العناصر في غيها دعا الإخوة المجاهدين في قيادة التنظيم إلى تأديبهم.

وضمن هذا الإطار تحرك اثنان من مجاهدينا الأبطال إلى منطقة الفحامة لمهاجمة دورية ثابتة تابعة لشرطة النجدة، وحين اتجه الأخ المنفذ نحو سيارة الشرطة شاهرًا رشاشه وجد ثلاثة عناصر من المخابرات يحملون المسدسات، وكانوا عبارة عن دورية راجلة، ولم يتردد الأخ في إطلاق النار عليهم، كما تمكن من إطلاق النار على دورية النجدة فأصابهم جميعًا ولله الحمد، وهنا حاول أحد عناصر المخابرات الذي كان يتخفى بزي بائع للخضار أن يطلق النار من بارودة روسية على الإخوة

المجاهدين، فرمى أحد الإخوة المجاهدين قنبلة يدوية فوق رأسه فكان انفجارها أسرع من بارودة ذلك المجرم، وسقط على الأرض قتيلًا لما جنت نفسه.

وتمكن الإخوة المجاهدون من العودة إلى قواعدهم سالمين، بعد أن تركوا في ساحة العملية قصاصات ورقية تحذر عناصر الشرطة من الانصياع لأوامر الضباط النصيريين، وتبين لهم أن حربنا ليست معهم وإنما مع رؤوس النظام الطائفي المجرم، وتدعوهم إلى الابتعاد عن المجاهدين، وإلا فإن مصيرهم لن يكون أفضل من مصير عناصر المخابرات، وقد تفهم عدد كبير من عناصر الشرطة هذا الأمر الموجه إليهم.

وحاول الرائد المجرم غسان مردكوش أن يستغل هذه الحادثة أبشع استغلال، فجمع عناصر الشرطة وألقى فيهم خطابًا هستيريًّا كما يفعل حافظ أسد جاء فيه:

(إنكم مستهدفون من قبل جماعة «الإخوان المسلمين»، فدافعوا عن أنفسكم).

وفي اليوم التالي انتشرت عناصر شرطة النجدة على كافة محاور المدينة، في محاولة هزلية لجرنا إلى معركة لم نخطط لها ولا نريدها أن تحصل، وبدا واضحًا على وجوه عناصر الشرطة أنهم مكرهون على هذا العمل، وهم في حقيقة أمرهم لا يريدون التورط في حرب مع المجاهدين يعلمون نتيجتها سلفًا.

الهجوم على دورية راجلة:

بعد هذه العملية قررت قيادة المجاهدين مهاجمة دورية راجلة في سوق الصوف، ونفذ العملية الأخ جمال طعمينا مع مجاهد آخر، وتمكنا من الانسحاب بسلام.

دورية للإحصاء:

نريد أن نبين هنا أنه حتى هذه المرحلة لم تكن السلطة تعلم أي شيء عن قواعد

المجاهدين في دمشق، وكانت توقعاتها تتخبط في بحر من الظلام، وقامت بمحاولات عديدة للتعرف على قواعد المجاهدين، فدفعت بأعداد كبيرة من العناصر للقيام باستطلاع بيوت المواطنين علَّها تتعرف على شيء يدل على المجاهدين، وصنعت لذلك غطاءً مكشوفًا وهو أن عناصرها يقومون بمهمة الإحصاء الرسمية.

لقد وقعت السلطة في خطأ كبير حين أرسلت عناصرها داخل الأحياء الشعبية، مما جعلهم أهدافًا سهلة لتدريب العناصر الجديدة من المجاهدين.

وعلى هذا الأساس انطلقت مجموعة من المجاهدين إلى منطقة (السويقة، بريدي) حيث هاجمت دورية للإحصاء مؤلفة من مساعد أول ورقيبين، وعادت إلى قاعدتها بسلام.

شركة الطيران الروسية والمركز الثقافي الروسي:

في هذه المدة بالذات وصلت إلى قيادة المجاهدين معلومات؛ تؤكد أن أعدادًا كبيرة من الخبراء الروس المتخصصين في فنون الإرهاب والتعذيب قد وصلت إلى سوريا؛ لمساعدة النظام العميل في حربه ضد المسلمين في سورية، وللقضاء على طليعتهم الجهادية.

لقد أظهرت روسيا في كل المناسبات عداءها السافر للمسلمين، وها هي ترسل الخبراء ومعدات التعذيب الحديثة إلى نظام المجرم حافظ أسد، ولما تنته بعد من مجازرها ضد المسلمين في أفغانستان، وكان الغطاء المعلن لهذا الدعم المكشوف هو مساعدة النظام في صموده وتصديه للمخططات الصهيونية، وكأنها نسيت نفسها حين أعلنت اعترافها بإسرائيل في الأمم المتحدة.

لقد كان هذا العمل الذي أقدمت عليه روسيا واحدًا من الأعمال العدائية ضد

شعبنا المسلم في سورية، لهذا قررت «الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين» أن تعلن عن بدء المعركة ضد المصالح والأهداف الروسية في سوريا.

وتطبيقًا لهذا القرار قام الإخوة المجاهدون في حلب وحماة بتنفيذ عدة عمليات ضد الخبراء الروس، وضد أهداف روسية محددة.

وحاولت السلطة التكتم على هذه العمليات، وحتى يتم كسر الطوق الإعلامي قمنا بزرع عبوتين ناسفتين، الأولى في شركة الطيران الروسية، والثانية في المركز الثقافي الروسي بشارع ٢٩ أيار، وقد أسفر انفجار العبوة الناسفة في شركة الطيران إلى جرح أربعة من الموظفين فيها.

على إثر ذلك أخذت وكالات الأنباء بنقل أخبار هذه العملية وعمليات الإخوة المجاهدين في حماة وحلب، ووقعت السلطة في حالة من الحيرة والارتباك، فها هي تعمل من جديد لتأمين الحمايات اللازمة لهؤلاء المجرمين مما زاد من أعبائها ومتاعبها.

من جهة ثانية بدأت السلطة بحملة إعلامية كبيرة استخدمت فيها كبار الكذابين لديها؛ لتحريف الحقائق ولتزوير الوقائع، فادعت بأن المجاهدين الذين فجروا العبوات الناسفة وقتلوا الخبراء المجرمين هم عملاء أمريكا، وأنهم يريدون من وراء هذا العمل ضرب (الأصدقاء السوفييت)!

لو أراد المجرم حافظ أسد أن يحارب أمريكا- كما يدعي- لقام بعمل يسير، وهو إغلاق السفارة الأمريكية في دمشق، ولفعل أقل ما يمكن أن يحدث بين دولتين متحاربتين، ولكن العمالة الصريحة والوقاحة القبيحة جعلته يلصق ما لبسه من أثواب بالإخوة المجاهدين.

توزيع المنشور الثاني:

ولكي لا تبقى الحقائق مغطاة بدجل النظام القذر، قام المجاهدون في دمشق بتوزيع أعداد كبيرة من المنشورات في معظم مساجد دمشق وعلى البيوت والمحلات التجارية، كما وضعوا المنشورات على مسَّاحات السيارات.

وقرأ الشعب المسلم- المتعطش لمعرفة الحقيقة الصادقة- بيان الإخوة المجاهدين، فوجد فيه الحقيقة المشرقة التي تعجز عن الافتراء عليها كل أكاذيب الدجالين.

وكشف المنشور المزيد من المعلومات عن المجرم حافظ أسد، كما دعا الشعب إلى زيادة اليقظة والحذر والتنبه إلى عملاء السلطة، فالمعركة طويلة والطريق شاقة، ولا بد من الاستمرار فيها مهما كبرت التضحيات وعظمت الخسائر.

وقد تم توزيع هذا المنشور بتاريخ ٢٥/ ١/ ١٩٨٠.

دورية للمخابرات العسكرية:

كما اعتاد الشعب؛ قامت السلطة بتكثيف تواجدها في المساجد وفي الأحياء القديمة، وقامت باعتقال عدد كبير من المواطنين الأبرياء، مما استوجب القيام بعملية زجر لعناصر المخابرات الذين بلغت جرائمهم حدًّا لا يغتفر، لهذا قام إخوتنا المجاهدون في يوم ٣١/ ١/ ١٩٨٠م، بالقصاص من دورية للمخابرات تابعة لفرع كفر سوسة، وتمكنوا من قتل وجرح ثلاثة أفراد من عناصر الدورية، وعادوا إلى قواعدهم سالمين.

دخول الجيش إلى المدن السورية:

في هـذا الوقـت بـدأت الشـائعات- التـي بـدا فيها بعـد أنها صحيحـة- تتردد حـول عـزم السـلطة على إنـزال الجيـش إلى المـدن السـورية للقيـام بعملية تمشـيط واسـعة، بحثًـا عـن المجاهديـن وعن مخابئ السـلاح لديهـم، ولأجل هـذه العملية حشـدت السـلطة أعـدادًا كبـيرة مـن قـوات الجيـش حـول مدينتي حلـب وحماة، تمهيـدًا لاسـتخدامها في ضرب هاتين المدينتين، لقد أراد المجرم حافظ أسـد أن يجند أبنـاء سـورية لقتل شـعبها وتشريـد أهلهـا، وكان يعمل ضمن هذا الهدف لإشـباع حقـده الطائفـي الدفـين، فحول الجيـش الذي يجب عليـه أن يحمي ثغـور البلاد إلى أداة بيـده لقمـع الـروح الإسـلامية في المجتمع السـوري، ولمنـع أي معارضة لنظام حكمه المشـؤوم.

إن حافظ أسد ليس عدوًّا للشعب السوري فحسب، وإنما هو عدو لكل المسلمين أينما كانوا، ومن هذه النظرة الشاملة نستطيع أن نفهم تصرفات هذا المجرم في لبنان، فهو يقوم بذبح المسلمين هناك بينما يقدم الدعم بشكل علني سافر إلى الدروز، ويضع يده بأيدي الموارنة الحاقدين.

لقد أعطاه الغرب الصليبي إشارة الضوء الأخضر ليقوم بأعماله الإجرامية ضد المسلمين، وها هو يذبح تل الزعتر ويقصف مخيمي نهر البارد والبداوي، ويسلط مدافعه وراجماته وصواريخه نحو مدينة طرابلس، كل ذلك حتى لا يرتفع رأس بهذه المنطقة يهتف بـ: لا إله إلا الله.

إن الجيش السوري قد تحول إلى أداة قمع وإرهاب بدلًا من كونه مدافعًا عن حمى الأوطان، وإن محاولات النظام المستمرة لافتعال المعارك المحدودة مع إسرائيل

والمهيأة نتائجها سلفًا، إن هذه المعارك التي تحدث بتخطيط أمريكي مع تواطؤ صليبي كبير إنما يراد بها:

١- تقوية الطائفة النصيرية على حساب المسلمين.

٢- الظهور بمظهر القائد المتفرد، والفارس المقدام والعبقري الملهم، الذي يتصدى لإسرائيل وعدوانها في وقت غابت فيه عن الساحة كل القوى العربية.

هذا إذًا حافظ أسد: عميل قديم لإسرائيل، سلَّم هضبة الجولان الحصينة عندما كان وزيرًا للدفاع ثمنًا لكرسي الحكم في سوريا.

هذا هو حافظ أسد: المجرم الطائفي الذي يريد أن يستخدم الجيش لضرب الشعب الأعزل وحماية نظامه الحقير.

تدمير شُعَب التجنيد:

إن قيادة المجاهدين لتعلم هذه الحقائق القاسية، لذلك فهي تتجنب الوقوع في هذا المنزلق الخطير، وتبتعد عن المجابهة المكشوفة مع الجيش؛ لئلا تتحقق مخططات الطاغية المجرم حافظ أسد، هذه المخططات لم ولن تنطليَ علينا، لهذا كان قرارنا واضحًا بقتل الضباط النصيريين، أو القيام بعمليات إرباك متنوعة لتشتيت قوة النظام، وقد عبرنا عن رفضنا لمخططات المجرم حافظ أسد في زج الجيش بمعركة مع الشعب، حين قررت قيادة «الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين» في سوريا تفجير شعب التجنيد، حتى يصعب على المجرم أسد سوق شباب سوريا إلى هذا المصير المجهول.

وقد تم تدمير شعب التجنيد في: حماة، وحلب. وأما في دمشق؛ فقد قام الإخوة المجاهدون بوضع عبوتين ناسفتين في شعبة تجنيد الميدان، وشعبة تجنيد

القنـوات، بتاريـخ ٤/ ٢/ ١٩٨٠م، مما أدى إلى تخريب المكانين وإرباك السـلطة، أما بقيـة شـعب التجنيد فقـد قررت القيـادة عدم تفجيرهـا حتى لا يصـاب المواطنون الأبريـاء بأي أذى.

شركة الطيران السورية:

هناك أعمال تفجير مختلفة دأبت قيادة المجاهدين على القيام بها بين الفينة والأخرى؛ لكسر الطوق الإعلامي الذي فرض على جهاد المسلمين في سوريا، وضمن هذه الخطة قامت إحدى مجموعاتنا بزرع عبوة ناسفة في شركة الطيران السورية لتدميرها مرة أخرى، وقد وضعت العبوة في مكانها المطلوب، وانسحب الإخوة المجاهدون بسلام، إلا أن الانفجار لم يحصل بسبب عطل فني طارئ، وكان ذلك بتاريخ ٦/ ٢/ ١٩٨٠م.

المنافق صلاح عقلة:

وضمن مخطط السلطة المرسوم لتوريط أكبر عدد ممكن من الفعاليات الإسلامية ضد المجاهدين، استخدمت ورقة المنافقين لدعم إعلامها القذر، وقد كان أحد رؤوس المنافقين من يسمى بالشيخ صلاح عقلة، الذي كان يهاجم المجاهدين من فوق منابر دمشق، ولا يترك مناسبة تمر دون أن يتمسح بأذيال المجرم حافظ أسد، ولهذا فقد قامت مجموعة من الإخوة المجاهدين بمحاولة لاغتيال هذا المجرم وهو خارج من مسجد دنكز، المقابل لفرع النجدة القديم بشارع النصر، وتم إطلاق النار عليه، فأصيب بجراح بليغة في رأسه، إلا أنه لم يمت، ونقل على إثرها إلى المستشفى، بينما عاد الإخوة إلى قواعدهم سالمين.

تفجير منازل عناصر النظام النصيريين:

استمرت السلطة في عملية تصعيد الإرهاب بمدينتي حلب وحماة، واحتلت بيوت عدد كبير من الإخوة المجاهدين، وعملت على إهانة أهلهم وأقاربهم، كما صعدت عملية أخذ الرهائن التي وصلت في مدينة حماة إلى حد اعتقال الأطفال بدلًا عن المطلوبين.

إزاء هـذا الوضـع كان لا بـد مـن الـرد على السـلطة بنفـس الأسـلوب الذي بدأتـه والـذي لا تفهـم غيره.

ففي يوم الأحد ٢٤/ ٢/ ١٩٨٠م، قام إخوتنا المجاهدون بزرع عبوات ناسفة في المنازل التالية:

* منزل العقيد النصيري بهجت بركات إسماعيل، شورى- مهاجرين.
* منزل العقيد صلاح خضور- رئيس شعبة الأمن الجنائي، حلبوني.
* منزل الدكتور النصيري فيصل ديوب، شارع ٢٩ أيار.
* منزل رائد في سرايا الدفاع بمنطقة المجتهد.

أحدثـت الانفجـارات دويًـا هائـلًا، كما سـببت أضرارًا مادية فادحـة أدت إلى إصابـة النصيريـين بذعـر بالغ، ولأول مـرة ذاقت عائـلات المجرمين مـن العناصر النصيريـين مـا تذوقـه عائـلات المجاهديـن منـذ فـترة طويلـة، ممـا سـبب ضغطًـا داخليًّـا عـلى رأس النظام.

المجرم علي الجابي:

وفي تاريخ ٢٦/ ٢/ ١٩٨٠م، صدر الأمر بتصفية المجرم السجان علي الجابي.

كان هذا المجرم يحمل رتبة رقيب أول، ويعمل جلادًا في سجن المزة تحت إمرة معلمه المقبور المجرم حامد عباس، وهذا المجرم سنِّي من أهالي دمشق، إلا أن انحطاطه وتمرغه في الجريمة فاق التصور، وبلغت به الوقاحة أن أخذ يتباهى أمام الناس بأنه هو الذي عذب الشيخ مروان حديد رحمه الله، كما راح يتفاخر بهذا العمل الدنيء، وبعد أن تم تسريحه من الجيش وصلت أخباره إلى قيادة المجاهدين التي أصدرت أوامرها بالقصاص منه، وقد تم تنفيذ ذلك بدكانه الكائنة في سوق الحميدية بواسطة مسدس رشاش، وعاد مجاهدونا إلى قواعدهم سالمين، بعد أن ألقوا قصاصات ورقية تبين الأسباب التي دفعت لقتله.

تفجير عدد من المؤسسات الحكومية الاستهلاكية:

بتاريخ ١٣/ ٣/ ١٩٨٠م تم تفجير عدد من المؤسسات الاستهلاكية التابعة للنظام في المناطق التالية:

مهاجرين، أكراد، ميدان، وقد وصل عدد المؤسسات المتضررة إلى خمس مؤسسات.

***

اعتقال الأخ القائد يوسف عبيد:

الأوضاع العامة التي سبقت الاعتقال:

لقد سبق اعتقال الأخ يوسف عبيد حدوث تطورات كبيرة على الساحة السورية، فبعد استشهاد الأخ القائد عبد الستار الزعيم تسلم قيادة التنظيم في سوريا الأخ هشام جنباز، وفي حلب كان الأخ عدنان عقلة أميرًا للتنظيم هناك، بينما استمر الأخ يوسف عبيد أميرًا للتنظيم في دمشق.

في البداية سارت الأمور بشكل جيد، واستمرت بتنسيق كامل بين المحافظات، ولكن بعد فترة وجيزة من الزمن بدأت الأوضاع تتبدل بشكل تدريجي، وبدأ الاختلاف يظهر بشكل واضح، وهذا التغير سببه الظروف المحيطة بكل مدينة من المدن السورية، لكن الهوة أخذت تتسع، وظهر الفرق واضحًا بين عمل الإخوة في حماة وحلب، وعمل الإخوة في دمشق، فقد بدأت في حلب وحماة وتيرة الأحداث بالتصاعد المستمر، ونتيجة للعمليات السابقة راحت السلطة تبطش بالشعب الأعزل، وتهين المسلمين وتعتقل الأعداد الكبيرة من المواطنين، وتأخذ الرهائن وتصب ركام حقدها الأسود على المسلمين، وقد شملت الاعتقالات الكبيرة آلاف المواطنين، وفي مقدمتهم شباب الجماعات الإسلامية وبخاصة جماعة «الإخوان المسلمين».

هذه الأوضاع دفعت بالعديد من الشباب الإسلامي إلى التواري عن الأنظار، ومحاولة الاتصال بالمجاهدين؛ لأنهم فضلوا الموت في ساحات الجهاد وهم يقاتلون جند الطاغية؛ على الموت في السجون تحت أقدام الجلادين من زبانية المجرم حافظ أسد.

وفتح الإخوة المجاهدون صدورهم لهؤلاء الإخوة وضموهم إلى التنظيم المسلح، مما أدى إلى تضخم التنظيم بشكل كبير، وهنا بدأت المشاكل بالظهور، فأمام هذه الأعداد الكبيرة التي انضمت حديثًا إلى التنظيم لا بد من تصعيد العمليات، فعائلات الإخوة تتعرض كل يوم للبطش والاعتقال والتشريد، ونحن نعلم أن الإخوة في حلب

وحماة كانوا يعملون على تجنب المواجهة المكشوفة مع السلطة؛ لئلا يخوضوا معركة غير متكافئة، وقد أثبت الإخوة هنالك في مراحل مختلفة أنهم قادرون على ضبط الأمور والابتعاد عن خطر المواجهة، فحين قامت السلطة بمحاصرة المدينتين بواسطة الجيش، وعملت على تمشيط المدينتين، لم تحصل على شيء بسبب الانضباط الكبير الذي تحلى به الإخوة هناك، ولم تحقق السلطة أي شيء من عمليات التمشيط سوى استشهاد بعض الإخوة نتيجة أخطاء حصلت أثناء التمشيط، وقد كان لكل تنظيم طريقته في مواجهة التمشيط، لكن الأحداث كانت تفرض على الإخوة الاستمرار في التنفيذ، فبمجرد انتهاء التمشيط يندفع الإخوة من جديد إلى الأعمال القتالية ضد السلطة، وكانت السلطة تكرر محاولات الصدام مع الإخوة، واتبعت الوسائل المتنوعة لتحقيق هذا الهدف، فراحت تمشط الأحياء حيًّا بعد حي، وبيتًا بعد بيت، كما قامت بنصب عدد من الحواجز الطيارة والثابتة في الشوارع المختلفة، ونشرت أعدادًا كبيرة من عناصر المخابرات وسرايا الدفاع والوحدات الخاصة، الذين نزلوا إلى الشوارع باللباس الميداني الكامل، وقتلت أقرباء المجاهدين في بيوتهم وفي أماكن عملهم بشكل استفزازي سافر.

ولم يكن المجاهدون ليسكتوا عن هذه الأعمال وهم يملكون التنظيم والقوة، وكان الرد على ذلك المزيد من أعمال الانتقام.

وهكذا نجحت السلطة في استدراج الإخوة بحلب إلى عدة مجابهات محدودة، من خلال اشتراك أعداد كبيرة من الإخوة في منطقة أو حي يسقط خلالها عدد كبير من الإخوة الشهداء، وأعداد مضاعفة من عناصر السلطة التي تستطيع أن تزج غيرهم من العناصر بكل سهولة ويسر.

هذا النوع من المعارك ازداد بشكل ملحوظ، وقد سارت السلطة على هذه الخطة بناء على رأي الخبراء والمختصين الروس.

أما في حماة فبعد محاولات متكررة لجر الإخوة إلى معركة مكشوفة؛ تمكنت السلطة من ذلك، وحصلت على إثرها مجزرة حماة عام ١٩٨٢م، وسنفصل هذا في حينه.

رأي الأخ عدنان عقلة:

وهنا نذكر بعض البنود من رسالة وجهها إلينا الأخ عدنان عقلة أمير التنظيم في حلب، عام ١٩٨١م، يتحدث فيها عن مشاكل التنظيم المتضخم، ومما جاء فيها:

١- إن اتساع حجم التنظيم أفقدنا الكثير من سريتنا، وأصبحت خطط التنظيم مكشوفة بسبب اعتقال العديد من إخواننا.

٢- دبت الفوضى بين صفوف الإخوة بسبب قلة وعيهم وفهمهم لطبيعة المعركة.

٣- أصبح اللقاء بين عناصر القيادة أمرًا بالغ الصعوبة بسبب الظروف الأمنية السيئة داخل المدينة.

٤- أصبح التنظيم يضم عددًا كبيرًا من الإخوة الذين لا عمل لهم، ولا سيما الاشتراك في تنفيذ العمليات، مما سبب لنا مشاكل عويصة.

٥- إضافة لذلك فنحن نحتاج إلى كميات أسلحة كبيرة وأموال كثيرة، وعدد كبير من البيوت والقواعد الرديفة لحالات الطوارئ.

لقد وصلتنا هذه الرسالة متأخرة، وهذه البنود قد نقلتها من ذاكرتي بتصرف فيها، وكما يلاحظ فإن التنظيم قد تحول من تنظيم سري يعمل على المدى البعيد وفق أساليب حرب العصابات إلى تنظيم يقف على حافة المواجهة المفتوحة مع السلطة، قبل أن يستكمل عدته وينسق أموره مع بقية التنظيمات الأخرى.

نظرة أخرى في هذه الأوضاع:

هذه الأوضاع وما رافقها لم تكن وليدة زمنها، وإنما ترجع في أسبابها إلى سنوات عديدة مضت، وبالتحديد إلى الوقت الذي جاء فيه المجرم حافظ أسد إلى السلطة.

إنني في هذا المجال لا أوجه التهم إلى أحد، ولكنني أعتقد أن قيادة «الإخوان المسلمين» بشقيها: قسم الأستاذ عصام العطار، وقسم الأستاذ عدنان سعد الدين، مع بقية الجماعات الإسلامية ارتكبت خطأً فادحًا انعكست آثاره على تنظيم المجاهدين، هذا الخطأ ذو شقين:

الأول: عدم تهيئة العناصر الإسلامية لحرب طويلة الأمد مع النظام الطائفي الحاقد، فلو أن إعداد الشباب المسلم حدث ضمن تنظيمات سرية دقيقة، وتم دعم هذه التنظيمات بجهاز مالي قوي؛ لما تمكن حافظ أسد ونظامه من البطش بهذه الأعداد الكبيرة من شباب «الإخوان المسلمين» بهذه السهولة.

وليس أدل على هذا الكلام من صمود التنظيم الذي أنشأه القائد الشهيد مروان حديد رحمه الله كل هذه السنوات الطويلة، رغم المحن والعوائق، بل وأتجرأ وأقول: لو أن قيادات «الإخوان المسلمين» التزمت بخطة عملية من هذا القبيل لتمكنت بعون الله من قلع النظام العميل قبل أن يتحكم برقاب الشعب بهذا الشكل البشع.

إن شعبنا في سوريا شعب مؤمن بالله محافظ على دينه، فبالرغم من الفساد الظاهر الذي تشيعه السلطة، والانحلال الخلقي الذي تنشره، فإن شعبنا ما زال متمسكًا بدينه، وقد ضحى في سبيل ذلك ولم يتوانى عن دفع أبنائه نحو الاستشهاد، وهو مستعد للتضحية والعطاء في كل زمان.

إن هذه التضحيات يجب أن يواكبها تنظيم متقن وعمل هادئ ومدروس، عند ذلك يمكننا أن نحقق الفائدة المرجوة بعون الله تعالى، وإلا فلن تكون هذه التضحيات سوى زيادة في الآلام وزيادة في البلاء.

الثاني: ترك الأعداد الكبيرة من الشباب الإسلامي دون قيادة بعد أن غادرت قيادات «الإخوان المسلمين» سورية، هؤلاء الشباب وجدوا أنفسهم في أتون معركة لم يخطط لها ولم تتخذ عدتها، كما أنهم فقدوا توجيه القيادة خلالها.

هذا الأمر تسبب باعتقال الآلاف، وهروب الآلاف إلى خارج سورية، وانضمام أعداد كبيرة إلى «الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين».

أوضاعنا في دمشق:

عرضنا حتى الآن الموقف الحاصل في حلب وحماة بالمرحلة الواقعة بين أواخر عام ١٩٧٩ وأوائل عام ١٩٨٠م، أما في دمشق فكانت الأوضاع السائدة على النحو التالي:

كان عملنا يسير ضمن الإطار العام الذي وضعه قائدنا عبد الستار الزعيم، ومن قبله الشهيد مروان حديد، ويتلخص ذلك في استمرار حرب العصابات، والعمل على المدى البعيد، وتوسيع التنظيم على هذا الأساس حسب متطلبات كل مرحلة من مراحل المواجهة، إن الظروف التي مررنا بها حتى أواخر عام ١٩٧٩م كانت تختلف عن الظروف التي مر بها الإخوة في حلب وحماة، فالعدد النسبي للإخوان المسلمين في دمشق أقل منه في حماة وحلب، وجماعة الأستاذ عصام عطار هي الجماعة الرئيسية في المدينة، وقد

انقسمت على نفسها عدة انقسامات، فتحولت إلى عدة تجمعات، كما وجد هناك عدة جماعات إسلامية مستقلة تسير على خط «الإخوان المسلمين»، إلا أنها لم تكن تابعة لأي من التنظيمين الأساسيين للإخوان المسلمين، هذا الأمر خفف من حدة الاعتقالات وجعلها تتأخر عن مدينتي حلب وحماة، وسمح للكثيرين من الإخوة أن يسافروا خارج سورية دون الوقوع بين براثن السلطة المجرمة.

ولم نكن في تنظيم «الطليعة المقاتلة» بمدينة دمشق نقبل بضم أعداد كبيرة دفعة واحدة، بل كنا نسعى إلى توسيع التنظيم بشكل فردي أو ثنائي أو ثلاثي ضمن ترتيبات سرية دقيقة، وكذلك كان سعينا لضم العناصر التي لم تصنف في محيطها في خانة الإسلاميين، فلسنا مضطرين لضم عناصر مكشوفة قد يجر ضمها للتنظيم إلى كشف عملنا، بل إننا لم نكن نتصل بهم؛ لكي لا نتيح للسلطة فرصة البطش الجماعي، وتفاديًا لوقوع المجازر التي اشتهرت بها السلطة.

هذه الأمور ساعدتنا كثيرًا، والحمد لله، في إخفاء تنظيمنا عن عيون السلطة وأجهزتها القمعية، وحين حدث الخلل في هذه القاعدة بمخالفة بعض الإخوة لصريح الأوامر الصادرة عن القيادة، وتحركوا لضم مجموعات كبيرة من الإخوة دفعة واحدة تحت تأثير ضغوط عاطفية مختلفة؛ كان الثمن باهظًا لهذه الأخطاء؛ إذ خسرنا عددًا كبيرًا من الإخوة بالاعتقال، كما فقدنا أعدادًا أخرى من خيرة إخواننا شهداء في سبيل الله، وسيرد تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله.

لقد سرنا كما مر في تسلسل الأحداث حتى بداية عام ١٩٨٠م على خُطى القائد الشهيد عبد الستار الزعيم، وعلى هذا الأساس بنينا تنظيمنا، فقد كنا حريصين في كل المراحل على عدم تمكين السلطة من البطش بالشعب، ولم نكن نقبل بمبدأ التوريط؛ لأننا نعلم تمامًا بأن الذي لا يندفع للجهاد من تلقاء نفسه ولا يتحرك بإرادته، سوف يخرب أكثر مما يبني ويضر أكثر مما ينفع، وبالتالي فسوف يكون عبئًا ثقيلًا على كاهل التنظيم.

إننا رفضنا طلب الكثيرين من الإخوة بالانضمام إلينا حتى نتمكن من تأمين كل مستلزمات القبول، وكما ورد في منهاجنا الحركي:

(ولا نقبل انضمام أي أخ إلى التنظيم حتى نتمكن من تأمين سلاحه، ومصروفه، ومأوى أمين له في حال ملاحقته من قبل السلطة).

هذه ناحية، والناحية الأهم هي تأمين الإخوة الأكفاء الذين يتفرغون للإشراف على شؤون الإخوة الملتزمين حديثًا بعملنا، وذلك حتى لا نعرض الإخوة لأخطار الاعتقال، وبالمقابل تزداد معلومات السلطة عن تنظيمنا.

هذه هي أوضاع التنظيم باختصار في دمشق وحلب وحماة.

* * *

تنظيم آخر في دمشق:

في هذا الوقت بالذات كان الغليان الشعبي ضد النظام الطائفي قد وصل حده الأعلى، وقامت السلطة باستنفار شديد لمواجهة الاحتمالات المتوقعة، وبدأ الإخوة في حلب وحماة بتصعيد الأحداث بشكل كبير، حتى لا تتمكن السلطة من القضاء على قاعدتهم الشعبية.

وظهر الفارق في الأعمال القتالية بين حلب وحماة من جهة، وبين دمشق من جهة ثانية، ولم يكن باستطاعتنا مجاراة هذه الأعمال دون الوقوع في أخطاء قاتلة، خاصة وأن السلطة استنفرت كافة مخبريها من أجل إيصال عدد منهم إلى التنظيم في حالة الفوضى.

وبدأ الضغط علينا من الإخوة في حماة وحلب من أجل تصعيد العمليات ضد السلطة؛ لتتواكب الأحداث في المدن الثلاث.

كان الأخ يوسف عبيد يتحمل القسط الأكبر من هذه الضغوط، ورغم الضغوط المختلفة قررت قيادة دمشق التمسك بخطتها القديمة؛ لأنها كانت تدرك تمامًا أن تسريع المعركة يعني القضاء علينا، واندثار الجهود التي بذلت طوال العشر سنوات الماضية دفعة واحدة، وهنا يحضرني سؤال كنا نوجهه إلى الأخ عبد الستار رحمه الله، فحين نطلب منه السماح لنا بتخزين كميات بسيطة من الأسلحة كان يرفض قائلًا:

(إننا لا نحتاج إلى هذه الأسلحة خلال السنوات القادمة، ونحن لا نريد أن نصبح أسرى للإمكانيات، ولا نريد المجابهة مهما كانت الضغوط، نريد الاستمرار في تصفية رؤوس السلطة).

لقد ظهرت في مدينتي حماة وحلب كميات كبيرة من الأسلحة كما ازداد عدد العمليات والاشتباكات، بينما بقيت الأوضاع في دمشق هادئة نسبيًّا، ولكن ضغوط الإخوة في حلب وحماة فرضت علينا إيصال أعداد كبيرة من الإخوة غير الدمشقيين بتنظيمنا، وبما أننا كنا حذرين من الأوضاع الأمنية لهؤلاء الإخوة فقد قمنا بعملية بناء

تنظيم جديد لهم، تولى قيادته الأخ يوسف عبيد بنفسه بعد أن ترك التنظيم الأصلي لنائبه وبقية أعضاء القيادة.

وبدأت المتاعب بالظهور داخل التنظيم الجديد بشكل واضح، فالإنسان الذي لا يعيش فترة طويلة من الزمن ضمن تنظيم سري يخرب أكثر مما يبني في حال تحركه خاصة في ظروف مشحونة بالعواطف والحماس، وهذا ما حدث ضمن التنظيم الجديد، وأصبح هذا التنظيم عبئًا علينا؛ استنفد كل طاقات وقدرات الأخ يوسف عبيد دون فائدة ترجى.

لقد كان بين أفراد التنظيم الجديد عدد من الطيارين في القوى الجوية وعدد من العسكريين داخل الجيش، وقد خاض الأخ يوسف مع هذا الخليط اللامتجانس تجربة مريرة دفع حياته في النهاية ثمنًا لها مما ترك في نفوسنا آلامًا لا يعلم مداها إلا الله.

وفي الشهر الثالث من عام ١٩٨٠م بدأت تنتشر في سورية شائعات كثيرة بأن المجاهدين سيفجرون الثورة في يوم ٨ آذار، وأضحت هذه الشائعات كأنها حقيقة واقعة، تبين فيما بعد أن بعض الجهات هي التي كانت وراء هذه الشائعات، وقد فعلت ذلك لأسباب لا مجال لذكرها هنا، وشهدت شوارع دمشق استنفارًا كبيرًا لم تشهد له مثيلًا من قبل؛ إذ أنزلت السلطة إلى شوارع المدينة أعدادًا هائلة من عناصر المخابرات يقودها كبار ضباط الأمن على شكل كمائن مترجلة، كما حشدت كل القوى العاملة لديها: شرطة، شرطة نجدة، شرطة عسكرية...

ووزعت في الشوارع أعدادًا كبيرة من سرايا الدفاع باللباس المدني، لقد أخذت السلطة هذه الشائعات مأخذ الجد، واستعدت لثورة شعبية عارمة سوف يقوم بها الإخوان المسلمون، ومن ناحية إعلامية كان هنالك مسلسل الخطابات المحمومة الذي قام به المجرم حافظ أسد نفسه.

إزاء هذا الوضع المتردي اتخذت قيادة «الطليعة المقاتلة» في دمشق عدة

قرارات أمنية؛ لكي تتجنب الوقوع في منزلقات هذه المرحلة منها:

١ - منع الإخوة من التحرك داخل المدينة حتى ينتهي الاستنفار وتهدأ الأوضاع.

٢ - التوقف عن التنفيذ خلال شهر آذار لخطورة الموقف.

إن هذا التوقف له مبرر آخر غير الاستنفار الشديد الذي قامت به السلطة، وهذا المبرر هو ضعف الإمكانيات وقلة عدد المنفذين بالنسبة لأعداد المنفذين في حلب وحماة.

لهذا لم نكن نقبل بزج إخوتنا في معركة كهذه؛ لأننا سوف نخسرهم ولن نحقق بالمقابل أي شيء ملموس، أما في حلب وحماة فكانت العمليات والاشتباكات قد بلغت حدًّا كبيرًا من التقدم، مما دعا السلطة إلى حشد الوحدات الخاصة والجيش حول المدينتين تمهيدًا لعمليات التمشيط الواسعة.

هناك مسألة أخرى حصلت في هذه المرحلة؛ إذ أننا كنا نناقش ونحاور بعض الإخوة في قيادة تنظيم الأستاذ عصام العطار، الذين أكدوا عزم قيادتهم على التحرك وأوهمونا بأنهم امتلكوا تنظيمًا مسلحًا قد تجهز للتنفيذ، فطلبنا منهم القيام بعملية تنسيق بيننا في حال عزمهم على التنفيذ، تبين لنا فيما بعد أن هذا الكلام ليس له أساس من الصحة.

ونوجه الاهتمام هنا إلى أن الكثير من الفئات الإسلامية بدأت تراهن على قيام الإخوة المجاهدين بتصعيد العمليات العسكرية ضد السلطة بمناسبة ٨ آذار، ولكن قرار الإخوة في قيادة التنظيم بدمشق القاضي بوقف التنفيذ خلال شهر آذار كشف كل أولئك الذين كانوا يزايدون على ما نقوم به من عمليات، وبات واضحًا للعيان أن تنظيم «الطليعة المقاتلة» هو التنظيم العسكري الوحيد الموجود على الساحة.

وأود أن أوضح هنا بعض الأفكار عن عملية تحرك النقابات العلمية ضد النظام الفاسد.

تحرك النقابات العلمية:

لقد تحركت هذه النقابات إما بأمر قيادات «الإخوان المسلمين»، وإما بشكل تلقائي، نتيجة الأجواء المشحونة التي سادت في هذه المرحلة وتظاهر المجرم الغادر حافظ أسد بأنه يريد تطبيق الديمقراطية، وأنه سمح لأعضاء النقابات بحرية النقد، وقام عدد من أركان السلطة بعقد اجتماعات مختلفة مع النقابيين الذين توهموا بأن المجرم حافظ أسد قد تراجع عن حكمه الاستبدادي تحت ضغط عمليات المجاهدين، فتكلموا بصراحة وإسهاب عن أخطاء السلطة وبينوا مساوئ النظام، وانتقدوا أجهزة المخابرات، كما طالبوا بالإفراج عن المعتقلين الذين لم تثبت إدانتهم، مع مطالب أخرى، (يوجد شريط مسجل عن بعض وقائع الجلسات التي تكلم فيها بعض أعضاء النقابات).

ومرة أخرى تظاهر النظام بالاستجابة لمطالب النقابيين وأنه رضخ لرأي أغلبية الشعب، فقام بالإفراج عن عدد من المعتقلين منهم الأخ المهندس غالب آلوسي رحمه الله.

إن هذه الحرية المزعومة في إبداء الرأي وفي التحدث عن النظام بشكل صريح؛ قد كشفت هوية القائمين على هذه النقابات بعد أن كانوا مجهولين، مما أتاح الفرصة أمام النظام الإجرامي لتصفية أعضاء النقابات الذين انتقدوا أعماله، وقام بزج القيادات النقابية التي عارضته في السجون، وأتى بنقابات صورية أعطت ولاءها الكامل للنظام العميل.

لقد كان الخطأ الذي ارتكبه أعضاء النقابات واضحًا، وذلك حين توهموا أن نظامًا عسكريًّا طائفيًّا حاقدًا يمكن أن يتم التعامل معه وفق الأساليب السياسية المعروفة.

إن هـذا النظـام- كـما برهنت الأحداث يومًـا بعد يوم- نظـام إجرامي عميل، يمسـك بزمامـه زمرة من الأوبـاش المجرمين، ولا يفهـم إلا لغة واحـدة، ألا وهي لغة القـوة والبطش.

كيف تم الاعتقال:

نذكر مرة أخرى الأجواء المشحونة التي سادت شهر آذار من عام ١٩٨٠م، هذه الأجواء الملتهبة بالعواطف الجامحة ضد النظام أدت إلى قيام السلطة بحملة اعتقالات واسعة بين صفوف العسكريين في الجيش، وانكشف أمر العديد من أفراد التنظيم الجديد المرتبطين بالأخ يوسف عبيد، وتحت التعذيب الشديد اعترف أحد الضباط الطيارين على مكان وزمان اللقاء الذي يتم بينه وبين الأخ يوسف عبيد.

وطار صواب المجرم محمد الخولي رئيس فرع المخابرات الجوية ولم تصدق نفسه ما يسمع، لقد اكتشف لقاءً للأخ يوسف عبيد في شارع الثورة جانب الجسر، وحين اقترب موعد اللقاء قام المجرم بإنزال أعداد كبيرة من ضباطه وعناصره التي موهت نفسها بشكل جيد، وانتشرت في الشوارع المحيطة بمكان اللقاء بين الناس، مشكلة طوقًا كبيرًا لا يمكن الإفلات منه.

واقتربت الساعة الخامسة مساءً من يوم ١٥ آذار، وأصبح الأخ يوسف داخل الكمين، وفوجئ بثلاثة عناصر يقتربون منه فظنهم دورية راجلة اشتبهت بأمره، فما كان منه إلا أن فاجئهم بإطلاق النار قبل أن يتمكنوا منه، ولكن بقية العناصر المنتشرة في المنطقة تمكنت من إطلاق النار عليه وإصابته في بطنه إصابات بليغة نقل على أثرها إلى المستشفى، بينما كانت بقية العناصر المتواجدة في محيط المنطقة تطلق النار في الهواء بشكل غزير.

ونتيجة لهذا الوابل الكثيف من رصاص المجرمين أغلقت المحال التجارية أبوابها، ولم يعد يُرى الناس في الشوارع القريبة من مكان الحادث، وظن الناس أن ثورة قد بدأت شرارتها بالاشتعال، مما اضطر السلطة إلى إذاعة بيان عن الحادث بعد ساعة تقريبًا، أعلنت فيه أنها تمكنت من اعتقال أحد قادة المجاهدين، ووعدت بذكر اسمه بعد انتهاء التحقيق معه.

نتائج الاعتقال:

بلغني خبر اعتقال الأخ يوسف في نفس اليوم فقد كنت على علم بموعد اللقاء، وبعد التأكد من الخبر بدأت القيادة باتخاذ الإجراءات الأمنية اللازمة لمواجهة الاحتمالات المختلفة.

وهنا نذكر أن المجرم محمد الخولي أعلن أنه سيقضي على تنظيم المجاهدين في دمشق بعد اعتقال الأخ يوسف.

لقد ترك اعتقال الأخ يوسف عبيد جرحًا عميقًا في صدورنا، وإن الحزن والألم كانا كبيرين لفقدان هذا الليث الهصور، الذي لم يكن يبالي بالمخاطر ولا يتهيب الصعاب.

ولسوف يعتصر الحزن قلبي كلما لاحت ذكراه في نفسي.

إن اعتقال الأخ يوسف كان أكثر من فقدان أخ من الإخوة.

إن اعتقاله كان خسارة كبيرة للمجاهدين في سبيل الله، فقد كان ركنًا أساسيًّا من أركان التنظيم، وقد كان وجوده بيننا يعطينا قوة معنوية شبيهة بالتي نشعر بها مع القائد الشهيد عبد الستار الزعيم، فالأخ يوسف من أقدم الإخوة في التنظيم، ولقد رأيت صلابة عزمه وشدة بأسه بمواقف يتزعزع عندها الرجال، لذلك كنت

مطمئنًّا إلى أن اعترافاته لن تضر بالتنظيم، وكنت على يقين بأن السلطة لن تتمكن من انتزاع كل المعلومات التي بحوزته مهما استخدمت من الوسائل ومهما اتبعت من الأساليب، فالأخ يوسف يشبه القائد الشهيد مروان حديد رحمه الله، ولا يختلف كثيرًا عن البطل الشهيد موفق عياش أيضًا.

لقد وطن نفسه على أسوأ الاحتمالات واستعد لكل المفاجآت.

أما الإخوة المجاهدون في تنظيم «الطليعة المقاتلة» بدمشق فقد أصيبوا بصدمة هائلة نتيجة لاعتقال أمير التنظيم، ونحن متأكدون من أن الأخ يوسف لو كان يدري أنه داخل كمين مدبر لما توانى لحظة واحدة في تفجير نفسه فيهم؛ لئلا تظفر السلطة به حيًّا.

ولكن إرادة الله شاءت أن يبتلى الإخوة المجاهدون بفقد أمرائهم الواحد تلو الآخر، وما ينتج عن ذلك من ألم الخسارة.

الوضع الداخلي لتنظيم «الطليعة المقاتلة» في دمشق:

إن اعتقال الأخ يوسف أدخل التنظيم في دمشق بمرحلة جديدة، كان من أهم سماتها:

١- اعتبار المرحلة السابقة امتحانًا للتنظيم تجاوزها بنجاح بفضل الله.

٢- قطع كل الاتصالات مع الإخوة غير الدمشقيين، وطلب منهم الاتصال بقياداتهم في حلب وحماة.

٣- الانغلاق الذاتي على النفس حتى لا تتكرر مأساة الأخ يوسف، واستمر هذا الانغلاق مدة شهر تقريبًا، تم فيه ترتيب الأمور بشكل يتناسب مع المرحلة القادمة ومتطلباتها.

الوضع في مدينتي حلب وحماة:

في هذه المدة بدأت السلطة بتمشيط مدينتي حلب وحماة، مستخدمة الفرقة الثالثة التي يرأسها المجرم شفيق فياض خال الرئيس المجرم حافظ أسد.

كان التمشيط دقيقًا، أرادت السلطة من خلاله استدراج الإخوة في حلب وحماة إلى مجابهة مكشوفة تتمكن فيها من القضاء على المجاهدين مهما كلفها ذلك من خسائر.

لكن قيادة المجاهدين في حلب وحماة بإمرة الأخوين عدنان عقلة وهشام جنباز استطاعت أن تفشل هذا المخطط بالصبر والحكمة، رغم المتاعب الكبيرة التي سببتها لهم السلطة خلال التمشيط، ومن هذه المتاعب:

الحقارة المتناهية في معاملة الأهالي أثناء التمشيط.

لقد مشطت الأحياء حيًّا بعد حيٍّ وشارعًا بعد شارعٍ، مرات عديدة، لم يدفع الإخوة فيها سوى خسائر طفيفة، ولم تؤثر على العمود الأساسي للعمل الجهادي المسلح.

إنني هنا أشير إشارة مجملة لما حصل في حماة وحلب، وذلك لربط الأوضاع القائمة هناك ومعرفة تأثيراتها مع ما يجري في دمشق، وعلى هذا فأنا لا أذكر الأحداث مفصلة ولا أتوسع في دقائقها بشكل كامل، بل أترك ذلك للإخوة هناك، فهم الذين عايشوها وخبروا تفاصيلها المختلفة، وهم أقدر مني على شرح تلك الأوضاع.

عودة التنفيذ:

بعد شهر من اعتقال الأخ يوسف نقل من المستشفى إلى الآمرية حيث بدأت عملية التعذيب الرهيبة، لقد عذب تعذيبًا شديدًا كالذي لقيه الشهيد مروان حديد، وكانت أخبار تعذيبه داخل زنازين السلطة تصلنا باستمرار، ولن نتمكن هنا من ذكر أي شيء عن نتائج تعذيبه واعترافاته، وذلك للضرورات الأمنية الخاصة، إلا أن السلطة علمت أننا في تنظيم دمشق لا نريد في تلك المدة تصعيد الأحداث أو تأزيم الأوضاع، فظنت أن موقفنا هذا ناتج عن لين أو تساهل معها، فحاولت استمالة المجاهدين في دمشق والتفاوض معهم لشق الصف الواحد، وقد ظهر هذا الأمر جليًّا من خلال المقابلة التي بثها تلفزيون السلطة مع الأخ يوسف بعد مرور سبعة أشهر على اعتقاله.

أما قيادة المجاهدين في دمشق فلم تكن لتضعف أو تلين أمام طغيان المتسلطين الحاقدين، فما أن خف استنفار السلطة في دمشق حتى قررت القيادة استئناف التنفيذ، وذلك أثناء حدوث التمشيط في حماة وحلب.

تفجيرات في بعض مراكز السلطة:

قام مجاهدونا الميامين في ١٤/ ٤/ ١٩٨٠م الساعة السابعة مساءً بزرع ثلاث عبوات ناسفة في الأماكن التالية:

١- مركز لشبيبة الثورة التابعة للنظام.

٢- مركز طلائع البعث في أبي رمانة.

٣- مركز البريد في ساحة شمدين.

كما قام مجاهدونا في الوقت ذاته بمهاجمة فرعي شبيبة الثورة والحزب في منطقة الإطفائية بالقنابل اليدوية، فسقط أربعة من زبانية السلطة بين قتيل وجريح.

إن السبب الذي جعلنا نختار عمليات التفجير عن سواها من العمليات هو التكتم الإعلامي الشديد حول جرائم السلطة في مدينتي حماة وحلب أثناء التمشيط، فعمليات التفجير يسمعها الداني والقاصي، ومن الصعب جدًّا على الإعلام أن يتكتم عليها، ومع ذلك فقد خرس الإعلام العالمي المتواطئ مع السلطة؛ إذ لم يشر من قريب أو بعيد إلى هذه العمليات، أما السلطة فقد اعتبرت هذا العمل خطوة خطيرة ضدها، فالأخ يوسف عبيد في اعترافاته أخبر السلطة أن قيادة التنظيم في دمشق لم تكن ترغب بتصعيد العمليات وأنها تؤثر التروي، فتوهمت السلطة أن الإخوة في دمشق سيتوقفون عن التنفيذ، إذًا فخطورة هذه الخطوة تكمن في أمرين أساسيين:

١- أن الإخوة في دمشق لم يتوقفوا عن التنفيذ كما توهمت.

٢- أن قيادة المجاهدين تجاوزت المرحلة الصعبة الناجمة عن اعتقال الأخ يوسف.

تجدد الاعتقالات:

ومرة ثانية وقعت السلطة في وهم خاطئ بسبب نوعية الأهداف وسهولة تنفيذها، فظنت أن تنظيم المجاهدين بدمشق قد بلغ حدًّا من الضعف لا يمكنه من القيام بأعمال قوية كالسابق، ومع ذلك فقد أرادت السلطة أن تقضي على العمل المسلح بشكل نهائي، فانطلقت أجهزتها المجرمة لتداهم الشباب الإسلامي بدمشق، ونتيجة لبعض الأخطاء التي ارتكبها الإخوة استطاعت السلطة أن تكشف عددًا من المجاهدين الذين تم اعتقالهم بعد ذلك، منهم:

- **وائل أيوبي**: مواليد دمشق- مهاجرين ١٩٥٥م، وهو مهندس يؤدي الخدمة العسكرية في سرايا الدفاع برتبة ملازم.

كما قامت قوة كبيرة من عناصر المخابرات بمداهمة منزل الأخ أيمن السادات؛ الكائن في حي المهاجرين- شورى.

استيقظ الأخ أيمن في الساعة الواحدة ليلًا على قرع شديد على الباب، وبعد أن تأكد من وجود عناصر المخابرات أمام الباب؛ فتح الباب وألقى قنبلة يدوية انفجرت لحينها وأدت إلى قتل وجرح كل العناصر الواقفين أمام الباب، وأتبعها بقنبلة يدوية ثانية إلى مدخل البناية، ثم استخدم مسدسه في اشتباك دام حوالي نصف ساعة، استشهد على إثره الأخ أيمن رحمه الله بعد أن قتل ضابطًا برتبة رائد، ومساعدًا أول، وخمسة عناصر، وقام المجرمون بسحب جثة الأخ الشهيد من قدميه خارج البناية مسافة مئتي متر تنفيسًا عما يختلج في صدورهم من الحقد الأسود.

- **الأخ أيمن السادات**: مواليد دمشق-مهاجرين ١٩٥٢م، يعمل مدرسًا لمادة الرياضيات في ثانوية جودت الهاشمي، وأدى استشهاده إلى حزن عميق في صفوف طلابه، وخوف شديد بين الأساتذة الحزبيين وعلى رأسهم المدير صبوح، وقد أدى هذا الاشتباك إلى تعرض شقيق الأخ أيمن- وهو بشار السادات- للملاحقة من قبل السلطة.

ولوحق في هذه المدة عدد من الإخوة، بينهم الأخ مصباح القاسم.

بعد حدوث العملية السابقة الذكر وما تبعها من اعتقالات وملاحقات زادت السلطة من حجم استنفارها، وشددت حراساتها حول أبنيتها العامة تحسبًا من وقوع المزيد من العمليات، فقررت قيادة «الطليعة المقاتلة» تغيير التكتيك والتحول إلى أهداف أخرى.

المجرم الروسي فولنتينو سازولا:

فقام مجاهدونا بتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٩٨٠م، بتنفيذ حكم الله في الخبير الروسي المجرم المقدم فولنتينو سازولا، الذي يعمل في الأكاديمية العسكرية، تمت العملية في سوق الخياطين، وقتل الخبير على الفور، وعاد مجاهدونا إلى قواعدهم سالمين.

إن الحياة التي يعيشها الإخوة المجاهدون حياة حافلة بالأحداث المختلفة، وكل يوم يمر على المجاهد يتعرض فيه لضغوط نفسية وجسدية مرهقة، وهو يواجه احتمالات الموت بكل لحظة من حياته، وعلى هذا فإننا لم نكتب في هذا الكتاب إلا الحوادث التي ترتبت عليها النتائج الظاهرة للعيان التي رآها أو سمع بها الناس، أما الحوادث اليومية فإننا لن نتعرض لها، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب ثوابها للأخوة المجاهدين، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

الأخ الشهيد: صلاح الدين شقير:

في يوم الاثنين من تاريخ ١٢/ ٥/ ١٩٨٠م، قامت دورية مؤلفة من أربعة عناصر تابعة لأمن السرايا بإيقاف الأخ صلاح الدين شقير مساءً، أثناء قيامه بإحدى مهماته اليومية في منطقة بوابة الميدان، فقام الأخ صلاح بإطلاق النار عليهم من مسدسه السريع الطلقات فقتل اثنين من عناصر الدورية على الفور، وأثناء انسحابه قام أحد العناصر البعيدة عنه بإطلاق النار عليه من الخلف فأصابه في كتفه وساقه، وعندما شعر الأخ أنه قد أصيب أخرج قنبلة يدوية من حزامه ونزع مسمار الأمان فيها، ثم انسحب مسافة كيلو متر تقريبًا وهو يجري بسرعة في محاولة للوصول إلى منزله أو إلى أحد المجاهدين، وحين اقترب من مسجد الدقاق سقط مغشيًا عليه لكثرة ما نزف من دمائه الزكية وانفجرت القنبلة، وصعدت الروح الطاهرة إلى بارئها.

ولد الأخ صلاح الدين شقير في دمشق- حي الميدان ١٩٥٨م، نشأ ضمن بيئة إسلامية متمسكة بدينها، حفظ القرآن الكريم في مسجد الدقاق بدمشق، التحق بالتنظيم الجهادي المسلح عام ١٩٧٦م في مجموعة ضمته والأخ رشيد حورانية والأخ عبد الناصر قباني.

لقد كان الأخ صلاح أحد الإخوة البارزين في التنظيم، من حيث صفاتهم الذاتية، وقدراتهم الواسعة، وعلمهم الغزير، وكانت تصرفاته تعبر عن إنسان أكبر من أقرانه الذين هم في مثل عمره، فهو الذي اجتمعت له أكثر الخصال الكريمة التي يمكن أن يتحلى بها شاب مؤمن بالله، فقد حفظ كتاب الله وما انقطع عن تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وكان كثير الصلاة، كثير العبادة، صافي القلب من غبش المعاصي.

لقد كان مثالًا فريدًا للشاب المؤمن الموصول بالله عز وجل، وهذه الصفة أعطته الشجاعة والقوة والثبات في أحرج المواقف وأشدها تأثيرًا بالنفوس.

ولم يعرف الأخ الشهيد بين إخوانه إلا بحسن الخلق، وطيب المعاشرة، وكرم النفس، إضافة لهذا تميز ببنية قوية، وثقافة عالية.

أما لقاءاتي بالأخ صلاح ومجموعته فلم تنقطع من يوم انتسبوا إلى التنظيم وحتى صعدت أرواحهم الطاهرة إلى بارئها، لقد مارسوا التدريب العسكري القاسي من اللحظات الأولى لالتحاقهم بالتنظيم الجهادي المسلح وحتى مقتل المجرم إبراهيم النعامة، واعتمدت القيادة على هؤلاء الإخوة في تنفيذ العديد من المهام التي تقتضيها مصلحة العمل.

وقد زاد اعتمادي على الأخ صلاح بشكل خاص بعد اعتقال الأخ يوسف

عبيد؛ إذ أنه قام بالعديد من المهمات دون كلل أو ملل وبحماسه المعهود، ومع أنه كان غير معروف عند السلطة إلا أنه لم يكن يترك سلاحه نظرًا لخطورة الأوضاع الأمنية وكي لا يقع بالأسر.

ويوم استشهد رحمه الله انتشر النبأ بين الناس بسرعة كبيرة، وحضرت أجهزة المخابرات والشرطة العسكرية وشرطة النجدة بدورياتها وضباطها وعناصرها إلى المنطقة، في محاولة منهم لمعرفة هوية الأخ الشهيد، فقد اعتقدوا بادئ الأمر أن الشهيد البطل هو أحد الإخوة الملاحقين الذين وضعت السلطة من أجلهم المئة ألف ليرة سورية، ولم يخطر على بالهم أن هناك إخوة غير ملاحقين داخل التنظيم على استعداد لتفجير أنفسهم بعدوهم حتى لا يقعوا بالأسر، وبعد أربع ساعات مضت على استشهاد الأخ صلاح تمكن المجرمون من معرفة هويته، فعمد المجرمون إلى اعتقال والده ووالدته وشقيقته، كما لوحق شقيقاه، وفيما بعد أفرج عن والده لشدة مرضه ولا زالت والدته وشقيقته في السجن رهن الاعتقال، نسأل الله أن يرحم شهيدنا ويفرج عن أسرته.

ترك استشهاد الأخ صلاح حزنًا كبيرًا في نفوس الأهالي بمدينة دمشق، وأخذ الناس يتناقلون سيرة حياته، وكانت المفاجأة كبيرة باستشهاده واستشهاد الإخوة من قبله؛ إذ نسف ذلك كل ادعاءات السلطة حول عمالة وخيانة الإخوة المجاهدين.

ومن جهة أخرى أثار استشهاد الأخ صلاح حماسًا شديدًا بين صفوف الشباب المسلم، فبدأت عمليات البحث المخلصة للانضمام للتنظيم الجهادي المسلح.

وتحت تأثير الضغط الشعبي قامت السلطة بدفن الأخ صلاح في مقبرة بوابة الميدان، وقبره معروف هناك، ولم تكرر السلطة هذا الأمر فيما بعد بل بلغت بها الخسة

والدناءة حدًّا جعلها تقوم بدفن الإخوة الشهداء بأماكن سرية، وبشكل جماعي دون إبلاغ ذويهم عن أماكن دفنهم، وذلك في محاولة منها لطمس الآثار المباركة التي تركتها الأرواح الطاهرة.

إن إخوتنا الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، نحسبهم كذلك، والله حسيبهم.

أحياء في ضمير شعبنا الذي لن ينسى ذكراهم أبدًا، وستبقى دماؤهم الزكية تعطر مجالس المؤمنين على مدى الأيام والأزمان.

الهروب من سجن كفرسوسة:

إن حرب العصابات العنيفة التي نخوض غمارها ضد السلطة الباغية؛ تتطلب من الإخوة المجاهدين اليقظة والحرص والحذر والاستنفار بشكل دائم مستمر، كما كان البطل العظيم، والمجاهد الكبير، الذي لم يهزم في معركة قط، سيف الله المسلول خالد بن الوليد؛ الذي وصف بأنه: (لا ينام ولا ينيم، ولا يبيت إلا على تعبئة، ولا يفوته من أمر عدوه شيء).

وقد استطاع المجاهدون أن يتمثلوا بهذه الصفات بفضل الله تعالى، فعمليات الاستطلاع لم تنقطع خلال كل الظروف، والتنفيذ الجريء واستعداد الإخوة الدائم للتضحية والفداء جعل من أزلام السلطة أناسًا متوتري الأعصاب، مؤرقي الأجفان، لا تغني عنهم حراساتهم ولا مرافقاتهم شيئًا.

وفي ليلة ٢١/ ٥/ ١٩٨٠م، تمكن سبعة عشر أخًا سجينًا من الفرار من سجن كفرسوسة، إثر عملية ناجحة خطط لها الإخوة بذكاء بالاتفاق مع الرقيب أول طاهر الحوري، أحد عناصر «الإخوان المسلمين» التابعين لتنظيم الأخ عدنان سعد الدين.

وفي ليلة التنفيذ؛ بينما كان الأخ طاهر في فترة نوبته وضع كمية من الحبوب المخدرة في الشاي وقدمه لبقية العناصر التي كانت تحرس معه، بعد ذلك تمكن الإخوة من انتزاع خمس بنادق روسية وعدد من المسدسات، وغادروا مبنى السجن في سيارتين تسيران خلف بعضهما والبنادق مصوبة من نوافذ السيارتين كما يفعل عناصر المخابرات، وخرجوا من باب السجن أمام أعين الحرس الذين لم يشعروا بشيء مريب، وخلال وقت قصير كان الإخوة قد توزعوا في عدد من الأماكن التابعة لجماعة «الإخوان المسلمين».

والإخوة الذين تحرروا من سجن كفرسوسة هم من أفضل العناصر والقيادات داخل تنظيم «الإخوان المسلمين»، وكان معظمهم من مدينتي حماة وحلب، وهم:

عدنان شيخوني، أمين الأصفر، سليم زنجير، محمد صديق شعبان، عبد الستار عبود، هيثم عقيل، عبد الغني صباهي، هيثم ملا عثمان، جلال الدين جلال، أسعد بساطه، نبيل حاضري، عادل غنوم، مالك عقيلي، جمال عقيل، زهير خطيب، أحمد ماهر قولي، وبشير خليلي.

شعرت السلطة بتحرر الإخوة من السجن بعد حوالي ساعتين، فجن جنون المجرم أسد، واستشاط غيظًا وغضبًا، فقد أمضت السلطة سنوات عديدة حتى تمكنت من اعتقال هؤلاء الإخوة، وهاهم الآن يتحررون دفعة واحدة.

وتحركت أجهزة المخابرات، وبدأت عمليات البحث المكثفة في كل مكان وفي كل شارع، ولكن دون جدوى، فها هي الشوارع خالية من المارة، وهذا سكون الليل مخيم على كل المناطق، لقد تمت العملية في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، واستمر البحث عن الإخوة بقية الليل حتى الصباح، لقد تسببت عملية هروب

الإخوة المعتقلين في سجن كفرسوسة بإرهاق ضباط المخابرات إرهاقًا شديدًا؛ إذ أنهم أمضوا ليلتهم في عمليات البحث التي لم تمكنهم من النوم حتى الصباح، عند ذلك توقفوا عن البحث بعد أن يئسوا من معرفة أي أثر يدل على مكان الإخوة.

مهاجمة سيارة تقل مجموعة من الخبراء الروس:

وفي صباح هذا اليوم قام إخوتنا المجاهدون بنصب كمين لسيارة صالون عسكرية، يستقلها المجرم النصيري الرائد عزيز العلي وثمانية من الضباط الجواسيس الروس التابعين للكتيبة ٦٩ من سلاح الصواريخ.

توزع ثلاثة من مجاهدينا ضمن نسق واحد على امتداد (٢٥ مترًا) في منطقة الفحامة (الإطفائية)، وأثناء مرور السيارة تقدم المجاهد البطل الأخ رياض العجمي وأمطر السيارة بوابل من الرصاص من رشاشه، فأصاب معظم ركاب السيارة التي تقدمت قليلًا إلى الأمام، وحين أصبحت بمحاذاة الأخ مازن نحلاوي أطلق عليها النار من مسدسه الرشاش عيار (٩ ملم)، وبعد انسحاب الأخوين رياض العجمي ومازن نحلاوي؛ ألقى الأخ المجاهد وليد طنطا عبوة ناسفة داخل السيارة التي اصطدمت بأحد أعمدة الكهرباء، أسفر انفجار العبوة عن تدمير السيارة تدميرًا كاملًا، بينما عاد مجاهدونا الأبطال إلى قواعدهم سالمين.

وتم نقل الجواسيس الروس إلى المستشفى، وقد قتل منهم ستة أشخاص، كما قتل الرائد النصيري عزيز العلي، والسائق النصيري فارس ناصيف، والمساعد النصيري حامد غانم، كانت هذه العملية صفعة جديدة توجه إلى رأس الكفر الطاغية حافظ أسد، وقد جاءت بعد تحرر الإخوة من سجن كفرسوسة مباشرة.

أحب أن أنوه هنا إلى أننا لم نكن نعلم بخطة الإخوة السجناء للهروب، وجاءت عمليتنا في هذا الوقت بتقدير من الله عز وجل.

التنسيق بين المحافظات:

انتهت عمليات التمشيط في حلب وحماة، ولكن آثارها ظلت وصمة عار على جبين السلطة المجرمة ومن يؤيدها في إجرامها من الدول الصليبية.

لقد تركت هذه العمليات مئات القتلى من الأبرياء والآلاف من المعتقلين، ولم تكن هذه العمليات للبحث عن المجاهدين فقط، ولكنها كانت عمليات انتقام من الشعب الأعزل الذي رفض كل أشكال الظلم والتسلط والاستبداد.

وكان لا بد لنا من عمل منسق على صعيد المحافظات السورية جميعًا، عمل يجبر السلطة على الكف عن إجرامها، وكان لا بد من تصعيد وتيرة العمليات وتغيير نوعية الأهداف، ولهذا، وبعد أن تم التشاور بين أعضاء القيادة في دمشق وحلب وحماة جرى تقييم الوضع العام كالآتي:

إن العمليات العسكرية التي نفذت ضد السلطة الطائفية في السابق لم تعد تتناسب مع الوضع الحاضر ومع جرائم السلطة الجبانة.

لقد استشهد المئات واعتقل الآلاف وأهين المواطنون المسلمون في كل مكان، لذلك يجب علينا أن نغير نوعية الأهداف التي ننفذها، ولكن كل ذلك يجب أن يتم ضمن الخطة الشاملة حرب العصابات طويلة الأمد، وكانت الأهداف المقررة هي تجمعات عناصر السلطة في كل مكان.

وأنا متأكد من أنه لو لم تحدث أخطاء معينة في تنفيذ هذه الخطة لكانت الأوضاع

قد أخذت منحى جديدًا غير الذي سارت عليه، وهذه الأخطاء سوف نشير إليها في حينها، ولقد كانت عملية الجواسيس الروس السابقة ضمن هذه الخطة وعلى نفس الأسلوب (حرب عصابات دون مواجهة مكشوفة).

اقتحام المساجد:

قامت الأجهزة الأمنية التابعة للنظام الإجرامي بعد عملية الجواسيس الروس بحملة اعتقالات واسعة، وبعد فشل جهودها من الوصول إلى الإخوة المجاهدين؛ لجأت إلى خطوة جديدة لم تتجرأ على مثلها في السابق، فقد داهمت جميع المساجد في دمشق ليلًا، وانتهكت حرماتها، ومزقت المصاحف فيها، كما ألقى عناصرها الأنجاس أوساخهم في داخلها، ولم يكتفوا بذلك، بل قاموا باعتقال كل من وجد فيها من طلبة العلم.

لقد تمت هذه العملية في ٢/ ٦/ ١٩٨٠م بمنتصف الليل، وشارك في تنفيذها أغلب مجرمي المخابرات، مع عناصر من أمن السرايا.

لقد اشرف المجرم رفعت أسد على هذه العملية مع عدد كبير من رؤساء فروع المخابرات، وقام المجرم محمد الخطيب- المسمى وزير الأوقاف- بوضع المخططات اللازمة لمساجد دمشق من أجل اقتحامها.

ومرة أخرى أراد الله أن يكشف النظام المتسلط أمام أعين الذين ما زالت تغشاهم الحجب بهذه الجريمة التي فاقت كل وقاحة معروفة.

ومرة أخرى يُخذل، النظام وتعود جهوده أدراج الرياح؛ إذ لم يحصل من وراء هذه الفعلة الشنيعة إلا الخزي والعار، ولم يتمكن من الوصول إلى أي أخ من مجاهدينا الميامين؛ لأننا لا نستخدم المساجد كقواعد لنا.

الهجوم على (مكرو باص) تابع للأمن الجنائي:

ولم تمض على هذه الجريمة سوى ساعات قليلة حتى قام مجاهدونا في الساعة الثامنة صباحًا من نفس اليوم، أي ٢/ ٦/ ١٩٨٠م، بنصب كمين في شارع ابن عساكر لـ (مكرو باص، يستقله حوالي (٢٠) عنصرًا، بينهم ضابط وضباط صف تابعون لفرع المخابرات الجنائية، وقد قام الإخوة بإطلاق النار عليه ثم فجروه بعبوة ناسفة وعادوا إلى قواعدهم سالمين.

قتل في هذه العملية عشرة عناصر، وجرح الباقون جراحات مختلفة، وقد كان الأخوان عبد الناصر قباني ومصباح القاسم من المشاركين في هذه العملية.

هناك سؤال قد يتبادر إلى الأذهان، وهو: ما علاقة الأمن الجنائي بالمجاهدين، مع أن مهمته هي ملاحقة اللصوص والمجرمين جنائيًا؟

إن هذا الرأي ربما يكون صحيحًا للوهلة الأولى، ولكن الحقيقة هي أن السلطة حاولت زج كل ما لديها في حربها مع المجاهدين، ففروع المخابرات وشرطة النجدة والشرطة العسكرية والشرطة الجنائية جميعها شاركت في عمليات المداهمة والتطويق والاشتباكات والكمائن، لذلك فقدت هذه الفروع حيادها وأصبحت- بشكل أو بآخر- مُسَخَّرة للحرب على المجاهدين خاصة، والشعب بشكل عام.

تركت هذه العملية آثارًا طيبة لدى مختلف أبناء الشعب، وعم الفرح والسرور، وبخاصة في شمال سوريا، وشعر الشعب أن الرد على إجرام السلطة قد بدأ بوسائل متكافئة.

هذا وقد نفذت في هذه المرحلة عدة عمليات بحماة وحلب، أذكر منها على سبيل المثال:

عملية مهاجمة سيارة زيل تقل (٣٥) عنصرًا عسكريًّا نصيريًّا على طريق مصياف نفذها مجاهدو حماة، أدت هذه العملية إلى قتل وجرح معظم ركاب السيارة، وعاد الإخوة إلى قواعدهم سالمين.

اجتماع المجرم حافظ أسد بالعلماء:

أمام هذه الأحداث الجديدة قام المجرم الموتور حافظ أسد بجمع كافة علماء دمشق، وبطريقة هستيرية ألقى عليهم خطابًا اتهمهم فيه بمساعدة وإيواء المجاهدين، وقال بأن المجاهدين كانوا من طلابهم، وبالتالي فهم يعرفون عنهم الكثير من الأمور، وهدد باتخاذ إجراءات قاسية في حقهم إن لم يتعاونوا معه في حربه ضد المجاهدين.

وعند نهاية هذا الاستقبال الحافل بالإهانات والمغالطات؛ وعد بإطلاق سراح أعداد كبيرة من المعتقلين إن مكنوه من اعتقال أربعة من الإخوة المطلوبين في دمشق كانوا في قيادة التنظيم.

وبالمقابل قام العلماء بإبلاغ المجرم حافظ أسد بأن لا علاقة لهم بما يجري على الساحة السورية من أحداث، وأن العمليات المنفذة ضد النظام إنما يقوم بها شباب ينتمون لجماعة الشهيد مروان حديد، وهذا الأمر أصبح معروفًا لدى الناس، وبخاصة بعد عملية توزيع المنشورات.

إن المجرم حافظ أسد يعرف هذه الحقيقة جيدًا، ولكنه أراد بهذا الأسلوب أن يمنع أي مساعدة أو عون من علماء المسلمين إلى أبنائهم المجاهدين.

وفي سنوات لاحقة اضطر كثير من السادة العلماء إلى مغادرة سوريا تحت ضغط الإهانات الدائمة التي كانوا يتلقونها من أجهزة النظام الحقيرة إثر كل عملية.

مهاجمة مركز تابع للمخابرات:

كل هذه الأوضاع لم تؤثر على سير العمليات، فالإخوة المجاهدون قد بنوا تنظيمًا مستقلًا عن التيارات الإسلامية الأخرى.

وفي تاريخ ٩/ ٦/ ١٩٨٠م قام مجاهدونا الأبطال بتنفيذ عمليتهم الجريئة؛ حين هاجموا أحد البيوت تستخدمه مخابرات السلطة المجرمة، وكان يوجد داخل البيت مفرزة تابعة لفرع فلسطين الذي يرأسه المجرم النصيري محمد مسعود، وتمت العملية بإطلاق النار على عناصر الحراسة، وتفجير البيت بواسطة عبوة ناسفة، مما أدى إلى قتل وجرح سبعة عناصر بينهم ضابط برتبة رائد، وفي طريق انسحاب الإخوة حاول أحد عناصر المخابرات المتواجدين بالمنطقة إطلاق النار على الإخوة من مسدسه، فما كان من الأخ وليد ألوسي إلا أن عاجله بوابل من رصاص رشاشه فأرداه قتيلًا، وتمكن الإخوة من الانسحاب إلى قواعدهم سالمين.

وشاعت أخبار هذه العملية وانتشرت تفاصيلها بين الناس، ورغم ذلك تكتمت السلطة عليها، وتكتم الإعلام الخارجي أيضًا، سواء الغربي أو الشرقي، لذلك قررت قيادة المجاهدين كسر الطوق الإعلامي من جديد، وإسماع الناس في كل مكان صوت رصاصنا وهو يجلجل على مسامع الطغاة المجرمين.

المجرم نزيه الجمالي:

وخططت القيادة للقصاص من إحدى شخصيات النظام المتسلط، فصدر أمر باستهداف المحامي نزيه الجمالي رئيس فرع دمشق لنقابة المحامين؛ الذي فرضه النظام بعد أن زج بقيادات النقابة الشرعيين في السجون.

وهـذا المجـرم هو أحد قـادة الحزب الشـيوعي، وقد لعـب دورًا خبيثًا في التآمر علـى المحامـين في النقابة السـابقة، مما أدى إلى اعتقـال عدد كبير منهـم، ورغم انتمائه الإسـمي إلى ملـة المسـلمين إلا أن كفـره وإلحـاده دفعـاه إلى ربـط مصـيره بمصـير المجرم حافظ أسـد.

تمت العملية بمكتبه الكائن خلف القصر العدلي بتاريخ ١٩/ ٦/ ١٩٨٠م، حيث اقتحمت إحدى مجموعاتنا مكتبه، وقام الأخ جمال طعمينا بإطلاق النار عليه، فأصابه بخمس طلقات في رأسه من مسدس عيار(٧ ملم)، وتمكن الإخوة من العودة إلى قواعدهم سالمين.

في نفس اليوم قام الإخوة المجاهدون في مدينة حمص بقتل الصحفي النصيري المجرم فائق المحمد، أذاعت السلطة بيانًا في الإذاعة والتلفزيون اعترفت فيه بمقتل المجرمين نزيه الجمالي وفائق المحمد، ووجهت اتهاماتها إلى الإخوة المجاهدين.

وفي اليوم التالي قامت السلطة بتشييع المجرم نزيه الجمالي، وحشدت كل أُجرائها وأذنابها في موكب كبير، وأقامت حفلًا تأبينيًّا له قرب القصر العدلي بدمشق وسط إجراءات أمن مشددة، ثم نقل بعد ذلك إلى حمص ليدفن هناك، وتناقلت الوكالات العالمية هذا النبأ، ونقلت بيان السلطة حول العملية.

مهاجمة (مكرو باص) في منطقة البوابة بالميدان:

أثارت هذه العملية غيظ السلطة وحنقها، فعادت من جديد لتصب جام غضبها على من لديها من المعتقلين، وخاصة على الأخ يوسف عبيد في محاولة يائسة لانتزاع بعض المعلومات التي تدل على الإخوة المجاهدين، وكانت أخبار التعذيب تصل إلينا تباعًا، وكان إجرام السلطة شديدًا في تعذيب الإخوة داخل السجون، إزاء

ذلك لم يكن بد من عمل انتقامي يطال عناصر المخابرات المجرمين والأدوات المنفذة للتعذيب، ووقع الاختيار على مكرو باص تابع لفرع فلسطين.

هذا الفرع ليس مخصصًا للمشاركة في تحرير فلسطين كما يوحي اسمه، وإنما هو فرع من فروع الإرهاب والتعذيب، متخصص في التحقيق مع الإخوة الفلسطينيين الذين قتل عدد كبير منهم داخله تحت التعذيب الوحشي، ويعتبر هذا الفرع كبيرًا بالنسبة إلى فروع المخابرات الأخرى، ومعظم الإخوة الفلسطينيين يعرفون مكان هذا الفرع الكائن في منطقة أبي رمانة، في بداية تأسيسه كان هذا الفرع مخصصًا للتحقيق مع الإخوة الفلسطينيين، ولكن بعد اشتداد عمليات المجاهدين في دمشق أصبحت مهمة هذا الفرع مزدوجة للشعبين السوري والفلسطيني، ويرأس هذا الفرع كما أشرنا سابقًا المجرم النصيري العميد محمد مسعود.

وبتاريخ ٢٥/ ٦/ ١٩٨٠م قام مجاهدونا الميامين بنصب كمين لـ (مكرو باص) تابع لفرع فلسطين المذكور آنفًا، وكان يقل حوالي (٢٥) عنصرًا، وعندما وقع (المكرو باص) داخل الكمين المنصوب في منطقة بوابة الميدان طريق الكورنيش انقض عليه إخوتنا المجاهدون برشاشاتهم من عيار (٩ ملم) وأمطروه بوابل كثيف من الرصاص، فأصيب معظم الركاب، وتم وضع عبوة ناسفة داخله فانفجرت مما أدى إلى تدميره تدميرًا كاملًا، وقتل ركابه عدا اثنين منهم، بينما عاد إخوتنا إلى قواعدهم سالمين.

وكان الأخ طريف عبد الصمد أحد الإخوة المشاركين في هذه العملية، وهرعت على الفور سيارات الإسعاف إلى مكان الحادث، كما قامت قوات كبيرة من عناصر السلطة ومخابراتها بمحاصرة المنطقة، إلا أن كل ذلك ما كان ليفيد شيئًا.

هجوم على المجرم حافظ أسد:

بعد يومين من هذه العملية تقريبًا؛ قام إخوتنا المجاهدون بإلقاء قنبلتين على المجرم حافظ أسد داخل القصر الجمهوري؛ أثناء إجراء مراسم الوداع لرئيس النيجر، انفجرت إحدى هاتين القنبلتين وأصابت المجرم حافظ أسد بجروح طفيفة في ساقيه بعد أن انبطح بعيدًا عن القنبلة، وتمكن الإخوة التابعون لعناصر مرافقته من الانسحاب بعد اشتباك قصير مع عناصر المرافقة أسفر عن مقتل أحد الضباط المكلفين بحراسة المجرم أسد، بينما قتل ضابط آخر بشظايا القنبلة، إثر هذا الحادث نقل المجرم الجبان إلى مستشفى الرازي الواقعة على أوتوستراد المزة بالقرب من منزل شقيقه المجرم رفعت، بينما قطعت الشوارع المحيطة بالمستشفى، ونقل الرئيس الإفريقي المشدوه إلى المطار بسرعة ومن هناك إلى بلاده.

لم تكن هذه الحادثة سرًّا على أحد، فالصحفيون ومندوبو وكالات الأنباء الذين غطوا وقائع زيارة الرئيس الأفريقي شاهدوا الحادثة بأعينهم.

مجزرة تدمر:

أما المجرم أسد الذي أصيب بجروح طفيفة بسبب كثافة عناصر المرافقة حوله؛ فقد انتابته حالة عصبية هستيرية جعلته يقدم على إجراءات انتقامية عدة، كان منها مجزرة سجن تدمر التي أمر بتنفيذها بعد يومين من حادثة محاولة اغتياله، وقد راح ضحيتها ألف شهيد من خيرة أبناء هذا الشعب المؤمن، وأشرف على تنفيذ هذه العملية شقيقه المجرم رفعت أسد.

وتتابعت بعد ذلك مسلسلات المجازر الجماعية والفردية بشكل يومي، حيث كان السجناء ينقلون من فروع المخابرات في المدن السورية إلى سجن تدمر، حيث يقتلون هنالك على أيدي مجرمي السلطة الغادرة.

وانكشفت هذه المجزرة أمام العالم كله الذي صمت عن أمرها وتكتم عليه، ولكن بعد فترة من الزمن اعتقلت سلطات الأمن الأردنية مجموعة من عناصر سرايا الدفاع بينهم العقيد النصيري إسماعيل بركات، وقد اعترفوا بأن قدومهم إلى عمان إنما هو للسعي نحو اغتيال رئيس الوزراء الأردني مضر بدران، وفي مقابلة أجراها الإعلام الأردني معهم أدلوا باعترافات خطيرة حول تفاصيل مجزرة تدمر التي شاركوا بارتكابها، ومع ذلك ظل الإعلام الغربي والشرقي صامتًا على السواء.

إن هذه المجزرة- بما فيها من غدر ولؤم وحقد على المسلمين- تركت أثرًا لا يمحى في ضمير الشعب المسلم في سوريا، لقد ظهر المجرم حافظ أسد وزمرته الحاقدة بعد هذه المجزرة بوجوههم البشعة، ومن خلال هذه المجزرة ورط طائفته بجريمة نفذها بسواعد أبنائها.

لقد عمل هذا المجرم الطائفي الحاقد على فعل كلِّ شيء من أجل البقاء على كرسي الحكم الذي اغتصبه بالقوَّة، فقد شرد وهجر وعمل على بث سمومه وأحقاده ضد أبناء شعبنا المصابر، ولن ينسى شعبُنا هذه المجازر، ولن ينسى مرتكبيها، ولن ينسى من حرض عليها، سواء كان من الشرق أو من الغرب.

لقد قام المجرم حافظ أسد ورؤوس نظامه بدور خطير حين ذبحوا الشعب في سوريا ولبنان، وكذلك الشعب الفلسطيني الآمن في بيوته ومخيماته.

وقـد وضـع بذلك- حين رضي بالتعـاون مع الصليبية واليهوديـة- أبناء طائفته التـي يسـتخدمها في تنفيـذ إجرامه في عداء سـافر مع الشـعوب الإسـلامية والعربية منها بشـكل خاص.

وإن مجزرة حماة لم تكن إلا تتويجًا لسلسلة مجازره القذرة، وإننا نعلم من حوادث التاريخ أن البطش والإرهاب لن يستطيعا أن يقهرا عقيدة الإسلام الحنيف، وستثبت الأيام بأن جند الإسلام الذين امتلأت نفوسهم بحب الله سوف ينتقمون لدين الله، وستثبت أيضًا بأن شعوب هذه المنطقة لن تغفر للمجرم أسد ولا لطائفته النصيرية إجرامهم بحقنا مهما طالت الأيام بإذن الله.

ألا وليعلمـن القـاصي والداني، بأن اليوم الذي سـيتحرر فيه شـعبنا المسـلم في سـوريا لا بـد أن يـأتي، وحينها لن تنفع المجرمين الذين سـاموا هذا الشـعب سـوء العذاب أسـاطيل أمريكا ولا صواريخ روسـيا، وستشـهد السـاحة السـورية أعمال انتقام سيسـجلها التاريـخ بإذن الله.

ونحن هنا إنما نسجل الحوادث لحصر المعلومات، لا لإثبات حقد النظام الكفري المجرم أو غدره، ونعود مرة أخرى لنرى التسلسل الرهيب لجرائم الطاغية حافظ أسد، ولنلاحظ أيضًا تنوع هذه الجرائم واختلاف أشكالها، فقد قام كذلك زبانية السلطة بقتل أهالي الإخوة المطلوبين في حماة وحلب، وفي مقدمتهم: أهل الأخ هشام جنباز، والشيخ سعيد حوى...

كمين باب السلام:

ومـا دمنـا نتكلـم عـن جرائم السـلطة وأسـاليبها الخسيسـة؛ فإننا ننبـه هنا إلى أن السـلطة الجبانـة لم تكـن لتدع الكـذب يومًا من الأيـام، ونحن نعلـم أن الصدق

يحتاج إلى الجرأة، والصراحة إلى الشجاعة، ونظام المجرم حافظ أسد بشخصياته الهزيلة وبأجهزته المختلفة ليسوا إلا مجموعة من المجرمين الجبناء؛ الذين لا يستطيعون إلا أن يكذبوا على أنفسهم أولًا وعلى الشعب ثانيًا، وكلما زاد دجل النظام وخداعه عرفنا فيه الخوف والهلع اللذين يحوطانه، لقد ادعى النظام أن الإخوة المجاهدين يتلقون المساعدات العسكرية من العراق والأردن، لقد أعلن ذلك وهو يدرك أن المجاهدين إنما كانوا يشترون سلاحهم من المهربين وتجار السلاح، وبما أن النظام الكاذب يعرف هذه الحقيقة؛ فقد قامت أجهزته الحقيرة بإغراء أعداد كبيرة من تجار السلاح والمهربين بمبالغ مالية طائلة للإبلاغ عن الإخوة المجاهدين الذين يحاولون شراء الأسلحة منهم، وقد حصل هذا الأمر عدة مرات.

ففي تاريخ ١٨/ ٧/ ١٩٨٠م قامت عناصر المخابرات التابعة للمجرم محمد ناصيف رئيس فرع الأمن الداخلي للنظام؛ بالاشتراك مع أعداد كبيرة من سرايا الدفاع بنصب كمين للإخوة المجاهدين في منطقة باب السلام؛ إثر وشاية أحد تجار السلاح الذي أخبر السلطة عن مكان تسليم الصفقة بعد أن قبض ثمنها (٩٠ ألف ليرة سورية)، وحين حضر الإخوة لتسلم السلاح حاول تاجر السلاح استدراجهم إلى سيارة (فوكس فاكن) كانت تقف في مكان التسليم، وتقدم الأخ جمال طعمينا من السيارة وهو يحمل بيده قنبلة يدوية نزع منها مسمار الأمان، وطلب من تاجر السلاح أن يفتح باب السيارة بنفسه، وتوزع الإخوة الآخرون على المداخل بالقرب من مكان التسليم.

لقد تصرف الأخ جمال حسب التعليمات التي تلقاها من القيادة؛ لأننا لم نكن نثق بتجار السلاح أبدًا، وتردد تاجر السلاح في فتح باب السيارة ولكن بعد إلحاح

الأخ جمال تقدم من باب السيارة وقام بفتحه، ولم تمض سوى لحظات قليلة حتى خرجت من داخل السيارة مجموعة من عناصر المخابرات، كما خرجت أعداد أخرى من البيوت المجاورة، وحاولوا جميعًا اعتقال الأخ جمال، كذلك باشرت عشرات العناصر المتمركزة فوق أسطح المنازل المجاورة لمكان التسليم بإطلاق النار في الهواء؛ لأجل إرباك الأخ جمال وبقية إخوانه حتى يسهل اعتقالهم.

لكن الذي حصل هو أن الأخ جمال طعمينا كان أسرع منهم حين نزع مسمار أمان قنبلته الدفاعية الثانية، ولدى اقتراب عناصر المخابرات للإطباق عليه انفجرت القنبلتان بين يديه، وألقى أحد الإخوة قنبلة ثالثة انفجرت وسط العناصر المحيطة بالأخ جمال.

أسفر هذا الكمين عن استشهاد الأخ جمال طعمينا رحمه الله، وقتل تاجر السلاح الخائن وعدد من عناصر السلطة المجرمين، بينما تمكن بقية الإخوة من الانسحاب إلى قواعدهم سالمين، وذلك بعد تبادل إطلاق النار مع عناصر المخابرات.

أصيب المجرم أسد بخيبة أمل كبيرة؛ إذ كان يتابع العملية بأعصاب متوترة، وهو ينتظر نبأ اعتقال الإخوة من المجرم ناصيف، الذي حشد عناصره وضباطه واستعان بسرايا الدفاع ظنًّا بمقدرته على اعتقال الإخوة، لينال حظوة عند رئيسه الحقير.

لقد كانت عناية الله عز وجل وراء الأحداث وفوق الأشخاص، فالله تعالى أرحم بالمجاهدين من أنفسهم، إن دقة الإخوة والحذر الدائم والشجاعة الفائقة لديهم، ومن وراء ذلك كله عناية الله تعالى، منعت السلطة من تحقيق مآربها في اعتقالهم.

الأخ الشهيد: جمال طعمينا:

الأخ الشهيد: جمال طعمينا من مواليد دمشق- مزة ١٩٥٨م، طالب في جامعة دمشق- كلية الآداب، فرع الأدب العربي، ترجع معرفتي به إلى اليوم الذي انضم فيه إلى التنظيم الجهادي المسلح، ضمن أسرة ضمت كذلك الأخ عصام حلاق، مزة ١٩٥٧م، والأخ مأمون دقو، مزة ١٩٥٧م الذي اعتقل في بداية عام ١٩٨٠م، وعلى إثر اعتقاله لوحق الأخوان جمال وعصام، كان الأخ جمال واسع المعرفة، غزير العلم، كثير الاطلاع، شديد البنية، متوقد الذهن، حسن الخلق، وكان أشبه الناس بالأخ الشهيد: صلاح الدين شقير رحمه الله، إضافة لذلك فقد كان يخطب الجمعة في مسجد الفتح القريب من منزله، شارك الأخ جمال بالعديد من عمليات «الطليعة المقاتلة» في دمشق، عرف خلالها بهدوء الأعصاب وبدقة التنفيذ، استشهد في كمين باب السلام، أسأل الله عز وجل أن يجمعنا به مع بقية الإخوة في مستقر رحمته...

كمين لـ (مكرو باص) تابع لدار البعث:

في تاريخ ٢٦/ ٧/ ١٩٨٠م، قام مجاهدونا الميامين بنصب كمين لـ (مكرو باص) تابع لدار البعث للنشر والإعلام، وذلك بالقرب من دوار باب المصلى، حيث أطلق الإخوة عليه الرصاص فأصيب عدد من ركابه بجراح طفيفة، بينما تمكن السائق الذي لم يصب من زيادة سرعة السيارة والنجاة من رصاص المجاهدين، وعاد إخوتنا بعد هذه العملية إلى قواعدهم سالمين.

عبوة ناسفة في باص للخبراء الروس:

جعلت العمليةُ السابقةُ السلطةَ تشدد إجراءاتها الدفاعية، فوضعت الحمايات

على معظم المحاور التي تمر منها الأهداف الجماعية، وحتى لا نقع في خطأ ما قررت القيادة اتباع أسلوب جديد لم تستخدمه سابقًا، فقامت إحدى مجموعاتنا بتاريخ ٥/ ٨/ ١٩٨٠م باستطلاع دقيق لـ (باص مان) يستخدم لنقل الجواسيس الروس، وبعد ذلك قامت بتثبيت عبوة ناسفة مؤقتة تزن(٧ كيلو غرام) من (الديناميت) في أسفل الباص الذي انفجر عند مروره في ساحة العباسيين، وأحدث الانفجار دويًّا هائلًا أدى إلى تدمير الباص تدميرًا كاملًا، كما قتل جميع ركابه البالغ عددهم ٢٠ شخصًا، بينهم بعض الحراس من عناصر المجرم أسد الذين يرافقون الجواسيس الروس، وعقب انفجار الباص بدأت عناصر السلطة المتواجدة في ساحة العباسيين بإطلاق النار نتيجة الذعر الذي ملأ كيانهم، كما قامت السلطة بزج أعداد أخرى من عناصرها لتطويق المنطقة من أجل محاصرة الإخوة المجاهدين الذين كانوا في قواعدهم آمنين.

وذهلت أجهزة السلطة لهذه العملية الذكية، وعاد أزلامها وهم يجرون أذيال الخيبة والحسرة، وقد أشرف على تنفيذ هذه العملية الأخ أحمد زين العابدين.

المجرم النصيري يونس أنيس:

في اليوم التالي قام مجاهدونا بنصب كمين للمجرم النصيري المساعد أول يونس أنيس؛ الذي يعمل محاسبًا في فرع فلسطين، والذي كان يدعي أمام جيرانه بأنه ضابط برتبة رائد، وقد عرف عنه ابتزاز أهالي السجناء بالمال ليتوسط لهم برؤية أبنائهم المعتقلين، وعند خروجه من منزله الكائن في منطقة المجتهد خلف المستشفى، تقدم أحد الإخوة إليه وأطلق عليه النار من رشاش نوع (ستشن)، ثم تقدم الأخ الثاني وأطلق النار عليه أيضًا من مسدس رشاش فخر على الفور صريعًا، بينما تمكنت المجموعة من الانسحاب بسلام، والحمد لله.

المقابلات التلفزيونية مع إخواننا الأسرى:

في هذه المدة، ومع تغير العمليات التي أصابت نظام الغدر بالذهول؛ اندفع التلفزيون السوري في إجراء المقابلات المختلفة مع عدد من الإخوة المعتقلين، الذين عذبوا وأوذوا الكي يتفوهوا بما يطلب منهم على شاشة (التلفزيون)، وصارت السلطة تشوه الحقائق وتزيف الوقائع، وهي تلهث جاهدة لإظهار الإخوة المجاهدين بمظهر المجرمين الأشرار، الذين يطلبون الصفح والرأفة من صاحب القلب الكبير، والعلم الغزير، والحكمة الواسعة، المجرم حافظ أسد!

هذه المقابلات، نتيجة لحماقة القائمين عليها، ودناءة أنفسهم، ولؤم طبعهم؛ لم تكن لتخدع أحدًا، إن رأي الأخ الأسير مرفوض لدينا لأنه لا يعبر عن نفسه أبدًا، إنه يعبر عن شدة التعذيب الذي تمارسه أجهزة السلطة وزبانيتها المجرمون، إن أقوال هؤلاء الإخوة الذين ظهروا على شاشة (التلفزيون) إنما هي أقوال انتزعت تحت الضغط والإكراه، لقد كانت الأنباء تصلنا تترى عن التعذيب الوحشي البشع الذي يمارس على مجاهدينا الأسرى.

مقابلة الأخ يوسف عبيد:

وكان ممن تعرض للتعذيب الشنيع من أجل مقابلة تلفزيونية الأخ يوسف عبيد، وسجلت المقابلة الأولى التي لم تعجب المجرمين، فعادوا للتعذيب والإرهاب، ومن جديد سجلت المقابلة الثانية، وتلتها الثالثة، وهكذا لم تكن أي مقابلة ناجحة ولو بقدر ضئيل يمكن السلطة من عرضها، إن التعذيب الرهيب الذي كان يستمر الساعات الطوال؛ من أجل التلفظ بعبارات تريد السلطة اتهام المجاهدين من خلالها لم يفلح في زعزعة الأخ يوسف، أو شل إرادته.

لقد استخدمت السلطة المتمثلة بأجهزة القمع والإرهاب، بالتعاون والتنسيق مع الجهاز الإعلامي الذي كان يشرف عليه المجرم (أحمد إسكندر أحمد)، استخدمت أخس الوسائل وأحقرها؛ لإخراج مقابلة تبث على التلفزيون لتشويه سمعة المجاهدين، ولكنها- والحمد لله- لم تحصل على ما تبتغيه، فقد كان الأخ يوسف أصلب وأقسى من كل وسائلهم الهمجية، وسيأتي اليوم الذي تنكشف فيه أساليب التعذيب المتنوعة التي تحملها إخواننا المجاهدون.

وظهر الأخ يوسف على (التلفزيون)، وآلمني منظر الليث الجريح وقد ظهر إلى جانبه المجرم المذيع وليد السرديني المعروف بسفاهته ولؤمه، وراح يطرح الأسئلة، ولم تكن الإجابات تتحدث إلا عن صلاح الإخوة وتقواهم، ونوه من طرف خفي إلى شدة التعذيب الذي عاناه، وأكد في مقابلته أن المجاهدين في دمشق لم يقتلوا سوى النصيريين، وكذلك أعوان السلطة من عناصر المجرمين، وأظهر قوة التنظيم من خلال هذه المقابلة، وأبدى ندمه لتفجير المؤسسات الاستهلاكية لسبب واحد: وهو أن التجار الجشعين قد استغلوا هذه العملية لصالحهم.

وحين سأله المجرم السرديني: لماذا فجرتم المؤسسات؟ كان الجواب صريحًا وهو:

(أنت تعرف موقفنا كمسلمين من النظام الاشتراكي).

وختم الأخ يوسف حديثه بضرورة المفاوضات مع السلطة لوقف إراقة الدماء.

لقد ظهر واضحًا أن السلطة تريد وقف عمليات المجاهدين بأي وسيلة كانت حتى تكسب الوقت، وأما قرارها الذي اتخذته بتصفية شباب الحركات الإسلامية فكان قرارًا قطعيًّا لا رجوع عنه.

إن كلام الأخ يوسف في المقابلة كان عبارة عن رسالة موجهة إلينا، استفدنا منها كثيرًا وفهمنا كل رموزها وعرفنا مراميها، وكان لها الأثر الإيجابي في صفوف الشعب الذي أعجب بجرأة الأخ يوسف وحسن كلامه، (نشير هنا إلى أن الأخ يوسف لم يتطرق إلى المجرم أسد في مقابلته نهائيًا، بل ختم المقابلة بالدعاء للإخوة المجاهدين).

بعد عرض هذه المقابلة أصدرت قيادة المجاهدين أمرًا باستطلاع المجرم وليد السرديني، وجرت عدة محاولات لاغتياله، ولكن إرادة الله حالت دون ذلك، إلا أننا سنسعى بإذن الله للقصاص من هذا المجرم اللئيم، ومن كل العناصر التي تؤذي المسلمين، مهما استطال الزمن وبعدت الأيام، نحن لن ننسى أبدًا ما قام به هؤلاء المجرمون، ولا بد أن يثمر صبرنا انتقامًا كبيرًا للإسلام والمسلمين، وستثبت الأيام صدق عزيمتنا حين تتدحرج الرؤوس المجرمة، فيقتل المجرم محمد الحوراني، والمجرم هيثم الشمعة، وتدمر وزارة الإعلام فوق رؤوس مجرميها.

تفجير المؤسسات الاستهلاكية:

دأب الطاغية الباطني حافظ أسد منذ أن وصل إلى كرسي الحكم على خداع الشعب المسلم في سورية، فهو لا يترك مناسبة إلا ويحاول الظهور فيها بمظهر الإنسان المسلم الذي يحرص على دين الله، ويلتف حوله مجموعة من المنافقين المنتفعين الذين يرتدون زي العلماء المسلمين، ويقومون بتلميع وجه المجرم أسد وإظهاره أمام أبناء شعبنا المؤمن بصفة الصلاح والتقوى، ومن هذه المناسبات مناسبة عيد الفطر، فهو يذهب إلى المسجد متأبّطًا ذراع مفتي النظام أحمد كفتارو، ويقوم بحركات الصلاة، وبعد انتهائها يخرج من المسجد في تظاهرة جماهيرية حاشدة جميع أفرادها من مجرمي المخابرات، الذين يلتفون حول الطاغية ويهتفون بحياته لإكمال المسرحية المعدة

سابقًا، بعد ذلك تتوالى نشرات الأخبار وهي تصدح بخطبة العيد التي ألقاها أحد المنافقين، وفيها من المديح الكاذب ما تشمئز منه النفوس وتهزأ به العقول، فتارة يجعله مناضلًا وأخرى قائدًا، وثالثة يرفعه فيها إلى مراتب الألوهية، وكل ذلك لقاء دراهم معدودات.

لذا قررت قيادة «الطليعة المقاتلة» بدمشق تنفيذ عمليات تفجير واسعة تستهدف مؤسسات النظام الاستهلاكية، وكان لهذا الاختيار سببان، وهما:

١ - التنديد بتدنيس بيوت الله إثر زيارة المجرم أسد لها.

٢ - حتى يتأكد النظام أننا لا نرضخ لتهديد، ولا نسير وراء تضليل، وأننا لا نأخذ برأي أسير أجبر على التكلم تحت سياط الجلادين.

فإن كان الأخ يوسف قد أظهر ندمه على تفجير مؤسسات السلطة، فلا يعني ذلك أن قيادة المجاهدين قد جمدت عند هذا الرأي، لا، بل تحركت لتفجير المؤسسات، حتى يرتفع الذل والهوان عن أبناء شعبنا المسلم.

وفي تمام الساعة الخامسة والنصف صباحًا من يوم الاثنين ١١/ ٨/ ١٩٨٠م، أول أيام عيد الفطر، انطلقت تسع مجموعات من إخواننا المجاهدين، وقامت بزرع تسع عبوات ناسفة في تسع مؤسسات استهلاكية توزعت على الأماكن التالية:

حي الميدان، حي الأكراد، حي المهاجرين، قلب دمشق.

وأدت الانفجارات المتعددة في مختلف أحياء دمشق إلى استنفار كبير في صفوف المخابرات، بينما تمكن إخواننا من العودة إلى قواعدهم سالمين.

وهنا نوجه الاهتمام إلا أن حجم العبوات الناسفة كان صغيرًا، وذلك حتى لا يتأذى الإخوة المواطنون، وكانت العملية تستهدف الناحية المعنوية لا المادية، وحتى

يعلم الناس بأننا نرفض نظام المجرم أسد، ومع أن العملية قد غطت مساحة واسعة من مدينة دمشق إلا أن الإعلام لم يشر لها بشيء.

أولى عمليات الإخوان المسلمين (التنظيم الجديد):

في هذا اليوم بالذات نفذ الإخوان المسلمون أولى عملياتهم ضد النظام الطائفي المتسلط، حيث قاموا بتوزيع قصاصات ورقية صغيرة كتبت عليها عبارات تهاجم النظام وأحكامه الجائرة، وخاصة (القانون ٤٩) الذي أصدره المجرم حافظ أسد، ويقضي هذا القانون بإعدام كل من ينتسب لجماعة «الإخوان المسلمين»، وقد وزعت هذه القصاصات بكميات هائلة في مساجد دمشق وفي الطرقات، وهذه العملية تم تنفيذها دون التنسيق معنا، وسنعرض لتفصيل ذلك إن شاء الله.

استشهاد الأخ القائد هشام جنباز:

وفي اليوم الرابع من شهر شوال التقيت بالأخ جابر، وهو المراسل الخاص ما بين حماة ودمشق، ونقل لي ما جرى للأخ هشام جنباز (أمير التنظيم الجهادي في سوريا) بعد قدومه إلى حمص، فقد اشتبك الأخ هشام مع عناصر المخابرات وأصيب بجراح خفيفة، كما استشهد أحد الإخوة المرافقين له وهو الأخ عرفان سراقبي، وأصبح الوضع الأمني للأخ هشام في مدينة حمص سيئًا، وبعد عدة أيام أعلنت السلطة المجرمة عن استشهاد الأخ المجاهد البطل هشام جنباز، إثر معركة طاحنة دارت رحاها في بساتين الميماس بحمص، واستغرقت عشر ساعات، استخدمت السلطة في هذه المعركة طائرات مروحية، كما قامت بتطويق البساتين بحوالي (١٠) آلاف عنصر.

وأود هنا أن أكتب لمحة عن الأخ الشهيد: هشام جنباز، ولن تستطيع هذه الكلمات أن تفي بجزء ضئيل مما عرف عن البطل الشهيد، وسأقوم بربط الأحداث المستجدة التي ترافقت مع استشهاده، والتي كان لها الأثر الكبير على خط سير التنظيم الجهادي في دمشق، إنها مرحلة عصيبة دفعنا فيها الكثير من الضحايا، وفقدنا الكثير من الشهداء الأبرار، كما أننا خسرنا الكثير من الإمكانيات.

ترجع معرفتي بالأخ هشام جنباز إلى عام ١٩٧٧م حين عرفني عليه أستاذنا القائد الشهيد عبد الستار الزعيم، وزادت معرفتي به حين كلفنا بتنفيذ حكم الله بالمجرم إبراهيم نعامة، وقدر الله لي أن أسكن مع الأخ هشام والأخ مهدي علواني في بيت واحد، إثر الاعتقالات والإجراءات الشديدة التي اتخذتها السلطة، وكانت المرحلة التي قضيناها عدة شهور مضت باستطلاع الأهداف ودراستها، مع مناقشة وضع التنظيم ومتابعة شؤونه، ومن خلال هذه الأيام ظهر أمامي ذلك البطل المجاهد وما تميز به من خصال حميدة.

في البيت عرفت تقواه وصلاحه وعلو همته، وكثرة تعبده وتلاوته للقرآن وشغفه الشديد بالمطالعة، كما أنه لم يكن ليدع رياضة الجسم بعد رياضة النفس، فكان قوي البنية مهيئًا لخوض المخاطر في كل الأحيان، وعرفته مجاهدًا صلبًا قوي القلب، متزن الفكر هادئ الأعصاب، متمرسًا بقتال أعداء الله، وذلك من خلال المخاطر اليومية التي نتعرض لها أثناء الاستطلاع، وحسبه رحمه الله أنه كان يكلف بتنفيذ أخطر المهمات، وقد صرح لي الأخ القائد عبد الستار الزعيم أنه يكن في نفسه احترامًا خاصًا للأخ هشام، ولهذه الصفات كان يميزه عن بقية الإخوة في التنظيم، إضافة لما ذكر فقد كان الأخ هشام لطيف المعاشرة كثير المرح لا يمل جليسه كثرة الجلوس معه، وكان ينتقل ما بين دمشق وحماة حسب متطلبات التنظيم، وقد شهدت له دمشق وحلب

وحماة وحمص عدة عمليات ناجحة ضد رؤوس السلطة، وبعد استشهاد الأخ عبد الستار الزعيم رحمه الله؛ تسلم قيادة التنظيم في حماة الأخ هشام جنباز، الذي عانى الكثير من الصعوبات وهو يواجه الأوضاع الأمنية الجديدة، كما تسلم قيادة التنظيم الجهادي في سورية، وأرسل لنا عددًا من المراسلين برسائل كتابية وشفوية؛ لتنسيق المواقف المختلفة والسير بخطة واحدة في جميع المدن السورية، وبعد مناقشات طويلة استقر الرأي على النحو التالي:

الاستمرار بطريقة حرب العصابات في مجابهة السلطة، وهذا القرار يستدعي تخفيف الإخوة في حماة من عملياتهم التنفيذية، بينما نزيد في دمشق من وتيرة عملياتنا، وبذلك يصبح الوضع متناسبًا بين المدينتين، وتكفل الأخ هشام بمتابعة الأوضاع مع الأخ عدنان عقلة في مدينة حلب، حتى يكون التنسيق كاملًا على الساحة السورية، ويعود التنظيم لسابق عهده كما كان أيام القائد عبد الستار رحمه الله.

ننتقل إلى مدينة حمص؛ حيث كان الإخوة هنالك يعانون من ضعف كبير في الخبرة الحركية ونقص في الإمكانيات، وخاصة بعد استشهاد الأخ الداعية عبد المعين السيد قائد التنظيم في حمص مع عدد من إخوانه الأبرار.

وكانت هناك مشكلة أخرى وهي كثرة العناصر المطلوبة مع قلة القواعد المتوفرة، مما أدى إلى اعتقال واستشهاد العديد من الإخوة الذين لا يجدون القواعد اللازمة لإيوائهم.

فقد قام العميد النصيري المجرم غازي كنعان رئيس المخابرات العسكرية في مدينة حمص بحملة اعتقالات واسعة شملت الصف الإسلامي بأكمله، وقد كان زبانيته يعتقلون كل شاب مسلم عرف عنه أنه يصلي حتى امتلأت بهم السجون،

واضطرت أعداد كبيرة إلى التواري عن الأنظار والهروب من الاعتقال، ولما لم يجد هؤلاء الإخوة القواعد اللازمة للاختفاء راحوا يتجولون في النهار بالشوارع، وفي الليل يبيتون في المقابر والبساتين التي لم تسلم من التمشيط.

لقد عمل المجرم غازي كنعان على نشر أعداد كبيرة من عناصر المخابرات في الشوارع والأحياء، وكانوا يمسكون بكل مشتبه به بشكل مفاجئ في الطريق، هذا العمل أدى إلى اعتقال أعداد كبيرة من الإخوة واستشهاد أعداد أخرى.

أمام هذا الوضع المأساوي الذي عاشه التنظيم المسلح في مدينة حمص، قررت قيادة المجاهدين في حماة أن ترفد الإخوة في حمص بعدد من العناصر الحركية المتمرسة لدعم التنظيم المسلح هناك، وكان الأخ هشام على رأس هؤلاء الإخوة حيث انتقل إلى مدينة حمص؛ ليتحمل بنفسه أعباء هذه المهمة، وترك قيادة التنظيم في حماة لنائبه الأخ تميم الشققي، وفي فترة تقارب الشهر تمكن الأخ هشام من ضبط الأمور، وذلك بما عرف عنه من سرية وحزم.

الرد على مجزرة تدمر:

وهنا نعود إلى مجزرة تدمر، حيث قررت قيادة المجاهدين القيام بأعمال انتقامية من المجرم أسد وزبانيته الأشرار، وقرر الأخ هشام في حمص تنفيذ عملية كبيرة في الكلية الحربية، يمكن تشبيه هذه العملية بمدرسة المدفعية التي حدثت في حلب، وتتلخص بالهجوم على ندوة الكلية الحربية، ومهاجمة العناصر النصيرية والحزبية أثناء تناول طعام الغداء في شهر رمضان المبارك، البالغ عددهم حوالي (٥٠٠) عنصر تقريبًا، وسيقوم بالهجوم عشرون أخًا بالاشتراك مع بعض العسكريين داخل الكلية الحربية نفسها.

كانت الخطة محكمة تمامًا، وستؤدي إلى القضاء على كافة العناصر المتواجدة داخل الندوة، ولكن إرادة الله شاءت أن ينكشف أمر هذه العملية قبل التنفيذ.

نحو الاستشهاد:

أوقف الأخ هشام السيارة التي كان يستخدمها في مكان قريب من البيت الذي يقيم فيه، ولاحظ أحد مخبري السلطة ثلاثة شباب غرباء يترجلون من السيارة ويدخلون إلى أحد البيوت القريبة، فارتاب من أمرهم، وقام بإحضار دورية تابعة للمخابرات التي جاءت وفتحت باب السيارة وبحثوا عن أوراقها فلم يعثروا عليها، فقرعوا باب المنزل الذي دخله المجاهدون، وما هي إلا لحظات قليلة حتى تبين الإخوة حقيقة الموقف، وانطلق الأخ هشام بجرأته المعهودة نحو الدورية وهو يطلق الرصاص من رشاش نوع شناير، فقتل ثلاثة وجرح الرابع الذي تمكن من إطلاق النار فجرح الأخ هشام، واستشهد الأخ عرفان سراقبي رحمه الله.

انسحب الأخ هشام مع اثنين من إخوانه في السيارة مسافة ٣ كم، ثم ترجلوا منها وتوجهوا نحو بساتين الميماس إلى مزرعة قريبة يملكها أحد الإخوة.

وقضت إرادة الله أن يعتقل أحد الإخوة الذين يعرفون المزرعة في اليوم الثاني، وتحت التعذيب انتزع منه اعتراف حول مكان الأخ هشام، وعلى الفور طوقت المنطقة بـ (١٠) آلاف عنصر من الكلية الحربية، مدعومين بالدبابات والطائرات المروحية، ودارت رحى معركة رهيبة استمرت ١٠ ساعات، استخدم فيها الإخوة البنادق الروسية والقنابل اليدوية، وأسفرت المعركة عن استشهاد الأخ هشام مع عدد من إخوانه، وتمكن عدد آخر من الانسحاب من ساحة المعركة، بينما قتلت أعداد كبيرة من عناصر السلطة.

لقد كان استشهاد القائد هشام جنباز على أروع ما يكون الاستشهاد، بعد أن أمضى حياته جهادًا في سبيل الله، وستشهد دمشق وحماة وحمص وحلب على صدق عزيمته وشدة بلائه ومضيِّه، وودع الشعب الصابر في سورية أحد مجاهديه الأبطال الذين وقفوا بوجه الظلم والاستبداد، ولسوف يروي التاريخ قصص الأبطال الذين حملوا لواء دعوة الإسلام فوق هذه الربوع، وسطروا عليها أروع الصفحات، وخلدوا ذكرى المسلمين في حقبة قاسية لم يشهد لها التاريخ الإسلامي مثيلًا من قبل، ولن ينسى القائد الشهيد مروان حديد، ومن بعده القائد الشهيد موفق عياش والقائد الشهيد عبد الستار الزعيم والقائد الشهيد هشام جنباز، ولن ينسى تميم وخليل الشققي، ولا بسام أرناؤوط ولا عمر جواد وغيرهم من القادة الأعلام، وستبقى دماؤهم الزكية تشع نورًا على طريق الجهاد الطويل، وستبقى نبراسًا لكل مجاهد يسير في هذا الطريق، وسينقشع ظلام الجاهلية العمياء وتشرق شمس الحقيقة الوضاءة فوق ربوع سورية بإذن الله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

رحمة الله عليك يا أيها البطل الشهيد.

ونحن لن نركن ولن نلين وسنظل على العهد، عهد الله في متابعة الطريق، وسنتقدم إلى الأمام ولن نتراجع أبدًا، وسنبذل الدماء رخيصة في سبيل الله حتى تعلو وترتفع راية الإيمان، لقد أرادت السلطة المجرمة بحق شعبنا المؤمن أن تستغل استشهاد الأخ هشام جنباز؛ القائد الأعلى للطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين في سوريا، فحاولت أن ترفع معنويات عناصرها المنهارة تحت ضربات المجاهدين، فأعلنت بأنها ستقضي على الإخوة المجاهدين وستصفي كل أفراد التنظيم في فترة قصيرة.

التراجع السريع في عمليات المجاهدين بمدينة دمشق:

في هذه المرحلة العصيبة التي كانت تمر بها سورية وحركتها الجهادية المباركة؛ وقعت في دمشق أحداث جسيمة في فترة ما بين عيدي الفطر والأضحى، كان لها تأثير كبير على مجرى الأحداث الداخلية، فانقلبت موازين المعركة وبدأت نتائجها تتحول في تراجع عكسي واضح، وظهرت على وجوه الناس علامات الذهول والاستغراب، فما الذي حصل في صفوف المجاهدين حتى تبدلت الأوضاع؟.

لقد كانت علامات التراجع واضحة لكل متابع للأحداث، وذلك بالمقارنة مع الأوضاع السابقة، فمنذ اعتقال الشيخ مروان حديد والأخوين عرفان المدني وموفق عياش أي من عام ١٩٧٦م، وحتى عيد الفطر عام ١٩٨٠م؛ كانت خسائرنا طفيفة بالنسبة لخسائر السلطة، وفجأة ودون مؤشرات أو مبررات بدأت الأوضاع بالتراجع بشكل مذهل، فخلال شهرين قامت السلطة بمداهمة عشرات القواعد، واعتقلت مئات الإخوة من إخواننا المسلمين، واستشهد المئات من الإخوة المجاهدين، وتوقفت عمليات التنفيذ ضد السلطة المجرمة، ونشطت السلطة بحملة إعلامية واسعة ادعت فيها القضاء على المجاهدين في مدينة دمشق قضاءً مبرمًا، وأصدرت قانونها بالعفو عن كل إنسان ينسحب من جماعة «الإخوان المسلمين».

كل هذه التراجعات حصلت خلال شهرين اثنين، فما هو السبب الحقيقي وراء هذه الانتكاسة الخطيرة؟ وما هو السر وراء كل هذه الخسائر؟.

إن كثيرًا من إخوتنا المجاهدين وكذلك أبناء شعبنا المصابر؛ الذين عايشوا هذه المرحلة المأساوية بكل مصائبها ومصاعبها، كانوا يودون لو عرفوا الأسباب الحقيقية وراء هذا الانهيار.

لقد كتمنا هذه الأسباب عن كثير من المتعاطفين معنا، وحتى عن إخوتنا داخل التنظيم؛ لاعتبارات أمنية معينة حالت دون الإفصاح عن ذلك في نفس التاريخ، أما اليوم فإننا نود كشف هذه الحقائق وتبيين وقائعها لسببين:

١ - إن كل هذه الأحداث بتفاصيلها وما دار خلالها من مناقشات، قد وصلت إلى السلطة إثر اعتقال عدد من الإخوة الذين لهم علاقة بهذا الموضوع.

٢ - بناء على ذلك وتوخيًا للفائدة من هذه التجربة المريرة، ولكي يعلم المسلمون الأسباب الحقيقية وراء الفشل الحاصل، وحتى يتبين لهم بأن الخلاف والنزاع لا يأتي إلا بالفشل والتدمير والعياذ بالله، وحتى يستفيد المخلصون من هذه التجربة القاسية، ويبتعدوا بكل ما أوتوا من قوة عن التنازع والخلاف والتفرق.

إننا سنعرض الأمور كما حصلت، لا نبتغي من وراء ذلك إلا وجه الله تعالى، لقد دفعنا الكثير من الدماء وخسرنا العديد من الإمكانيات، ولا بد للمسلمين من اجتناب كل هذه الأسباب التي تؤدي إلى فشلهم وذهاب ريحهم.

إن اعتقادنا الذي رسخ في أذهاننا بأنه يجب علينا أن نتحدث عن هذه الأوضاع وما رافقها من مشكلات، حتى ننصح للمسلمين ونؤدي أمانة في أعناقنا بإزالة الغبش عن العيون بقدر ما نستطيع، وربما سببنا بعض الألم، ولكن لا بد لنا من أن نضع يدنا على الجرح الكبير؛ لنتجنب أسبابه ودواعيه، ونسأل الله عز وجل أن يجعل الخير للمسلمين في هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

نظرة أولية:

ذكرنا سابقًا أن معظم قياديي جماعة «الإخوان المسلمين» مع كثير من عناصرهم قد غادروا سورية ما بين عامي ١٩٧٧ - ١٩٨٠م، وأن تنظيمهم داخل سورية لم يعد

فعالًا كالسابق، بالمقابل نشط الإخوة خارج سورية، وبذلوا جهودًا مشكورة بتوفير الدعم المعنوي لحركة الجهاد داخل سوريا، من خلال النشاط السياسي الواسع، وكذلك العمل على جمع التبرعات المالية لمساعدة المجاهدين في الداخل.

خلال هذه السنوات لم يكن لنا أي اتصال مع قيادة جماعة «الإخوان المسلمين» في الخارج، ولم يكن لنا أي اتصال آخر سوى اتصالنا مع الإخوة في «الطليعة المقاتلة» بحماة وحلب، أما المساعدات فقد كانت تأتينا من قبل تنظيم الطليعة في حماة، وذلك منذ عهد القائد الشهيد عبد الستار الزعيم، في بداية عام ١٩٨٠م التقيت بأحد الإخوة التابعين لجماعة «الإخوان المسلمين»، فأخبرني عن رغبة الإخوة خارج سوريا في قيام علاقة مباشرة بينا وبينهم؛ لتأمين احتياجاتنا اللازمة عن طريقهم مباشرة، نقلت هذه الرغبة إلى الأخ يوسف عبيد الذي نقلها بدوره إلى القيادة في حماة، وكان جواب الأخ هشام كالتالي:

(لا مانع لدينا من إقامة علاقة مساعدة بينكم وبين الإخوة خارج سوريا، ولكن من الناحية التنظيمية لا علاقة لنا بهم نهائيًا، فعلاقتنا معهم هي علاقة تعاون وتقديم مساعدات فقط).

بداية الاتصال، أبو الفرج:

بعد موافقة الأخ هشام على إقامة الاتصال بيننا وبين الإخوة خارج سورية، أرسلنا أحد الإخوة إليهم فاستقبلوه استقبالًا حارًا، وحملوه رسالة إلينا أخبرونا فيها عن رغبتهم بتقديم الإمكانيات المادية، وإرسال بعض الإخوة لدعم التنظيم داخل دمشق، وأرسلوا أحد الإخوة ليكون المراسل الخاص فيما بيننا.

ووصل الأخ المراسل سالم الحامد أبو الفرج، إلينا في نفس اليوم الذي اعتقل

فيه الأخ يوسف عبيد، وعليه فقد كلفني الإخوة في تنظيم دمشق باستقباله، وترتيب اللقاءات معه والتي بلغت لقاءً أو اثنين في الأسبوع، وكان أول لقاء لي معه بتاريخ ١٦/ ٣/ ١٩٨٠م، أي بعد يوم واحد من اعتقال الأخ يوسف عبيد، وأحضر الأخ سالم مبلغًا من المال مع رسالة خطية فحواها:

إننا نقدم إلى الإخوة في حماة ما يلزمهم مباشرة.

وإلى الإخوة في حلب ما يلزمهم مباشرة.

وحبذا لو عرفنا طلباتكم لتأمينها مباشرة.

وطلبوا شراء ثلاثة بيوت بثلثي المبلغ المرسل، وذلك لإدخال ثلاث مجموعات إلى دمشق، أما الثلث المتبقي فهو للطليعة المقاتلة في دمشق كمساعدة مالية.

ذهل الإخوة في دمشق لضخامة المبلغ المرسل بالنسبة لذلك الوقت، وكذلك لطلب شراء البيوت، بالمقابل قمنا بإرسال رسالة شفوية إلى الإخوة خارج سورية أبلغناهم فيها عن حاجتنا لكامل المبلغ، فميزانية التنظيم كانت ضعيفة جدًا، كما أنه يوجد عندنا أعداد كبيرة من المطلوبين الذين نعاني صعوبة كبيرة في تأمين مأوى لهم، وكان لدينا نقص واضح في الأسلحة، فنحن بحاجة لهذا المبلغ لتغطية النفقات المختلفة، وقمنا بإخبارهم عن وجود أعداد كبيرة من الإخوة غير الملاحقين، لذلك فنحن لسنا بحاجة إلى إخوة مطلوبين؛ لأنهم سيكونون عبئًا على التنظيم يقلص حركته ويزيد متاعبه، وجرت مناقشات حول هذا الموضوع، نقل إلينا الأخ أبو الفرج رأي الإخوة في هذا الأمر فقال: (إن قرار الإخوة في الخارج بإنزال مجموعات إلى دمشق هو قرار نهائي لا رجوع عنه).

ونقل على لسانهم: (إن هذا القرار قد اتخذ بناء على طلب من إخواننا في الطليعة بمدينتي حماة وحلب لدعم المجاهدين في دمشق).

خلاف في وجهات النظر وتسريع المعركة:

لقد كان حضور الأخ سالم إلينا في وقت تزايدت فيه الضغوط الأمنية إثر الأوضاع المتأزمة على الساحة السورية بأكملها، ورافق ذلك اعتقال الأخ يوسف عبيد، فالوضع بالنسبة لنا كان حرجًا للغاية، وبدأ الأخ سالم الحامد مواليد حماة ١٩٥٨م بالتدخل في الشؤون الداخلية لتنظيم دمشق، وأخذ يطلب تصعيد العمليات خاصة أثناء التمشيط الحاصل في حماة وحلب، وأخبرته بأن خطتنا تقتضي الهدوء وعدم التنفيذ حتى نغلق بوجه السلطة كل الثغرات التي تحاول فتحها على التنظيم.

كان الأخ سالم ورعًا تقيًا كثير العبادة متحمسًا للجهاد، وهو كأي شاب متحمس دخل المعركة حديثًا ولم يكتو بنارها يرغب في تصعيد العمليات دون حساب النتائج، وكان يكرر دائمًا قول الإخوة خارج سورية:

(إن حسابات الإخوة في دمشق كثيرة، وهم لا يؤمنون بالمجازفة إلا إلى حدود معينة).

ولم يكن يعلم أن كافة الإخوة في قيادة التنظيم اشتركوا في معظم العمليات التي نفذت في مدينة دمشق، وأن الإخوة في القيادة هم الذين نفذوا بأنفسهم أخطر المهمات، والتي بلغت نسبة المجازفة فيها ١٠٠٪، كما أرسل الإخوة في الخارج رسالة أخرى أخبرونا فيها:

(نحن نسير على المبدأ التالي: إن العمليات توجد التفاعلات، نفذوا يا إخواننا ولو بأهداف بسيطة: عامل، موظف صغير، عمليات تفجير).

واختصارًا لكل ذلك نقول إنها عملية ضغط شديدة بدأت علينا؛ لتسريع

المعركة وزيادة الأهداف المنفذة وتصعيد الأحداث، وكانت بداية هذا الضغط منذ اتصالنا بالإخوة خارج سوريا.

في هذه المرحلة بالذات اتسع حجم القاعدة الشعبية المؤيدة للطليعة المقاتلة، لقد كان هؤلاء الناس معجبين بالتخطيط الدقيق والتنفيذ الناجح والجرأة في العمليات وبأقل الخسائر، لذا فقد كنا نسعى دومًا لعدم تمكين السلطة من البطش بهذه القاعدة الواسعة، وقد قمنا لاستيعاب عناصر جديدة غير ملاحقة من الراغبين في سلوك طريق الجهاد المبارك؛ لتوسيع التنظيم المسلح، هذه العناصر تحتاج لفترة تفرغ كافية، يتم خلالها التأهيل الصحيح والتدريب الكافي على السلاح والحركة قبل أن توضع في عملية المجابهة مع النظام، وكان حرصنا شديدًا على السرية التامة، فتنظيمنا قبل كل شيء هو تنظيم سري، والتفريط في هذا الأمر يعني القضاء على التنظيم مهما بلغت شدته وقوته، لهذا السبب تفرغ عدد كبير من الإخوة القياديين لهذه المهمة، وكانت الخطوات تسير بشكل ناجح، محاطة بسور قوي من السرية والحذر والكتمان.

لقد رفضنا دخول أي عنصر من خارج سوريا، وبذلنا كل ما في وسعنا لمنع ذلك؛ لأننا نعلم أن التوسع العشوائي والسريع سوف يقضي على السرية، وسيؤدي بالنتيجة إلى الانهيار المفاجئ، إننا طلبنا إرسال الأموال فقط لا نحتاج إلا الأموال، ورفضنا التدخل في شؤون التنفيذ، لأن هذا الأمر هو شأن القيادة في دمشق بالتنسيق مع الإخوة في حماة وحلب، وأخبرناهم بأننا لن نقوم بأي خطوة تسبب الكوارث للمسلمين، فنحن لسنا على عجلة من أمرنا، ومعركتنا مع النظام مستمرة منذ عام ١٩٧٥م، ولن نغير مخططاتنا، ولن نستدرج إلى معركة لم نخطط لها أو نعد لها عدتها؛ لأننا لا نسمح لأنفسنا أن نضيع دماء شهدائنا أو نفرط بأرواح مجاهدينا؛ الذين تربوا خلال سنين طويلة من الصبر والمعاناة حتى وصلوا إلى مستواهم الحالي، ولن

ننسى نصيحة أستاذنا القائد عبد الستار الزعيم: (إياك أن تهاجم خصمك ويده على الزناد)، إن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث.

ما الذي حصل:

بعد انتهاء المناقشات التي دارت بيننا، أبلغني الأخ أبو الفرج بأنه تم إنزال مجموعة من الشباب الملاحقين إلى دمشق، واستطاع الإخوة أن يؤمنوا بيتًا لهذه المجموعة بواسطة أحد معارفهم، ومن جديد طلبت منه أن ينقل إلى الإخوة خارج سورية عدم موافقتنا على نزول أي إنسان إلى الداخل، لأننا لسنا بحاجة إلى أعداد كبيرة، ولأن هذا العمل ينطوي على مخاطر كبيرة في المستقبل، فالموضوع أكبر من إنزال المجموعات إلى الداخل، فالأعداد الكبيرة من الإخوة والكميات الهائلة من الأموال والأسلحة لن تفعل أي شيء إذا لم يتوفر الجهاز الحركي السري المنضبط، والقيادة الذكية المدركة لأبعاد المعركة ومتطلباتها؛ فتعلم متى تنفذ ومتى تقف ومتى تبني، كما أنها تملك قدرة كبيرة على تلقي الصدمات وامتصاصها، وتسد بسرعة الثغرات التي تنفتح على التنظيم، ودون هذه القيادة لن تستطيع الإمكانيات أو الأعداد الكبيرة من الإخوة أن تقوم بأي عمل فعال، بل على العكس من ذلك فستصبح الأعداد الكبيرة والإمكانيات الواسعة عبئًا كبيرًا على المجاهدين، وسيكون هؤلاء الإخوة فريسة سهلة لأجهزة المخابرات وضباطها المجرمين.

إن العمل في دمشق يختلف اختلافا كبيرًا عن العمل في بقية المدن السورية، فمركز الثقل بالنسبة للنظام موجود في دمشق؛ بكل إمكانياته المتنوعة، قيادات سياسية، عسكرية، قيادات المخابرات، دوائر الدولة المختلفة، وإن نشوء تنظيم مسلح في دمشق تحت إشراف قيادة فعالة، يعني القضاء على الرؤوس المدبرة للنظام

المتسلط، ويعني أيضًا الوصول إلى رأس المجرم حافظ أسد، ولذلك فقد زج النظام بكل ثقله في دمشق للقضاء على تنظيم «الطليعة المقاتلة» في دمشق، قبل أن يتمكن التنظيم من قتل أعداد من رؤوس النظام، وهذه المخاوف التي تشعر بها السلطة لها مبرراتها، وهذا ما أثبتته الأيام حين تم نسف مجلس الوزراء، وفجرت آمرية الطيران، وقتل عدد كبير من المقربين إلى المجرم أسد، وكان جواب الإخوة على رفضنا لإنزال أي إنسان من خارج البلاد هو كما يلي:

(إن حجم الإخوة الذين خاضوا التجربة الجهادية قليل في دمشق، ومع ذلك فقد أوقعوا الخسائر الفادحة التي هزت النظام، فكيف إذا أنزلنا الأعداد الكبيرة والإمكانيات المادية الضخمة، حتمًا ستتمكن من القضاء على النظام في فترة وجيزة).

إن مواجهة السلطة المجرمة في دمشق تحتاج إلى خبرة حركية عالية، وإلى قيادة ميدانية مجربة، وسامح الله الإخوة خارج سورية، فهم يعلمون أن قيادة «الطليعة المقاتلة» بدمشق تخوض المعركة ضد نظام المجرم أسد؛ منذ اعتقال الشيخ مروان حديد عام ١٩٧٥م إلى الآن، وقد مر مجاهدو دمشق بمراحل صعبة وتجارب مريرة، حتى وصلوا إلى المستوى الذي يمكنهم من الصمود في هذه المعركة الشرسة.

ووصل الحوار فيما بيننا إلى طريق مسدود، وذلك حين طُرح موضوع الولاء، وطلبت من الإخوة في الخارج استبدال أبي الفرج بأخ آخر فتم ذلك، وكانت صلتنا الجديدة مع الأخ غالب آلوسي.

الاتصال مع الأخ غالب آلوسي:

يعتبر الأخ غالب آلوسي من أقدم الإخوة الدعاة إلى الله في مدينة دمشق، ولد عام ١٩٥٠م في مدينة دمشق، تخرج من كلية الهندسة في جامعة دمشق.

انتسب الأخ غالب آلوسي إلى جماعة «الإخوان المسلمين» منذ صغره، وتنقل بين شقي جماعة «الإخوان المسلمين» (حلب، دمشق)، عُرف بعلمه وتقواه، واتصف بعقله الراجح ودقته في العمل ونشاطه الواسع المتواصل، اعتقل عام ١٩٧٨م ضمن حملة الاعتقالات التي قامت بها السلطة بعد قتل المجرم إبراهيم نعامة، ومكث في السجن مدة سنتين لم يعترف خلالهما عن علاقته بجماعة «الإخوان المسلمين».

أفرج عنه عام ١٩٨٠م مع عدد من الإخوة تحت الضغط الذي ولدته عمليات المجاهدين في سوريا، مما اضطر السلطة إلى التظاهر بإطلاق الحريات، والتفريج عن المعتقلين الذين لم تثبت لهم علاقة بـ «الإخوان المسلمين».

خرج الأخ غالب من السجن بعد أسبوع تقريبًا من اعتقال الأخ يوسف عبيد، واتصلت به بعد مضي فترة من الزمن بواسطة الأخ مأمون قباني، وتتابعت اللقاءات المفيدة بيننا، وكان رأينا حول الإفراج عن المسجونين واحدًا، وهو أن السلطة إنما أرادت بهذه العملية خداع الشعب لفترة من الوقت تقوم بعدها باعتقالهم من جديد، هذه القناعة لدى الأخ غالب تكونت لديه على مدى سنتين داخل السجن، فهو العارف بنظام المجرم أسد وزبانيته الأنذال، وكم حدثني عن حقارة ضباط المخابرات وجرائمهم، ووصف لي بالتفصيل ما يعانيه الإخوة داخل السجون، لهذا قرر الأخ غالب التواري عن الأنظار ومغادرة بيت أهله، وخاصة أن شقيقه الأخ وليد آلوسي من مجاهدي «الطليعة المقاتلة».

خلال اللقاءات العديدة بيني وبين الأخ غالب حدثته عن أوضاعنا وعن أوضاع الجماعات الإسلامية المختلفة، وبالمقابل شرح لي وضع الإخوة في السجون، ونقل الأنباء التي كانت تصل للإخوة داخل السجون حول العمليات المسلحة التي ننفذها ضد رؤوس ومجرمي النظام الطائفي العميل، فكان لها الأثر الكبير في رفع معنويات الإخوة وزيادة صمودهم أمام الجلادين، ومن هذه الأنباء انتشر نبأ مفاده أن جماعات «الإخوان المسلمين» المختلفة قد اتحدت، وأنها هي التي تنفذ هذه العمليات، وكم كانت دهشته عظيمة حين علم بأن تنظيم «الطليعة المقاتلة» هو وحده الذي نفذ سائر العمليات التي حصلت في دمشق.

إلى الأردن:

سافر الأخ غالب بعد مضي شهر ونصف على خروجه من السجن إلى خارج سورية؛ للتباحث مع الإخوة هنالك في شؤون العمل والتنظيم، فقد كان مسؤولًا ضمن التنظيم التابع للإخوان المسلمين؛ وذلك قبل دخوله السجن، أما سفره فمن أجل حل كثير من القضايا المعلقة بينه وبينهم، ومن جهة ثانية يريد أن يتدرب جسديًا لاستعادة لياقته الجسمية بعد سنتين من الجلوس في السجن، ونحن بدورنا شرحنا له وجهة نظرنا عن كيفية العمل المسلح في مدينة دمشق، وتم سفره وعودته خلال أسبوعين بطريقة سرية، فما المستجدات على الساحة بعد عودة الأخ غالب؟

موضوع الولاء:

في البداية سنتحدث عن موضوع الولاء الذي طرحه الإخوة خارج سورية، فهذه المسألة اشتد الخلاف حولها، وهي ليست بالمسألة الجديدة، لقد أراد الإخوة خارج سورية حسم ولاء «الطليعة المقاتلة»، ومبايعة «الإخوان المسلمين» خارج

سورية، ونحن منذ أن تأسس تنظيمنا لم نعط البيعة لـ «لإخوان المسلمين»؛ لأسباب لا مجال لذكرها الآن.

وقد جرت حول هذا الأمر مناقشات طويلة مع الأخ أبي الفرج، وكان الوضع على النحو التالي:

- علمنا من قيادة «الطليعة» في حماة أن تنظيم «الطليعة» ما زال مستقلًا بنفسه عن جماعتي «الإخوان المسلمين»، وأخبرني الأخ هشام بأننا لن نعطي ولاءنا إلا لجماعة موحدة، فتنظيمنا يضم عناصر من كل الجماعات الإسلامية، لهذا لن نكون طرفًا في الخلاف، وسنسعى لنكون عنصر ضغط شديد وفعال في عملية اتحاد الطرفين، وإلى الآن فإن علاقتنا معهم هي علاقة تعاون فقط، وقمنا بإبلاغ الإخوة خارج سورية بأننا نأتمر بأمر إخواننا في قيادة «الطليعة» بحماة، ونحن لسنا طرفًا بأي خلاف، وكل اتفاق بينهم وبين الإخوة في حماة وحلب سنوافق عليه، وسنعطي البيعة للقيادة المتفق عليها مهما كان نوعها، فنحن إخوة مقاتلون لنا أهداف محددة، ولا وقت لدينا نضيعه في مناقشات لم نكن نتدخل فيها سابقًا.

- واستمرت النقاشات الطويلة عبر الأخ المراسل أبي الفرج؛ الذي نقل إلينا إصرار الإخوة خارج سورية على إعطائهم قيادة العمل في دمشق، أما نحن فأخبرناهم بأننا لن نسعى إلى انشقاق في صفوف «الطليعة المقاتلة» بسورية، ولن نعطي ولاءنا إلا لقيادة ميدانية واحدة في الوقت الحالي، وهي قيادة الأخ هشام جنباز وإخوانه، وأعدنا رأينا بأن أي اتفاق مع الأخ هشام سوف نوافق عليه، وأبلغناهم بأنه لا مانع لدينا من تكلمهم باسم المجاهدين، وإصدار نشرة النذير باسم المجاهدين، لأننا نثق بأن الاتفاق لا بد أن يتحقق في النهاية، وانتهى الأمر عند هذا الحد.

مجموعات جديدة في مدينة دمشق:

نعود إلى قضيتنا الأخرى فيما يخص موضوع إنزال المجموعات الجديدة إلى دمشق، قبل سفر الأخ غالب كان الإخوة قد أنزلوا إلى دمشق عدة مجموعات معظم عناصرها من غير الدمشقيين، وقد علمنا بذلك وشددنا على الأخ غالب أن يطلب من الإخوة هناك إيقاف نزول المجموعات، لأن الفوضى سوف تعم في دمشق، وسيؤدي تشكيل تنظيم جديد إلى تدميره مع تنظيمنا أيضًا، وعاد الأخ غالب من سفره وهو يحمل اقتراحًا من الإخوة في الخارج، يعرضون فيه تشكيل قيادة مشتركة في دمشق تضم خمسة عناصر، اثنان من «الطليعة المقاتلة» وآخران من العناصر التي أنزلوها إلى دمشق، واقترحوا الأخ غالب آلوسي أميرًا لهذا التنظيم، ورفضنا هذا الأمر لعدة أسباب:

١ - إننا لا نثق في عملنا العسكري بأناس لا نعرفهم كل المعرفة، إن هذا الموضوع على درجة كبيرة من الخطورة، وتجربتنا المريرة مع المجرم مصطفى جيرو لم تنمح بعد من ذاكرتنا، إذًا فنظرتنا إلى هذا الأمر كانت واضحة؛ إذ يكفي أن يندس أحد عناصر السلطة الذين باعوا دينهم بثمن بخس داخل التنظيم حتى يقضي على التنظيم، وكان رأينا النهائي:(إننا لن نقبل في تنظيمنا إلا إخوة دمشقيين معروف تاريخهم لدينا)، وقد برهنت الأيام على صحة نظرتنا، وسيرد تفصيل ذلك خلال الأحداث المريرة التي أعقبت هذه المناقشات.

٢ - ومع أننا نكن كل الود والاحترام والتقدير للأخ غالب آلوسي، إلا أنه أخ حديث عهد بحمل السلاح، كما أنه قد خرج من السجن منذ فترة قصيرة، وإن قيادة التنظيم المسلح تختلف جذريًا عن قيادة التنظيمات الفكرية، ولن يتمكن من إعطائها

حقها إلا إخوة عركتهم التجارب والمحن ولم يغيبوا عن تطورها لحظة واحدة من الزمن، إن أي قرار خاطئ تصدره القيادة سوف يتسبب بكوارث لا يعلم إلا الله مداها، ولم يكن الأخ غالب غافلًا عن هذا الأمر، لذلك لم يكن يرغب بتحمل أعباء هذه المسؤولية.

التنظيم الجديد وبدء الكارثة:

نعود لنذكر تحرر الإخوة السبعة عشر من سجن كفرسوسة، فمعظم هؤلاء الإخوة من العناصر المسؤولة داخل تنظيم «الإخوان المسلمين» مركز حلب، وانضم عشرة منهم إلى التنظيم العسكري الجديد؛ الذي دعم بأعداد كبيرة من المطلوبين الذين أنزلوا إلى دمشق، وتم شراء عدد كبير من البيوت، وأنفقت مبالغ طائلة لتجهيز هذا التنظيم، ووضع الأخ عمر مرقة الذي أتى إلى دمشق كمسؤول عسكري للتنظيم الجديد، بينما عُين الأخ غالب آلوسي أميرًا لهذا التنظيم؛ الذي أصبح كيانًا قائمًا بذاته وأمرًا واقعًا لا جدال فيه، ومن هنا كانت البداية لمرحلة جديدة يمر بها العمل الجهادي المسلح في مدينة دمشق، وبدأت الدلائل على حصول الكارثة تتوالى، وظهر الخطر الكبير الذي يتهدد المسلمين في مدينة دمشق بشكل واضح، وكانت الأحداث من بدايتها تشير إلى الانهيار السريع للتنظيم الجديد، فعناصر المجموعات الجديدة اتصلوا بكثير من المتعاطفين عن طريق معارفهم في مدينة دمشق، وقاموا بدعوتهم للانضمام إلى المجاهدين، مدعين بأنهم نفس التنظيم الذي نفذ العمليات السابقة، وقد استجاب لهم كثير من المتعاطفين مع العمل الجهادي المسلح.

لقد كنا نعرف هؤلاء المتعاطفين مع العمل الجهادي المسلح، ونقوم بعملية دمجهم بالتدريج حسب قدرتنا على الاستيعاب، وهنا ظهر التداخل بين تنظيمنا

والتنظيم الجديد، وانكشف عدد من إخواننا أمام عناصرهم في زحمة الفوضى الحاصلة كل يوم.

لقد تمكن عناصر التنظيم الجديد من الاتصال بأعداد كبيرة من الناس التي لم ترتبط بالتنظيم المسلح الربط الصحيح؛ لانعدام الإخوة الأكفاء حركيًا، فالتنظيم الجديد لا يملك أمثال هؤلاء ضمن صفوفه، أما نحن فقد كنا منهمكين بعمليات التنفيذ من جهة وعمليات بناء الإخوة الذين انضموا إلينا في بداية ١٩٨٠م.

وراح التنظيم الجديد يستغل عملياتنا ونجاحها أمام الناس لينسبها إلى نفسه، ولم تقف الأمور عند هذا الحد فحسب؛ بل ازدادت الأوضاع سوءًا بعد توزيع نشرة النذير التي أدت لاعتقال أعداد كبيرة من الناس بسببها، وبدأت تصورات الإخوة في التنظيم الجديد تتضح على الساحة لمن يراقب الأحداث وتطورها، لقد توهم الإخوة المسؤولون أن باستطاعتهم إسقاط النظام بعد تنفيذ سلسلة من العمليات الناجحة.

ماذا فعلنا للإنقاذ:

لم تكن هذه الأوضاع لتخفى علينا، وقد عرفنا النهاية المأساوية للتنظيم الجديد من خلال تجربتنا الطويلة في حرب النظام، ومن خلال هذه المعرفة انطلقنا لإنقاذ ما نقدر على إنقاذه، وتحركنا لوقف التدهور السريع الذي يسير إليه التنظيم الجديد، فوضعت لقاءً يوميًا مع الأخ غالب من أجل متابعة الأوضاع وتنسيق المواقف والأعمال، وقد أخبرني بكل صراحة أنه لم يقبل إمارة التنظيم الجديد إلا لوضع خطة موحدة لتنسيق المواقف معنا وتلافي الأخطار المحتملة.

لقد كان الأخ غالب يعرف خطورة الموقف في مثل هذه الأوضاع، لذلك كان

يعمل بكل ما أوتي من قوة لتفادي الانهيار، إلا أن زمام الأمور أفلت من يديه، وتيار الحماس الفوضوي المتدفق تفوَّق على صوت العقل والحكمة، واستمر الانهيار.

لم يقتصر عملنا على تنبيه الإخوة في التنظيم الجديد لخطورة تصرفاتهم، بل قمنا بإرسال الرسائل إلى الإخوة في حماة وإلى الإخوة خارج سورية، نعلمهم فيها بما يدور على الساحة من أحداث، فما كان جواب الإخوة خارج سورية إلا أن طرحوا موضوع الولاء والبيعة من جديد، ولم تثمر هذه الخطوة التي قمنا بها شيئًا، وبدأت الكارثة المتوقعة حين أخبرني الأخ غالب عن عزم الإخوة على البدء في التنفيذ ضد السلطة.

رغم ذلك فإننا لم نيأس من إيجاد أي حل نحصر فيه نطاق الكارثة، فقدمت عدة اقتراحات رفضت على التوالي:

الاقتراح الأول: إعلامنا بطبيعة الأهداف وأماكن تنفيذها.

الاقتراح الثاني: تقسيم المدينة إلى قطاعات متميزة، يتسلم كل تنظيم عددًا من هذه القطاعات، وله الحرية في التحرك والتنفيذ في قطاعاته دون إعلام التنظيم الآخر.

الاقتراح الثالث: تقسيم زمن التنفيذ أسبوع لنا وآخر لهم، يستطيع كل تنظيم خلال أسبوعه أن ينفذ ما شاء من عمليات.

هذه الاقتراحات رفضت بشكل كامل، وأخبرني الأخ غالب أن التنظيم الجديد قد وزع عناصره وقواعده على ساحة دمشق بكاملها، وأن أعدادهم كبيرة وإمكانياتهم ضخمة، وأنهم يسعون إلى نوع جديد من التنفيذ داخل دمشق لم تشهد له سوريا من قبل مثيلًا.

كان الأخ غالب يتحدث بمرارة عما يدور من تطورات، وكان شديد الخوف

على مجاهدينا، فهو العارف بنوعيتهم وإمكانياتهم وقدراتهم العالية، وبدا واضحًا للعيان أن الإخوة في التنظيم الجديد قد تجاهلوا وجودنا على الساحة بشكل كامل، وأضحى الكلام عن كثرة الأعداد وضخامة الإمكانيات هو الأمر المعول عليه.

وكم كانت رغبتنا كبيرة في أن نصل مع الإخوة في التنظيم الجديد إلى أي اتفاق يمنع إراقة دماء المجاهدين الزكية، لقد أعطت هذه الأخطاء السلطة فرصة ذهبية للانتقام من «الإخوان المسلمين»، وذلك حين بدأت المذبحة الرهيبة ضمن صفوف الشباب المسلم في دمشق.

ومرة أخرى بعثنا برسالة إلى قيادة «الإخوان المسلمين» خارج سورية، نخبرهم فيها أن القيادة العسكرية للتنظيم الذي أرسلوه إلى دمشق عازمة على التنفيذ، وشرحنا لهم خطورة الموقف، وأن هذا العمل سوف يقضي على الجميع، وبينا لهم أن دماءنا ودماء مجاهدينا أمانة في أعناقهم، فليتحملوا مسؤولياتهم أمام الله عز وجل، ولينظروا إلى ما سيكتبه التاريخ عن هذه المسؤولية، وأخبرناهم بأننا سنسعى للضغط على الإخوة في حماة وحلب للاتفاق سريعًا حول تخويلهم للتكلم نيابة عن المجاهدين في سوريا.

ولم يجد كل هذا نفعًا وكان الرد كالتالي:

(إنكم لا تستطيعون منع الناس من الجهاد في سبيل الله، لقد آن الأوان لتشكيل مجلس قيادة ثورة عامة تضم كافة الأطراف العاملة على الساحة الدمشقية، وبينوا عزمهم على التنفيذ).

ونشير هنا إلى أن المساعدات التي كانت تقدم إلينا قد قطعت عنا منذ بداية المناقشات، وكانت لنا محاولة أخرى لتفادي المجزرة، حين طلبت من الأخ غالب أن

يجمعني مع الأخ عمر مرقة؛ المسؤول العسكري للتنظيم الجديد للتفاهم معه حول ما يجري من أحداث، ولم يحصل هذا اللقاء وسبق السيف العذل، فقد بدأت المجزرة التي خشينا من حدوثها واتخذنا شتى الأسباب والأساليب المتاحة لنا لتجنبها.

وأريد هنا أن أبين مرحلة عصيبة مر بها المجاهدون في دمشق ما زالت تقطر دمًا من إخواننا الشهداء، ونحن إذ نذكر الحوادث وأرقامها لا نبغي من وراء ذلك إلا وجه الله تعالى، ولكي لا تتكرر هذه المأساة في يوم من الأيام.

إن هذا التاريخ بإيجابياته وسلبياته أمانة في أعناقنا لا بد أن نؤديها ونبينها، إنها تاريخ لعشرات الآلاف من الشهداء والمعتقلين والمشردين والمعذبين.

إننا بهذا الكلام لا نتجنى على أي كان.

مجزرة ما بين العيدين ١٩٨٠م:

لقد عرضنا الأحداث التي سبقت المذبحة عرضًا موجزًا تجنبنا فيها الإساءة إلى أي كان، فالإخوة اجتهدوا وأخطأوا، ولا نتهمهم في نياتهم أبدًا، وسنعرض الأحداث المقبلة- فترة ما بين العيدين- بشكل مجمل، لقد توقفنا عن التنفيذ تمامًا، وانصرفت اهتماماتنا وجهودنا إلى المحافظة على مجاهدينا وقواعدنا.

اعتقال الأخ طاهر الحوري:

قامت السلطة بعد تحرر الإخوة من سجن كفرسوسة البالغ عددهم سبعة عشر أخًا؛ بمحاصرة قرية عين الفيجة الواقعة في وادي بردى، وهي بلدة الأخ طاهر الذي نفذ عملية التهريب، واعتقلت أكثر من مائة شاب من الشباب المتدينين وأودعتهم داخل سجونها، كان هذا العمل هو ردة الفعل الأولى على عملية الأخ طاهر الجريئة.

وبعد فترة من الزمن بينما كان الأخ طاهر في زيارة لأحد أصدقائه -الذي تعاون مع المجرم محمد ناصيف مقابل عدم اعتقاله- تم اعتقاله حال دخوله المنزل.

أشرف على هذه العملية المخبر المعروف عصام قشلان، وهو تاجر في الحريقة ومن كبار مخبريها.

اعتراف على ثلاث قواعد:

هنا بدأت المجزرة، فقد اعترف الأخ طاهر تحت التعذيب الشديد على ثلاثة قواعد يستخدمها الإخوة في التنظيم الجديد، وتمت مداهمتها في نفس الليلة.

الأولى في منطقة وزارة التربية.

الثانية في منطقة العمارة.

الثالثة في منطقة العباسيين.

ودارت اشتباكات عنيفة بين الإخوة في هذه القواعد وبين عناصر المخابرات، وقد بلغ عدد الإخوة ١٢ أخًا على وجه التقريب، وحقيقة الأمر فأنا لا أعرف أيًّا من هؤلاء الإخوة رحمهم الله جميعًا.

أحب أن أنوه هنا إلى أمر هام يخص هذه المعلومات التي أقدمها، فأنا لست واثقًا من التسلسل الزمني لأغلب هذه الأحداث، فقد جمعنا هذه المعلومات بأنفسنا وبوسائلنا الخاصة؛ إذ أن الأحداث تلاحقت بشكل سريع، ولم نتمكن من الاستفسار عنها من الإخوة في قيادة التنظيم الجديد؛ لأن معظمهم قد استشهدوا أو غادروا دمشق، أو اعتقلوا دون أن نتمكن من الالتقاء بهم ومعرفة التفاصيل.

وفي اليوم التالي لمداهمة البيوت الثالثة التقيت بالأخ غالب آلوسي، وسألته عن هذه المداهمات فتبين لي أنه لم يسمع بها، وبعد اجتماعه بالمسؤول العسكري للتنظيم الجديد الأخ عمر مرقة، أخبرني أن البيوت الثلاثة تابعة لهم، وأن الأخ طاهر هو الذي اعترف عليها، فطلبت من الأخ غالب أخذ الحذر، وأن ينقل رجائي إلى الإخوة بضبط النفس والتصرف بحكمة للحفاظ على ما تبقى.

تصعيد بغير أوانه:

ولكن الإخوة سامحهم الله لجأوا إلى تصعيد العمليات بدلًا عن معالجة الموقف بهدوء وحذر، وازدادت الأحوال سوءًا، وتوالت المداهمات والاشتباكات والعمليات بشكل يومي، واغتنمت أجهزة المخابرات هذه الفرصة للانتقام من المجاهدين، فألقت بكل ثقلها داخل المدينة، وحاولت توسيع الدائرة بكل ما أوتيت من قوة وبكل ما ملكت من إمكانيات، واستنفرت عناصرها في شوارع المدينة ومحاورها، وذلك للقضاء على «الطليعة المقاتلة» أيضًا، ضمن التخلخل الأمني الحاصل، لكننا في «الطليعة المقاتلة» قمنا باتخاذ إجراءات أمنية مشددة سنذكر بعضها فيما بعد.

العمليات التي نفذها التنظيم الجديد:

سنذكر هنا جملة العمليات التي نفذها التنظيم الجديد، ثم نذكر بعد ذلك المداهمات والاشتباكات:

١- قتل المستخدم محمود الترياقي، سائق اللواء رياض محمود الصباغ رئيس إدارة المركبات (نفذت العملية في منطقة الميدان- ساحة عصفور).

٢- قتل الدكتور أديب اللحام، وهو أحد أكبر عملاء السلطة في حي الميدان، وأدى قتله إلى اعتقال أكثر من ٢٠ شابًا من شباب «الإخوان المسلمين» في حي الميدان، وذلك بسبب النشاط الذي أبداه أولاده المخبرون بعد مقتل أبيهم.

٣- قتل رقيب أول سجان في منطقة سوق الحرير.

٤- قام الإخوة في التنظيم الجديد بتنفيذ حكم الله بالمجرمين النصيريين: النقيب يوسف صالح، والملازم أول يوسف دوبا، وقد تمت العملية في منطقة مساكن برزة، وهي من أنجح العمليات التي قاموا بتنفيذها.

٥- قام الإخوة في التنظيم الجديد بتنفيذ حكم الله بالمجرم المخبر سائد وانلي، وهو طالب في كلية الطب بجامعة حلب، وقد تسبب باعتقال عدد كبير من الإخوة هنالك، بسبب اندساسه ضمن الصف الإسلامي.

٦- نفذ الإخوة في التنظيم الجديد حكم الله بالمجرم النقيب صالح نمر، وهو درزي من الوحدات الخاصة، وقد عرف عنه تفننه الإجرامي في إهانة الأهالي بمدينة حلب أثناء التمشيط هناك، وقد قتل على الفور في منطقة مساكن برزة.

٧- قام الإخوة في التنظيم الجديد بضرب دورية تابعة للمخابرات العسكرية في منطقة الشويكة، وقد كان التنفيذ فاشلًا، مما أدى إلى تطويق الإخوة المنفذين؛ حيث استشهد اثنان منهم وأصيب الثالث بجراح مختلفة، نقل على إثرها إلى المستشفى أسيرًا، وقد صادف تنفيذ هذه العملية مرور أحد مجاهدينا في المنطقة، مما اضطره للاشتباك مع عناصر السلطة وسقط بعد ذلك شهيدًا، استمر الاشتباك بكامله حوالي الساعة تقريبًا، اشتركت فيه أعداد كبيرة من عناصر المخابرات والشرطة العسكرية وشرطة النجدة، وقد حدثت هذه العملية يوم الجمعة مساءً.

٨- إلقاء قنبلتين يدويتين على سيارة زيل تابعة لسرايا الدفاع في شارع الثورة، وانفجرت القنبلتان خارج السيارة دون إحداث أي خسائر تذكر.

ومن المحتمل أن الإخوة في التنظيم الجديد قاموا بتنفيذ عمليات أخرى لم نسمع بها لانعدام أهميتها.

القواعد التي دوهمت للتنظيم الجديد:

والآن سأذكر البيوت التي دوهمت، ويحتمل أيضًا أن تكون بيوت أخرى قد دوهمت دون حصول إطلاق للرصاص فلم نسمع بها.

١- مداهمة بيت في باب الجابية، حيث تنكر عناصر المخابرات بزي عمال حفريات، وتمركزوا بالقرب من البيت، وعند خروج أحد الإخوة تم اعتقاله، وبعد قليل اعتقل أخ آخر، وحين حاولوا اعتقال الأخ الثالث تمكن من المقاومة فشعر الأخوان اللذان بقيا في المنزل، ودار اشتباك بينهم وبين عناصر المخابرات استمر حوالي ٢٠ دقيقة، ثم استشهدا داخل المنزل دون علمهما بما جرى.

٢- مداهمة بيت في منطقة المليحة- الغوطة الشرقية، استشهد فيه أحد الإخوة.

٣- مداهمة بيت في منطقة القصور، حيث استشهد أخ واحد وتمكن اثنان من الانسحاب.

٤- مداهمة بيت في منطقة عين منين ووجد فارغًا.

٥- مداهمة بيت في منطقة كفرسوسة، استشهد فيه أربعة إخوة، ووجد داخله خمسة ملايين ليرة سورية.

٦- مداهمة بيت في منطقة الميدان- منصور، استشهد فيه أخ واحد.

٧- مداهمة بيت في الشويكة ووجد خاليًا.

٨- مداهمة بيت في منطقة الميسات، استشهد فيه ثلاث إخوة.

٩- مداهمة بيت في منطقة المزة ووجد خاليًا.

١٠- مداهمة بيت في منطقة مساكن الزاهرة، بحي الميدان، واستشهد فيه ثلاثة إخوة.

١١- مداهمة بيت في منطقة مخيم اليرموك استشهد فيه اثنان من الإخوة.

١٢- مداهمة بيت في منطقة الأكراد استشهد فيه أخ واحد.

١٣- اعتقال اثنين من الإخوة أحدهما أمين الأصفر، وقد تم اعتقاله في منطقة جسر فكتوريا إثر اعتراف أحد الإخوة على مكان الموعد.

١٤- اعتقال الأخ أبي الفرج سالم الحامد في كمين أمام كراجات الزبداني.

١٥- استشهد ثلاثة إخوة في اشتباك مع مرافقة المقدم أمين العلي، أثناء مرورهم بالقرب من بيته.

١٦- مداهمة مجموعة من المستودعات المليئة بالأسلحة والمتفجرات، كما صودر عدد كبير من السيارات بلغ تعدادها خمس عشرة سيارة.

هذه لمحة موجزة عن مجمل الأحداث التي حصلت في فترة ما بين العيدين، وكانت موزعة بشكل يومي على هذه المدة، كنت خلالها ألتقي بالأخ غالب يوميًا؛ لأنني كنت أعرف مكان قاعدته التي يسكن بها، وكم اعتصر الألم قلبه وأنا أروي له الحوادث المختلفة التي تخص تنظيمهم ولما يكن قد سمع بها بعد، وكثيرًا ما كنت ألح عليه لتأمين لقاء مع المسؤول العسكري؛ لإيقاف هذه المجزرة بأي ثمن كان، ولكن إرادة الله شاءت أن يستشهد الأخ

عمـر مرقـة مع اثنين مـن الإخوة القياديـين؛ في اشـتباك بالقرب من صالـة الفيحاء الرياضيـة وهـم يسـتقلون سـيارة (بيجـو ٥٠٤)، وأعتقد أن سـبب انكشـافهم كان المخـبر المجرم عبـد الكريـم رجب.

واعتقل المئات من الإخوة المتعاطفين الذين انضموا إلى التنظيم الجديد، واستشهد عدد من الإخوة أثناء قدومهم للبيوت التي دوهمت ولم يكن لهم علم بذلك، وتوجت هذه المجزرة باستشهاد الأخ غالب آلوسي رحمه الله.

ملاحظاتنا على هذه المرحلة:

لا بد لنا بعد ذكر هذه الأحداث من تسجيل ملاحظاتنا حول تلك المرحلة، وما تركته من آثار سيئة لا زلنا نعاني منها حتى اليوم.

لقد شهدت فترة ما بين العيدين استنفارًا أمنيًا شديدًا إثر المداهمات والاشتباكات والاعتقالات، ففي كل يوم تسمع الانفجارات وأصوات الرصاص، وفوجئ الشعب بالانحسار الكبير لعمليات المجاهدين، وبالضربات العديدة التي نزلت في ساحتهم، وبقصف الـ آر- بي- جي- على بيوتهم، وباستشهاد الأعداد الكبيرة منهم، وبالطبع لم يكن أحد من الناس يدري بوجود التنظيم الجديد، هذه الفوضى أدت إلى:

١- استشهاد عدد من إخواننا أثناء التحرك، منهم: الأخ أبو بكر، وليد آلوسي، بشار الدهان، سعيد أكبازلي.

٢- اعتقال عدد كبير من الإخوة بسبب التداخل الذي حصل بين التنظيمين؛

لم نعرف أسماءهم بسبب استشهاد أمرائهم، ويبلغ عددهم حوالي خمسة عشر إلى عشرين أخًا.

٣- بدأت عناصر المخابرات بالتجرؤ على الإخوة المجاهدين، وصاروا يطلقون النار على كل من يشتبهون به، مما أدى إلى حصول عدد من الاشتباكات بين الإخوة وعناصر المخابرات.

٤ - اعتقال أعداد كبيرة من المتعاطفين معنا، الذين رفضنا ضمهم إلينا في تلك المرحلة وتركناهم إلى مرحلة أفضل، فضمهم التنظيم الجديد إليه بشكل فوضوي.

٥ - سببت هذه الحالة انهيارًا معنويًا كبيرًا في معنويات الشعب، وعمدت السلطة إلى تصعيد حملاتها الإعلامية ضد الإخوة المجاهدين، فراحت تعرض صور الإخوة الشهداء على شاشة التلفزيون، وهي تهدد وتتوعد كل من يساعد الإخوة المجاهدين.

وانتشرت أخبار الاعتقالات الواسعة، وبدأت السلطة تزيد من وعيدها بالقضاء المبرم على كل الإخوة المجاهدين، وفي محاولة لإيقاف المجزرة؛ أصدر الإخوة خارج سورية قرارًا يقضي بانسحاب كافة العناصر التي نزلت إلى دمشق بشكل فردي، فتمكن بعض الإخوة من مغادرة سورية بسلام.

وهكذا تمكنت السلطة المجرمة من القضاء على التنظيم الجديد خلال فترة شهرين من الزمن.

رحم الله إخواننا الشهداء، وفرج عن المعتقلين، وأعاننا على متابعة الطريق.

الأخ الشهيد: غالب آلوسي:

يعتبر الأخ غالب آلوسي رحمه الله من أقدم الإخوة في جماعة «الإخوان المسلمين» بدمشق، فقد انضم إلى هذه الجماعة منذ حداثة سنه، ونشأ ضمن صفوفها وتعلم في ميادينها.

كان مولده في حي الأكراد بدمشق، من أسرة عريقة عرفت بتدينها وحبها للإسلام، وكان نشاطه واسعًا ضمن صفوف الشباب في منطقة الأكراد، كما امتد نشاطه إلى عدد من المناطق في مدينة دمشق.

عرف بثقافته الواسعة وذكائه الشديد، وكان مثالًا حيًّا للأخ المخلص المتفاني بالعمل الإسلامي في ورعه وصفاءه الروحي وتقواه، كرس حياته في طريق الدعوة لله سبحانه وتعالى، وقد اكتسب احترام الشباب حوله وودهم؛ بلطف معشره وطلاقة لسانه وصدق حديثه.

أما عن معرفتي به فترجع إلى عام ١٩٧٦م، عندما حصلت بعض التداخلات بين الإخوة في تنظيمي الشيخ مروان و«الإخوان المسلمين»، وكان هذا التداخل في قسم الأخ غالب؛ الذي كان يعالج الأمور بمنتهى الدقة والحكمة والإخلاص، دون أن يوجه أي إساءة إلى شباب الشيخ مروان ولو بكلمة واحدة، لهذا بدأت تنشأ بيني وبينه علاقة مودة عن بعد، وكم كنت أقدر له تلك المواقف المخلصة البعيدة عن جو المهاترات الذي كان يحكم الكثير من الإخوة في تلكم الأيام، ومع ذلك لم يحصل بيني وبينه أي لقاء.

وشاء الله تعالى أن يدخل سجون السلطة عام ١٩٧٨م بعد تنفيذ عملية المجرم إبراهيم النعامة، مما سبب لنا أشد الحزن والألم.

وحين خرج من السجن التقيت به مرارًا، فدارت بيننا الأحاديث الطويلة دون كلل أو ملل.

لقد استفدت من تجربته التي قضاها داخل سجون السلطة؛ إذ أنه سجن في مهجع واحد مع الإخوة الأحباب لمدة سنتين، وبذلك تمكن من معرفة قصة كل واحد منهم واعترافاته وكيفية اعتقاله، وهذا ما أفادني في معرفة الحلقات المفقودة حول اعتقال الكثير من الإخوة خلال السنوات الماضية، وعرفت منه الأساليب الدنيئة التي استخدمتها السلطة في تعذيب إخواننا المعتقلين.

كنت أجلس معه الساعات الطوال استمع إلى تجربة سنتين داخل سجون السلطة في مرحلة بلغ المد الجهادي فيها أوج عنفوانه، بينما بلغ إجرام السلطة حدًّا لم يبلغه من قبل.

لقد بينا سابقًا أن الأخ غالب قد سافر إلى خارج سورية وكان سفره لسببين:

١- إيصال المعلومات التي كلف بنقلها من قبل الإخوة السجناء لقيادتهم خارج سورية.

٢- التوسط بيننا وبين الإخوة خارج سورية في الخلاف الحاصل؛ لوقف التأزم المستمر الذي بدأ يسيطر على علاقاتنا، وقد قبلنا بالأخ غالب وسيطًا بيننا وبينهم، وذلك لثقتنا الكبيرة فيه، وبعد عودته إلى سورية أخبرنا باقتراحات الإخوة هنالك حول قضية الولاء وقضية إنزال المجموعات إلى دمشق، والحوار حول القضيتين وصل إلى طريق مسدود.

لقد صرح لي الأخ غالب أنه قبل إمارة التنظيم الجديد لمنع حدوث الأخطاء، حرصًا منه على التنسيق الكامل بين التنظيمين، وقد وصلت آلامه حدًّا كبيرًا حين رأى بعينيه المجازر المتوالية وهي تصيب التنظيم الجديد، وأحس بأن الأمور

خارجة عن يده، فالإخوة في اللجنة العسكرية لم يلتزموا بأوامره، وأصبحت الفوضى هي التي تتحكم بالموقف، وكنت أجتمع كل يوم بالأخ غالب لإيقاف مسلسل المجازر هذا، ولكن دون جدوى، فقد حال تصلب الإخوة في التنظيم الجديد دون حصول التنسيق، وبلغ الاستياء عند الأخ غالب أوجه حين انقطعت جميع اتصالاته مع الإخوة القياديين الذين يعتمد عليهم مباشرة في قيادة التنظيم، وتبين فيما بعد أن بعضهم استشهد، والبعض اعتقل، والبعض الآخر غادر سورية دون أن يأذن له بذلك.

وبدأ التنظيم الجديد يعاني من سكرات الموت الأخيرة، فهو بدون قيادة تحكمه أو ترشده، وعناصره لا تملك أدنى درجة من الوعي وهي الغريبة عن مدينة دمشق، لقد وجدت نفسها وسط المعركة عاجزة عن الحركة أمام الضغط الأمني الهائل، فانتظرت مصيرها الأليم.

كان الأخ غالب يعيش مآسي وآلام عشرات الإخوة الذين استشهدوا أمام ناظريه دون أن يتمكن من عمل شيء لإنقاذهم؛ في تنظيم يفترض أن يكون هو المسؤول عنه، وذهبت كل محاولاته أدراج الرياح، فالتنظيم سري، وكل قسم منه مرتبط بعدد من الإخوة، وقد ضاعت الخيوط الواصلة بين القيادة والعناصر باستشهاد أو اعتقال هؤلاء الإخوة.

وللحق أقول:

إن الأخ غالب قد بذل كل ما في وسعه لإنقاذ التنظيم، وعرض نفسه للخطر مرارًا دون جدوى، وفي إحدى المرات نجى من كمين محقق نصب له في منطقة باب السريجة إثر اعتراف أحد الإخوة عن مكان اللقاء، وساعده على النجاة تصرفه الطبيعي وتغيير ملابسه وهيئته، ولما التقيت به أعلمني أن هذا

الموعـد الـذي ذهـب إليـه لا يعرفه سـوى أحد الإخـوة القياديـين الـذي لا بد وأن يكـون معتقلًا.

هـذا يعني بـأن خيـوط التنظيم قد أفلتـت من يـده، وأن الأمور قـد اختلطت بشـكل كبـير، وبالتـالي فـإن تحركه أصبـح خطرًا عليـه، وأقنعتـه بهذا الـرأي، فقبل الجلـوس في بيتـه، وأنهـى اتصالاته مـع جميـع الإخـوة، وانقطعت خيـوط التنظيم بعـد أن قـدم كل مـا يسـتطيعه لإنقـاذ إخوانـه، وهكـذا فاسـتمراره بتلـك الحركة سـيؤدي إمـا إلى اعتقالـه أو استشـهاده، وفي ذلـك الخطـر الكبـير عـلى «الطليعـة المقاتلـة» التـي يملـك المعلومات الكثـيرة عنها، بسـبب التداخـلات التي حصلت في السابق.

التزام مع «الطليعة المقاتلة»:

في هذه المدة أيضًا جرت مناقشات طويلة مع الأخ غالب، قرر بعدها الالتزام مع الإخوة في «الطليعة المقاتلة»، قائلًا: (أريد أن أكون جنديًّا أجاهد في سبيل الله، ولا أريد استلام أي مسؤولية في التنظيم، أرجو أن تقبلوني أخًا منفذًا، عسى أن ننتقم لشهدائنا وننال الشهادة في سبيل الله).

وأنـا بـدوري رحبـت بـه، وأخبرتـه بأنـه سـيكون في مكانـه المناسـب داخل تنظيمنـا، كتـب بعدهـا الأخ غالـب رسـالة إلى الإخـوة خـارج سـورية، تحـدث فيهـا عـن المجـزرة الأليمـة التـي وقعـت في مدينة دمشـق، وعـن قـراره الانضمام إلى «الطليعـة المقاتلـة» في دمشـق، وحين ذهـب لتسـليم الرسـالة إلى المراسـل الذي أتـى مـن خارج سـورية؛ وقع في كمـين نصبه عنـاصر المخابرات إثر اعـتراف الأخ المراسـل الـذي اعتقـل عـلى الحدود.

استشهاد الأخ غالب آلوسي:

ذهب الأخ غالب إلى مكان اللقاء في جامع المنصور، وحين حاول الدخول إلى المسجد توقفت بالقرب منه سيارة من نوع (مرسيدس) كانت تسير بسرعة كبيرة، وفتحت أبوابها وانقض اثنان من داخلها على الأخ غالب في محاولة للإمساك بيديه، ولكن الأخ غالب كان شديد الحذر والانتباه قوي البنية متين الجسم، فاستطاع أن يرمي هذين العنصرين على الأرض، وأخرج من حزامه قنبلة يدوية ألقاها عليهم، وانبطح أرضًا فانفجرت القنبلة وقتل العنصران وأصيب ببعض الشظايا في ساقيه، وحاول الانسحاب فاقتربت منه سيارة (المرسيدس) وفيها ثلاثة عناصر، فألقى قنبلة يدوية ثانية داخل السيارة مما أدى إلى قتل العناصر الثلاثة، عند ذاك بدأ الضابط الذي كان جالسًا في البقالة المقابلة للمسجد بإطلاق النار على الأخ غالب؛ الذي عاجله بطلقة من مسدسه (الشمايزر) فسقط على الأرض صريعًا، ووجد الأخ غالب نفسه مطوقًا بعناصر المخابرات من كل الجهات، وبدأت هذه العناصر بإطلاق النار عليه بشكل غزير، فالتجأ إلى أحد البنايات المجاورة للمسجد، ودار اشتباك عنيف بينه وبين مجرمي السلطة استمر حوالي نصف ساعة، صعدت بعدها روح الشهيد البطل إلى بارئها.

أسفرت هذه المعركة عن قتل سبعة عناصر من المجرمين وإصابة عدد آخر بجروح، منهم ثلاثة ضباط فقد أحدهم عينه بشظية قنبلة يدوية، وآخر أصيب بصدره إصابات بالغة.

لقد كان اشتباك الأخ غالب موفقًا، فقد تحول من كمين محكم إلى اشتباك فقد فيه ضباط المخابرات سيطرتهم على الموقف، بسبب جرأة الشهيد البطل وشجاعته وتصميمه على الموت في سبيل الله، وصعدت الروح إلى بارئها بعد أن سجلت صفحة مشرقة في طريق الجهاد المقدس، وعاد قتلة السلطة المجرمون إلى أوكارهم وهم يحملون قتلاهم وجرحاهم، ويجرون أذيال الخيبة وراءهم، إنهم أمام جسد بلا روح فما عساهم فاعلين؟

ولم يطل التفكير بهم، فحاولوا استغلال الحادثة لرفع معنويات عناصرهم وإغاظة الشعب المسلم في دمشق وكسر معنوياته، فأوعزوا إلى وزير إعلامهم الكاذب أحمد إسكندر أحمد لتوظيف استشهاد الأخ غالب آلوسي إعلاميًّا.

تحرك أبواق السلطة:

في اليوم التالي لاستشهاد الأخ غالب؛ انطلقت أبواق السلطة القذرة ببث نبأ استشهاد الأخ غالب رحمه الله.

فالإذاعة أعلنت النبأ، والتلفزيون عرض صورة الشهيد ممدًا على الأرض، وصدرت الصحف تحمل العناوين المختلفة:

- أجهزة الأمن تقضي على مركز دمشق لجماعة «الإخوان المسلمين» تمامًا.

- مقتل غالب آلوسي رئيس التنظيم العسكري للإخوان المسلمين في دمشق.

وهكذا كانت السلطة تحاول استغلال حادث استشهاد الأخ غالب، فسخرت إعلامها الوقح أبشع استغلال لتشويه سمعته، في محاولة حقيرة لإيذاء مشاعر شعبنا المسلم؛ الذي تألم كثيرًا للمآسي التي حلت بالمجاهدين، ولم يكن الشعب ليعلم حقيقة الموقف؛ إذ حاول إعلام السلطة عدم التفريق بين التنظيمين، واستغل انهيار التنظيم الجديد للإيحاء بالقضاء على جميع المجاهدين، وخاصة الذين نفذوا العمليات السابقة في دمشق.

إن الله عز وجل مقدر الأقدار ومسير الأمور تكفل بحفظ دينه ونصر دعاته، لذلك فإننا نعتقد أن السلطة المجرمة ومن ورائها كل الأنظمة الداعمة لها شرقية كانت أم غربية؛ لن تتمكن من القضاء على مجاهدينا ما دام الله معنا يتولانا بعنايته ويحمينا برحمته.

رسالة الشهيد غالب إلى الإخوة خارج سورية:

لقد تركت هذه المرحلة آثارًا خطيرة جدًا، ونتائج سيئة انعكست على تنظيمنا وعملنا بشكل كبير، وأترك الأخ غالب وهو يتحدث عن هذا الموضوع، من خلال رسالته التي كتبها للإخوة خارج سورية وهذا نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ.

أما بعد:

الأخ الكريم: أبدأ رسالتي عما يجري هنا، وأنا الذي كان يجب أن يكون أدرى الناس بما جرى؟ أم أبدأ رسالتي بذكر أسماء الشهداء والمعتقلين والمشردين؟ أم بذكر آخر الأمور قبل انقطاع الاتصال معكم...؟ لا أدري والله بماذا أبدأ وفي نفسي كلام كثير... كثير... لا ينتهي بمئات الصفحات واللقاءات، وحسبي أنني سأبدأ بالترحم على شهدائنا الأطهار، جمعهم الله وجمعنا معهم في جنانه، وبالدعاء للمعتقلين بالثبات والفرج، وما ذلك على الله بعزيز.

أخي الكريم: كنت قد أرسلت لك رسالة أعلمتك فيها عن بعض ما يجري هنا من عدم ترتيب الأمور، وعن صيغ للتفاهم مع عمل شهيد [أ.ح]، ولكن لم يصلني أي جواب حتى كانت المجزرة وحصل انقطاع الاتصال... وسأذكر لك بعضًا مما يجري في الأيام الأخيرة، علَّ الصورة تتضح أكثر لديكم.

بعد أن بلغني الأخ [أ.ف] بموضوع ضم [أ.ج] إلى الإدارة، عقدنا نحن الأربعة [أ.ف + أ.ح + س + أنا] عدة جلسات مطولة، بحثنا المركز وكيفية توزيع المهام فيه،

وجرى ذلك بتفاهم تام والحمد لله، ولكن الأمور تعقدت ووجهات النظر اختلفت عندما تطرقنا لموضوعين حساسين هما:

علاقتنا مع الإخوة [٦] وكيفية التنفيذ.

وحسب خبرتي القليلة، وبشهادة كل ممن التقيت معه من إخواني، فإن الجميع متفقون على ضرورة التنسيق مع الإخوة [٦]، وإذا بالإخوة الثلاثة وأخص بالذكر [س] يضعون الشروط المستحيلة للاتفاق.

فقد كنت اتفقت مع الفاتح على عدم التنفيذ قبل إعلام [٦] بموعد التنفيذ، حتى لا تحدث خسائر غير متوقعة لديهم نتيجة تحركنا، وكما أعلمتهم بهذا الأمر فرفضوا الالتزام به، بل إن الأخ [أ.ح] رفض إخبارنا نحن الإدارة عن موعد التنفيذ، وقد أبديت اعتراضي على ذلك، لكن قواعد الشورى ألزمتني بقبول الأمر بعد أن صوت عليه ثلاثتهم، وهكذا بدأ تنفيذ العمليات بشكل متصاعد، ولأهداف بعضها غير مناسب نهائيًا، لا من الناحية الشرعية ولا التكتيكية، وعندما بحث الأمر مع [أ.ح] اتفقنا على أن يعلمنا مسبقًا بجملة الأهداف التي ينوي ضربها، ونترك له التوقيت المناسب، وبعد أربعة أيام من بدء التنفيذ حصل الشيء الذي طالما كنت أخشى حدوثه، فأثناء تنفيذ عملية ضرب دورية- وكان التخطيط لها سيئًا وغير دقيق- قتل اثنان من المنفذين، وصادف الزمان والمكان مرور أحد الإخوة في مجلس الشورى لدى [٦] كان يشتري دواء من الصيدلية، ويحمل بالطبع سلاحه فأوقفه الحرس المحاصر للمكان، واشتبك معهم ثم سقط شهيدًا، مما أدى إلى استياء الإخوة [٦] وعتابهم الشديد اللاذع لي، وللعمل عن عدم احترام الوعود، وطالبوا بشدة بإجراء تنسيق بين العملين، والذي بدت علامات عدم التنسيق باستشهاد أحد

أفرادهم، فاقترحوا تقسيم المدينة إلى منطقتين يعمل كل تنظيم في أحدها، أو تقسيم زمني للعمل وكل أسبوع ينفرد أحد التنظيمين للتنفيذ به، ولكن رفض الاقتراحان واتهم الإخوة [٦] بنياتهم وبعملهم وخاصة من الأخ [س]، وبالتالي أبلغتهم بأنني لا يمكن أن أتابع بمثل هذا العمل، والذي سيكون دمارًا لعمل الإخوة [٦]، والذي بدأوه منذ سنوات، وقبل أن نتبنى نحن فكرة الجهاد نظريًّا وعمليًّا، وقد كنت أطلع الأخ [ع] على بعض ما يجري، وبإمكانكم التباحث معه، وكان هذا الاجتماع يوم السبت ٢٣/ ٨/ ١٩٨٠م على أن نلتقي يوم الاثنين، واقترحت مفاوضًا آخر للإخوة [٦]، بعد أن تبين لي استحالة أن أكون مفاوضًا بين جماعتين إحداهما ألتزم بها والأخرى أقتنع بأفكارها في العمل، وطلبت من [أ.ح] أن يتابع التنسيق مع الإخوة [٦] على أن أرتب موعدًا لذلك، وكان هذا آخر العهد بالشهيد [أ.ح] رحمه الله، وفي اليوم التالي التقيت ظهرًا بالأخ [أ.ف] من أجل سفر الأخ [ع] إلى [٦٦]، وكان هذا آخر العهد به أيضًا، وفي المساء سافر الأخ [ع] ولم أعلم عنه شيئًا حتى الآن، ثم تتابعت الأحداث، فقد علمت أنه تم اعتقال أحد الإخوة وله أوصاف تشبه [أ.ف] عند كراجات الزبداني في منطقة الحلبوني عصر الأحد، ويوم الاثنين ذهبت لمكان الموعد مع [أ.ح] و[أ.ف]، فلم يأتِ أي منهما، وعند العصر ذهبت إلى الموعد الاحتياطي فوجدت أعدادًا كبيرة من الكلاب تحاصر المسجد المتفق الاجتماع فيه، ولم أشعر بنفسي إلا محاطًا بالكلاب وأنني أصبحت في وسط كمين، وإلى الآن لا أدري كيف استطعت الخروج من بينهم سالمًا، ولكن لله الفضل والمنة أولًا وآخرًا.

ولما عدت علمت أن الأخ [أ.ح] مع الأخ أبو بصير وأخ آخر قد استشهدوا في اشتباك بالقرب من الصالة الرياضية، فأيقنت بأن الأخ [أ.ف] لا بد أن يكون هو الذي تكلم عن مكان الموعد في المسجد، وإلا فمن أين علم الكلاب بذلك؟ مع أن

بعض الإخوة يقولون إنه استشهد في حادثة المنصور، وبعدها التقيت مع الأخ [س] وأبلغته بما حصل، وكان آخر لقاء يوم الخميس ١٨/ ٨/ ١٩٨٠م، وبعدها لم يأت إلى الموعد المتفق عليه ولأربعة أيام متتالية، فقطعت الأمل من الاتصال به أو الذهاب إلى بيته، وتتابع مسلسل كشف البيوت ونسفها من قبل السلطة، بشكل مأساوي خطير، ذهب ضحيته حوالي خمسين أخًا بين شهيد أو أسير.

أخي الكريم:

هذا بعض ما حدث في الأيام الأخيرة، ولا أظن العتاب يجدي ولكن لا بد من تحديد بعض النقاط:

١- من المسؤول عن دماء الشهداء التي انهالت بغزارة، وكأننا نملك ملايين المقاتلين، وذلك خلال أيام قليلة.

٢- هل هناك أدنى فرصة للنجاح وللاستمرار وللعمل إذا كانت بعض العمليات، وهناك اعتراضات شرعية وتكتيكية على بعض العمليات مع خسارة حوالي (٥٠) أخًا، وذلك نتيجة زج إمكانيات ضخمة جدًّا بيد الإخوة قليلي الخبرة بأمور المعركة، وخاصة ظروف العاصمة، مما أدى إلى الشعور بأننا نستطيع إسقاط الدولة خلال عدة أيام، ونسي الإخوة أن الدولة تملك من العتاد والرجال أكثر مما نملك بألف مرة، وأن حرب العصابات والمدن لا تكون بأسلوب المواجهة، وإنما باستنزاف قوة العدو من خلال ضربات متعددة...

وخلال عمل الإخوة [٦] منذ ثلاث سنوات وحتى الآن، لم يذهب منهم، (ومن جراء تنفيذ الإخوة غير المدروس وبعدم التنسيق)، إلا (٥) شهداء، كان آخرهم وليد آلوسي، سعيد أكبازلي، بشار الدهان، والسؤال المطروح بإلحاح من المسؤول؟ ولماذا؟

لقد كان الأخ الفاتح هنا، وكنت قد أخذت منه صورة ضخمة وجبارة عن العمل مع [أ.ح]، ثم [علمت] بسفره وأنه مرهق عصبيًّا ويحتاج بصراحة لبعض الوقت، وهذا رأي الأخوين [أ.ح] و[أ.ف] عند رفضهما لفكرة ضمه لإدارة المركز، وبعد سفره اتضحت لي الصورة الضخمة التي كان قد رسمها لي.

١ – فأحد البيوت كان ثمنه (٥) مليون ليرة! ولما تأكدت من صحة ذلك بسؤال الأخ [أ.ف] تحسرت كم من أخ في «الطليعة» لا يجد مالًا لاستئجار بيت يسكن فيه، وهو ابن المنطقة والقادر على التحرك أكثر من أي إنسان آخر.

٢– هناك خمسة أو ستة بيوت مسجلة بأسماء نساء من الإخوان أو صديقاتهن ودون علمهن طبعًا؟؟ وكان الأخ [أ.ح] مستاءً جدًّا من هذه الناحية.

٣– ثم حادثة توزيع ٤٠ ألفًا على أربعين أعمى بسبب المنام الذي رآه.

٤– وأخيرًا تلك العملية التي وصفها لي أنها محكمة ومدروسة، وأن النجاح مضمون

١٠٠٪، وأنها... وأنها... لا داعي لذكره للسرية وعندكم علم بها و (٨٠٠ كغم) أيضًا ! طبعًا أنا لا أريد أن أبخس الأخ الفاتح عمله، وأنه كان يعمل حوالي عشرين ساعة يوميًا، وهذا ما شهد به الجميع، وأمور تقواه وورعه وصومه الدائم... ولكن الحرب هي الحرب.

أخي الكريم:

بعد كل ما ذكرته وإزاء هذا الواقع الأليم الذي يعيشه العمل الإسلامي، وبعد فترة خمسة أشهر بذلت فيها كل جهدي في توحيد العمل وتنسيقه؛ أجد نفسي في نقطة البدء، وقد خسرت بعضًا من إخواني، وأسأل الله تعالى أن يفرج عن المعتقلين.

إزاء هذا كله وجدت نفسي أمام خيارات ثلاثة:

١ - أن أتابع العمل كما كنت، ونعيد بناء العمل الجهادي للمركز، مع مواصلة محاولة التنسيق مع [٦].

٢- العمل مع الإخوة [٦] كجندي عادي في إحدى المجموعات.

٣- أن أترك البلاد وأفرغ لعملي وعبادتي وطلب العلم.

وبعد أيام من التفكير في هذه الخيارات وصلوات الاستخارة والدعاء، وجدت أن ترك البلاد غير وارد نهائيًّا، وأن العودة للعمل السابق يعني مسؤوليتي المباشرة عن تصفية عمل الإخوة [٦] وعملنا معه... برغم بعض التحفظات لدي، ولذا فقد قررت وعلى الله الاتكال أن أعمل مع الإخوة [٦]، عسى أن يرزقني الله الشهادة بعد أن نثأر لشهدائنا الأبرار من الطغمة الكافرة.

أخي الكريم:

قد يستغرب البعض عندكم هذا الموقف ويعتبره تغيرًا في الولاء ونكثا عن العهد والبيعة. وأنا والله عشت منذ سنوات وأنا أفتخر بأنني جندي من جنود «الإخوان المسلمين»، وسأبقى كذلك حتى الموت إن شاء الله تعالى، وإذا تغير موضعي في العمل فذلك لأنني أرى، والله أعلم، أن هذا الموقع هو الموقع الصحيح لي ولكل أخ هنا يجب أن... وأما ولائي لجماعة «الإخوان المسلمين» فهو ولاء ثابت لا يتزعزع.

وختامًا: أرجو أن تكونوا قد تفهمتم الوضع هنا، والظروف والملابسات التي أدت بي إلى اتخاذ هذا القرار، وأن تبقى أخوتنا ومحبتنا فوق بعض الحواجز- التي نشكو إلى الله وجودها- وسأبقى كما عهدتني سابقًا، وكما عهدني الإخوة، أخًا محبًّا ملتزمًا بدعوة «الإخوان المسلمين».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم: غالب آلوسي

أهم نتائج هذه المرحلة:

هنا أود أن أسجل بعض النتائج الهامة التي ظهرت إثر هذه المرحلة:

* إن كشف السلطة لهذه الأعداد الكبيرة من البيوت المستأجرة أو المشتراة بهويات مزورة؛ جعلها تصدر قانونًا هددت فيه كل من يؤجر أو يبيع بيتًا دون أن يهب إلى فروع مخابراتها للإعلام عن أسماء المستأجرين أو الشارين.

هذا القانون أدى إلى تعذر تأمين القواعد للإخوة المطلوبين، وأدى إلى ترك عدد من البيوت المستأجرة التي كنا نتخذها قواعد لنا، ولكن تم التغلب على هذه المشكلة بعد فترة طويلة بسكن الإخوة عند المتعاطفين معنا.

* هذه الأحداث أدت إلى حصول اعتقالات واسعة في صفوف القاعدة الإسلامية في دمشق، مما سبب المآسي الكبيرة دون تقديم أي فائدة تذكر للمسيرة الجهادية، وسنفصل هذا الموضوع فيما بعد.

لقد حرصنا على عدم تمكين السلطة من البطش بالشعب، وذلك بضم العناصر البعيدة عن الشبهة إلى تنظيمنا، لكن هذه القاعدة اختلت بعد أن رفعت السلطة سيف الإرهاب بكل وقاحة فوق رقاب الشعب، حين لمست تعاطفه وحزنه على المجاهدين.

* أما أخطر النتائج؛ فهي محاولة السلطة عبر وسائل إعلامها القذرة الإيحاء للشعب بأنها تمكنت من تصفية المجاهدين في دمشق، واستطاعت أن تقضي على «الطليعة المقاتلة»، وذلك لزرع الخوف والوهن في قلب الشعب المقهور؛ لإرغامه على الذل والخنوع.

استمرار الآثار السيئة:

لقد استمرت آثار هذه المرحلة بعد انتهائها فترة طويلة من الزمن كان منها:

اعتقال الأخ عبد الناصر عباسي، كما دوهمت قاعدة لنا أثناء هذه الأحداث، واستشهد أحد الإخوة في اشتباك بمخيم اليرموك، إضافة إلى استشهاد واعتقال عدد آخر من إخواننا بسبب الفوضى كما أسلفت سابقًا.

وقد جرت هذه الأحداث بين ١١/ ٨/ ١٩٨٠م- ١٣/ ١٠/ ١٩٨٠م.

مداهمة قاعدة لنا بمنطقة شورى الجبل:

إبان تصاعد الاشتباكات والمداهمات؛ استنفرت السلطة كل عناصرها ومخبريها الذين بدأوا بالإخبار عن كل بيت أو شخص يشكون بانتمائه للمجاهدين، وبتقدير من الله عز وجل كشفت السلطة قاعدة لنا في منطقة شورى الجبل، فقامت أجهزة المخابرات بتطويق هذه القاعدة، ودار اشتباك عنيف بين الأخوين اللذين يستخدمان هذه القاعدة وبين عناصر المخابرات، بدأت العملية على النحو التالي:

قرع باب المنزل ففتح الباب الأخ محمد الشوا، فدخل اثنان من عناصر المخابرات إلى المنزل وسألا عن صاحبه، وهل هو مالك أم مستأجر، وفجأة انقضا على الأخ محمد للإمساك بيديه وإخراجه من المنزل، إلا أن بنية الأخ محمد القوية التي اكتسبها من ممارسة الرياضة الجسدية ساعدته على الإفلات منهما، أما الأخ عصام الحلاق الذي كان يراقب الموقف من نافذة مجاورة فقد تمكن من قتل العنصرين بمسدسه (الشمايزر)، وأصيب الأخ محمد بجروح طفيفة في يده، عندها بدأت عناصر المخابرات التي تحاصر المنزل بإطلاق النار بشكل غزير من كل الاتجاهات

على البيت، وبحركات رشيقة وسريعة تمكن الأخوان من إلقاء اثنتي عشرة قنبلة يدوية على العناصر المهاجمة، مما أدى إلى خلخلة الطوق المحاصر للبيت، فاندفع الأخوان وكل منهما يحمل قنبلة يدوية بيده وقد نزع مسمار أمانها، وهما يطلقان النار من مسدسيهما بشكل سريع، وتمكنا بفضل الله من اقتحام الطوق والانسحاب بسلام، بينما استمرت عناصر المخابرات بإطلاق النار على المنزل مدة ساعة ونصف بعد انسحاب الأخوين.

في هذه المداهمة حصل اشتباك خاطئ بين عناصر المخابرات التي تنتمي إلى فروع مختلفة بسبب انعدام التنسيق بينها، وقد قتل عشرة عناصر من المخابرات وأصيب عدد آخر بجراح مختلفة.

اشتباك بمنطقة مخيم فلسطين:

لاحظ أحد مخبري السلطة ثلاثة شبان يجلسون في بساتين ببيلا القريبة من منطقة المخيم طوال النهار، فارتاب من أمرهم، وعندما شعر الإخوة بحركاته المريبة غادروا البساتين باتجاه مخيم فلسطين، ومن هناك ذهب اثنان منهم إلى أحد محلات الحلاقة لقص شعرهما، بينما انطلق الثالث لبعض شؤونه، وظن الإخوة أنهم تخلصوا من المخبر الذي كان يتعقبهم، ولكنه تمكن من اللحاق بهم إلى محل الحلاقة، وبعد عشر دقائق حضر الرائد المجرم هيثم الشمعة، وبرفقته ملازم أول مع عشرة عناصر في سيارتين من نوع (بيجو ٥٠٤)، وعلى الفور دخل أربعة عناصر بإمرة الملازم أول وألقوا السلام، وقبل أن يتمكن أحد من الحاضرين من رد التحية أطبق الأربعة على الأخ الجالس على كرسي الانتظار، لكنه تمكن من الإفلات وشهر مسدسه وبدأ بإطلاق النار، وشهر الأخ الجالس على كرسي الحلاقة مسدسه أيضًا، وشارك بإطلاق

النار على عناصر المخابرات الذين تمركزوا مقابل باب المحل وبدأوا بإطلاق النار من مسدساتهم، وتمكن أحد الإخوة من الانسحاب بسلام، بينما استشهد الأخ بسام نجيب مواليد ١٩٥٢م. دمشق- باب سريجة، رحمه الله، وقتل ضابط برتبة ملازم أول مع (٣) عناصر تابعين لفرع المجرم ناصيف، كما قتل أحد الزبائن الموجودين في المحل، وعلى الفور طوقت المنطقة بأعداد كبيرة من عناصر المخابرات للإمساك بالمجاهد الذي تمكن من الانسحاب.

أسماء الإخوة الذين استشهدوا:

قبل الانعطاف نحو مرحلة جديدة، أحب أن أسجل هنا أسماء عدد من الإخوة الذين استشهدوا أثناء الأحداث الدامية التي جرت بفترة ما بين العيدين منهم:

١- الأخ الشهيد: حسن عبد الحي أبو بكر، مواليد ١٩٥٤م/ دمشق- شاغور، استشهد عند مروره بمنطقة الشويكة أثناء الاشتباك الذي حصل بين عناصر النظام والإخوة في التنظيم الجديد.

٢- الأخ الشهيد: وليد آلوسي، شقيق الأخ الشهيد: غالب آلوسي، وهو من مواليد دمشق- أكراد ١٩٥٤م، طالب سنة سادسة بكلية الطب البشري، استشهد رحمه الله أثناء دخوله إلى بناية في حي الأكراد؛ لزيارة أحد الإخوة، وصادف ذلك احتلال عناصر المخابرات لبيت من البناية تابع للتنظيم الجديد، وحال دخوله اشتبه به عناصر المخابرات، مما أدى إلى اشتباكه معهم، فأصيب بجراحات بليغة، وانفجرت عليه قنبلة كان يحملها بيده بعد أن نزع مسمار أمانها، فاستشهد، رحمه الله.

٣- الأخ الشهيد: سعيد أكبازلي دمشق- أكراد، مواليد ١٩٥٥م، وهو ابن الشيخ أحمد أكبازلي العالم الجليل المعروف بحي الأكراد، وقد استشهد أثناء مروره

بمنطقة الجبة إثر اشتباك مع مرافقة المجرم محمد مسعود رئيس فرع فلسطين، وكان برفقته الأخ بشار الدهان دمشق- أكراد ١٩٥٩م، وقد امتد الاشتباك إلى منطقة الجسر الأبيض؛ إذ دفعت السلطة بتعزيزات كبيرة إلى منطقة الحادث، واستمر الاشتباك لمدة ساعة ونصف، حيث استشهد الأخوان، رحمهما الله، بعد أن قتلا عددًا من عناصر السلطة.

٤- الأخ الشهيد: إسماعيل عيسى، دمشق- مساكن برزة، ١٩٥٤م، استشهد في كمين نصبته له عناصر السلطة، إثر اعتراف على مكان اللقاء من أحد الإخوة غير الملاحقين؛ الذي اعتقل أثناء موجة الاعتقالات التي حصلت بفترة ما بين العيدين.

٥- الأخ الشهيد: محمود جلعو.

٦- الأخ الشهيد: علاء الدين أكبازلي، شقيق الأخ سعيد أكبازلي.

كما استشهد عدد من الإخوة، واعتقل عدد آخر لم نتمكن من معرفة أسمائهم نظرًا لسرية العمل، ولأن الإخوة المسؤولين عنهم قد استشهدوا، وبذلك انقطعت عنا بعض الخيوط.

تفجيرات في بيوت عناصر النظام النصيريين:

لقد سردنا لمحة موجزة عن الأحداث التي حصلت بين عيدي الفطر والأضحى، لم نتمكن من التفصيل لأسباب أوضحناها سابقًا.

هذه الأحداث وضعت قيادة «الطليعة المقاتلة» أمام منعطف خطير؛ إذ تركت المجزرة خلفها آثارًا مدمرة على العمل الجهادي في مدينة دمشق.

لقد عرفت السلطة الشيء الكثير عن أساليب الإخوة المجاهدين بمدينة دمشق، وعن طرائقهم في التصدي لها ولأعوانها، وعلى الرغم من كل ذلك كان لا بد

للمسيرة الجهادية أن تستمر في جهادها ضد المجرم (أسد) ونظامه الطائفي المقيت، وكان قرار القيادة في «الطليعة المقاتلة» تفجير بيوت بعض المسؤولين النصيريين، وذلك لعدة أسباب:

١ - لتكذيب ادعاءات السلطة وأضاليلها حول القضاء على المجاهدين في دمشق.

٢- لرفع الروح المعنوية لدى شعبنا الصابر الذي كان يتمزق ألمًا وهو يرى قواعد المجاهدين تدمر بقذائف الـ- آر- بي- جي.

٣- للحد من جرائم أتباع النظام النصيريين في دمشق؛ الذين قاموا بإيذاء المسلمين بعد أن صدقوا كلام زعمائهم بالقضاء على المجاهدين.

وكان الإنذار موجهًا بالمتفجرات، حتى يسمعها كل النصيريين وهي تدمر أوكار رؤسائهم المجرمين، ولكي لا ينعم حافظ أسد وضباط مخابراته بثمار الأخطاء التي وقع فيها إخواننا رحمهم الله، ولإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح في متابعة حرب العصابات طويلة الأمد.

وقد تم تنفيذ هذه العملية بعد استشهاد الأخ غالب آلوسي رحمه الله مباشرة، فقام مجاهدونا الأبطال بزرع عبوات ناسفة تزن كل واحدة منها (٨ كغ) في بيوت المجرمين النصيريين التالية أسماؤهم:

١ - بيت الرائد النصيري المجرم علي إسماعيل في حي الأزبكية، وهو من جهاز المخابرات.

٢- بيت النصيري قاصف عيسى، مفتش تموين وزوج أخت المجرم محمد ناصيف رئيس فرع الأمن الداخلي

٣- منـزل العقيـد حسـن مريشـة في الميـدان، قائد رحبـة (المرسـيدس) بإدارة المركبات.

٤- منزل العقيد حكمت بدر الجسر الأبيض.

٥- منزل المجرم يحيى بكور.

٦- منزل النقيب سليم جبور في حي الأزبكية.

٧- منزل المساعد سليمان حسن في حي الميدان.

٨- منزل الرقيب عارف إبراهيم دمشق- ميدان، جزماتية.

٩- منزل خليل إبراهيم منطقة الإطفائية.

١٠- منزل نقيب في السرايا في منطقة البوابة.

١١- منزل مقدم نصيري طيار من آل خير بك في منطقة مهاجرين- شورى.

١٢- منزل يستخدمه عدد من النصيريين في منطقة الشويكة.

١٣- منزل يستخدمه عدد من النصيريين في منطقة العمارة، قتل فيه منهم الرائد أحمد منصور.

١٤- منزل الرائد النصيري شوكت المودي في منطقة الشويكة.

هذه العمليات نفذت على عدة مراحل خلال المدة الواقعة بين ٢٠/ ٩/ ١٩٨٠- ١٨/ ١٠/ ١٩٨٠م، وكانت أصوات الانفجارات تسمع في مختلف مناطق دمشق في الصباح والمساء، وكان أبناء دمشق يشاهدون آثار التدمير الذي حصل من جراء التفجير، وانتشرت أخبار هذه العمليات في جميع المحافظات، فكانت الرد المناسب على أكاذيب السلطة وافتراءاتها حول القضاء على الإخوة المجاهدين في

دمشق، وأدى ذلك إلى رفع معنويات الشعب الذي فقد الثقة تمامًا بإعلام السلطة وأبواقها، وعرفت السلطة كذلك أنها أمام نوع فريد من المجاهدين، إذ أننا- رغم خطورة المرحلة بأحداثها الدامية التي فقدنا خلالها إخوة أعزاء- استطعنا أن نصبر ونصمد ونواجه المحنة، لقد كان إخواننا أعظم من أن يقف بوجوههم مجرمو السلطة ووسائلهم القمعية، لقد كانوا اشد وأصلب من أن يؤثر بهم إعلام السلطة الوقح والقائمون عليه من عبيد السلطة، إن رد «الطليعة المقاتلة» بهذه السرعة أكد للعالم كله أن المعركة في دمشق لم تنته بعد، وأن السلطة كاذبة بادعاءاتها، ولكن المحنة التي حلت بنا لم تنته أيضًا، فقد امتدت الأحداث الجسيمة لتشمل هذه المرحلة من جهادنا، فاستشهاد العديد من إخواننا خلال المرحلة السابقة واعتقال الكثير؛ أدى إلى حصول عدة ثغرات داخل الهيكل التنظيمي للطليعة المقاتلة.

فكان لا بد من معالجة هذا الموقف، والقيام بمحاولة ترميم سريعة أثناء انشغال السلطة بعمليات التفجير السابقة؛ إذ أنها بدأت بتركيز جهودها لحماية الأعداد الهائلة من عناصرها النصيريين المقيمين بدمشق.

كمين للأخ عبد الناصر عباسي:

إن عملية البناء والترميم كانت شاقة وعسيرة، فقدنا خلالها عددًا من إخواننا المجاهدين أيضًا، ففي تاريخ ١٢/ ١٠/ ١٩٨٠م، قامت عناصر المخابرات بنصب كمين للأخ عبد الناصر العباسي في منطقة الحلبوني، إثر اعتراف أحد الإخوة غير الملاحقين على مكان اللقاء، وحين وصل الأخ عبد الناصر إلى مكان اللقاء أطبقت عليه عناصر المخابرات التي موهت نفسها بلباس عمال تصليح السيارات، حيث أمسك اثنان من العناصر بيدي الأخ عبد الناصر، بينما قام عنصر ثالث بضربه بواسطة

مطرقة خشبية على رأسه بشكل سريع، فسقط الأخ عبد الناصر على الأرض مغشيًا عليه، وتم نقله فورًا إلى الفرع (٢١٥) الذي يرأسه العقيد المجرم أسعد الصباغ، والذي يعمل أجيرًا عند المجرم النصيري علي دوبا رئيس المخابرات العسكرية.

أثناء عملية الإمساك بالأخ عبد الناصر حاول التملص من المجرمين، كما حاول انتزاع مسمار الأمان لإحدى قنابله اليدوية الموضوعة على حزامه، لتفجير نفسه بهم، ولكن دون جدوى، فبالرغم من قوة الأخ عبد الناصر الجسدية إلا أنه كان يجب عليه أن يحترز تمامًا لمثل هذه المواقف، وذلك بوضع يده على مسمار الأمان لقنبلة يدوية أثناء نزوله إلى أي لقاء كان، وحين يشعر بالخطر يتمكن من تفجير نفسه بسهولة، لكن قدر الله عزَّ وجلَّ أن يعتقل الأخ عبد الناصر عباسي، واستغلت السلطة هذا الوضع فأذاعت بيانًا كاذبًا ادعت فيه أنها قتلت الأخ عبد الناصر أثناء اشتباك بينه وبين عناصر المخابرات، وعرضت صوره على شاشات التلفزيون حيث ظهر وهو ملقى على الأرض بشكل يوحي بأنه قد فارق الحياة.

في البدء لم تنطل هذه الخدعة على قيادة المجاهدين في دمشق، حيث اتخذت بعض الإجراءات الأمنية واضعة في حسابها اعتقال الأخ عبد الناصر عباسي، ولكن نظرًا لضيق الإمكانيات وصعوبة تأمين القواعد الجديدة، وللالتباس الذي وقعت فيه القيادة، تمت عملية إعادة الإخوة إلى القاعدتين، وبعد خمسة أيام من التعذيب الإجرامي اعترف الأخ عبد الناصر على قاعدتين لنا في منطقتي مخيم اليرموك وببيلا، ظنًّا منه أن إخوانه قد غادروهما كما جرت العادة بعد اعتقال أي من الإخوة مهما كان حجمه في التنظيم، وبالطبع لم يكن الأخ عبد الناصر يعلم عن بيان السلطة الكاذب أي شيء.

نبذة عن حياة الأخ عبد الناصر عباسي:

الأخ عبد النّاصر عباسي مواليد دمشق- أكراد ١٩٥٧م، انتظم ضمن صفوف الحركة الإسلامية منذ نعومة أظفاره، حيث تمكن من الحصول على ثقافة إسلامية واسعة، كان الأخ عبد الناصر واسع النشاط في الدعوة إلى الله تعالى، وهو من أقدم الإخوة الذين انتظموا في تنظيم الشيخ مروان حديد بدمشق، لقد مارس الجهاد قولًا وعملًا، ومارس التدريب العسكري ضمن المعسكرات التي أقامتها قيادة الطليعة في مدينة دمشق.

كان الأخ عبد الناصر شجاعًا، ثابت القلب، قوي البنية، أمضى فترة طويلة في ممارسة الرياضة البدنية، أعلنت السلطة عن ملاحقته بشكل رسمي بعد اعتقال شقيقه الأخ عبد القادر عباسي إثر مقتل المجرم إبراهيم نعامة، ووضعت صوره في الصحف والتلفزيون مع الإخوة الذين أعلنت عن جائزة (١٠٠ ألف) ليرة على رؤوسهم.

وكان أيضًا من ألمع الإخوة القياديين في التنظيم المسلح بمدينة دمشق، فقد مارس عملية الجهاد اليومي في إدارة شؤون المجموعات، كما كان يقوم بعمليات الاستطلاع المختلفة، وشارك في تنفيذ العديد من عمليات التفجير والاغتيال التي نفذتها «الطليعة المقاتلة» بمدينة دمشق، ومن أشهر هذه العمليات:

عملية قتل الدكتور المجرم عدنان غانم، ومحاولة اغتيال المجرم جميل يوسف، كما شارك في تنفيذ أول عملية تدمير لدورية مخابرات في منطقة العمارة، واشترك أيضًا بعملية قتل الدكتور المجرم محمود شحادة خليل.

بالإضافة إلى اشتراكه في عمليات التفجير وحرق المؤسسات التي حصلت في بداية التنفيذ.

لقد اتصف الأخ عبد الناصر بالشجاعة والشهامة ولطف المعاشرة والكرم.

وشاء الله أن نفجع بأخ من خيرة إخواننا، وتجددت باعتقاله مأساة الأخ عرفان المدني والأخ ظافر بدوي، ومأساة الأخ يوسف عبيد، وفقد التنظيم في دمشق أحد الإخوة الأشداء الذين حملوا على عاتقهم محاربة نظام المجرم أسد.

هذا ومن المرجح أن أخانا قد لاقى ربه شهيدًا في سجون المخابرات تحت التعذيب الشديد.

رحم الله أخانا الشهيد وأسكنه فسيح جنانه، وعهدًا أمام الله نقطعه على أنفسنا لننتقمنَّ لكل مسلم يتلوى تحت سياط التعذيب الهمجية في سجون المخابرات.

مداهمة قاعدتي ببيلا والمخيم ١٧/١٠/١٩٨٠م:

إثر اعتراف الأخ عبد الناصر عباسي، قامت أعداد كبيرة من عناصر المخابرات العسكرية بإشراف المجرم علي دوبا؛ بتطويق قاعدتين من قواعدنا في منطقتي مخيم اليرموك وببيلا، وعندما شعر الإخوة بعناصر المخابرات وهي تحاول اقتحام البيتين بدأوا بالتصدي لها بالقتال حتى الاستشهاد، ودارت رحى معركة عنيفة استمرت لمدة ساعتين ونصف، كانت أصوات الانفجارات وطلقات الرصاص تسمع في مناطق مختلفة من مدينة دمشق، وطلبت السلطة من الإخوة الاستسلام ونادتهم بمكبرات الصوت، فكان جواب الإخوة مزيدًا من الانفجارات ومزيدًا من زخات الرصاص، واستمرت المعركة ضارية بشكل كبير، ولم تتمكن السلطة من اقتحام البيتين إلا بعد قصفهما بعدد كبير من قذائف الـ- آر-بي- جي، كان نصيب بيت ببيلا منها أربعين قذيفة، واستشهد إخواننا الأبطال بعد أن أوقعوا خسائر جسيمة في صفوف السلطة، وكانت خسائرنا في القاعدتين كبيرة جدًّا فقد استشهد في بيت المخيم:

١- الأخ الشهيد: عبد الله المفتي، مواليد دمشق- أكراد ١٩٥٥م، وهو طالب في كلية الهندسة- سنة رابعة، وأحد أبرز شباب الحركة الإسلامية في منطقة الأكراد.

٢- الأخ الشهيد: علي الصيداوي طالب كلية الطب بحلب مواليد دمشق ١٩٥٤م دوما، وهي إحدى ضواحي مدينة دمشق.

لوحق الأخ علي الصيداوي ضمن حملة الاعتقالات الواسعة التي قامت بها السلطة في بداية عام ١٩٨٠م، فقامت مجموعة كبيرة من عناصر المخابرات، بإمرة الرائد المجرم تركي علم الدين، التابع لفرع الأمن الداخلي الذي يتولاه المجرم محمد ناصيف، بمداهمة منزل الأخ علي في دوما لاعتقاله، وبعد أن فشلت في العثور عليه توجهت إلى منزل جده القريب، وكان الأخ علي يستخدم هذا البيت الخالي من السكان للتواري عن الأنظار، وحين دخلت عناصر المخابرات إلى البيت اختبأ الأخ علي وراء أحد الستائر المطلة على باحة الدار، وعندما أصبح عناصر المخابرات على مقربة منه بادرهم بوابل من الرصاص من بارودته الروسية، فسقط عدد منهم على الأرض يتخبطون بدمائهم بين قتيل وجريح، بينما لاذ الباقون بالفرار وهم يصرخون، وعلى الفور جاءت أعداد كبيرة من المخابرات لتعزيز الموقف، لكن الأخ علي تمكن من إنهاء الاشتباك بشكل سريع عندما صعد إلى سطح المنزل؛ وهو يتبادل إطلاق النار مع العناصر التي تطوق البيت، مستخدمًا مسدسه الرشاش عيار (٩ ملم).

بينما استخدم الأخ مهند شيخ بكري، مواليد- دوما ١٩٦٠م، (الذي كان معه في نفس البيت) البارودة الروسية، وأصيب في بطنه وحوضه إصابات قاتلة نقل على إثرها إلى المستشفى حيث فارق الحياة، رحم الله شهيدنا البطل وأسكنه فسيح جنانه.

وتمكن الأخ علي من اختراق الطوق والانسحاب، بعد أن أصاب الرائد المجرم تركي علم الدين بعدة طلقات، سببت له جراحًا في كتفه الأيمن، لازم على أثرها المستشفى عدة أشهر، بعد ذلك انتقل الأخ علي إلى دمشق، حيث تابع مسيرته الجهادية مع إخوانه المجاهدين، فاشترك في تنفيذ عدة عمليات بدمشق، ثم سقط شهيدًا في الاشتباك الأخير ببيت المخيم.

كان الأخ علي يشبه في الهيئة الأخ أحمد زين العابدين، وقد شوهد المجرم علي دوبا وهو يقف أمام جسد الأخ علي الصيداوي، وهو يقول:

قتلناك يا أحمد زين العابدين، لم تستطع الإفلات من أيدينا.

رحم الله أخانا الشهيد علي الصيداوي وأسكنه فسيح جنانه، وجمعنا به في مستقر رحمته مع إخوانه الأبرار.

أما في بيت ببيلا فقد استشهد:

١- الأخ الشهيد: محمد الشوا، مواليد دمشق- مهاجرين ١٩٦٢م، طالب سنة أولى بكلية الهندسة، حافظ لكتاب الله، انتسب للتنظيم عام ١٩٧٧م، وكان من أكثر الإخوة انضباطًا والتزامًا بمبادئ العمل، عرف بلطف معشره وبأخلاقه العالية وانكبابه الدائم على طلب العلم، لوحق عام ١٩٧٨م بعد مقتل إبراهيم نعامة، إثر اعتقال اثنين من مجموعته، وهما الأخوين: مصعب حمادة الخياط، وجمال مدغمش، من منطقة الشيخ محي الدين، مواليد ١٩٦٠م. شارك الأخ محمد بالعديد من عمليات «الطليعة» بدمشق.

٢- الأخ الشهيد: عصام حلاق، مواليد دمشق- مزة ١٩٥٦م، انضم

إلى التنظيم عام ١٩٧٦م ضمن مجموعة مكونة من الأخوين: جمال طعمينا، ومأمون دقو. عرف الأخ عصام بشجاعته الفائقة وأعصابه الهادئة واستهانته بالموت، كما عرف عنه انكبابه المستمر على طلب العلم، كان رحمه الله ملتزمًا بمبادئ العمل، شديد السرية، منضبط السلوك، شارك بالعديد من عمليات «الطليعة المقاتلة» في مدينة دمشق؛ منها عملية سوق مدحت باشا، لوحق من قبل السلطة عام ١٩٨٠م إثر اعتقال الأخ مأمون دقو، وقد تمكن من الانسحاب من بيت شورى الجبل أثناء مداهمته، لاقى ربه شهيدًا في قاعدة ببيلا بعد أن أبلى بلاءً حسنًا.

٣- الأخ الشهيد: مازن خانكان، مواليد دمشق- عمارة ١٩٥٦م.

٤- الأخ الشهيد: موفق زبداني، مواليد دمشق- برامكة ١٩٦٠م.

٥- الأخ الشهيد: سامر لولو، مواليد دمشق- حلبوني ١٩٦٠م، سنة ثانية بكلية الهندسة، وهو الأخ الرابع في مجموعة الأخ محمد الشوا، لوحق أيضًا سنة ١٩٧٨م، إثر عملية قتل المجرم النعامة.

ولقد لوحق الأخوان؛ مازن وموفق، في بداية عام ١٩٨٠م، إثر انفجار حدث في منزل الأخ موفق زبداني في منطقة البرامكة، أثناء قيامهما بتصنيع عدد من القنابل يدويًا، وذلك بسبب نقص الأسلحة الذي كنا نعاني منه في تلك المدة، لكن الانفجار لم يسبب لهما أية جروح، وتمكنا من مغادرة المنزل قبل وصول عناصر المخابرات بدقائق معدودة.

كان الأخوان مثالًا للأدب والانضباط، وقد عرفا بالتقوى والصلاح، وكان استشهادهما في قاعدة ببيلا، عليهما رحمة الله، وعلى إخواننا الشهداء والمعتقلين.

عملية فرع شرطة النجدة:

حدثت المداهمتان السابقتان في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، حيث كانت الأوامر قد صدرت إلى إحدى مجموعاتنا بمهاجمة فرع شرطة النجدة الرئيسي الكائن في شارع النصر.

لقد حذرنا ضباط وعناصر النجدة مرارًا من التعرض للمجاهدين أثناء الاشتباكات وأثناء تنفيذ العمليات، وطلبنا منهم مرارًا أن يبتعدوا عن ساحة العمليات، وألا يطلقوا النار على الإخوة المجاهدين.

كل التحذيرات والإنذارات التي وجهناها إليهم ذهبت أدراج الرياح ولم تجد نفعًا، فقد تبين أن عناصر وضباط شرطة النجدة يقومون بدور أساسي في محاربة إخوتنا المجاهدين، وقد تكررت الحوادث التي أطلقوا فيها النار على إخواننا محاولين قتلهم، لذلك كان لا بد من إعطائهم درسًا أقسى من الدرس الماضي الذي ضربت فيه دورية تابعة لهم.

فقام مجاهدونا الأشاوس بتاريخ ١٨/ ١٠/ ١٩٨٠م، صباح اليوم الذي دوهمت فيه قاعدتا ببيلا ومخيم اليرموك، بالصعود إلى سطح فرع النجدة بواسطة سلم خشبي، وهم يحملون أشرطة التلفون، متظاهرين بأنهم عمال تصليح التلفونات، وقد حملوا معهم بارودة روسية وعددًا من العبوات الناسفة، وحين اصطف عناصر الشرطة للتفقد الصباحي قام أحد الإخوة المجاهدين بإطلاق النار عليهم من البارودة الروسية، بينما بدأ المجاهد الثاني بإلقاء أربع عبوات ناسفة داخل الاجتماع، انفجرت على الفور، مما أدى إلى سقوط (٤٠) عنصرًا بين قتيل وجريح، وعندما نزل الأخَوان على السلم تحرك اثنان من عناصر المخابرات الذين كانوا يقفون أمام موقف الباصات

المقابل لمكان نزول الأخوين المجاهدين، لقد ظن هذان المجرمان أنه بإمكانهما قتل الأخوين المجاهدين بإطلاق النار عليهما من الخلف، وتقدما وهما يمنيان نفسيهما بالآمال العريضة أما أسيادهم المجرمين، وفجأة بادر اثنان من عناصر الحماية المرابطة عند موقف الباصات وأطلقا النار على هذين المجرمين من رشاشين نوع (شنير) فقتل الاثنان على الفور، وتمكن جميع الإخوة المجاهدين من الانسحاب بسلام.

على إثر ذلك استنفرت السلطة استنفارًا كاملًا، وحاولت تطويق الإخوة إلا أن محاولاتها باءت بالفشل، فكان الرد على مداهمة القاعدتين (في ببيلا واليرموك) سريعًا بفضل الله تعالى، مما فوت على السلطة استثمار استشهاد الإخوة.

استشهاد الأخوين درويش جانو وخالد عوض:

وتستمر المعارك، ويتوالى تدفق الدماء، ويتابع الإخوة سيرهم نحو جنان الخلود، فيستشهد الأخوان درويش جانو وخالد عوض، بعد يومين من عملية فرع النجدة، أي بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ١٩٨٠م، وكان هذا اليوم الثاني في أيام عيد الأضحى المبارك.

حدث الأمر على النحو التالي:

توجه الأخوان بسيارة من نوع (سوزوكي) إلى أحد مستودعات الأسلحة الواقع في منطقة عقربا على الطريق المؤدي إلى السيدة زينب، في مهمة لإحضار عدد من القنابل اليدوية وبعض الأسلحة الأخرى، كانت الساعة تشير إلى السادسة مساءً حين وصولهما إلى المستودع، فترجل الأخ خالد عوض ودخل المستودع، بينما انتظره الأخ درويش خارجه، وفجأة خرجت عناصر المخابرات من الأبنية المجاورة لإلقاء القبض على الأخوين اللذين أسرعا باستخدام أسلحتهما، وحصل اشتباك بين

الأخ درويش وبين عناصر المخابرات أصيب على أثره بطلقات قاتلة فمضى شهيدًا، بينما تمكن الأخ خالد عوض من استخدام بندقية روسية أخذها من المستودع، وألقى على عناصر المخابرات عددًا من القنابل اليدوية، واستمر الاشتباك مدة ٢٠ دقيقة، ارتقى على أثره الأخ خالد شهيدًا أيضًا، بعد أن قتل عددًا من عناصر المخابرات. أذاعت السلطة بيانًا في الساعة التاسعة مساءً ادعت فيه أنها تمكنت من قتل اثنين من الإخوة المجاهدين في إحدى الضواحي الجنوبية لمدينة دمشق بعد أن أوقفتهما دورية أمنية للاشتباه بأمرهما.

كان بيان السلطة محاولة خبيثة لتضليل الإخوة المجاهدين حتى يعتقدوا أن مستودع الأسلحة غير مكشوف، وبالتالي تتمكن السلطة من اصطياد المزيد من إخواننا في هذا المكان، لكن قيادة المجاهدين أدركت أن الأمر ينطوي على خدعة خبيثة تسعى لها السلطة المجرمة.

الأخ الشهيد: درويش جانو: مواليد دمشق ١٩٥٤م، وهو طبيب، ومن أبرز الدعاة إلى الله في مدينة دمشق، كان يتمتع بخصال عديدة، فهو واسع الاطلاع، عال الثقافة، غزير العلم، وهاج الذكاء، وكان يخطب الجمعة في مسجد الحسن، وقد اكتسب شهرة في أوساط العلماء والشباب الإسلامي بدمشق، انتسب إلى العمل المسلح عام ١٩٧٩م، وقد ذهلت السلطة بعد استشهاده حين عرفت من هويته أنه غير ملاحق، وفي محاولة لتجنب نقمة الشعب إثر سماع نبأ استشهاد الأخ درويش رحمه الله، قامت ببث شائعات فحواها أن الأخ درويش لم يستشهد وإنما هو معتقل...

رحم الله شهيدينا: خالد عوض، ودرويش جانو، وأسكنهما فسيح جنانه.

إثر استشهاد الأخ درويش جانو قامت السلطة باعتقال شقيقه الأخ جمال جانو بعد ساعات من إستشهاده، ولم يعرف مكانه حتى الآن.

نصب كمين لـ (مكرو باص) تابع للمخابرات العسكرية:

هذا الوضع الجديد الذي لم تكن السلطة تتوقعه كذَّب ادعاءاتها القضاء على المجاهدين في دمشق، ولكننا صرنا نعاني فيه من أمر جديد ألا وهو تعجرف ضباط وعناصر المخابرات نتيجة المرحلة السابقة الدامية، وكان علينا أن نتحرك من جديد لإعادة الأمور إلى نصابها، وكان لابد من التركيز على عناصر المخابرات لكسر معنوياتهم، لقد كلفتنا المرحلة الجديدة عددًا كبيرًا من الشهداء، وبالمقابل فقد خسرت السلطة أعدادًا كبيرة من زبانيتها بين قتيل وجريح، فالمعركة كانت سجالًا: مرة لنا، وأخرى علينا، **ولكن هناك ناحية هامة أحب أن أنبه إليها، وهي أننا في كل الظروف والأحوال لم نكن لنقع في شراك السلطة ومحاولاتها المستمرة لاستدراجنا إلى معركة مكشوفة تقضي بها علينا**، لقد حاولت السلطة بشتى الوسائل والأساليب أن تضيق الخناق علينا من كل الاتجاهات، ولكن الله جل وعلا، الذي ابتلى شعب سورية المؤمن بهذه السلطة الطائفية الإجرامية، سلط عليها وعلى أزلامها تنظيمنا الجهادي؛ الذي أذاقها الأمرين، وكان القرار الذي اتخذته قيادة «الطليعة المقاتلة» بدمشق بتاريخ ٢/ ١١/ ١٩٨٠م بتنفيذ العملية التالية:

حيث قام ثلاثة من مجاهدينا بنصب كمين لـ (مكرو باص)، يستقله اثنان وعشرون ضابط صف من فرع الأركان للمخابرات العسكرية- قسم المعلومات؛ الذي يرأسه المجرم علي دوبا، وخلف (المكرو باص) كانت تسير سيارة من نوع (لاندروفر) يستقلها أربعة عناصر، وهم في حالة استنفار تحسبًا للطوارئ، وعندما

أصبح (المكرو باص) داخل الكمين في منطقة الثريا خلف ثانوية الكواكبي منطقة الميدان، أطلق أمير العملية النار عليه من بارودته الروسية من مسافة قريبة جدًّا، فتوقف (المكرو باص) على مسافة قريبة إثر مقتل سائقه، أما المجاهد الثاني فحاول إطلاق النار على سيارة اللاندروفر، إلا أنه لم يتمكن من ذلك بسبب استعصاءٍ حصل في بارودته الروسية، مما مكن عناصر السيارة من النزول واستخدام بنادقهم الروسية، فقام أمير العملية بإطلاق النار عليهم بعد أن بدل مخزن بارودته الفارغ، فأصاب الأربعة بجراح قاتلة، بينما قام الأخ الثالث بإلقاء عبوة ناسفة على الباص انفجرت بالقرب منه، وتمكن إخوتنا المجاهدون من الانسحاب دون أن يصابوا بأذى.

أسفرت هذه العملية الجريئة عن مقتل ثلاثة عشر ضابط صف، بينما جرح الباقون جراحات خطيرة في الصدر والحوض نقلوا على أثرها للمستشفى.

كانت أصداء هذه العملية واسعة بين صفوف الشعب الذي استبشر بعودة المجاهدين إلى سابق عهدهم، أما السلطة فقد راحت تحرك مخبريها في حي الميدان للوصول إلى المجاهدين، وبتقدير من الله تعالى اكتشفت السلطة قاعدة لنا في منطقة مساكن الزاهرة- حقلة، إثر وشاية من مخبر حقير.

مداهمة قاعدة في منطقة مساكن الزاهرة:

بتاريخ ١٣/ ١١/ ١٩٨٠م، قامت قوات كبيرة من عناصر المخابرات بتطويق القاعدة، ووضعت هذه العناصر في سيارة براد كبيرة قرب المنزل، حيث اختبأ داخلها قسم من عناصر المخابرات، بينما تحرك قسم آخر من على أسطح البيوت المجاورة إلى سطح القاعدة في محاولة منهم للتسلل إلى المنزل، وعندما شعر أحد الإخوة بوجود المجرمين فوق السطح أطلق النار عليهم من بارودته الروسية، وألقى عليهم عبوة

ناسفة صغيرة الحجم، فتم تطهير السطح من كافة العناصر المتمركزة فوقه، عند ذلك بدأت الأعداد الكبيرة المتمركزة حول البيت بإطلاق النار بشكل غزير على البيت، فاستخدم أحد الإخوة أصابع الديناميت لفتح ثغرة في جدار المنزل، وانسحب من خلالها، حيث واجه وابلًا من الرصاص كانت تطلقه عليه عناصر المخابرات، فرد الأخ عليهم بزخات من رصاص بارودته الروسية، واعتصم الأخ الثاني داخل المنزل وراء متراس من الأنقاض أحدثته الانفجارات، وقام المجرمون بعدة محاولات لاقتحام المنزل ولكن دون جدوى، وفي كل محاولة يقومون بها يُقتل عدد منهم بينما يلوذ الباقون بالفرار، وقذف الأخ الذي في المنزل عددًا من العبوات الناسفة باتجاه عناصر المخابرات أحدثت دويًّا كبيرًا سمعه أكثر الناس في مدينة دمشق، في هذه المداهمة نزل عدد كبير من ضباط المخابرات لمتابعة العملية وتطوراتها، وكان على رأسهم المجرم علي دوبا، الذي كان على اتصال دائم بالقصر الجمهوري، وكعادة المجرمين في كل مداهمة يتصدى فيها الإخوة ببسالة وقوة ويكون الاشتباك عنيفًا، يظن المجرمون أن أحد أفراد القيادة موجود داخل البيت، وبدأ المجرمون بمخاطبة الأخ بمكبرات الصوت: (يا فلان أنت محاصر لا أمل لك في النجاة، نقسم بشرفنا أن نعاملك معاملة حسنة)، أما جواب الأخ فكان صريحًا واضحًا وهو المزيد من زخات الرصاص والمزيد من القنابل اليدوية والعبوات الناسفة، حتى يأس المجرمون من استسلام الأخ فزادوا من حدة الاشتباك، ولم يتمكنوا من دخول المنزل إلا بعد أن استشهد الأخ رحمه الله، هذا وقد أحصيت مئة قنبلة رماها المجرمون على الأخ داخل المنزل، وذهل المجرمون حين وجدوا أن الذي صمد بوجههم لمدة ثلاث ساعات ونصف، أي من الساعة التاسعة إلى الساعة الثانية عشرة والنصف؛ لم يكن سوى أخ غير ملاحق لا يعرفون عن تاريخه شيئًا.

انتشر خبر المعركة بسرعة كبيرة بين سكان مدينة دمشق، وارتفعت معنويات الشعب بسبب ضراوة المعركة وفداحة الخسائر التي تكبدتها السلطة، فقد كانت خسائرها البشرية في هذه المعركة حوالي أربعين عنصرًا بين قتيل وجريح.

حاولت السلطة استغلال هذه الحادثة لنصب كمين للأخ رياض حموليلا، وذلك عندما أذاعت بيانًا ادعت فيه أنها قتلت الأخ رياض، ونصبت كمينًا في بيت أهل الأخ رياض ظنًّا منها أن الأخ رياض سوف يأتي ليطمئن أهله على نفسه، ولكن شيئًا من هذا لم يحدث.

الأخ الشهيد: عبد الرؤوف الصالحاني:

كانت خسارتنا في هذه القاعدة استشهاد الأخ عبد الرؤوف الصالحاني مواليد دمشق- ميدان ١٩٥٥م، طالب بكلية الهندسة سنة ثالثة، وهو أحد الدعاة إلى الله، ومن العناصر الإسلامية النشيطة، تلقى العلم على أيدي عدد من العلماء الأجلاء بدمشق، انتسب إلى التنظيم الجهادي المسلح عام ١٩٧٩م، كان مثال الأخ المطيع لأوامر القيادة المضحي بكل شيء في سبيل دعوته، كما كان لامع الفكرة، شديد الذكاء، عرف بورعه وتقواه واستعداده الدائم للموت في سبيل الله عز وجل.

رحم الله أخانا الشهيد وأسكنه فسيح جنانه، ونسأل الله تعالى أن يجمعنا به وإخوانه الأبرار في مستقر رحمته تحت لواء سيد المرسلين ﷺ.

تعتبر المعركة التي حصلت أثناء مداهمة قاعدتنا في منطقة المساكن أطول معركة حدثت حتى تاريخها، وكان بطلها الأخ الشهيد: عبد الرؤوف صالحاني.

قتل جاسوسين من المخابرات ٩/١١/١٩٨٠م:

بعد هذه المداهمة بدأت السلطة بنشر أعداد كبيرة من أزلامها ومخبريها في أحياء دمشق المختلفة؛ للتجسس على المجاهدين، في محاولة منها لكشف قواعدهم، وكانت فرصة مناسبة لتدريب المجموعات الجديدة على التنفيذ، حيث قامت إحدى المجموعات بقتل عنصرين من المخابرات يلبسان لباس الشرطة في منطقة قبر عاتكة الشعبية، وعادت إلى قاعدتها سالمة.

الهجوم على باص للجواسيس الروس:

استمرت العمليات كما خططت لها قيادة المجاهدين، حيث قررت العودة إلى استهداف الخبراء الروس المجرمين، انتقامًا منهم وعقابًا لهم على جرائمهم ضد المسلمين في سورية، فهم الذين يقدمون الشورى والدعم للمجرم أسد، الذي يقوم بذبح الشعب السوري، تمت العملية على النحو التالي:

توزع ثلاثة من مجاهدينا على نسق واحد وهم يلبسون لباس سرايا الدفاع المموه، ويحملون بأيديهم البنادق الروسية بشكل علني واضح، فظنهم الناس من سرايا الدفاع، وعند وصول الباص- المقرر ضربه- إلى مكان الكمين، قام اثنان من المجاهدين بإطلاق النار عليه من بنادقهم الروسية من مكان قريب جدًّا، بينما قام الأخ الثالث بإلقاء عبوة ناسفة باتجاه الباص انفجرت بالقرب منه، مما أدى إلى قتل وجرح معظم ركاب الباص البالغ عددهم ٤٠ شخصًا، وهم إما خبراء أو عناصر مرافقة، كان تاريخ هذه العملية ١٧/ ١١/ ١٩٨٠م يوم الاثنين الساعة الثانية والنصف ظهرًا حين انصراف سرايا الدفاع، وقد صادف ضرب الباص مرور سيارة جيب تسير خلفه، يستقلها ضابط برتبة نقيب من سرايا الدفاع مع ثلاثة عناصر يرافقونه، وتمكن

أحد الإخوة من إطلاق النار عليهم من بارودته الروسية فقتلوا جميعًا قبل أن يتمكنوا من القيام بأي حركة، وفور انتهاء العملية ترجلت أعداد كبيرة من سرايا الدفاع التي كانت داخل سياراتها الزيل المارة بالمنطقة، وبدأت هذه العناصر بإطلاق النار بشكل عشوائي في كل الاتجاهات، وهي بحالة مضحكة من الخوف والهلع، وقامت هذه العناصر بتطويق أحد الأبنية المجاورة اعتقادًا منها أن الإخوة قد التجأوا إليه، وفتشت البناء بشكل دقيق دون أن تعثر على أي أثر للمجاهدين، أما الإخوة فقد عادوا إلى قواعدهم سالمين.

كان أمير هذه العملية الأخ محمد الشيخ علي أبو ياسر، وقد سببت ضيقًا للمجرم حافظ أسد لدى أسياده الروس، فقد كانت السلطة الروسية مستاءة لذلك، أما السفير الروسي بدمشق فكان يكرر مقولته للمجرم رفعت أسد، إثر كل عملية ضد الأهداف الروسية: (إنكم تضعون لضابط نصيري برتبة نقيب (٤) أو (٥) عناصر مرافقة له، وتتركون هؤلاء الخبراء ذوي الرتب العالية بدون حماية).

بعد هذه العملية استنفرت السلطة استنفارًا كاملًا تحسبًا لوقوع عمليات جديدة، ولم يتوقف المجاهدون عن التنفيذ، بل استمروا بمهاجمة السلطة عبر الأهداف المختلفة، مما أدى إلى إرباك السلطة المجرمة وتشتيت إمكانياتها.

العمليات المالية:

قررت قيادة «الطليعة المقاتلة» مهاجمة الأهداف المالية، وذلك بسبب الحاجة الماسة لتأمين الدعم المالي للتنظيم، لقد كنا في السابق نحجم عن مثل هذه العمليات، حتى لا تستغلها السلطة ضد المجاهدين فتصورهم وكأنهم مجموعة من اللصوص الذين امتهنوا السلب والنهب، في فترة كان التنظيم فيها مجهولًا من قبل الشعب،

ولكن بعد سقوط هذه الأعداد الكبيرة من الشهداء عرف كل شعبنا أن شباب التنظيم الجهادي هم خيرة أبنائه، وعليه فإن هذه الأموال ستوضع في خدمة العمل الجهادي وليس لجيوب الإخوة المجاهدين.

مصرف التسليف الشعبي:

ففي يوم ١٩/ ١١/ ١٩٨٠م، قام مجاهدونا باقتحام مصرف التسليف الشعبي في منطقة الميدان بمدينة دمشق حيث اعتقلوا موظفيه، وغنموا مبلغًا من المال قدره ٣٦ ألف ليرة سورية، وتمكنوا من الانسحاب سالمين دون أن يتعرض أحد من الناس للأذى.

مقر نقابة اللحامين:

وبتاريخ ٢٧/ ١١/ ١٩٨٠م، قام مجاهدونا باقتحام مقر نقابة اللحامين بدمشق، والذي يقع في منطقة الفحامة، وغنموا مبلغًا من المال قدره ٣٠٠ ألف ليرة سورية، دون إلحاق الأذى بأي من المواطنين، وعاد إخوتنا إلى قواعدهم سالمين.

نصب كمين للمجرم محمد سيفو:

هنالك مسألة يجب تبيانها، وهي أننا في كل ظروف عملنا لا ننسى ضباط المخابرات المجرمين، هؤلاء الذين يحملون سياط الإذلال لشعبنا، ويقومون بأبشع الأدوار ضد مجاهدينا، ويتولون محاربة عقيدتنا وديننا في كل الأوقات والظروف، وكلما اكتشف المجاهدون أمر أحدهم فإن قرار التنفيذ يكون سريعًا، وذلك قبل أن يتمكن المجرم من الإفلات.

ففـي يـوم الأحـد، الموافـق ٣٠/ ١١/ ١٩٨٠م، وبعد اسـتطلاع دقيق اسـتمر فـترة طويلـة مـن الزمـن، قـام مجاهدونـا الأشـاوس بنصـب كمـين مركـز (في السـاعة الثالثـة ظهـرًا) للمجـرم النصيري محمد سـيفو، رئيس فـرع المزرعـة التابع للمخابـرات، وذلـك أثنـاء عودتـه إلى منزلـه الـذي يقـع في حـي المهاجريـن، وقد نصـب الكمين في منطقة العفيف، حيث يمر المجرم مسـتقلًا سـيارته، وهي من نوع (مرسـيدس ٢٨٠ S) بداخلهـا (٣) عنـاصر مرافقـة، وخلفهـا تسـير سـيارة مرافقة أخـرى بداخلهـا (٤) عنـاصر، وقـد تمـت العملية عـلى الشـكل التالي:

تـوزع ثلاثة مـن مجاهدينا على نسـق واحد، وحـين اقترب المجـرم من الإخوة انقـض الأخ طريف عبد الصمد- أمير العملية- على سـيارة (المرسـيدس)، وأطلق النـار مـن رشـاش نوع (شـناير) عيـار (٩ ملم) عـلى المقـدم والعنـاصر المرافقة له، فأصيبـوا جميعًـا بـإذن الله، وأدخـل الأخ يده إلى داخل السـيارة ليفـرغ بقية طلقات رشاشـه في صـدر المقدم محمد سـيفو، بينما قـام الأخوان الآخران بإطـلاق النار من مسدسـين رشاشـين عيـار (٩ ملم) عـلى سيارة (التويوتـا) المرافقة لسـيارة المقدم، فقتـل فيهـا ثلاثـة عنـاصر عـلى الفور بينـما تمكـن الرابع مـن النـزول، فـما كان من أمـير العمليـة إلا أن اقـترب منـه وأودعـه عـدة طلقات من مسدسـه، وانسـحبت المجموعة بسـلام.

ذهل ضباط المخابرات لهذه العملية الجريئة، فزجوا أعدادًا كبيرة من عناصرهم إلى المنطقة، وقاموا بعملية بحث واسعة عن الإخوة المجاهدين، عادوا بعدها وهم يجرون أذيال الخيبة، وقد ملئت قلوبهم رعبًا من الإخوة المجاهدين.

القضاء على المجرم النصيري حسن علي الخير:

كان قرار قيادة المجاهدين في دمشق هو استمرار هذه العمليات، وذلك لإعادة ثقة الشعب بطليعته المقاتلة، بعد المجزرة التي حلت بين صفوف المجاهدين إثر عمليات التنظيم الجديد.

ففي يوم الأربعاء ١٣/ ١٢/ ١٩٨٠م، الساعة السابعة صباحًا، قام اثنان من مجاهدينا بالقصاص من المجرم النصيري المحامي حسن علي الخير، أمام منزله في منطقة الميدان- منصور، وقتل معه سائقه أيضًا.

ويشغل المجرم منصب مدير العلاقات العامة في مؤسسة الإسكان المدنية، بالإضافة إلى منصب هام في مؤسسة الإسكان العسكرية، وهو من زبانية النظام وأعوانه، من مواليد القرداحة ١٩٣٠م، ومن أقرباء المجرم رفعت أسد ومن المقربين إليه أيضًا، ونقلت جثة هذا المجرم إلى القرداحة، حيث شيعت هناك، واشترك في تشييعه عدد كبير من زعماء الطائفة النصيرية الذين رأوا بأم أعينهم حصاد الهشيم الذي زرعوه في سورية.

مديرية التموين:

في نفس اليوم، وفي الساعة الخامسة مساءً، اقتحمت مجموعة من الإخوة المجاهدين مديرية التموين الواقعة في منطقة باب الجابية بمدينة دمشق، وغنمت مبلغًا من المال قدره مليون ومئتي ألف ليرة سورية، وعادت المجموعة إلى قاعدتها سالمة، ولم يصب أحد من المواطنين بأي أذى، والحمد لله.

كان هذا اليوم- بعمليتيه الموفقتين- أسوأ أيام المجرم حافظ أسد، حيث قتل

قريبه المجرم حسن الخير، ودخل بيت مال المجاهدين هذا المبلغ الكبير من المال، فلله الحمد والمنة.

قتل المخبر المجرم ديب الكردي:

وفي اليوم التالي ١٤/ ١٢/ ١٩٨٠م، كلفت مجموعة من الإخوة بقتل المجرم المخبر ديب الكردي، في منطقة سوق ساروجا، وعادت المجموعة إلى قاعدتها سالمة بعد تنفيذ العملية.

المجرم عبد الكريم رجب:

نتعطف بحديثنا مرة أخرى إلى المجرم المخبر عبد الكريم رجب؛ الذي أدى دورًا إجراميًّا كبيرًا لصالح السلطة في مدينة دمشق، وقرر المجرم ناصيف استخدامه لضرب تنظيم «الطليعة المقاتلة» في مدينة حماة، فهو من حماة، ويعرف عددًا من الإخوة في «الطليعة» هناك، وقد رافقه في مهمته القذرة هذه الرائد المجرم هيثم الشمعة، مع تسعين عنصرًا وصلوا إلى مدينة حماة لنصب كمين للأخ خليل الشققي؛ الذي كان على موعد مع المجرم عبد الكريم رجب، كان الإخوة في حماة يعلمون حقيقة المجرم عبد الكريم رجب، لذلك جاء الأخ خليل إلى مكان اللقاء وبصحبته عدد من الإخوة الذين توزعوا في المنطقة بشكل جيد، حيث تم استدراجه إلى خارج نطاق الكمين بطريقة ناجحة، وأخذ إلى إحدى القواعد حيث اعترف هنالك عن جرائمه بكل صراحة، وعلى الفور نفذ الإخوة حكم الله فيه رميًا بالرصاص، ولم يقوموا بأي عملية تعذيب له، وأخذت صورته وهو مضرج بدمائه وأرسلت إلى مدينة دمشق، وكم كانت المفاجأة كبيرة للمجرم ناصيف وبقية ضباط المخابرات حين وزع المنشور الذي يحمل صورة المجرم عبد الكريم رجب مضرجًا بدمائه،

وقد بين المنشور جرائمه، وأكد على المصير المحتم لكل مجرم تسول له نفسه الوشاية بالمجاهدين، وقد عاد الإخوة الذين وزعوا المنشور إلى قواعدهم سالمين.

لقد ترك هذا المنشور ذعرًا كبيرًا، وهلعًا شديدًا، في نفوس المخبرين الحقيرين، حين رأوا مصير المجرم عبد الكريم رجب.

مسجد الغواص:

قبل أن نتابع سرد هذه السلسلة من العمليات الناجحة؛ التي نفذها مجاهدونا الميامين في الشهر الأخير من عام ١٩٨٠م، لا بد لنا من ذكر بعض الأحداث الهامة التي حصلت في تلك المدة، حيث تبرز قضية مسجد الغواص ومداهمة عدد كبير من طلابه في حي الميدان، وقبل أن ندخل في الحديث عن المداهمات وما رافقها من تأزم كبير في الموقف الأمني، لا بد من الحديث عن بداية الاتصالات التي تمت مع طلاب مسجد الغواص.

بداية الاتصال:

إن معرفتي بالأخوين مأمون قباني أبو أنس، ونبيل حبش أبو عماد، ترجع إلى عام ١٩٧٣م؛ إذ أننا نشأنا في حي واحد وفي بيئة واحدة، والتقينا ضمن جماعة واحدة، ألا وهي جماعة «الإخوان المسلمين»، كان الأخ توفيق بركات- أبو طلحة، رئيس الجناح الذي ينتمي إليه، وقد استمرت هذه العلاقة حتى اعتقال الشيخ مروان رحمه الله عام ١٩٧٥م.

اختار الأخوان مأمون قباني ونبيل حبش العمل في مسجد الغواص، أما أنا وبعض الإخوة فقد اخترنا متابعة العمل الجهادي المسلح ضمن التنظيم السري

الذي شكل بعد اعتقال الشيخ مروان حديد رحمه الله، أما الأخ توفيق بركات فقد غادر سوريا إلى لبنان بعد أن فقد قدرته على الحركة في تلك المدة، ثم اعتقلته السلطة المجرمة بعد دخول الجيش السوري إلى لبنان، وأحضرته إلى سورية ليعذب في سجونها العذاب الرهيب طلبًا للاعتراف على الأعداد الكبيرة من الشباب المنظَّمين ضمن الجناح الذي يرأسه، ولكنه كان طودًا راسخًا من الإيمان بالله عز وجل، فلم تستطع السلطة أن تجبره على الاعتراف، وفي تصوري الجازم أن السلطة المجرمة قد أعدمته في السجن.

إذًا فقد افترقت عن الأخوين مأمون ونبيل عام ١٩٧٥م، ولكن علاقتنا كانت بمستوى جيد، وقدر الله تعالى لي الانقطاع عنهم من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٧٨م، وذلك للظروف الأمنية الصعبة التي كنت أعاني منها في تلك المرحلة من الزمن، وحتى لا أعرضهم للاعتقال من قبل السلطة؛ إذ أنها كانت تحاول جاهدة وبشتى الأساليب معرفة أصدقائي لاعتقالهم، وفي منتصف عام ١٩٧٩م بعد أن تصاعدت عمليات المجاهدين في دمشق بشكل ملحوظ، وبدأت تستأثر اهتمام الناس وتعاطفهم، وظهرت ثقة الشعب الكبيرة بمجاهديه، بلغني أن الأخوين مأمون ونبيل متفاعلان تمامًا مع الخط الجهادي المسلح، ولكنهم غير متأكدين من هوية القائمين بالتنفيذ، وحرصًا مني على سلامتهما فقد اتصلت بهما بعد أن سمحت القيادة بذلك، وكان لقاءً حارًّا بعد افتراق دام عدة سنوات، وراح الأخوان نبيل ومأمون يطرحان علي الأسئلة لاستيضاح حقيقة الموقف وأبعاده الصحيحة، وبعد أن بينت لهم طبيعة المرحلة التي كنا نعيشها بشكل كامل، طلبت منهما أن يحافظا على سرية اللقاء وما دار خلاله، وتكررت اللقاءات بيننا، واقترح الأخوان ضم الأخ مصباح القاسم إلى المجموعة الجديدة، وتم ذلك بسرية كاملة.

وجهة نظر:

كان الإخوة الثلاثة موجهين في مسجد الغواص، ولديهم عدد جيد من الطلاب، لذلك أرادوا دعوة طلابهم إلى طريق الجهاد المسلح، وقوبل طلبهم هذا بعدم موافقتي عليه بتاتًا، وذلك للأسباب التالية:

١- عدم توريط الإخوة صغار السن في عمل مسلح لا يعرفون صعوباته ومشاقه، خاصة في مدينة مثل مدينة دمشق.

٢- إن هؤلاء الإخوة سوف يصبحون عالة علينا في حال ملاحقتهم بسبب صغر سنهم.

٣- إن أسلوبنا الذي نعتمده في حرب النظام هو أسلوب حرب العصابات، وأسلوبنا هذا لا يحتاج إلى الأعداد الكبيرة من الإخوة، وبالتالي فإن وجود الأعداد الكبيرة سوف يحد من قدرة التنظيم ونشاطه، وسيكون عبئًا كبيرًا لا طاقة لنا به، في خضم الضغط الأمني الهائل الذي تمارسه السلطة بسبب نجاح العمليات المستمر.

٤- إن انكشاف أحد هؤلاء الطلاب أمام السلطة بأنه من التنظيم الجهادي المسلح سوف يعطي السلطة فرصة لاعتقال كل الطلاب وإغلاق المسجد.

واقتنع الإخوة بالأسباب التي بينتها، فقد كانوا حريصين على سلامة طلابهم من أن يقعوا بين براثن السلطة.

فوضى التنظيم الجديد:

استمرت لقاءاتنا بشكل سري مضبوط، وفي الشهر الخامس عام ١٩٨٠م نزلت مجموعات من خارج سورية، وشكل التنظيم الجديد الذي بدأ عناصره- كما بينا في

السابق- الاتصال بالقاعدة الإسلامية في مختلف مناطق دمشق، وكان من ضمن هذه الاتصالات الاتصال الذي حصل مع بعض طلاب مسجد الغواص، وقمنا بالتحرك السريع لتلافي أخطار هذا الاتصال لتطويق الأخطاء قبل أن يتفاقم أمرها، وقد ساعدنا الأخ غالب رحمه الله في هذا الأمر، ولكن تيار الفوضى كان أكبر حجمًا مما تصورنا، والهدم أسهل من البناء، ورغم محاولتنا حل جميع المشاكل والأخطاء التي علمنا بها، إلا أننا لم نسيطر على الموقف بشكل كامل، فقد استفحلت الأمور بشكل خطير في وقت اشتدت فيه المحنة علينا، وازداد البلاء، وتأزمت الأوضاع بسرعة كبيرة، وقدر الله تعالى أن يعتقل الأخوان: محمود السخني وفايز دبورة، وهما يستقلان سيارة (هوندا)، والأخوان من طلاب الأخ مأمون قباني أبو أنس، تبين لنا فيما بعد أن الأخ فايز دبورة كان شاهدًا في عقد شراء بيت تابع للتنظيم الجديد، وقد انكشف أمر البيت للسلطة فاعتقلت الأخ فايز وصديقه محمود.

أشير هنا إلى أن الأخ مصباح القاسم أصبح ملاحقًا منذ ١٣/ ٤/ ١٩٨٠م من قبل السلطة التي لم تعتقل أيًا من طلابه؛ لعلمها اليقيني أنهم لا يعرفون شيئًا عن علاقة الأخ مصباح بالمجاهدين، ولكن بعد اعتقال الأخوين فايز ومحمود شددت السلطة من ضغطها على أهل الأخ مصباح، واعتقلت شقيقه رهينة عنه.

حملة السلطة على طلاب مسجد الغواص:

في نهاية الشهر الحادي عشر وبداية الشهر الثاني عشر من عام ١٩٨٠م، توفرت معلومات مؤكدة لدى قيادة المجاهدين تفيد بأن السلطة عازمة على اعتقال طلاب الأخوين مصباح القاسم ومأمون قباني، ولكن القيادة كانت تعلم أن جميع الطلاب ليس لهم أي علاقة تنظيمية مع المجاهدين، وبناء على ذلك فقد كلف الأخ

مأمون قباني بإبلاغ طلابه وطلاب الأخ مصباح بنوايا السلطة تجاههم، وظهر لنا من جديد وجود علاقة تنظيمية لبعض الطلاب مع التنظيم الجديد انقطعت بعد المجزرة، وقبلت القيادة ضمهم إليها، وتم نقلهم إلى قواعد «الطليعة المقاتلة»، إنقاذًا لهم مما ينتظرهم من تعذيب وإذلال داخل سجون السلطة، وبالفعل فقد حصل ما توقعناه من أمور، فقد قامت السلطة بمداهمة الإخوة التالية أسماؤهم في ليلة ٩/ ١٢/ ١٩٨٠م:

الأخ مأمون قباني، الأخ لؤي شنار، الأخ زياد الحريري، الأخ صفوح جبر، الأخ ياسين صالحاني، الأخ أنور بسيمي، الأخ أحمد اللحام، الأخ عامر شموط، الأخ تيسير مراد، الأخ أحمد راعي البلها، الأخ محمود شموط، الأخ مروان خطاب، الأخ أيمن سليمان، الأخ عمران القهوجي، الأخ أبو مالك، الأخ أبو ياسر، الأخ أبو الفتح، الأخ أبو بلال.

وقد اعتقل منهم هذه الليلة الإخوة:

١ - صفوح جبر الذي حاول الإفلات من بين أيديهم فأطلقوا عليه النار وأخذ جريحًا.

٢- أحمد راعي البلها.

٣- أنور بسيمي.

٤- شاهر شموط شقيق عامر شموط.

٥- عمران قهوجي.

أما الباقون فقد غادر قسم منهم سورية وانضم قسم آخر إلى مجاهدي «الطليعة المقاتلة»، كما اعتقل بعد أسبوعين- من طلاب المسجد- الإخوة:

١- وليد شقيري.

٢- خالد العربي.

٣- زهير علي ديب.

٤- نضال درويش، في حملة أخرى قامت بها السلطة لاعتقال طلاب المسجد.

هذه الاعتقالات لم تكن لتؤثر على سير عمليات التنفيذ في مدينة دمشق، وبالعكس من ذلك فقد أثرت تأثيرًا كبيرًا على السلطة؛ التي منيت بخيبة الأمل إثر نجاة هؤلاء الإخوة الذين خططت لاعتقالهم بدقة متناهية بعد مراقبة طويلة، وبدأت السلطة بحملات اعتقال كثيفة، راح ضحيتها عدد كبير من الأبرياء الذين زجوا في سجون السلطة دون إثبات أي تهمة عليهم، وبدا واضحًا عزم السلطة على الانتقام من الشعب الذي بدأت معنوياته بالارتفاع بعد أن استعاد المجاهدون نشاطهم في دمشق وحماة وحلب، كما أنها بدأت بإعداد العدة لعمليات تمشيط واسعة في مدينة دمشق، في محاولة منها للوصول إلى قواعدنا بعد أن تبين لها تضخم حجم التنظيم.

كانت عملياتنا تتصاعد بشكل مستمر، وذلك من أجل إشغال السلطة المجرمة عن البطش بالأبرياء، ومن أجل إعادة هيبة التنظيم الجهادي كما كانت قبل مجزرة ما بين العيدين.

نصب كمين للنقيب أديب حيدر:

وفي تاريخ ١٠/ ١٢/ ١٩٨٠م، قامت مجموعة من مجاهدينا بنصب كمين لسيارة من نوع (لاندروفر) تقل النقيب النصيري في الشرطة العسكرية أديب حيدر، مع أربعة عناصر يرافقونه لحمايته، وحين وصلت سيارة المجرم إلى مكان الكمين في منطقة المهاجرين شورى- موقف زين العابدين؛ فتح مجاهدونا النار من رشاشاتهم

نوع شنايز عيار (٩ ملم) باتجاه المجرم ومرافقته، فقتل اثنان منهم بينما جرح النقيب مع العنصرين الآخرين اللذين تمكنا من إطلاق النار، فأصيب أحد الإخوة المنفذين بجراح طفيفة، وانسحب الإخوة ومعهم الأخ الجريح بسلام.

مداهمة إحدى قواعدنا في منطقة نهر عيشة:

وبعد ثلاثة أيام أي بتاريخ ١٣/ ١٢/ ١٩٨٠م، داهمت السلطة المجرمة قاعدة لنا في منطقة نهر عيشة إثر اعتراف من أحد الإخوة، وعلى الفور حدث اشتباك بين الإخوة وبين عناصر المخابرات استمر مدة نصف ساعة، استخدم الإخوة في هذا الاشتباك البنادق الروسية وعددًا من العبوات الناسفة، وأسفر في النهاية عن قتل وجرح عدد من عناصر السلطة، واستشهاد الأخ عامر شموط، مواليد دمشق عام ١٩٦١م، واعتقال الأخ أحمد اللحام، مواليد دمشق عام ١٩٦١م، حيث أخذ إلى المستشفى جريحًا.

نظرة لهذه المرحلة:

هذه المرحلة- أي مرحلة ما بعد المجزرة- كانت سجالًا بيننا وبين السلطة قدمنا فيها عددًا كبيرًا نسبيًا من الشهداء، وذلك بسبب المعلومات التي تجمعت لدى السلطة عن طرق المجاهدين في الحركة والعمل، لقد عرفت السلطة الغاشمة كثيرًا من الخيوط التي تدل على تنظيم «الطليعة المقاتلة»، بسبب التداخل الذي حصل مع التنظيم الجديد، ورغم صعوبة المرحلة وقسوتها علينا إلا أننا قررنا أن نواجه قدرنا بصلابة وقوة، ووطنا أنفسنا على تحمل أشد التبعات والمشاق، وكنا على استعداد دائم للموت في سبيل الله، حتى تنفرج الأوضاع وتزول الخيوط التي تمتلكها السلطة عن التنظيم، وبذلك يعود التنظيم إلى سيرته الأولى في سريته المطلقة.

كانت السلطة تتخبط في ادعاءاتها، وتتعثر في أكاذيبها، ولم تكن لتدع أي طريقة مهما بلغت حقارتها لتشويه سمعة المجاهدين عند أبناء الشعب، ولم تصمت أبواقها لحظة واحدة عما تفتريه من كذب وبهتان، وكان من ضمن افتراءاتها الكاذبة: ما كانت تدعيه عن المجاهدين من أنهم يعانون سكرات الموت، وأنها- أي السلطة- ستتمكن عما قريب من تصفية الجيوب المتبقية على الساحة منهم، وذلك خلال فترة قصيرة من الزمن، رافق هذه الحملة الإعلامية حملة اعتقالات واسعة شملت حماة وحلب، أسفرت عن اشتباكات عنيفة بين الإخوة المجاهدين وبين عناصر السلطة، وكان لابد لنا من إسماع صوتنا لكل العالم- شرقيه وغربيه- وذلك بعمل نوعي، تمثل بالقرار الذي اتخذته قيادة «الطليعة المقاتلة» بالقضاء على اثنين من أعوان السلطة وهما:

المجرم عدنان لاذقاني:

قامت إحدى مجموعاتنا يوم الثلاثاء الموافق ١٦/ ١٢/ ١٩٨٠م بالقصاص من المجرم عدنان لاذقاني، وهو مخبر معروف، ومنافق متشدق، يدعي أنه من علماء المسلمين كذبًا وزورًا وبهتانًا، كان لهذا المجرم نشاط واسع في مساندة سيده المجرم حافظ أسد، فقد اشترك في حملة مداهمة المساجد، ولم يكن يتوانى عن إبلاغ السلطة وإعانتها على اعتقال أو قتل كل من يشتبه به من الناس بأن له علاقة بالمجاهدين، وإضافة لذلك فهو من خطباء السلطة المعدودين الذين تفننوا في تلفيق التهم الباطلة للإخوة المجاهدين، وذلك بإعلانه أن المجاهدين في سبيل الله الذين يقفون بوجه النظام الطائفي هم **كفرة مرتدون عن الإسلام**.

لقد تم تنفيذ القصاص به أمام منزله الكائن في منطقة الشويكة الساعة الخامسة مساءً، وتمكن مجاهدونا من العودة إلى قواعدهم سالمين.

الدكتور المجرم جوزيف صايغ:

في نفس الوقت تحركت مجموعة أخرى من مجاهدينا، وقامت بنصب كمين للدكتور المجرم جوزيف صايغ، أمام عيادته في منطقة السبع بحرات الكائنة مقابل مجلس الوزراء، وتم قتله على الفور، وعاد مجاهدونا إلى قواعدهم سالمين.

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن المجرم جوزيف صايغ مدرس نصراني في كلية الطب بجامعة دمشق، وهو أحد أطباء المجرم أسد، ويعتبر من أكبر عملاء المخابرات الأمريكية في مدينة دمشق.

ذهلت السلطة لهاتين العمليتين الجريئتين، واضطرت- لاعتبارات مختلفة- أن تعلن عن مقتل هذين المجرمين بالإذاعة والتلفزيون، ووجهت اتهاماتها إلى مجاهدي «الطليعة المقاتلة»، وراحت تتهدد وتتوعد بأنها ستنتقم وستصفي المتعاطفين من أبناء الشعب مع المجاهدين.

وفي اليوم التالي شُيع المجرمان في جنازتين رسميتين، انطلقت إحداهما من المسجد والثانية من الكنيسة؛ لتؤكد أمام العالم كذب السلطة وبطلان ادعاءاتها عن طائفية المجاهدين.

حوادث التمشيط:

سببت هاتان العمليتان حرجًا بالغًا للسلطة وأعوانها، فقامت بزج كل قواها للقضاء على مجاهدينا بأسرع ما يمكن، ولكن ها هي الأحداث تشير إلى عجزها عن القضاء على المجاهدين، وهذا من فضل الله تعالى.

وفي اجتماع لكبار ضباط المخابرات مع المجرم أسد، عَبَّر المجرم حافظ أسد

عن غيظه وحنقه لاستمرار العمليات الجريئة ضد نظامه، وحمَّل ضباط المخابرات مسؤولية ذلك؛ لتقاعسهم وتقصيرهم في تأدية مهامهم، مذكرًا إياهم بأن كل تأكيداتهم السابقة حول القضاء على المجاهدين كانت زورًا وكذبًا ظاهرًا، وطالبهم بالقضاء على المجاهدين في دمشق مهما كلف الثمن، وطلبوا منه بدورهم أن يمنحهم صلاحيات تخولهم القيام بعمليات تمشيط واسعة في مدينة دمشق، وتسمح لهم بانتهاك حرمات البيوت الآمنة والدخول لتفتيشها بعد منتصف الليل وتعمد ترويع النساء والأطفال، وسمح المجرم أسد لهم بكل ذلك، ووضع تحت أيديهم كل ما أرادوه من إمكانيات، بينما أكدوا له أنهم سوف يقضون على المجاهدين ولو كانوا كالسمسم على وجه الأرض.

كانت هذه مرحلة جديدة من مراحل الجهاد الدامي في دمشق مع السلطة الباغية، فقد زجت السلطة بكل إمكانياتها دفعة واحدة في عملية استنفار هائلة، فنصبت الكمائن في معظم مناطق دمشق، ونشرت مخبريها في كل مكان، ورافق ذلك كله عمليات تمشيط مستمرة شملت أجزاءً كبيرة من مدينة دمشق، وكانت ملحمة من ملاحم البطولة والفداء سطرها إخوتنا المجاهدون على ثرى دمشق الطاهر، وستتناقل الأجيال أحاديث العمالقة الأفذاذ الذين تحدوا السلطة وتكبرها وجبروتها وكل وسائلها المتطورة، فاستمروا بعملياتهم الجهادية بإيمان راسخ وعزيمة شماء وقلب ثابت لا يتزعزع أمام الأهوال ولا ينكسر أمام الشدائد، لقد عاش شعبنا الصابر هذه المرحلة وشعر بثقلها على المجاهدين، وكان يرى بأم عينيه آلاف المجرمين وهم يطوقون أحياء سكنية بكاملها، ومن ثم يفتشونها بيتًا بيتًا، يزرعون الخوف والرعب في قلوب الآمنين الأبرياء، وكل ذلك -بحسب ادعاء السلطة- من أجل البحث عن المجاهدين؛ الذين ما فتئوا يوجهون الضربة تلو الضربة للنظام الطائفي المستبد.

الأخ الشهيد: رياض العجمي:

وفي خضم الأحداث وملابساتها شاهد مخبر حقير أحد الإخوة القياديين في منطقة الحقلة بحي الميدان، فبلَّغ عما رأى، وعلى إثر ذلك قامت مجموعات كبيرة من عناصر السلطة بإمرة الرائد هيثم الشمعة، بنصب كمين محكم وقع الأخ المجاهد رياض العجمي فيه أثناء مروره بالمنطقة، مما اضطره للاشتباك معهم، فقتل اثنين منهم على الفور، ونزع قنبلة يدوية من حزامه وأزال مسمار أمانها، وبدأ بالجري وهو يطلق النار على المجرمين فأصاب عددًا منهم أثناء انسحابه، وحين ابتعد عن مركز الكمين مسافة (٤٠٠ متر)، ووصل إلى أحد المنعطفات كانت جنة الخلد بانتظاره بإذن الله، فقتل إثر طلقات آثمة أطلقها مجرم من عناصر السلطة، فسقط الجسد على الأرض وانطلقت الروح الطاهرة محلقة نحو بارئها.

الأخ رياض العجمي: مواليد دمشق- مهاجرين ١٩٥٨م، في السنة الرابعة في كلية الطب، وانخرط في صفوف «الإخوان المسلمين» منذ نعومة أظفاره، والتقى بالشيخ مروان حديد، كما شارك في معسكرات التدريب عام ١٩٧٥م، كان الأخ رياض حافظًا لكتاب الله تعالى، وقد دفعه شغفه الشديد بالعلم إلى المواظبة على دروس العلماء في دمشق، كما أنه كان رياضيًّا قوي الجسم.

عرف بلطف معشره وشدة ذكائه واتساع نشاطه، لوحق من قبل السلطة عام ١٩٧٨م، وشارك في العديد من عمليات «الطليعة المقاتلة» في دمشق، منها: عملية الخبراء الروس، فحامة، عملية دوريتي الحريقة، العميد مصطفى حيدر، دورية مترجلة في منطقة السويقة، بالإضافة إلى العديد من عمليات التفجير المختلفة.

لقد اتصف الأخ رياض بهدوء أعصابه وثبات قلبه وشدة انتباهه، إضافة إلى

خبرته الحركية الواسعة في قيادة المجموعات المقاتلة، لذلك يمكنني القول: إن الأخ الحبيب كان أحد الأركان الهامة في تنظيم «الطليعة المقاتلة» بمدينة دمشق، وشاء الله تعالى أن يختاره إلى جواره في جنان الخلد، نحسبه كذلك، لقد كان استشهاد الأخ رياض الساعة الخامسة مساءً، وكنت على موعد معه في هذا الوقت، لكن الموعد حان ولم يحضر.

قتل المجرم درويش الزوني:

في نفس الوقت كانت الأوامر قد صدرت إلى إحدى مجموعاتنا بالقضاء على المجرم النصيري المحامي درويش الزوني، وقد تمكنت المجموعة من اقتحام مكتبه الكائن قرب القصر العدلي بدمشق، وقُتل على الفور، وكان ذلك في الساعة السادسة والنصف مساءً، وعاد أفراد المجموعة إلى قواعدهم سالمين.

يعتبر المجرم المذكور أحد أركان النظام الدكتاتوري المستبد، وهو من المستشارين المقربين إلى المجرم أسد، وقد شغل المجرم درويش الزوني عددًا كبيرًا من المناصب الهامة:

١ - عضو القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية.

٢ - عضو المكتب السياسي لحزب الوحدويين الاشتراكيين.

إضافة إلى عدد آخر من المناصب، وقد كان دوره بارزًا في إسقاط نقابة المحامين الحرة، واعتقال أعضائها، كما يعتبر أحد المؤسسين لحزب البعث، ومن المشاركين بانقلاب الثامن من آذار المشؤوم، وقد رافق المجرم حافظ أسد ضمن وفد مؤلف من خمسة أشخاص لمباحثات الوحدة مع نظام المجرم معمر القذافي، أصاب السلطة ذهول كبير من هذه العملية الجريئة ولم تستطع التكتم عليها؛ إذ أن المجرم المذكور

يشغل مناصب مختلفة وهو معروف عربيًا ودوليًا، لذلك أذاعت نبأ قتله في الساعة الثامنة والنصف مساءً من الإذاعة والتلفزيون، وذكرت نبذة عن حياته وعما يشغله من مناصب، ووجهت اتهامًا واضحًا إلى «الطليعة المقاتلة» حول مقتله، وتهددت نظامي الحكم في الأردن والعراق، في محاولة لتبرير عجزها الظاهر للحد من عمليات المجاهدين داخل سورية.

مداهمة قاعدة في منطقة نهر عيشة:

في نفس الليلة قامت أعداد كبيرة من عناصر المخابرات بتطويق منطقة نهر عيشة في حي الميدان، وقامت بتفتيشها بيتًا بيتًا، وقدر الله تعالى أن يكون الأخ طريف عبد الصمد داخل قاعدة لنا في هذه المنطقة، وشعر بعناصر المخابرات وهم يحاولون تطويق المنطقة استعدادًا للتمشيط، ورآهم وهم يتجمعون في ساحة مقابلة للمنزل، فاستغل هذه الفرصة الذهبية وألقى من أعلى البناء الذي يقطن فيه أربع عبوات ناسفة كبيرة، انفجرت وسط التجمع قبل أن يتمكن المجرمون من القيام بأي حركة، وأتبع ذلك بإطلاق نيران غزيرة من بارودته الروسية فأصاب أعدادًا كبيرة منهم، واستمر الاشتباك عنيفًا مدة نصف ساعة تقريبًا، استخدمت السلطة فيه كثافة نارية شديدة حيث بدأت مئات العناصر التي تطوق المنزل بإطلاق النار بشكل غزير، مما أدى إلى استشهاد الأخ طريف، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه، بعد أن أوقع في صفوفهم (٤٧) إصابة بين قتيل وجريح.

استاءت السلطة من حجم خسائرها الكبيرة، فعملت على الانتقام من الشهيد باعتقال أهله.

كان الأخ طريف عبد الصمد رحمه الله صديقًا للأخ الشهيد درويش جانو،

وكان يمتلك قدرات واسعة، فهو عالم، مثقف، شديد الذكاء، ذو نشاط واسع في الدعوة إلى الله تعالى، كما أنه خطيب مسجد، وإضافة لكل ذلك فقد اتصف بالتضحية الكبيرة، وكرمه الأصيل.

كانت ملاحقة الأخ الشهيد عام ١٩٨٠م، إثر بعض الأخطاء التي ارتكبها الإخوة الذين أتوا من خارج سورية للتنظيم الجديد، ساهم في تنفيذ العديد من عمليات «الطليعة المقاتلة» في دمشق، منها: جوزيف صايغ، (مكرو باص) البوابة.

مداهمة إحدى قواعدنا في منطقة القدم:

استمرت السلطة في بحثها عن الإخوة المجاهدين، وذلك بالاستمرار في عمليات التمشيط الواسعة التي ترافقت مع حملة اعتقالات جديدة، وقدَّر الله تعالى أن يعتقل الأخ نضال درويش، ويعترف تحت التعذيب الشديد على منطقة سكن الأخ مصباح القاسم وإخوانه، وعلى الفور دفعت السلطة بأعداد كبيرة من قواتها إلى حي القدم، وقامت بعمليات تمشيط واسعة في المنطقة، وحين شعر الأخ مصباح وإخوانه بعناصر المخابرات وهي تقترب من القاعدة التي يسكنونها، خرج الأخ مصباح وهو يطلق النار من بندقيته الروسية على عناصر المخابرات المتجمعة، وقام الإخوة الآخرون بإلقاء عدة عبوات ناسفة باتجاه المجرمين، ودارت معركة حامية الوطيس استمرت حوالي (٢٠) دقيقة، وقد استشهد الأخ مصباح في بدايتها، هذا ولم يتمركز الإخوة داخل القاعدة؛ لأنها غير صالحة للدفاع من داخلها، لذلك فقد خرجوا منها، ودار الاشتباك في البستان القريب من القاعدة، واستشهد الإخوة بعد أن أوقعوا أكثر من ثلاثين إصابة بين قتيل وجريح في صفوف المجرمين بينهم عدد من

الضباط، وقد استطاع أحد الإخوة أن يخترق السياج الكثيف الذي ضربته عناصر المخابرات المحاصرة للمنطقة، وتمكن من الانسحاب، وبعد انتهاء المعركة قامت السلطة باعتقال والدة الشهيد البطل مصباح القاسم انتقامًا منه بعد استشهاده، وتم إطلاق سراحها تحت الضغط الشعبي.

الأخ الشهيد: مصباح القاسم:

ولد الشهيد البطل بمدينة دمشق- حي الميدان عام ١٩٥٣م، انتسب إلى جماعة «الإخوان المسلمين» منذ حداثة سنه، وتنقل بين الجماعات الإسلامية المختلفة، مما أكسبه خبرة ومعرفة واسعة بشؤون الشباب الإسلامي، فكان داعية إلى الله تعالى، وقد ساعده في دعوته إلى الله عز وجل ثقافة واسعة، وعلم غزير، وهمة عالية، ونشاط دائب لا يفتر، كما قرَّبته من قلوب الشباب حوله أخلاق كريمة وخصال حميدة، فعُرف بطيب معشره، ولطف معاملته، وجرأته في الحق، فاستطاع بذلك أن يجمع حوله أعدادًا كبيرة من الشباب، ضم عددًا لا بأس به منهم إلى التنظيم الجهادي المسلح، بعد أن التزم به طريقًا للخلاص من ربقة الحكم الطائفي المجرم لتحقيق دولة الإسلام العادلة الرشيدة، كانت السلطة تعتبره أحد رؤوس المجاهدين في دمشق، لذلك كان فرح المجرمين كبيرًا يوم استشهاده، بالرغم من عدد القتلى الكبير الذي وقع في صفوفهم.

كان الأخ مصباح أحد الموجهين الأساسيين في مسجد الغواص، وهو مربٍّ من الطراز الأول، إضافة لما ذكرناه عنه من لطف المعاملة وطيب المعاشرة، فقد كان شديد البأس، رابط الجأش، يشهد على ذلك انقضاضه البطولي على المجرمين المحاصرين للقاعدة وهو يصرخ: الله أكبر... الله أكبر... ويمطرهم رصاصًا غزيرًا

من رشاشته الروسية، مما أوقع في صفوفهم أكبر الخسائر وأفدحها، وانطلق سيل من الرصاصات الآثمة لتخترق جسد شهيدنا الحبيب الأخ مصباح القاسم، ولينتقل إلى جوار ربه مع إخوانه الشهداء في الفردوس الأعلى من الجنة بإذن الله، نسأل الله العلي القدير أن يجمعنا بك مع إخوانك الأبرار في مستقر رحمته.

أما الإخوة الشهداء فهم:

-الأخ الشهيد: حسن غنمة، مواليد دمشق- ميدان ١٩٦٠م، وهو طالب في كلية الهندسة الميكانيكية، اتصف بالجرأة في الحق، وطيب المعاشرة، ولطف المعاملة لإخوانه.

- الأخ الشهيد: عزت الحجار، مواليد دمشق- ميدان ١٩٦٠م، طالب في كلية الهندسة الميكانيكية.

- الأخ الشهيد: ياسين صالحاني، مواليد دمشق- ميدان ١٩٦٢م، طالب في كلية التجارة، وهو ابن عم الأخ عبد الرؤوف الصالحاني بطل معركة مساكن الزاهرة.

- الشهيد لؤي شنار: مواليد دمشق- ميدان ١٩٦١م، وهو طالب في كلية التجارة.

- الأخ الشهيد: تيسير مراد، مواليد دمشق- ميدان ١٩٦٢م، وهو طالب في كلية الشريعة.

قرار القيادة بإيقاف العمليات:

في هذه الأوضاع قررت قيادة «الطليعة المقاتلة» للإخوان المسلمين في مدينة دمشق إيقاف العمليات المسلحة، وتضييق نطاق تحرك الإخوة وحصره بالأمور الضرورية فقط، وذلك حتى نتمكن من امتصاص الضغط الأمني الهائل الذي تمارسه

السلطة، وكي نتجنب المزيد ممن الخسائر في صفوف المجاهدين، لقد كان للاستنفار الكبير الذي قامت به عناصر المخابرات بضغط من المجرم حافظ أسد، واستشهاد عدد كبير من خيرة إخواننا أثناء الاشتباكات والمداهمات، الأثر الأكبر في اتخاذ قرار إيقاف العمليات العسكرية ضد السلطة، والتزم كافة الإخوة المجاهدين بأوامر قيادتهم، ولكن شاء الله تعالى أن تستمر قوافل الشهداء بالصعود إلى جنان الخلود، لقد كانت مخلفات مجزرة ما بين العيدين شديدة الوطأة علينا، ولم يكن التخلص من آثارها السيئة متيسرًا لنا في مدة قصيرة، وكان لابد لنا من إعادة تقييم الأوضاع من جديد، وتمويه مجاهدينا بالشكل المطلوب، حتى نتمكن من إعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل المجزرة الرهيبة، ولم يكن هذا الأمر سهلًا؛ إذ أنه يحتاج إلى الجهود المتواصلة، والخبرة الحركية العالية، والفهم الدقيق لطبيعة المرحلة، ونحن في تنظيمنا الجهادي نمتلك قيادة ميدانية تقوم بالتحرك على أرض الواقع، وتمارس أعباء الجهاد اليومي كبقية الإخوة داخل التنظيم، لذلك فإن قرارات القيادة تكون واقعية مدروسة تعالج المشاكل بشكل دقيق، وغالبًا ما يتخذ القرار بعد دراسة منطقية قائمة على أدق التفاصيل، والسلطة المجرمة تعرف هذا الأمر جيدًا، وتعرف أن الإخوة القياديين هم أخطر عليها من بقية المقاتلين، لذلك فإنها لم تكن لتترك وسيلة واحدة في متابعتهم، وبالرغم من احتياطاتنا الأمنية الدائمة للمحافظة عليهم، إلا أننا ابتلينا بفقد عدد منهم.

استشهاد الأخ أحمد زين العابدين:

لقد أدى الضغط الأمني الهائل؛ الذي مارسته السلطة المجرمة، بعد سلسلة العمليات الناجحة، إلى فتح بعض الثغرات داخل التنظيم، وكانت رؤية القيادة تؤكد على إغلاق هذه الثغرات بأي ثمن كان، حتى نقطع الطريق على السلطة المجرمة.

وبدأ تحرك الإخوة على أعلى المستويات، فانطلق القياديون لمعالجة المشاكل الأمنية الشائكة بصبر وحكمة في حركة جهاد يومي، إذ أنهم كانوا الأقدر على الحركة في مثل هذه الظروف، وكان نصيب الأخ أحمد زين العابدين الجناح الذي يرأسه من التنظيم، مما اضطره إلى القيام بحركة يومية واسعة، للالتقاء مع الأعداد الكبيرة من العناصر ودراسة أوضاعها الأمنية مباشرة؛ لإعطاء القرارات الصحيحة، وقد تمكن الأخ أحمد من إغلاق كافة الثغرات التي حدثت في جناحه، وقام بتعيين إخوة آخرين في مكان الأمراء الذين استشهدوا في المرحلة السابقة، وحين أنهى الأخ أحمد زين العابدين مهمته، واكتمل بناؤه، اختاره الله عز وجل إلى جواره بعد معركة دامية حصلت بتاريخ ٨/ ١/ ١٩٨١م، فقد اعترف أحد المعتقلين بمشاهدته للأخ أحمد وهو يسير في منطقة الحريقة عدة مرات، لذلك قامت قوة كبيرة من عناصر السلطة بنصب كمائن كثيفة في منطقة الحريقة والمناطق المؤدية إليها، توقعًا لمرور الأخ الشهيد، ولم يصدق المجرمون أنفسهم وهم يشاهدون البطل الشهيد وهو يسير في منطقة الحريقة داخل كمائنهم المنصوبة، وكان ضمن عناصر الكمين عدد من المخبرين الذين يعرفون الأخ أحمد، والذين أكدوا هويته لدى رؤيتهم إياه.

وتقدم مجرمان باتجاه البطل الشهيد في محاولة لاعتقاله، ولكن حالة الرعب التي سيطرت عليهم والارتعاش الذي بدا على أجسادهم أنبا الأخ بمرادهم، وحين اقتربوا منه كثيرًا ما كان منه إلا أن بادرهم بعدة رصاصات من مسدسه عيار (٩ ملم) فقضى عليهما، وعلى الفور ظهرت مئات العناصر المختبئة داخل المحلات التجارية، وبدأوا بإطلاق النار من مسدساتهم وبنادقهم باتجاه الأخ أحمد؛ الذي تمكن من استعمال مسدسه الرشاش، وبدأ يطلق النار وهو يجري مبتعدًا عنهم، وبحسه الأمني الثاقب أدرك أن الموضوع ليس اشتباكًا عاديًّا، فقد رأى الأعداد الكبيرة من عناصر

السلطة وهي تسد المنافذ المؤدية للمنطقة، فالتجأ إلى إحدى البنايات المجاورة، وعندما حاول ثلاثة عناصر متابعته إلى داخل البناية أطلق النار عليهم من مسدسه الرشاش، فخروا لوجوههم يتخبطون بدمائهم، وحاول الأخ أحمد أن يخرج من البناء بعد أن ألقى قنبلة يدوية أتبعها بإطلاق نار غزير، ثم تبادل إطلاق النار مع بقية العناصر، فاخترقت جسده الطاهر عدة طلقات آثمة، وعندما اقترب المجرمون منه ما كان منه إلا أن انتزع مسماري الأمان لقنبلتين كان يحملهما ليفجرهما فيهم، فانفجرتا على الفور، وصعدت روح شهيدنا البطل إلى بارئها، هذه الحوادث تمت خلال دقائق معدودة لم يلاحظ فيها المجرمون الأخ سعيد حسين؛ الذي كان يسير خلف الأخ أحمد مرافقًا له، وكانت المسافة بينهما بعيدة نسبيًّا، وقد قام الأخ سعيد بإلقاء ثلاث قنابل يدوية باتجاه تجمعات المجرمين، أتبعها بإطلاق الرصاص عليهم فقتل عددًا منهم، بعدها اخترقت جسده الطاهر رصاصات المجرمين الحاقدين، فانطلقت الروح إلى بارئها.

شارك في إعداد هذا الكمين وتنفيذه عدد من كبار ضباط المخابرات، وشوهد المجرمان محمد ناصيف ونزار الحلو، وهما يهرولان في الأزقة المحيطة بمكان الاشتباك، ويأمران العناصر التي لاذت بالفرار أن ترجع إلى مكان الاشتباك.

لقد استشهد الأخ أحمد زين العابدين ومرافقه الأخ سعيد حسين الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، وقد أغلقت معظم المحلات التجارية أبوابها، وانتشر خبر استشهاد البطل الحبيب في مدينة دمشق بسرعة كبيرة، ونقل الخبر إلى المجرم أسد الذي طار به فرحًا، وجاء كبار ضباط المخابرات إلى مكان الحادث ليشاهدوا جسد البطل الشهيد، ولم يتمكنوا من ضبط أنفسهم وهم يقفون أمام عملاق من عمالقة الفكر والجهاد، ذاقوا من بأسه الأمرين، فأوعزوا إلى زبانيتهم في الإذاعة بإعلان النبأ

على العالم، وعلى الفور قطعت برامج الإذاعة لتبث النبأ الحزين، نبأ استشهاد المجاهد البطل أحمد زين العابدين، نائب أمير التنظيم الجهادي في دمشق، وبدا كأن السلطة لا تصدق أن أحمد زين العابدين وإخوانه المجاهدين هم بشر كبقية البشر ينطبق عليهم ناموس الموت والحياة.

لقد أصيب شعبنا المصابر بهزة عنيفة تركت في نفسه حزنًا وألمًا عميقين، وكانت عيون الناس تنطق بالتعزية لفقدان البطل الشهيد، وإننا على يقين بالله من أن الأمة التي أنجبتك يا أخانا الشهيد لقادرة على إنجاب أمثالك بإذن الله عز وجل.

ولقد سمعت نبأ استشهاد الأخ الحبيب ولم أفاجأ بذلك، لقد كنت أعرف أن أخانا البطل على موعد للقاء ربه، وذلك من خلال كثرة أحاديثه في الأيام الأخيرة قبل استشهاده عن الجنة والشهادة، وكنت أرى فيها أحاديث مودع عافت نفسه الدنيا، وتاقت روحه لجنات عرضها السماوات والأرض، وأتيت إلى مكان اللقاء بيني وبينه ولكنه لم يأت، فأيقنت بصحة الخبر؛ لأن أخانا الشهيد لم يكن ليخلف موعده في يوم من الأيام.

ورجعت بذاكرتي سنوات إلى الوراء، وكنت أمشي وحيدًا مطرق الرأس حزينًا لفراق الأخ الحبيب، وصرت أذكر الأيام الخوالي التي حييناها في ظل الرصاص والبارود، وصرت اذكر الليالي الطويلة من السهر والأرق التي بتنا فيها خلف رشاشنا رفيق الدرب الطويل، وصرت أذكر الدموع الطاهرة التي انهمرت من خشية الله على وجنتي الأخ الحبيب، وأستحضر تاريخًا من الجهاد يحق لكل مسلم أن يفخر به على مدى الأيام والسنين.

رحمك الله أيها المجاهد العتيد... رحمك الله أيها البطل الشهيد...

نبذة عن حياة الأخ أحمد زين العابدين:

ولد الأخ الشهيد: أحمد زين العابدين، أبو بلال، في مدينة دمشق عام ١٩٥٤م. نشأ وترعرع في أسرة متدينة متوسطة الحال، مما اضطره إلى العمل الدائم في مهن مختلفة لتحصيل مصروفه المعاشي، تخرج مهندسًا للكهرباء من كلية الهندسة الكهربائية في جامعة دمشق عام ١٩٧٨م، انتسب الأخ الشهيد إلى جماعة «الإخوان المسلمين» في مراحل حياته الأولى، والتزم بفكرها، وتحلى بثقافتها، وحفظ خلال هذه المدة أجزاءً كثيرة من القرآن الكريم، كان محبًّا للعلم، يغشى مجالس العلماء في مدينة دمشق لتلقي العلم، اتصف بحسن خلقه، وطيب معشره، ولطف معاملته، ونشاطه الواسع ضمن صفوف «الإخوان المسلمين»، التقى بالشيخ المجاهد مروان حديد رحمه الله، وبعد اعتقال الشيخ عرفان المدني استمر بمسيرته الجهادية ضمن التنظيم المسلح، حيث تسلم توجيه عدة مجموعات داخل التنظيم المسلح، كما أنه لم ينقطع عن ممارسة التدريب الجهادي الشاق، اشترك في تنفيذ العمليات العسكرية ضد النظام الطائفي منذ مراحل التنفيذ الأولى في مدينة دمشق، واستمر في جهاده اليومي إلى أن لاقى ربه شهيدًا.

انكشف أمره لدى السلطة المجرمة عام ١٩٧٨م، إثر اعتقال الأخ مصعب حمادة الخياط، بعد عملية المجرم إبراهيم نعامة، ووضعت صورته مع بقية الإخوة حين أعلنت السلطة عن جائزة مئة ألف ليرة سورية على رأس كل واحد منهم.

وقد اعتقلت السلطة اثنين من إخوته، فكان رده على ذلك المزيد من صلوات الشكر لله الذي أعانه على تحمل البلاء، لقد كان للأخ أحمد أثر كبير في تطوير وسائل التنظيم الجهادي في مجابهة السلطة، كما كان نشاطه واسعًا في تأمين قواعد جديدة للإخوة الملاحقين، وتمكن من ضم أعداد كبيرة من الإخوة إلى التنظيم المسلح.

لقد كان مثالًا للأخ الواعي المثقف المدرك لأبعاد المعركة، مما جعله مميزًا بين إخوانه وأقرانه، زد على ذلك اطمئنان قلبه وثقته بالله عز وجل، فلم تثنه الشدائد، ولم تهزه النكبات، ولم تخفف من تصميمه العقبات، لقد كان متمرسًا في مواجهة أعداء الله في أحلك الأوقات، حين تشتد المحن وتدلهم الخطوب، كان الأخ أحمد قوي الجسم، شديد البنية، أكسبه تدريبه الرياضي المتواصل لياقة بدنية عالية، وقد عانى المجرمون من بأسه وشدته الشيء الكثير، فكان يتصدى لأخطر المهمات وأصعبها بكل ثقة واطمئنان، وما كان يرجو من كل ذلك إلا الاستشهاد ونيل رضوان الله عز وجل، وهنا أحب أن أذكر بعض العمليات التي نفذها بطلنا الشهيد:

١- اشترك في تنفيذ عملية المجرم يحيى بكور، نقيب المهندسين الزراعيين.

٢- اشترك في تنفيذ عملية دورية العمارة.

٣- اشترك في تنفيذ عملية دوريتي الحريقة.

٤- نفذ عملية اغتيال المجرم العميد أديب حيدر.

٥- نفذ عملية قتل المجرم العقيد في المخابرات خضر إبراهيم.

٦- نفذ عملية اغتيال المجرم الدكتور حسان كركورة.

٧- نفذ عملية اغتيال المجرم أنطون بركات معوض.

بالإضافة إلى اشتراكه في كثير من عمليات التفجير في مدينة دمشق، ومنها: وضع عبوة ناسفة في السفارة الأمريكية، كما تعرض لعدة اشتباكات مع عناصر السلطة، وخطط لعدد كبير من العمليات التي نفذها إخوة تابعون للقسم الذي يرأسه من التنظيم.

رحمك الله يا أخانا الشهيد، يا من كنت طودًا في عالم الأقزام هذا... يا من ارتفعت فوق الأهواء والشهوات... يا من هزأت بالإرهاب، ومضيت مجاهدًا في سبيل الله.

وإن هذه السطور الضئيلة لن تفي بما ضحيت به في سبيل الله، وأسأل الله العلي القدير أن يمكنني من الكتابة عن حياتك بما تستحق، وعن حياة بقية إخواننا الشهداء.

استشهاد الأخوين أسامة خليفة وغياث عيطة:

في اليوم الثاني لاستشهاد الأخ أبو بلال، شاء الله أن يُعتقل أحد الإخوة ويعترف على الأخوين أسامة خليفة ووسيم المشنوق، فقامت قوة كبيرة من عناصر المخابرات التابعة لفرع الأمن الداخلي، بإمرة المجرم الرائد هيثم الشمعة بتطويق منزل الأخ أسامة خليفة في منطقة الشيخ محي الدين، وعندما شعر الأخ بعناصر المخابرات بادرهم بإطلاق النار فأصاب عددًا منهم، واستشهد أمام والدته رحمه الله.

أما الأخ وسيم مشنوق فلم تتمكن عناصر السلطة من العثور عليه في منزل أهله، فاتجهت إلى منزل أهله الثاني في منطقة الشعلان وداهموه؛ حيث دار اشتباك بينهم وبين الأخ غياث عيطة الذي كان متواريًا داخل البيت، استشهد على أثره الأخ غياث بعد أن قتل عددًا من المجرمين، وعلى الفور أذاعت السلطة بيانًا في الإذاعة أعلنت فيه استشهاد الأخوين أسامة خليفة ووسيم مشنوق، في محاولة منها لخداع الأخ وسيم، ولكن هذه المحاولة كانت مكشوفة للإخوة المجاهدين.

وقوع الأخوين مأمون وأيمن داخل كمين للمخابرات:

استمر مسلسل الاشتباكات هذا، وفي يوم ١٣/ ١/ ١٩٨١م أثناء مرور الأخوين مأمون قباني وأيمن سليمان في منطقة مساكن الزاهرة؛ حاولت دورية تابعة للمخابرات يرأسها ضابط برتبة نقيب إيقافهما، فبادرهم الأخ مأمون بإطلاق النار من مسدسه ولكن حدث معه استعصاء في المسدس، فقام أربعة من المجرمين بإطلاق النار عليه من بنادقهم الروسية فأصيب بجراح في يده وظهره، واستطاع أن ينسحب تحت غطاء من النار أمنه الأخ أيمن سليمان، وقد أصيب النقيب بجراح في ساقه، وعلى الفور طُوِّقَت المنطقة بأعداد كبيرة من المجرمين؛ الذين فتشوا عن الأخوين تفتيشًا دقيقًا، إلا أنهم لم يعثروا لهم على أثر، والحمد لله.

مداهمة منزل الأخوين نبيل ووليد طنطا:

وفي يوم السبت الموافق ١٧/ ١/ ١٩٨١م، قامت أعداد كبيرة من عناصر الإجرام بمداهمة منزل الأخوين نبيل ووليد طنطا في منطقة الإطفائية، وحصل اشتباك عنيف استشهد فيه الأخوان بعد أن قتلا عددًا من عناصر المخابرات المجرمة.

والأخ وليد طنطا من مواليد دمشق ١٩٥٢م، ساهم بالعديد من عمليات «الطليعة المقاتلة» في دمشق، لوحق عام ١٩٨٠م، حيث اعتقلت السلطة والده وإخوته كرهائن، اكتشفت السلطة مكانه بعد اعتراف أحد أقاربه.

مغادرة الأخ رياض حمويلا لسورية:

اشتدت المحنة وزاد الابتلاء وكثرت الاشتباكات، وأصبح العديد من الإخوة بلا مأوى، واعتقلت السلطة أعدادًا كبيرة من الشباب الإسلامي دون تمييز، وزادت

من ضغطها على أهالي الإخوة المجاهدين، وبتقدير من الله اعتقل أحد الإخوة واعترف تحت التعذيب على منزل الأخ رياض حموليلا، وعندما شعر الأخ رياض بحركة عناصر المخابرات المريبة أمام البناء الذي يسكن فيه غادر المنزل هو وزوجته على الفور، وبعد أن قطعا مسافة قصيرة عادت زوجته لإحضار بعض حوائجها، ظنًّا منها أن الوقت يسمح لها بذلك، ولكن إرادة الله شاءت أن تعتقل؛ إذ صادف رجوعها دخول المجرمين إلى المنزل وما تزال في السجن حتى الآن، ومن الجدير بالذكر أنها شقيقة الأخ الشهيد: طريف عبد الصمد.

وبعد أسبوع غادر الأخ رياض سورية إلى الخارج، في محاولة لتأمين الدعم المالي للمجاهدين في دمشق؛ الذين كانوا بأمس الحاجة إلى ذلك، وشاء الله أن يعتقل أول مراسل يرسله الأخ رياض على الحدود، ويعترف على مكان مستودع تابع لنا في منطقة سوق مدحت باشا- خان الزيت.

مداهمة مستودع في منطقة خان الزيت:

بعد اعتراف الأخ المعتقل على الحدود عن مكان المستودع، قامت قوة من عناصر المخابرات بمداهمة المستودع، فاعتقل أحد الإخوة، واستشهد الآخر بعد اشتباك قصير، حدث ذلك في يوم الأربعاء ١١/ ٢/ ١٩٨١م، ولم يتمكن الأخ رياض من العودة إلى سورية وهو خارجها الآن.

لقد خسرنا في مداهمة المستودع السابق: مدفع هاون، قاذف- آر- بي- جي، مع عدد من القذائف، إضافة إلى عشر بنادق روسية، وعدد من القنابل اليدوية.

استشهاد الأخ محمد الشيخ علي:

وفي يوم الاثنين ١٦/ ٢/ ١٩٨١م شاهد أحد المخبرين الأخ محمد الشيخ علي، وهو يدخل إلى أحد الأزقة بالقرب من بوابة الميدان، وقد عرف هذا المخبر أخانا محمد الشيخ علي من صورة وزعتها السلطة على مخبريها، وعلى الفور حضرت أعداد كبيرة من عناصر السلطة، وتمركزت في المنطقة، وعند خروج الأخ لاحظ أن الوضع غير طبيعي، ولكنه لم يتأكد أنه المقصود من كل ذلك، فاستمر في سيره الطبيعي، وفجأة قام اثنان من المجرمين بإطلاق النار عليه من الخلف، فلاقى ربه شهيدًا، نحسبه كذلك، نسأل الله تعالى أن يسكنه فسيح جنانه.

ولد الأخ محمد الشيخ علي أبو ياسر في قرية مضايا بوادي بردى القريب من دمشق عام ١٩٥٨م، وقد نشأ على الإسلام، حيث انتظم ضمن صفوف «الإخوان المسلمين» في سن مبكرة، وعندما تصاعدت وتيرة الجهاد المسلح عام ١٩٨٠م انضم إلى المجاهدين، وقد اكتشفت السلطة أمره مع بعض الإخوة في مضايا، فقامت بتطويق المنطقة، وزجت أعدادًا كبيرة من عناصرها هناك، وحدث اشتباك دام عدة ساعات في الجبال المحيطة بمضايا، استخدمت السلطة في هذا الاشتباك الحوامات، ولكن الإخوة تمكنوا من الانسحاب والوصول إلى دمشق بعون الله.

ساهم الأخ أبو ياسر في تنفيذ عدد من العمليات الناجحة بمدينة دمشق، منها: عملية فرع شرطة النجدة، عملية باص الخبراء الروس في الميدان، كما ساهم أيضًا في عمليات تهريب الأسلحة للمجاهدين.

كان الأخ محمد قوي الجسم،، لطيف المعاشرة، كريم النفس، عالي الثقافة، وقد عُرف بشدة بأسه، لهذا فقد قامت عناصر المخابرات بإطلاق النار عليه من الخلف

دون القيام بمحاولة لاعتقاله، وعرف عن أخينا الشهيد انضباطه والتزامه الكامل بأوامر قيادته.

رحم الله شهيدنا الغالي محمد الشيخ علي وأسكنه فسيح جنانه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الشهيد عدنان نابلسي:

وشاء الله أن تتوالى مسيرة الشهداء، ففي يوم السبت ٢١/ ٢/ ١٩٨١م، قامت سيارة من نوع (فوكس واكن) صالون بصدم الأخ عدنان نابلسي، بعدها انقض عليه عدد من المجرمين وهم يصوبون مسدساتهم نحوه في محاولة لاعتقاله، فما كان منه إلا أن نزع مسمار الأمان لقنبلتين يدويتين كان يحملهما، فأدى انفجارهما إلى استشهاد الأخ عدنان نابلسي رحمه الله، وقَتَلَ اثنين من المجرمين.

والأخ عدنان نابلسي من مواليد دمشق- ميدان ١٩٥٨م، متزوج وله طفلة صغيرة، وقد ساهم في عدد من عمليات المجاهدين في دمشق، رحم الله أخانا الشهيد وأسكنه فسيح جنانه...

نظرة تحليلية:

لم تنقطع الاشتباكات أو الاعتقالات خلال شهرين متتاليين، من تاريخ ٢٠/ ١٢/ ١٩٨٠ إلى ٢١/ ٢/ ١٩٨١م، كما أن استنفار السلطة وأجهزتها الإجرامية قد بلغ أوجه في مدينة دمشق، فكانت هذه المرحلة من المراحل العصيبة في تاريخ التنظيم؛ الذي تمكنت قيادته الميدانية بعون الله من سد كل الثغرات التي حدثت بسبب اعتقال واستشهاد كثير من الإخوة، واستمر التوقف عن التنفيذ حتى سدت

جميع الثغرات من خلال تحرك يومي سريع على أعلى المستويات، وانتهت الأزمة وانفرجت الكربة، وخرج المجاهدون من هذه المحنة وهم أصلب عودًا وأشد تصميمًا على متابعة الطريق.

وخلال فترة التوقف هذه، وقبل أسبوع واحد من استئناف التنفيذ؛ ألقى المجرم أسد خطابًا مطولًا في احتفال أقامه النظام المتسلط بمناسبة انقلاب ٨ آذار، تحدث فيه عما جرى في سورية، وادعى أن أجهزة مخابراته المجرمة قد تمكنت من القضاء على الإخوة المجاهدين، ولم يبق منهم إلا العدد الضئيل من الأفراد الهاربين، وهؤلاء الهاربون تلاحقهم الأجهزة المختصة على حد تعبيره، وفي نهاية خطابه هذا وجه الشكر إلى كافة الفصائل التابعة للنظام، وفي مقدمتهم ضباط المخابرات والفصائل الحزبية المسلحة، وتوقف طويلًا عند رجال إعلامه الوقح الذين وصفهم بأنهم كانوا مجاهدين حقيقيين، وفي النهاية هنأ نفسه وزبانيته بهذا الإنجاز الذي حققوه، على حدِّ زعمه.

في هذا الحفل كان المجرم محمد الحوراني عريفًا له، فانطلق بكل ما أوتي من وقاحة وخسة يرغي ويزبد ويتوعد شعبنا الصابر، وهو يتفوه بالكلمات البذيئة التي لا تليق إلا به وبأمثال أسياده من المجرمين، ونقلت إذاعات عالمية مختلفة أقوال المجرم أسد، وخاصة تأكيداته حول القضاء على الإخوة المجاهدين.

لقد خدع ضباط المخابرات المجرم أسد حين قدموا له تقاريرهم حول استشهاد الإخوة؛ التي ادعوا فيها أنهم تمكنوا من القضاء على الجزء الأكبر من تنظيم المجاهدين، وأن المرحلة المقبلة ستأتي على تصفية الباقين منهم؛ الذين لا خبرة لهم ولا تجربة بعد أن استشهد عدد من الإخوة القياديين.

وهنا نؤكد أن الله سبحانه قد أنعم علينا باستمرار العمل ورعايته، فهذا العمل ليس قائمًا على أشخاص محددين ينتهي بذهابهم، وإنما قائم على عقيدة الإسلام المنزل من عند الله تعالى، ولقد تمكنا بعون الله من ملء الفراغ الذي أحدثه استشهاد بعض الإخوة القياديين، واستمر التحدي، وعادت المعركة لتحتدم مرة أخرى، وبدأ التنفيذ من جديد بعد تأمين المأوى لكافة الإخوة الملاحقين.

عملية قتل المجرمين هيثم الشمعة ومحمد الحوراني:

بعد أسبوع من خطاب المجرم أسد، وبعد تبجحه اللئيم بالمزاعم الباطلة حول القضاء على الإخوة المجاهدين؛ أردنا أن يكون الرد على المجرم أسد ردًّا عمليًّا صريحًا، فتم اختيار هدفين اثنين:

الأول: هو يد من أيدي الإجرام التي أذاقت شعبنا المرارات.

الثاني: هو لسان من ألسنة الكذب التي ما برحت عن الإساءة لشعبنا الصابر.

والمجرمان هما هيثم الشمعة ومحمد الحوراني، فبعد استطلاع دقيق استغرق مدة طويلة من الزمن، تبين أن هذين المجرمين قد خففا من إجراءاتهما الأمنية، وذلك إثر سقوط عدد من الشهداء في المرحلة السابقة من جهة، وتوقف التنفيذ من جهة ثانية.

إن هذين المجرمين يعلمان أنهما مستهدفان من قبل الإخوة المجاهدين، لذلك كانا شديدي الحذر، وإن قتل أحدهما سوف يؤدي إلى فرار الآخر بعد أن يعلم باستئناف التنفيذ، لذلك قررت قيادة المجاهدين تنفيذ الهدفين في يوم واحد.

ففي ١٥/ ٣/ ١٩٨١م، وهي الذكرى السنوية الأولى لاعتقال الأخ القائد

يوسف أحمد عبيد، قام مجاهدونا الميامين بنصب كمين للمجرم الرائد هيثم الشمعة، بالقرب من منزله في حي الشعلان الساعة [٨:٠٠] صباحًا، وعندما ابتعدت سيارة المجرم مسافة (٢٠ مترًا) انقض أحد الإخوة المجاهدين عليها وأطلق النار من مسدس نوع (شمايزر)، فأصيب الرائد المجرم بعدة طلقات قاتلة، وتمكن المجاهدان من الانسحاب بسرعة فائقة، وعلى الفور حضرت أعداد كبيرة من دوريات المخابرات إلى مكان الحادث، وأتى عدد كبير من الضباط إلى نفس المكان حيث شاهدوا المجرم وقد فارق الحياة، ونقلت بعد ذلك جثته إلى المستشفى.

يعتبر هذا المجرم بمثابة اليد اليمنى للمجرم ناصيف رئيس فرع المخابرات الداخلي، وقد ساهم في اعتقال أعداد كبيرة من الشباب الإسلامي، وهو من الجلادين الذين تفننوا في تعذيب الإخوة داخل السجون، وكان له دور فعال في تصفية المجموعات التي جاءت من خارج سورية، كما كان يقوم بنصب الكمائن الطيارة في شوارع دمشق للإيقاع بالإخوة المجاهدين، كما حصل للأخ رياض العجمي. وقد كان هذا المجرم شديد الحذر والانتباه، فهو يعلم تمامًا ما اقترفته يداه بحق شعبنا المسلم، وكانت ترافقه دورية للمخابرات بشكل دائم، ولكنه استغنى عنها بعد توقفنا عن التنفيذ إثر استشهاد الأخ أحمد زين العابدين.

أدى قتله إلى نشر الرعب والفزع بين ضباط المخابرات وخاصة المجرم ناصيف.

وبعد حوالي نصف ساعة من نفس اليوم قامت مجموعة أخرى من مجاهدينا بنصب كمين للمجرم المذيع محمد الحوراني، عريف احتفالات المجرم أسد، أمام منزله في منطقة مخيم اليرموك، ولدى خروجه من منزله تقدم أحد الإخوة المجاهدين منه وأطلق عليه سبع طلقات من مسدس نوع (شمايزر)، وشهر

المجـرم مسدسـه وأطلـق طلقتـين في الهـواء وهـو يلفـظ آخـر أنفاسـه، وعـاد أفـراد المجموعـة إلى قواعدهم سـالمين.

لقد كان المجرم الحوراني أحد أركان إذاعة المجرم أسد، وقد حاول خداع المجاهدين بادعائه التوبة أمام الناس إبان تصاعد العمليات المسلحة، ولكنه ما إن سمع سيده المجرم أسد وهو يتحدث عن القضاء على المجاهدين حتى انطلق من جديد وهو يتشدق بأبشع الألفاظ ضد المجاهدين.

بهت المجرم أسد لهاتين العمليتين الجريئتين، وعلى الفور بدأ استنفارًا كبيرًا في شوارع دمشق تحسبًا للمزيد من العمليات، لقد كانت هاتان العمليتان صفعة قوية موجهة إلى المجرم أسد، فسببت له إرباكًا أمام طائفته، وأمام دول العالم التي رأت معظم شـوارع دمشق وهي تقطع لتشييع جنازة المجرمين؛ اللذين دفنا في مقبرة الدحداح بشارع بغداد في مدينة دمشق، وقد انطلقت في مقدمة المشيعين أعداد كبيرة من ضباط المخابرات، ومن العاملين في الإذاعة والتلفزيون.

وبعد أسبوع من قتل المجرمين وقف المجرم أسد ليلقي خطابًا آخر، قال فيه:

(نحن لم نقض على المجاهدين، ويجب على الرفاق أن يكونوا حذرين بعيدين عن الغرور).

إن أنباء العمليتين قد انتشرت داخل سورية وخارجها، وعم السرور أوساط الشعب السوري، وعادت الفرحة لاستئناف التنفيذ من جديد، وبردة فعل حمقاء قامت أجهزة السلطة بحملة اعتقالات شملت عددًا كبيرًا من أهالي الإخوة المطلوبين الذين أخذوا كرهائن، ومارست بحقهم الأساليب الإجرامية في التعذيب، ولكنهم لم يكونوا يعلمون شيئًا عن أبنائهم.

القصاص من زيد ونايف الشريطي:

واستمرت العمليات الجريئة تتحدى المجرم أسد ونظامه الطائفي، فبعد خمسة أيام من هاتين العمليتين أي بتاريخ ١٩/ ٣/ ١٩٨١م، تحركت إحدى مجموعاتنا للاقتصاص من المجرم الدكتور زيد الشريطي، الأستاذ في كلية طب الأسنان بجامعة دمشق، وتمت العملية في عيادته الكائنة بمنطقة جسر فكتوريا، وهذا المجرم من أكبر الحاقدين على الإسلام والمسلمين؛ إذ لم يتوان يومًا عن الإجرام بحق المسلمين، ويتولى هذا المجرم منصب رئيس فرع البعث في كلية طب الأسنان، دخلت المجموعة عيادته، وتمكن أحد الإخوة من قتله على الفور بمسدس (شمايزر)، وعندما حاول المجرم المحامي نايف الشريطي شقيق المجرم المذكور التصدي للإخوة المجاهدين؛ أطلق أحد الإخوة عليه عدة طلقات من مسدس نوع (شمايزر)، فقُتل على الفور أيضًا.

وحين انسحبت المجموعة وجدت أن الأخ عبد الناصر قباني لم ينسحب معهم، وعلى الفور صعد أحد الإخوة إلى العيادة ثانية، وإذ بالأخ عبد الناصر ملقى على الأرض والدماء تنزف منه، وقد تبين أن المجرم نايف استطاع أن يستخدم مسدسه ويصيبه إصابة قاتلة.

وبسرعة كبيرة حضرت أعداد هائلة من دوريات المخابرات، وجاءت أعداد أخرى من الضباط، بينما تمكنت بقية المجموعة من الانسحاب بعون الله، تمت هذه العملية الساعة [٦:٣٠] مساءً، والمجرمان المذكوران هما من أبناء الطائفة الدرزية، ومن أزلام المجرم أسد، وقد عُرِفا بحقدهما الشديد على الإسلام وأهله، والمجرم نايف هو عضو قيادة قطرية سابق في حزب البعث.

هذا وقد فرح ضباط المخابرات فرحًا شديدًا لاستشهاد الأخ أبي مهند، وذلك بالرغم من خسائرهم الفادحة في هذه العملية، وقد روي أن المجرم نزار الحلو، رئيس فرع المخابرات الواقع بمنطقة العدوي قد وزع على عناصره وأصدقائه المجرمين (١٠) آلاف ليرة، احتفالًا باستشهاد الأخ البطل عبد الناصر القباني.

نبذة عن حياة البطل الشهيد عبد الناصر القباني:

ولد الأخ الشهيد: عبد الناصر القباني، أبو مهند، عام ١٩٥٨م في حي الميدان بمدينة دمشق، نشأ وترعرع في أسرة كريمة عرفت بتدينها وأخلاقها الحميدة، انتسب إلى الجماعات الإسلامية منذ حداثة سنه، وظل مواظبًا على حضور دروس العلماء في مساجد دمشق، وكانت حياته نسيجًا إسلاميًّا كاملًا، لقد عرف الأخ أبو مهند بصدقه وإخلاصه وشجاعته الكبيرة، انضم إلى تنظيم جماعة الشيخ مروان عام ١٩٧٦م بعد مناقشات جرت بيني وبينه حول العمل الجهادي المسلح، وقد ضمت الأسرة التي كان فيها كلًّا من الأخوين صلاح الدين شقير ورشيد حورانية، كان دور هذه الأسرة هامًّا في الأحداث التي جرت فيما بعد، وقد تحمل هؤلاء الإخوة مع بقية إخوانهم الذين انتظموا في هذه المدة العبءَ الأكبر من المحن التي ألمت بالتنظيم الجهادي، وقد عرف عن الأخ عبد الناصر التزامه الدقيق بالمناهج العلمية والعملية التي ترسمها قيادته في التنظيم الجهادي المسلح، إضافة إلى مطالعته الخاصة، حتى امتلك ثقافة إسلامية واسعة، وبالرغم من اتجاهه نحو تحصيل الثقافة الإسلامية، إلا أنه لم ينقطع عن الرياضة التي أكسبته لياقة بدنية عالية.

وقد شارك في المعسكرات التي كان يعدها التنظيم في مراحل زمنية معينة. ومن الأشياء التي تميز بها الأخ عبد الناصر رحمه الله: سريته الشديدة، فقد كان يجيد تمويه نفسه أمام الناس، لذلك لم تعلم السلطة عنه أي شيء حتى عام ١٩٨٠م.

وإضافة لكل ما ذكر فقد كان الأخ أبو مهند شعلةً متوهجةً من النشاط والحيوية، فساهم مع بقية إخوانه في تنفيذ العديد من العمليات العسكرية، وقام بدور أساسي فعال في عمليات الاستطلاع المستمرة للأهداف النصيرية، ولما كثرت المهمات الملقاة على عاتقه تفرغ بشكل كامل للعمل المسلح، حيث كان يقوم بعمليات الاستطلاع اليومية لأهداف النظام المختلفة، وقد مرت عليه محن شديدة واجهها بإيمانه العميق، وظهرت فيها صلابته الشديدة، ورسوخ الفكرة الجهادية في نفسه، ومن ذلك المحنة التي حدثت بعد قتل المجرم إبراهيم نعامة عام ١٩٧٨م، لقد كان انضباطه كاملًا، والتزامه بأوامر قيادته دقيقًا، ولم تكشف السلطة أمره إلا بعد أن لوحق شقيقه الأخ مأمون قباني في أواخر عام ١٩٨٠م، حيث اعترف عليه أحد الإخوة المعتقلين في تلك المدة، وذهلت السلطة حين علمت حجم المهام الملقاة على عاتقه، لذلك شددت في طلبها له كما هو حال بقية الإخوة الذين لوحقوا بعد استشهاد الشيخ مروان رحمه الله، ولهذه الأسباب قامت السلطة بمضايقة أهل الشهيدين عبد الناصر ومأمون عندما احتلت منزل أهلهما، ومكثت فيه مدة أسبوعين، واعتقلت شقيقه وشقيقته لمعرفة مكان تواجدهما.

وقد ظهرت صلابة هذين الأخوين واضحة حين سخروا من أزلام السلطة وزبانيتها ومن تصرفاتهم الحقيرة، وأكدوا على استمرارهما في العمل الجهادي المسلح حتى ينالا إحدى الحسنيين، هذا وقد تسلم الأخ أبو مهند توجيه عدة مجموعات في التنظيم الجهادي المسلح، ومارس الجهاد الحركي اليومي، وعرف بصبره وتحمله لكل الأوضاع الأمنية الصعبة، وشارك في العديد من عمليات «الطليعة المقاتلة» في دمشق، منها:

- عملية (مكرو باص) تابع للمخابرات في منطقة ابن عساكر.

- عملية المجرم صلاح عقلة.

- عملية دورية الشويكة- الأولى.

- عملية مهاجمة فرع شبيبة الثورة- منطقة باب السريجة.

- كما شارك في العديد من عمليات التفجير التي حصلت بمدينة دمشق، وكانت آخر عملية له هي عملية المجرم زيد الشريطي حيث لاقى ربه شهيدًا.

وكأن الأخ أبو مهند رحمه الله كان على علم باستشهاده في هذه العملية، فقد قال لإخوانه وهم في طريقهم للتنفيذ: (إني والله لأشم رائحة الجنة).

فأجابه أحد الإخوة: (ستكون هذه العملية مثل سابقاتها، وسترجع سالمًا إن شاء الله).

فأجابه الأخ أبو مهند: (إني لأرجو الله أن استشهد في هذه العملية ولا أعود). وكان له ما يريد.

رحم الله أخانا الشهيد وأسكنه فسيح جنانه، وجمعنا به وبإخوانه الأبرار في مستقر رحمته، إنه خير من سئل، وأكرم من أجاب، وإنا لله وإنا إليه راجعون...

المنافق المجرم رشيد الخطيب:

وفي تاريخ ٢٧/ ٣/ ١٩٨١م، قامت إحدى مجموعاتنا بالقضاء على المجرم المرتدي زي العلماء، المدعو رشيد الخطيب، أحد الأبواق التابعة للسلطة، كما أنه من المنافقين المشهورين بمدينة دمشق، وقد تمت العملية في منطقة الحريقة ظهرًا، وتمكن الإخوة من العودة إلى قواعدهم سالمين، أدى قتل هذا المجرم إلى بث الذعر والهلع بين صفوف المنافقين؛ الذين اتخذوا منابر المسلمين للتسبيح بحمد المجرم حافظ أسد، مما جعلهم يخففون من وقاحتهم تحسبًا من انتقام المجاهدين.

المحامي المجرم نور الدين الحبال:

وفي يوم الثلاثاء ٧/ ٤/ ١٩٨١م، جرت محاولة لاغتيال المحامي المجرم نور الدين الحبال، رئيس نقابة المحامين التي عينها المجرم أسد، وقد ساهم هذا المجرم بدور أساسي في اعتقال أعضاء القيادة للنقابة السابقة مقابل ثمن بخس باع نفسه به، إلا أن المحاولة لم تنجح، وقد تمت العملية في مكتبه الكائن بشارع النصر، هذه العملية مع سابقاتها أعادت الذعر والخوف إلى قلوب أزلام السلطة؛ الذين بدأوا باتخاذ إجراءات أمنية كالسابق.

المقدم حسن أبو القاسم:

وفي يوم الأحد ١٢/ ٤/ ١٩٨١م قام مجاهدونا بالقصاص من المقدم النصيري المجرم حسن أبو القاسم، المدرس في المعهد العالي للعلوم السياسية، وذلك أمام منزله الكائن في منطقة باب المصلى، وعاد الإخوة إلى قواعدهم سالمين بعد أن تبادلوا إطلاق النار مع دورية راجلة كانت واقفة في نفس المنطقة.

اشتباك بالقرب من سرغايا:

أثناء مسلسل العمليات الناجحة التي نُفذت خلال هذه المدة، كنا نحاول توسيع إمكانيات التنظيم بكل ما أوتينا من قوة، ونظرًا لقلة السلاح فقد كلفت القيادة اثنين من الإخوة المجاهدين، وهما من منطقة مضايا القريبة من وادي بردى لشراء صفقة سلاح من أحد تجار الأسلحة الذي كان معروفًا في المنطقة، ولقد تعامل الإخوة مع هذا التاجر في السابق، إلا أن التاجر المجرم كان قد تعاون مع مخابرات السلطة، ونقل أنباء هذه الصفقة إلى السلطة خاضعًا لإغرائها، فقامت قوات كبيرة

من عناصر السلطة ومخابراتها بنصب كمين للإخوة المجاهدين في الجبال القريبة من منطقة سرغايا، وهي المنطقة المتفق عليها لتسليم الصفقة، وعندما حضر الأخَوان إلى نفس المكان المتفق عليه في تاريخ ١٥/ ٤/ ١٩٨١م الساعة الحادية عشرة ليلًا، حاول أن يطلق عليهما النار من بارودته الروسية، فتنبه الأخوان لذلك وعرفوا حقيقة الموقف، فبادروه بإطلاق النار وإلقاء قنبلتين يدويتين تجاهه فقتل على الفور، وبما أن زمن اللقاء كان ليلًا فإن عناصر المخابرات الجبانة لم تجرؤ على الاقتراب كثيرًا من المكان، بل راحت تطلق النار من مسافة بعيدة نسبيًّا باتجاه الأخوين، وحدث اشتباك عنيف أدى إلى استشهاد الأخ أبو سارية، بينما تمكن الأخ الآخر من الانسحاب، وقد رُوي أن اشتباكًا خاطئًا حصل بين عناصر المخابرات أدى إلى إصابة عدد كبير منهم، وعلى إثر هذه العملية بدأت قوات البغي والإجرام بتمشيط عدة مناطق في وادي بردى بحثًا عن الإخوة المجاهدين.

رحم الله أخانا الشهيد أبو سارية، وأسكنه فسيح جنانه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المجرم صالح مصلى:

استمرت عمليات التنفيذ المسلحة ضد السلطة وأزلامها، ففي يوم الثلاثاء ٢١/ ٤/ ١٩٨١م، قامت إحدى مجموعاتنا باقتحام مبنى إدارة الشؤون الاجتماعية والعمل الكائن في منطقة باب الجابية، وهاجمت المجرم النصيري صالح مصلى، مدير الشؤون الاجتماعية والعمل في منطقة دمشق، وقد قتل على الفور إثر إصابته بعدد كبير من الطلقات، وقد تمت هذه العملية داخل مكتبه الذي كان يوجد فيه عدد من المراجعين.

يعتبر المجرم المذكور ثاني شخصية بعد وزير الشؤون الاجتماعية والعمل، وهو من قرية (مخرم). وبعد تنفيذ العملية نزلت أعداد كبيرة من المجرمين إلى المنطقة للبحث عن الإخوة المجاهدين، الذين تمكنوا بفضل الله من العودة إلى قواعدهم سالمين.

نفذ هذه العملية الأخ الشهيد: بشار السادات.

نظرة عامة على الأوضاع في سورية:

ننتقل إلى حماة، وذلك لربط الأحداث التي كانت تحصل على الساحة بكاملها:

بعد استشهاد الأخ هشام جنباز رحمه الله تسلم قيادة تنظيم «الطليعة المقاتلة» في حماة الأخ تميم الشققي، وهو مهندس معماري من مواليد حماة ١٩٥٢م، ويعتبر الأخ تميم من أقدم الإخوة المجاهدين في «الطليعة المقاتلة»، وقد اشترك في تنفيذ عدة عمليات في زمن القائد الشهيد عبد الستار الزعيم. لقد كان الأخ تميم عالي الثقافة، نير الذهن، مدركًا لأبعاد المعركة بشكل كامل، ولما تسلم زمام القيادة بدأ بالاتصال بنا لإعادة التنسيق بين المدن الثلاث: دمشق، حماة، حلب، والذي كنا نسعى لتحقيقه قبل استشهاد الأخ هشام، وبدأ تحقيق الخطوات العملية، فأرسل لنا كميات من الأسلحة والأموال، كما قام بتخفيف حدة العمليات بمدينة حماة، وطلب من الإخوة في حلب تهدئة الأوضاع للسير بالمدن الثلاث ضمن خطة منسقة واحدة.

في هذه المرحلة كانت الأوضاع متأزمة بشكل كبير في مدينة حلب، فطلب الإخوة هناك تصعيد العمليات العسكرية في دمشق وحماة، وكان رد الأخ تميم: (إننا نريد العودة إلى خطتنا في حرب العصابات الطويلة الأمد، ولا نريد الانزلاق إلى معركة مكشوفة مع النظام)، كما قال بالحرف الواحد: (إننا نستطيع أن نسيطر

عـلى مدينـة حماة، فهل يسـتطيع الإخوة في حلب أن يسـيطروا على المدينـة)، وكانت الإجابة: لا.

وعلى ذلك فقد اعتبر الأخ تميم أن تصعيد العمليات في حماة سيؤدي إلى مجابهة مكشوفة مع السلطة، وهذا يعني تحقيق فرصة ذهبية للمجرم أسد من أجل تدمير مدينة حماة وارتكاب أبشع المجازر بحق أهلها، لذلك فقد استمر التنسيق على هذا الأساس، وقدر الله تعالى أن يستشهد الأخ تميم الشققي، إثر كمين غادر في حماة بعد خمسين يومًا من استشهاد الأخ هشام رحمه الله.

أما بالنسبة للإخوة في حلب فقد تلقيت عدة رسائل من الأخ عدنان عقلة في هذه المرحلة، أخبرني فيها عن حقيقة الأوضاع بمدينة حلب، واستفسر بالمقابل عن محنة ما بين العيدين التي حدثت في دمشق، فأرسلت له رسالة شرحت له فيها تفاصيل ذلك، كما أخبرني الأخ عدنان عقلة برغبة الإخوة خارج سورية للالتقاء معه من أجل حل الخلافات العالقة، وتمت الموافقة من قبلنا ومن قبل الإخوة في حماة على تكليف الأخ عدنان عقلة؛ أمير «الطليعة المقاتلة» في حلب بصلاحيات كاملة للتفاوض مع الإخوة خارج سورية؛ لإنهاء الخلافات الحاصلة، وفعلًا فقد سافر الأخ عدنان إلى خارج سورية في أواخر عام ١٩٨٠م؛ لإنجاز هذه المهمة، وهنا أذكر أنني التقيت بالأخ خالد الشامي، في مدة استلام الأخ تميم الشققي لقيادة التنظيم في حماة، وكان الأخ خالد الشامي قد كلف من قبل الإخوة خارج سورية بحل الخلافات معنا. وسوف نعود لهذا الموضوع بالتفصيل عندما نتحدث عن اعتقال الأخ خالد الشامي، وعن مجزرة حماة عام ١٩٨٢م.

إذًا فقد عاد التنسيق بيننا وبين الإخوة في حماة كما كان أيام الشهيد القائد عبد

الستار الزعيم، وتسلم قيادة التنظيم بعد استشهاد الأخ تميم الأخ عمر جواد أبو بكر، وهو من مواليد حماة ١٩٥٣، مهندس زراعي، وكان نائبه الأخ خليل الشقفي.

في هذه المرحلة توالت المساعدات العسكرية والمالية من قيادة التنظيم في حماة إلى فرع دمشق، بينما كانت السلطة المجرمة تمارس ضغطًا أمنيًّا شديدًا على مدينتي حماة وحلب، وقامت بعدة مجازر ضد الشعب الأعزل في حماة، ودعَّمت ذلك بحملة اعتقالات واسعة بين صفوف الأطباء والمهندسين وكل الطبقات المثقفة، في محاولة لاستدراج الإخوة المجاهدين في حماة إلى معركة مكشوفة.

ولجأ الإخوة إلى أسلوب جديد في حربهم مع السلطة، وهو أسلوب المواجهة المحدودة في مدة محدودة من الزمن ثم الانسحاب إلى القواعد، وقد نفذوا بهذه الطريقة عمليتين كبيرتين في قرى موالية للنظام، أسفرت العمليتان عن قتل وجرح المئات من عناصر النظام وأنصاره النصيريين في احتفال طائفتهم بعيد (النيروز)، وذلك انتقامًا للضحايا الأبرياء الذين كانت السلطة تجمعهم في شوارع حماة وتطلق النار عليهم بشكل عشوائي.

الكمائن:

وتحسبًا لقيام السلطة بعملية انتقام واسعة من أهالي مدينة حماة العزَّل، نصب الإخوة المجاهدون عددًا كبيرًا من الكمائن عند المداخل المؤدية إلى المدينة، وعند الأماكن التي توقعوا قدوم الوحدات الخاصة منها، وفي الساعة التاسعة مساءً قامت قوات كبيرة محمولة بالسيارات، تضم كل أجهزة السلطة القمعية في مدينة حماة بمحاولة لدخول المدينة للقيام بمجازر جماعية انتقامًا من المجاهدين، ولكنها وقعت في الكمائن التي نصبها المجاهدون والذين بلغ عددهم (٧٠) أخًا، ودارت اشتباكات

عنيفة استمرت لمدة ساعتين ونصف، دمرت للسلطة فيها ثلاث دبابات وأكثر من خمسين سيارة، ووقع بين صفوف مجرميها حوالي (٥٠٠) إصابة بين قتيل وجريح، ورجع ضباط السلطة وهم يجرون وراءهم أذيال الخيبة مع فلولهم المنهارة، وفي اليوم التالي قاموا بمداهمة إحدى مناطق حماة، وأخرجوا سكانها من بيوتهم وقتلوا منهم (١٥٠) مواطنًا بريئًا، ما بين طفل وامرأة وشيخ رميًا بالرصاص، ولاذوا بالفرار قبل أن يصطادهم الإخوة المجاهدون، بعد هذه العملية عم الهدوء مدينة حماة، وبدأت السلطة تفكر بحجم الخسائر التي منيت بها، وتفكر أيضًا بطريقة جديدة لمجابهة الإخوة المجاهدين.

قدوم الأخ خليل الشققي إلى دمشق:

وقرر الإخوة في حماة إيفاد الأخ المجاهد خليل الشققي إلى دمشق، والالتقاء بالإخوة هنا من أجل التباحث حول الأحداث الماضية، مع إعادة تقييم الموقف من جديد، والاتفاق على خطة مشتركة لمجابهة السلطة في المستقبل.

ووصل الأخ خليل إلى دمشق، وتم نقله إلى إحدى قواعدنا وهو مغمض العينين، وذلك للضرورات الأمنية، وكانت لنا معه لقاءات مطولة استمرت ثلاثة أيام، نوقش خلالها وضع التنظيم منذ استشهاد الأخ القائد الشيخ مروان حديد وحتى ساعة اللقاء، واستخلصت النتائج والعبر من أخطاء الماضي، كما تم بحث الأحداث الأخيرة التي حصلت في مدينة حماة، وقمت بتنبيه الأخ خليل إلى الحقيقة التالية:

وهي أن السلطة أيقنت بأن أعداد الإخوة المجاهدين في مدينة حماة أصبحت كبيرة جدًّا، لذلك فلن تتخلى عن محاولة القضاء عليهم، وستعد العدة لاستدراج

المجاهدين إلى معركة مكشوفة للقضاء عليهم، ولو أدى ذلك إلى تدمير المدينة وذبح أهلها، وكان الأخ خليل متفقًا معي حول هذه النقطة الهامة، وقال لي:

لم يكن لنا خيار فيما حدث، لقد كنا مضطرين لتلقين السلطة هذا الدرس القاسي، حتى تكف عن المجازر التي أصبحت شبه يومية في مدينة حماة، ولكننا سنسعى إلى العودة لسابق عهدنا في حرب العصابات طويلة الأمد، وسنسعى ما أمكننا إلى تجنب وقوع المجابهة المسلحة، إلا إذا وجدنا أن السلطة قررت القيام بعملية ذبح جماعية لأهالي مدينة حماة، ففي هذه الحالة فقط اتفقنا على أن نقوم بالدفاع عن شعبنا، كما يلي:

أولًا: أن يقوم الإخوة في حماة بإخراج أعداد من الإخوة الملاحقين إلى خارج سورية للتخفيف من احتمالات الفوضى، وأن تتوقف عمليات ضم الناس إلى التنظيم، حتى لا يتضخم التنظيم كثيرًا داخل مدينة صغيرة، وعندها تقل احتمالات المواجهة المكشوفة كثيرًا.

ثانيًا: استمرار الدعم المالي والعسكري لتنظيم دمشق؛ الذي سيقوم بعملية توسيع محددة حسب الإمكانيات المتاحة.

لقد أدرك الأخ خليل حقيقة الأوضاع في مدينة دمشق، وعرف أنها مركز الثقل بالنسبة للنظام، وتأكد من أن السلطة لن تسمح في دمشق بـ (٣٠٪) من التسيب الأمني الذي حدث في حماة وحلب، لأن ذلك يهدد وجودها بشكل كبير، وبالتالي ستستخدم كل ما تملكه من إمكانيات لقمع الشعب وثورته المسلحة، وعلى هذا فإننا لن نغير خطتنا في حرب العصابات (اضرب، اهرب)، إننا لن نغيرها مهما دفعنا من خسائر، ولن نقوم بالمواجهة المكشوفة إلا في حالة واحدة، وهي وصول قوة

المجاهدين في المدن السورية إلى درجة تمكنهم من القيام بثورة عامة، يشترك فيها الشعب كله للقضاء على النظام بكافة أجهزته، وعليه فإننا لسنا متعجلين، وسنستمر في ضرب رؤوس النظام الذين يتواجد معظمهم في مدينة دمشق، وسنستمر في إرساء دعائم التنظيم الذي سيكون سيفًا صارمًا على رقاب الطغاة. وهناك أمر آخر تم بحثه مع الأخ خليل، وهو تنظيم الإخوة الضباط داخل الجيش، والذين كان اتصالهم عن طريق الأخ خالد الشامي، وسنعود لتفصيل هذه الناحية عند الحديث عن الأخ خالد الشامي.

رجع الأخ خليل إلى حماة، ونقل ما دار من مناقشات في دمشق إلى الأخ عمر جواد الذي كان مسرورًا لهذه النتائج، وتكفل من جهته بنقل تفاصيل الخطة إلى الإخوة في حلب.

عودة إلى أحداث دمشق:

بعد تنفيذ عملية المجرم صالح مصلى، قررت قيادة «الطليعة المقاتلة» في دمشق القضاء على عدد من مسؤولي السلطة، بلغ عددهم سبعة مسؤولين، وجرت لهم (٢٥) محاولة اغتيال خلال شهر ونصف لم يكتب لها الاكتمال وذلك لأمر يريده الله، فقد كانت مجموعات الإخوةِ المجاهدين تنصب الكمائن كل يوم لهؤلاء المجرمين دون جدوى، ولم يحدث خلال المدة الواقعة بين ٢٦/ ٤/ ١٩٨١ إلى ١٦/ ٦/ ١٩٨١م إلا اشتباك واحد حصل يوم الخميس ٤/ ٦/ ١٩٨١م، وذلك حين كانت إحدى سيارات المجاهدين تسير أمام فرع كفرسوسة، وحاول عناصر الحرس إيقافها، فزاد السائق سرعتها، واتجهوا نحو منطقة جامع زيد بن ثابت الأنصاري، فطاردتهم سيارة من نوع (بيجو ٥٠٤) يقودها رقيب أول في المخابرات من آل رجوب، إضافة لعدد

من السيارات الأخرى، وحين وصل الإخوة إلى مفرق جامع زيد بن ثابت ضاعف الرقيب من سرعته، ومن ثم قطع الطريق على الإخوة ونزل من سيارته، وسار نحو الأخوين مزهوًّا بنفسه ليهينهما كما يفعل أمثاله بالناس الأبرياء، لكن أحد الأخوين عاجله بزخات غزيرة من مسدسه الرشاش فقتل المجرم من فوره، وانسحب الأخوة بسلام، والحمد لله. وقد حضر إلى مكان الحادث عدد من ضباط المخابرات، وتسلم ملف الحادثة المجرم ناصيف.

وباستثناء هذه الحادثة لم تحدث أية حوادث أخرى، وبدأ الرعب يسيطر على أزلام السلطة المجرمة، وبدأوا يتوقعون عملية كبيرة يقوم بها الإخوة المجاهدون في دمشق تختلف كثيرًا عن السابق، بينما كان الإخوة المجاهدون مشغولين بتوفير الإمكانيات التي يحتاجها المجاهدون في عملهم، وكان لابد لنا من أن نقوم بعمل ما لإيهام النظام بأننا مازلنا ضمن حدود إمكانياتنا السابقة، وأن هذه الإمكانيات لم تتطور، وبذلك نخفف من هياج النظام ومن حدة استنفاره، ونجعله يطمئن إلى أن شيئًا غير عادي لن يحدث.

وضع عبوة ناسفة في مبنى تابع لوكالة تاس:

وانطلق الإخوة المجاهدون في الساعة السادسة من صباح يوم الثلاثاء ١٦/ ٦/ ١٩٨١م؛ ليضعوا عبوة ناسفة تزن (١٢ كغ) في مبنى تابع لوكالة تاس السوفيتية للأنباء، وقد حدث انفجار كبير أدى إلى إيقاظ المجرم أسد من نومه مذعورًا؛ لأن العبوة انفجرت في منطقة (أبو رمانة) القريبة من منزل المجرم أسد، وعاد الإخوة إلى قواعدهم سالمين، والحمد لله.

أدى الانفجار إلى تصدع المبنى، وتدمير قسم من الآلات والأوراق، بينما تابعت

وكالات الأنباء العالمية تكتمها على عمليات المجاهدين، ولم تشر إلى هذه الحادثة ولو بكلمة واحدة، من جهتنا تابعنا خطتنا لإيهام السلطة بأن وضعنا ما زال على حاله.

تفجير بيوت مجموعة من زبانية النظام النصيريين:

قام إخواننا المجاهدون يوم الخميس الساعة [٥:٣٠] من صباح يوم ٢١/٦/ ١٩٨١م بعملية تفجير لعدد من بيوت مجرمي وزبانية النظام من أبناء طائفته، شملت:

١- بيت الرائد غازي الجهني والرائد غسان من الشرطة العسكرية، وتم ذلك في منطقة مساكن الزاهرة.

٢- منزل الرقيب السجان عزيز منصور.

٣- منزل مساعد أول في حي الميدان.

٤- المساعد أول يوسف مهيوب، مهاجرين- شورى.

مداهمة إحدى قواعدنا في منطقة دوما:

وجاء شهر رمضان شهر الشهداء، وشاء الله أن يختار عددًا من إخواننا شهداء في هذا الشهر المبارك- نحسبهم كذلك- فقد دوهمت لنا ثلاث قواعد في هذا الشهر، فطربت السلطة فرحًا لما حققته، بينما لبس الحزن وجوه المسلمين.

كانت هذه المداهمات هي المقدمة الأولى لعملية تفجير مجلس الوزراء، كما كانت السبب المباشر لانطلاق عمليات التفجير الكبيرة التي حصلت فيما بعد، ففي يوم الأحد ١٢ رمضان الموافق لـ ١٢/ ٧/ ١٩٨١م، قامت أعداد كبيرة من قوات المخابرات الجبانة؛ التابعة للمجرم ناصيف رئيس فرع الأمن الداخلي،

بتطويق قاعدة لنا في منطقة دوما القريبة من دمشق، وذلك إثر اعتراف أحد الإخوة المعتقلين على هذه القاعدة، والذي اعتقل بعد حملة واسعة قامت بها السلطة، واقترب المجرمون من المنزل ولم يجرؤا على اقتحامه، بل قاموا بإحضار أحد الجيران وأجبروه تحت التهديد على الوقوف أمام الباب؛ لخداع المجاهدين الذين شعروا بأن المنزل محاصر، عندها حاول عناصر المخابرات تحطيم باب المنزل بعد أن فشلوا في خدعتهم، وكان في المنزل ساعتها اثنان من المجاهدين، فألقى أحدهما قنبلة يدوية أمام الباب فأدت إلى قتل وجرح كافة العناصر المتواجدة قرب الباب، وعلى الفور بدأت العناصر المحاصرة بإطلاق النار من كل الجهات، واستمر الاشتباك عنيفًا بين الإخوة وعناصر المخابرات؛ حيث تمكن الإخوة من إلقاء عدد كبير من القنابل اليدوية، ثم اقتحموا الطوق وتمكنوا من الانسحاب، بينما كانت مصفحات السلطة تفر من ساحة المعركة.

وهكذا انسحب الإخوة بسلام بعد أن تركوا (١٥) عنصرًا بين قتيل وجريح، ودفعت السلطة بتعزيزات كبيرة، وبدأت بعملية بحث وتمشيط في مناطق دوما المختلفة، مما زاد السخط والاستياء بين صفوف الأهالي؛ بسبب تصرفات السلطة المجرمة التي قامت بتدمير المبنى بقذائف الـ آر- بي- جي- بعد انسحاب الإخوة، مما أدى إلى نشر حالة من الذعر بين النساء والأطفال.

بعد الفشل الذي منيت به السلطة- إثر انسحاب الأخوين سالمين من قاعدة دوما- حاولت استدراك أمرها بتكثيف جهودها في البحث عنهما، وحركت مخبريها الأنذال في كل مكان للوصول إلى قواعد المجاهدين، مما أدى إلى كشف إحداها إثر وشاية مخبر حقير.

مداهمة قاعدة جوبر:

وفي يوم الخميس ١٦ رمضان الموافق ليوم ١٦/ ٧/ ١٩٨١م، طوقت السلطة قاعدة لنا في منطقة جوبر بأعداد كبيرة من عناصرها المجرمين، وشاركت جميع فروع المخابرات في هذه المداهمة، وأشرف عليها عدد كبير من الضباط المجرمين، وفي مقدمتهم المجرم علي دوبا، والمجرم محمد ناصيف، والمجرم نزار الحلو، والمجرم أسعد الصباغ رئيس الفرع (٢١٥).

كانت بداية المعركة حين دفعت السلطة بسيارتين مملوءتين بالعناصر إلى جوار البيت في محاولة سريعة لاقتحامه، ولكن رد الإخوة كان أسرع منهم إذ ألقوا عليهم ستة عبوات ناسفة دفعة واحدة، مما أدى إلى تدمير الدوريتين، واشتعلت بعدها معركة حامية الوطيس دامت من الساعة الثانية بعد منتصف الليل وحتى الساعة العاشرة والنصف صباحًا، كانت السلطة خلالها تقصف المبنى المؤلف من ثلاثة طوابق بقذائف الـ آر- بي- جي- وتمطره بوابل من الرصاص، وتوزع الإخوة ضمن خطة ناجحة للقتال حتى الاستشهاد، وحدثت معركة عنيفة لم تشهد لها دمشق مثيلًا من قبل، ساعد على ذلك وضع البناء المشرف على أجزاء كبيرة من المنطقة، مما أدى إلى سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى بين صفوف المجرمين، وكانت سيارات الإسعاف في حركة دائبة تنقل القتلى والجرحى إلى المستشفيات، وقامت عناصر السلطة بقطع كافة الطرق المؤدية إلى مكان الحادث، كما منعت الناس من رؤية هذه المعركة الشديدة، كما أصدر المجرمون أمرًا لسيارات الإسعاف بعدم استعمال صفارات الإنذار؛ للتكتم على الأعداد الكبيرة من القتلى والجرحى الذين ملأوا المستشفيات.

وكانت الحالة النفسية لضباط المخابرات سيئة جدًّا، فقد تمركزوا على مسافة بعيدة من ساحة المعركة فوق بعض الأبنية، ظنًّا منهم أن الإخوة المجاهدين لن ينتبهوا لهم، ولكن إخواننا الذين يعرفون جبن ضباط المخابرات وخوفهم، وعدم جرأتهم على الاقتراب من مكان الاشتباك حددوا بحدسهم السليم مكان هؤلاء المجرمين، وأخذوا يطلقون النار عليهم بشكل مركز مما جعلهم يختبئون خلف الأبنية، وكان تذمر عناصر المخابرات واضحًا، فالإخوة داخل القاعدة استخدموا غزارة نيران كثيفة، بما توافر لديهم من بنادق روسية وكميات كبيرة من القنابل اليدوية والعبوات الناسفة، وكان الإخوة يراعون دقة التصويب فيحققون الإصابات المباشرة في جميع الاتجاهات، لذلك لم يتمكن أي من العناصر أن يقترب من القاعدة.

أما المجرم أسد الذي كان يتابع أخبار العملية مباشرة، فقد أصدر أوامره باقتحام البناء سريعًا للتخفيف من حجم الخسائر التي لحقت بعصابته المجرمين، والمحاولة في اعتقال بعض الإخوة وهم أحياء، وعلى الفور نفذ ضباط المخابرات أمر رئيسهم، فأوعزوا إلى عناصرهم باقتحام البناء، وجرت المحاولة اليائسة الأولى فخسر فيها المجرمون أعدادًا كبيرة من القتلى والجرحى، وأعيدت الكرة ثانية وثالثة، وفي كل مرة كان الإخوة يردون المجرمين على أعقابهم خاسرين، أما عناصر الاقتحام الذين كانوا يرتدون الدروع الواقية، فلم تنفعهم دروعهم ولم تحمهم من العبوات الناسفة التي كان الإخوة يلقونها عليهم، وهكذا لم يبق من مجموعة الاقتحام الرئيسية سوى ثلاثة عناصر رفضوا في النهاية تنفيذ الأوامر، وفي الساعة الثامنة والنصف صباحًا قام المجرمون بمحاولة جديدة فتصدى لهم الإخوة بالبنادق الروسية والعبوات الناسفة، فقتلوا ستة وعشرين عنصرًا من عناصر المخابرات، كما استشهد اثنان من الإخوة رحمهم الله، واستمر الثلاثة الباقون في متابعة هذه الملحمة الجهادية؛ التي

أظهروا فيها من فنون البطولة والتضحية ما جعل كيان المجرم أسد وزبانيته يهتز هلعًا ورعبًا، وكان قصف المجرمين للبناء شديدًا ولم يتبق منه إلا الأعمدة الإسمنتية، بينما تحولت الجدران إلى ركام متهدم، واستمرت المعركة إلى أن استشهد جميع الإخوة، وصعدت أرواحهم الطاهرة إلى الفردوس الأعلى بإذن الله، بعد أن قطعوا رحلة الأرض في جهاد مستمر، وختموا حياتهم الدنيا على خير ما يكون الختام، وحين لاحظ المجرمون أن المقاومة قد خفت حدتها قاموا بقصف عنيف مركَّز على القاعدة، ومن ثم اقتحموها في الساعة العاشرة والربع، وكم كان ذعرهم شديدًا حين تصدت لهم الأخت المجاهدة (زوجة أحد المجاهدين في تلك البناية) التي كانت تتمركز خلف أحد الأعمدة الإسمنتية، وأمطرتهم بوابل كثيف من نيران بارودتها الروسية، فسقط على الفور عدد من العناصر المجرمة بين قتيل وجريح (قيل: قرابة العشرين شخصًا)، وانطلقت نحوها رصاصات كافرة سقطت على إثرها شهيدة، تروي الأرض من دمها فداء للإسلام العظيم وإعلاء لكلمة الله.

لقد كانت هذه المعركة من الضراوة والشدة بحيث أنها لن تترك لضباط المخابرات مجالًا للشعور بنشوة النصر من جراء كشف هذه القاعدة، لقد فاقت خسائرهم التصورات، كما دمرت أعداد من المصفحات التي دفعوها للاقتحام، ودخل المجرمون إلى المنزل المهدم، ومارسوا بطولاتهم على الإخوة الشهداء، وظهر الحقد الأسود في أجلى صوره ومعانيه حين قامت أيديهم الآثمة بإلقاء الإخوة الشهداء من أعلى البناء إلى الأرض، ولم يتوانوا عن قذف الطفل الرضيع (ابن أحد الشهداء) البالغ عمره سبعة أشهر من أعلى البناء.

لقد تركت هذه المعركة آثارًا نفسية سيئة على مجرمي السلطة، ودب الرعب والفزع في قلوبهم السوداء، وأصيبوا بالذهول بقدر ما أصيبوا بفقد عناصرهم

وأتباعهم، لقد صرح أحد الضباط الذين اشتركوا في المعركة بأنهم لم يشاهدوا مثل هذه الأهوال في حياتهم.

وكانت الخسائر فادحة فبلغت (١٢٠) قتيلًا و (١٠٠) جريح، بينهم عدد من الضباط وصف الضباط، وعرف من بين الجرحى ضابط برتبة كبيرة اسمه بهجت مرو، بترت ساقه وقلعت إحدى عينيه، وأدخل إلى غرفة العناية المشددة في المستشفى لإجراء عدة عمليات جراحية، كما قتل ضابط نصيري اسمه محمد سلمان، وقد تكتمت السلطة تكتمًا شديدًا على أسماء مجرميها الذين قتلوا في هذه المعركة، وذلك من أجل الحفاظ على معنويات زبانيتها من الانهيار، ولسوف تسكن أرواح شهدائنا الأبرار في جوف طير خضر تأوي إلى قناديل معلقة بعرش الرحمن، وتسرح في الجنة حيث تشاء إن شاء الله عز وجل[1].

فهنيئًا لكم يا شهداءنا الأبرار، ونسأل الله لكم الرحمة والفردوس الأعلى في الجنان.

وعهدًا نقطعه على أنفسنا أمام الله أننا سنتابع السير على طريق الجهاد الذي رسمت معالمه دماؤكم الزكية حتى نلقى ربنا وهو راض عنا.

الإخوة الشهداء:

١- **الأخ الشهيد: مازن نحلاوي أبو أنس**، من مواليد دمشق المهاجرين ١٩٥٦م، خريج كلية طب الأسنان، نشأ الأخ مازن في أسرة كريمة متدينة متمسكة بتعاليم الإسلام، تنقل بين عدة جماعات إسلامية في دمشق، واستقر به الحال في نهاية

---

(١) يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (٤٩١٩)، وغيره، من حديث ابن مسعودًا، مرفوعًا.

المطاف ضمن جماعة «الإخوان المسلمين»، التي التزم بمناهجها العلمية، كما أنه كان يرتاد دروس العلم في مساجد دمشق، ويكثر من مطالعاته الخاصة، مما جعله يكتسب ثقافة إسلامية عالية، ومعرفة واسعة بتعاليم الإسلام، فكان مثالًا للأخ المثقف الملتزم بأحكام دينه، وقد عرف عنه تقواه وورعه، فكان كثير العبادة، دائبًا على الصيام، وقد اكتسب الأخلاق الإسلامية السامية هو وصديقه الأخ رياض العجمي؛ على يد الشيخ المجاهد العالم هاشم المجذوب في مسجد السنجقدار، (اعتقل عام ١٩٨٠م، ومن المرجح أنه أعدم داخل السجن بعد تعذيب شديد رحمه الله).

كان الأخ مازن شديد الإعجاب بصلابة الشيخ مروان حديد وإخلاصه وتضحيته في سبيل الله، أما فكره الجهادي فقد تميزت معالمه على يد الأخ الشهيد: أحمد زين العابدين، الذي ضمه للتنظيم الجهادي المسلح هو والأخ رياض العجمي في بداية عام ١٩٧٨م، حاول المجرم ناصيف اعتقال الأخوين مازن ورياض ضمن حملة اعتقالات عامة، لكنهما تواريا عن الأنظار والتحقا بقواعد المجاهدين في دمشق، وساهما في عمليات الاستطلاع والتنفيذ وإدارة المجموعات، واستمرا في العمل الجهادي إلى أن لقيا ربهما شهيدين رحمهما الله، لقد كان الأخ مازن بهي الطلعة، جميل المحيا، لطيف المعاشرة، مما أكسبه محبة الناس الذين عرفوه، وظهرت صلابته واضحة حين أصيب بجراح في إحدى العمليات التي اشترك فيها، فكان صابرًا محتسبًا مصممًا على الاستشهاد في سبيل الله، وقد رفض عرضًا قدمته القيادة للسفر خارج سورية من أجل العلاج، وتحمل الكثير من الآلام الجسدية والنفسية في سبيل الله، ولم يكن الأخ مازن إلا ذلك المؤمن الذي فهم المعركة واستوعب أبعادها، فثابر على إعداد نفسه؛ فكريًّا: لم ينقطع عن المطالعة، جسديًّا: لم يهمل الرياضة، نفسيًا: بتحمله للشدائد والصعوبات، وقد كانت قدرته عالية في التكيف مع الظروف الأمنية التي

تمر به، وما عرف عنه إلا التزامه الدقيق بأوامر قيادته وتعليماتها، شارك بالعديد من عمليات «الطليعة المقاتلة» في دمشق منها:

أ- عملية (مكرو باص) الخبراء الروس في منطقة الإطفائية.

ب- عملية دوريتي الحريقة.

ج- عملية النقيب المجرم أديب حيدر التي جرح فيها، وقد ساعد الإخوة كثيرًا أثناء عملية الانسحاب رغم الدماء الغزيرة التي نزفت منه.

إضافة لذلك: المهمات الجهادية الكثيرة التي كان يؤديها في كل يوم، وأخيرًا ختم حياته الجهادية بهذه الملحمة الإيمانية الرائعة في معركة جوبر، رحم الله شهيدنا البطل أمير قاعدة جوبر؛ الأخ مازن نحلاوي وجمعنا به في مستقر رحمته.

٢- الأخ الشهيد: رشيد حورانية، أبو خالد، مواليد دمشق- ميدان ١٩٥٨م، إن للأخ رشيد حورانية قصة طويلة مع التنظيم الجهادي في مدينة دمشق، بدأت هذه القصة يوم أن كان صغيرًا حين تعرفت عليه عام ١٩٧٢م، يوم أن كنا طلابًا في جامع الدقاق، وقدر الله لي أن أبتعد عن المسجد حيث التحقت بجماعة «الإخوان المسلمين»، وتوالت الأيام وتغيرت الظروف التي كنت أعيش فيها، وكنت كثيرًا ما أغادر منزل أهلي لأعود بعد شهر أو شهرين، وذلك حسب الأوضاع الأمنية المحيطة بي، وكان الأخ رشيد يتابع هذه التطورات عن كثب من خلال شقيقي الذي كان موجهًا في المسجد، وقد حاول الأخ رشيد الالتقاء بي مرارًا للسؤال عن أحوال المجاهدين والاستفسار عن أوضاعي الأمنية الخاصة، وكنت أعطيه المعلومات التي تتناسب مع سنه، ولم أعرض عليه الانضمام إلى التنظيم في تلك المرحلة بسبب صغر سنه، وتمضي الأيام مسرعة ويستشهد الشيخ مروان رحمه الله، ويلحق به الإخوة

ظافر بدوي، والشيخ عرفان المدني، والأخ موفق عياش، ويتابع الأخ رشيد هذه الأوضاع بشغف واهتمام، ويندفع بعزيمة متوثبة للانضمام إلى المجاهدين، ولم أكن أقبل منه ذلك لصغر سنه.

وأخيرًا تم ضمه إلى صفوف المجاهدين عام ١٩٧٦م حين أصبح طالبًا في الصف الثاني الثانوي، وبعد أسبوعين طلب مني ضم صديقيه الأخوين صلاح شقير وعبد الناصر قباني، وتم ذلك بعد إيضاح كافة الأمور الغامضة عنهم، لقد التزم الإخوة الثلاثة بالمناهج الفكرية التي كلفوا بها من قبل التنظيم، كما ثابروا على دروس العلماء في مساجد دمشق، وكانوا المثل الرائد للإخوة المنضبطين المتفهمين لحقيقة المعركة وأبعادها، لقد عرفوا كل احتياجات المعركة فاستعدوا لها فكريًّا وجسديًّا، فامتلكوا الثقافة الواسعة والقوة البدنية العالية بما كانوا يمارسونه من تدريبات شاقة ضمن معسكرات المجاهدين وخارجها، في تلك المرحلة كنت أعيش أوضاعًا أمنية صعبة، كانت تضطرني إلى مغادرة منزلي مدة طويلة من الزمن، مما جعل الأخ رشيد يعرض علي استخدام منزل جده الكائن في منطقة الميدان قاعة، كقاعدة لتحركي في متابعة العمل، وفي حقيقة الأمر فإن للأخ رشيد فضلًا كبيرًا لا ينسى في مساعدة التنظيم المسلح على تخطي العقبات التي واجهتنا في تلك المرحلة الحرجة، وقد استخدم هذا المنزل منذ عام ١٩٧٦ إلى أن لوحق الأخ رشيد من قبل السلطة عام ١٩٧٩م، وكان دور هذا البيت كبيرًا في تنفيذ العمليات الأولى، كما استخدمه كثير من الإخوة في أوقات المحن العصيبة، فقد سكن فيه الأخ يوسف عبيد، والأخ عبد الناصر عباسي، والأخ أحمد زين العابدين، والأخ محمد الشوا، والأخ مازن لولو، والأخ صلاح الدين شقير، والأخ عبد الناصر قباني.

وكان ذلك بشكل خاص عقب المحنة الشديدة التي أعقبت عملية قتل المجرم

إبراهيم نعامة. خلال هذه السنوات ظهرت مزايا الأخ رشيد وسجاياه الطيبة، فكان مثالًا للأخ الكريم الذي ينفق كل ما يملك على الإخوة المجاهدين في سبيل الله، وكان شبه متفرغ للعمل الجهادي المسلح، وكنت أكلفه بالعديد من المهمات اليومية التي كان يتلقاها باسم الثغر منشرح الصدر، وكنت أحرص دائمًا على أن يكون مسلحًا خوفًا من وقوعه في الأسر بسبب تردد الإخوة الدائم على منزل جده، وأيضًا بسبب المهمات التي كان يقوم بها، ومنها احتكاكه الدائم مع الإخوة القياديين، مما جعله يملك الكثير من المعلومات عن التنظيم، ولم يتوقف عمله عند هذا الحد، بل كان يقوم بمهمات الاستطلاع مع الأخوين صلاح شقير وعبد الناصر قباني؛ التي لم تنقطع عنها في أي يوم من الأيام، وقد نجحوا في هذه المهمات نجاحًا كبيرًا، وكثيرًا ما قام بمهمة الاتصال بيني وبين إخوة كبار في التنظيم أمثال الأخ القائد يوسف عبيد والأخ القائد أحمد زين العابدين، وذلك أثناء الاستنفارات الشديدة التي تحدث عند تنفيذ العمليات، ففي تلك الأحوال كان يذهب بغير سلاح لأنه غير ملاحق من قبل السلطة، لقد عرف الأخ رشيد إنسانًا متواضعًا، طيب النفس، كريم الأخلاق، مثقفًا، أكسبه الخطر الدائم الذي عاش فيه صلة قوية بالله تعالى، كما أفاد من احتكاكه مع الإخوة الكبار في التنظيم، وتأثر بهم تأثرًا كبيرًا جعله قوي الأعصاب مطمئن النفس هادئ السلوك، وكان الإخوة الكبار يحبونه ويحترمونه، ويقدرون له تضحيته وبذله في سبيل الله، وكثيرًا ما ردد الأخ أحمد زين العابدين:

(للأخ رشيد فضل كبير على عملنا، نسأل الله تعالى أن يثيبه على ذلك الجنة)، وتمر الأيام وتعتقل السلطة أحد أفراد «الإخوان المسلمين»؛ الذي يعترف بعد التعذيب بشكوكه حول انتساب الأخ رشيد إلى المجاهدين بسبب مناقشة قديمة جرت بينهما، ويحاول المجرمون اعتقاله، ويشعر الأخ رشيد بما تدبره السلطة له فيأتي

ويخبرني في يوم وقفة عرفات بأن عناصر السلطة يسألون عنه تمهيدًا لاعتقاله، وعلى الفور غادرنا منزل جده وغادر الأخ صلاح منزله معنا بسبب معرفة كل الناس في الحي بأنهما صديقين، وخلال أيام العيد الأربعة وثلاثة تلتها أمكننا استئجار بيت في دمشق للسكن فيه، وما زال الأخ رشيد رحمه الله ينتقل معي من قاعدة إلى أخرى إلى أن لاقى ربه شهيدًا في بيت جوبر.

ساهم الأخ رشيد بعد ملاحقته بعدد من العمليات الأولى «للطليعة المقاتلة» بدمشق، فقد اشترك في: عملية قتل المجرم علي الجابي، ووضع عبوة ناسفة في شركة الطيران السورية، وقام بإلقاء قنبلة على أحد مراكز حزب البعث، كما قام بعدد من عمليات التفجير الأخرى لمراكز مختلفة للسلطة، وبعد ذلك اضطررت إلى إيقافه عن التنفيذ؛ بسبب كثرة المعلومات التي بحوزته، والتزم الأخ رشيد بهذا الأمر رغم حماسه الشديد، وقدرته على التنفيذ، وقدمه في العمل الجهادي، لقد كان يتحلى بدرجة عالية من الوعي والإدراك، وعرف خطورة المعلومات التي يحملها عن التنظيم، لذلك لم يفرط بنفسه أبدًا، وقد ساهم في إدارة بعض المجموعات داخل التنظيم، وختم جهاده الطويل في إحدى الملاحم البطولية في معركة جوبر، واستشهد الأخ الجريء وصعدت روحه الطاهرة إلى أعلى عليين بإذن الله، وهنا أذكر الرؤيا القديمة التي رآها وأخبرني بها حين قال: (أول الشهداء في مجموعتنا الأخ صلاح، ثم يتبعه الأخ عبد الناصر، ثم أتبعه أنا، وستكون أنت آخرنا استشهادًا)، أسأل الله تعالى أن يرحمهم ويكتب لي شرف الاستشهاد واللحاق بركبهم الكريم، لقد كانت هذه المجموعة الشهيدة أكبر من الأحداث والمحن، ولن أنساهم مهما طال الفراق وامتد بي العمر، وسأظل على العهد إن شاء الله، وإن لله ما أخذ ولله ما أعطى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣- **الأخ الشهيد: محمد الملقي أبو حمزة**، مواليد دمشق- ميدان ١٩٥٩م، انضم الأخ محمد إلى التنظيم الجهادي المسلح عام ١٩٨٠م، وبذل كل ما في وسعه من أول يوم أتى فيه إلى التنظيم، فكان يقوم بعمليات الاستطلاع اليومية، واشترك في بعض العمليات، كما عمل مرافقًا للأخ رياض العجمي مدة من الزمن، وقام بتوجيه بعض المجموعات. لوحق من قبل السلطة في أواخر عام ١٩٨٠م، وعانى الكثير في تأمين المأوى؛ لأن التنظيم كان في حالة محنة شديدة في تلك المدة من الزمن، لقد عرف عن الأخ محمد الملقي رحمه الله صفات عديدة ومميزة، فكان شعلة من الذكاء، تقيًّا، ورِعًا، كثير العبادة، حلو الحديث، لطيف المعاشرة، مرحًا محببًا إلى من حوله، مواظبًا على حضور دروس العلماء حتى أثناء ملاحقته من السلطة وتفرغه للعمل المسلح، وكان يحفظ قسمًا كبيرًا من كتاب الله تعالى، وكان حسن المنظر، طويل الجسم، ذو بنية متينة، كريم النفس، محبًّا لإخوانه، يؤثرهم على نفسه في كل شيء، لقد أصبح مثار اهتمام الإخوة في قاعدة جوبر بسبب تفتح ذهنه وسعة تفكيره، وكان شديد الالتزام بالفكرة الجهادية، منفذًا لأوامر القيادة، ظهرت صلابته في مواقف عديدة، منها: اعتقال والده كرهينة عنه، رحم الله أخانا الشهيد وأسكنه فسيح جنانه.

٤- **الأخ الشهيد: عمر البني**: مواليد دمشق- باب السريجة ١٩٦٠م، حافظ لكتاب الله تعالى، غزير العلم، شديد الالتزام، رياضي الجسم، عرف بلطف معاملته وعلو همته، وهو شقيق الأخ علي البني.

٥- **الأخ الشهيد: علي البني**: وهو صاحب المنزل، كان يعمل نجارًا، تمتع بكثير من الصفات الحميدة، فعرف بجرأته وشجاعته وقوة بنيته، إضافة إلى مواظبته على تلقي العلم، وقد دفعه إيمانه العميق إلى فتح بيته أمام المجاهدين حين اشتدت عليهم المحنة، ولم يتوانى لحظة واحدة عن تنفيذ أوامر القيادة المطلوبة منه، وكان يقوم بتأمين

حاجات الإخوة المجاهدين، وقد ظهرت صلابته في العديد من المواقف، وبلغت تضحيته وفداؤه درجة عالية من السمو والارتقاء، وذلك حين قدم نفسه وزوجه وطفله في سبيل الله، فكان مثالًا لجيل الإيمان الفريد الذي علمه القرآن ورباه، رحم الله أخانا الشهيد، وجعل روحه في الفردوس الأعلى من الجنان، ورحم الله زوجته الأخت فاتن البني، وطفلهما معاذ؛ الذي بلغ من العمر سبعة شهور.

هذه المعركة:

لقد كانت هذه المداهمة شديدة الوطأة على نفوسنا، وكان الإخوة الشهداء من خيرة إخواننا المجاهدين، كما أن استشهاد أختنا المؤمنة قد سبب لنا ألمًا وحزنًا شديدين، وبالمقابل فإن خسائر السلطة كانت كبيرة جدًّا، مما حرم المجرمين من فرحة النصر، لقد دفعت السلطة ثمنًا باهظًا في معركة جوبر، وكان عدد المجرمين الذين قتلوا في هذه المعركة أكثر من كل الأعداد التي قتلت في مجزرة ما بين العيدين عام ١٩٨٠م، وتبين للسلطة أن مجاهدي الطليعة قد امتلكوا أسلحة لم تكن موجودة لديهم من قبل، وعتادًا جديدًا لم يكن معهم في السابق، لذلك استمرت في حملتها المسعورة في محاولات محمومة للقضاء على المجاهدين في دمشق، فاعتقلت أناسًا كثيرين من المتدينين، وبدأت بعمليات تعذيب وحشية انتقامًا لمن قتلوا بأيدي المجاهدين من أزلامها.

انتشرت أنباء هذه المعركة، معركة جوبر العتيدة، بين أبناء الشعب السوري، ووصلت تفاصيلها إلى الناس، رغم ما أحدث حولها من تكتم شديد، وصار الناس يفاخرون بإخوتنا الشهداء، وبصمودهم الرائع في وجه الأعداد الهائلة من جنود السلطة ومجرميها.

لقد ظنت السلطة الجبانة أن ضرب هذه القاعدة سيفت في أعضادنا، أو أنه سيربكنا على الأقل، لأنها علمت أن هذه القاعدة من قواعدنا الرئيسية، ولكن هيهات لما يظنون، فنحن عشاق الموت في سبيل الله، ولن يزيدنا الإرهاب إلا صمودًا، ولن يزيدنا التحدي إلا تصميمًا على الاستشهاد، ولن تنحني جباهنا إلا لجبار السماوات والأرض، ولن تذل هاماتنا إلا لخالق الدنيا وما فيها.

كمين لباص تابع للمخابرات الجوية:

وبدأت تلمع في الأفق سيوف الانتقام الرهيب لما اقترفه المجرمون من ظلم واضطهاد في حق ديننا وشعبنا المؤمن، ولم يكن غضب الله ليمهل الظالمين، وكان الرد أسرع مما يتصوره المجرمون، فأُسْدُ الله لهم بالمرصاد، وهي في حالة تأهب دائم تنتظر الأوامر؛ لتقتحم الأهوال، ولتلقي بنفسها في هدير العاصفة الإيمانية الماحقة التي لا تبقي ولا تذر.

وصدر الأمر، وانطلق ثلاثة من رهبان الليل وفرسان النهار وهم يرددون لبيك اللهم لبيك، فلقد هبت رياح الجنة وطاب الموت في سبيل الله، واقترب موعد الانتقام للأخت الشهيدة والطفل الذبيح، فنصبوا كمينًا صباح يوم ١٨/ ٧/ ١٩٨١م، في شارع ابن عساكر، لباص من نوع (مان) ينقل ٤٠ مجرمًا تابعًا لفرع المخابرات الجوية؛ الذي يرأسه المجرم محمد الخولي، وتوزع الإخوة على نسق واحد وهم يحملون البنادق الروسية بشكل علني، ولما وصل الباص إلى نقطة الكمين انقض عليه الإخوة الأبطال، وفتحوا نيرانهم بغزارة من مسافة قريبة جدًّا، مما أدى إلى قتل خمسة عشر عنصرًا على الفور، وجرح الباقين جراحًا خطيرة نقلوا على أثرها إلى المستشفى، وعاد إخواننا إلى قواعدهم سالمين في الساعة [٧:٥٥] صباحًا.

ذهل المجرمون المسؤولون في أجهزة المخابرات لهذا الرد السريع، فنزلت أعداد كبيرة من عناصر السلطة إلى مكان الحادث وطوقت المنطقة، وكان على رأس المجرمين رئيس فرع المخابرات الجوية المجرم محمد الخولي، وعدد كبير من ضباطه المجرمين، كما نزل المجرم أسعد الصباغ رئيس الفرع (٢١٥) العسكري مع عدد كبير من ضباطه، بالإضافة إلى ضباط شرطة النجدة والشرطة العسكرية، وقاموا بعملية تمشيط لأجزاء كبيرة من حي الشاغور بحثًا عن الإخوة المجاهدين، وعادوا بعد بحثهم يجرون أذيال الخيبة وراءهم، وقد تمت معرفة مجموعة من المجرمين الذين أصيبوا داخل الباص، منهم: علي قدور، رفعت علوش، إسماعيل سلطان، إبراهيم سلطان، أحمد سالم، علي سلوم، محمد سلوم، أكرم ديب، هيثم مصطفى، محمد صلاح محمد، عيسى شرف، هاشم الخطيب، ناجي فلوح، إبراهيم الشاعر، أحمد جميل طالب، نبيه زيادة، كركور مرجيان، مصطفى عيسى.

مداهمة قاعدة بمنطقة المزة:

واستمرت حملة الاعتقالات التي لم تتوقف منذ منتصف عام ١٩٨٠م، والتي شملت أعداد كبيرة من الشباب الإسلامي، وبتقدير من الله تعالى اعتقل الأخ أيمن الملقي الذي يعمل صيدليًّا، واعترف تحت التعذيب الشديد على قاعدة لنا في منطقة المزة، وعلى الفور قامت قوات كبيرة تابعة للمجرم علي دوبا رئيس المخابرات العسكرية بتطويق المنزل من المساء، واحتلت الأبنية المحيطة بالمنزل، وتوزعت بشكل يجعلها مشرفة على المنزل من كل الجوانب، وانتظر المجرمون إلى الصباح، أي إلى زمن الموعد الذي يحضر فيه الأخ أيمن حسب العادة، ووافقت هذه الليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك، وقد أحياها الإخوة في العبادة وذكر الله سبحانه

وتعالى، ولما قرع المنزل صباحًا نظر أحد الإخوة من خلال المنظار المثبت في الباب، فوجد الأخ أيمن وهو يقف أمام الباب، وبالقرب منه ثلاثة من المجرمين الذين حاولوا الاختفاء في الزوايا المحيطة بباب المنزل، وكان الإعياء ظاهرًا على وجه الأخ أيمن، وعلى الفور ألقى الأخ بشار السادات أمير القاعدة نظرة شاملة حول البيت، فرأى أعدادًا كبيرة من عناصر المخابرات تحاول الاختباء وراء الأعمدة الإسمنتية، وهي تطوق البيت من كل الجهات، وعلى الفور أمر الإخوة بارتداء ملابسهم وحمل أسلحتهم الفردية، وتم ذلك بهدوء كامل وبسرعة كبيرة، وتواصى الإخوة بالثبات والقتال حتى الاستشهاد، وعدم تمكين المجرمين من اعتقال أي منهم، وكان الفرح والسرور والبشر والنور يعلو وجوه الإخوة، وكأنهم مقبلون على أعراسهم وليس على مجابهة الموت.

وقرر الأخ بشار السادات أن يقتحم الطوق ويندفع مع بقية الإخوة في هجوم استشهادي خارج المنزل، وذلك بعد أن رأى الطوق المركز الذي يحيط بالمنزل، وبذلك إما أن تتم خلخلة الطوق والانسحاب، وإما أن تكون الشهادة في سبيل الله، فالمقاومة من داخل المنزل صعبة جدًا، ولن يتمكن الإخوة من الدفاع بشكل جيد، لقد جرت هذه المشاورات خلال ثوان معدودة من الوقت، في حين كان القرع مستمرًا على باب المنزل، وبعد أن تم الاستعداد لمواجهة الموقف؛ قام أحد الإخوة بإلقاء عبوة ناسفة باتجاه باب المنزل تزن (١ كغم)، أدى انفجارها إلى قتل المجرمين الثلاثة، ومن المرجح أن الأخ أيمن الملقي قد لاقى ربه شهيدًا، بعدها اندفع الأخ زياد الحريري خارج المنزل وهو يطلق النار من بارودته الروسية، وتبعه الأخ بشار وهو يصلي المجرمين من نيران بارودته الروسية أيضًا.

هذا الاندفاع المفاجئ أدى إلى تخلخل الطوق، وتراجع الجموع المجرمة وهم في حالة فزع شديد، واستمر الأخوان بإطلاق النار وهما يجتازان الحواجز الكثيفة من نيران المجرمين، وأخيرًا تمكن الأخ بشار السادات من اقتحام الطوق والانسحاب بسلام، بينما استشهد الأخ زياد وهو يحاول اجتياز آخر منعطف نحو الطريق العام، حين أصيب بزخات كثيفة من رصاص الغادرين، في هذا الوقت انهالت آلاف الطلقات على المنزل تتبعها قذائف الـ (آر- بي- جي)، ورد الإخوة بإلقاء عدد من العبوات الناسفة والقنابل اليدوية باتجاه العناصر القريبين من المنزل، مما أدى إلى قتل وجرح عدد منهم، دب الذعر في قلوب عناصر المخابرات، وابتعد ضباطهم إلى مكان بعيد عن ساحة المعركة خوفًا من الموت، وذلك إثر المقاومة السريعة والقوية التي أبداها الإخوة المجاهدون، وقاموا بدفع تعزيزات جديدة إلى ساحة المعركة، واقترب (مكرو باص) من المنزل لإنزال عدد من العناصر، وعلى الفور انطلق الأخ وسيم مشنوق باتجاهه، وآلاف الطلقات تتجه نحوه، وهو ممسك بعبوة ناسفة تزن (٣ كغم) في محاولة منه لتفجير (المكرو باص) بنفسه، لكنه استشهد على بعد أمتار من (المكرو باص)، بعد أن أصيب بعدد كبير من الطلقات، وانفجرت العبوة وأدى انفجارها إلى قتل عدد من المجرمين، وبقي اثنان من الإخوة داخل المنزل، أحدهما الأخ باسل أماصلي الذي كان يعاني من كسر في ساقه يمنعه من الجري، فتمركز داخل البيت، وبدأ يطلق النار من بارودته الروسية ويلقي بالقنابل اليدوية على المجرمين، بينما انطلق الأخ الثاني خارج المنزل وهو يهتف: الله أكبر... الله أكبر... بأعلى صوته، ويصلي المجرمين نيرانًا غزيرة من بارودته الروسية، وتمكن من اقتحام الطوق والانسحاب بسلام والحمد لله، واستمر الأخ باسل في الاشتباك مدة نصف ساعة، ثم لاقى ربه شهيدًا بعد أن أصاب عددًا من المجرمين.

تركت هذه المقاومة المجرمين في حالة دهشة وذهول، فقد كانوا يسيطرون على الموقف من كل الجهات، وهم يمنون أنفسهم باعتقال الإخوة بكل يسر وسهولة، ولكن الله شتت شملهم وضيع أمرهم، فأصيب قائد عملية المداهمة بجراح من جراء قنبلة انفجرت بالقرب منه، وقد سبب لهم انسحاب اثنين من الإخوة غيظًا شديدًا، فقاموا باعتقال أهالي الشهداء انتقامًا لذلك، وجاء المجرم علي دوبا بعد ساعتين من انتهاء المعركة إلى المنزل ورأى آثار المعركة، فسب ولعن وشتم ضباطه الحمقى الذين تصرفوا بغباء وجبن في هذه المعركة، أما أثاث المنزل المتواضع فقد سرقته السلطة ووضعته في سيارة جيب عسكرية، وبالطبع فقد جرى التفتيش داخل المنزل والبحث عن وثائق وأوراق تهم التنظيم.

قتل في هذه المعركة أكثر من (١٥) عنصرًا من مجرمي السلطة وجرح عدد مماثل، وقد سمعت الانفجارات وأصوات العيارات النارية في معظم مناطق دمشق، رحم الله إخواننا الشهداء وأسكنهم فسيح جنانه.

الإخوة الشهداء:

١- الأخ الشهيد: وسيم المشنوق: مواليد دمشق- مهاجرين ١٩٦٠م.

٢- الأخ الشهيد: باسل أماصلي: مواليد دمشق- عمارة ١٩٦٢م، وهو أحد الإخوة الذين تمكنوا من الانسحاب من قاعدة دوما.

٣- الأخ الشهيد: زياد الحريري: مواليد دمشق- ميدان ١٩٦٢م.

استشهاد الأخ بشار السادات:

ولم تنقض الأيام الثلاثة المتبقية من شهر رمضان إلا باستشهاد الأخ بشار السادات رحمه الله، ففي يوم الخميس ٣٠/ ٧/ ١٩٨١م، كان الأخ بشار على موعد

مع أحد الإخوة في منطقة الدقاقين- بزورية، وحين أتى إلى مكان اللقاء كانت عناصر المخابرات التابعة للفرع (٢١٥) قد نصبت له كمينًا، بعد اعتقال هذا الأخ واعترافه على مكان اللقاء وزمانه، اقترب الأخ بشار من النقطة المتفق عليها للقاء، فأسرع إليه اثنان من المجرمين المموهين باللباس العربي (عقال، كلابية) للإمساك به واعتقاله حيًّا، إلا أن الأخ الذكي الحذر كان أسرع منهما، وبجرأته المعهودة شهر مسدسه الرشاش بيده اليمنى، وعاجلهما بعدة طلقات أدت إلى قتلهما على الفور، بينما كانت يده اليسرى على مسمار أمان القنبلة اليدوية التي على خصره، وحين حاولت أعداد كبيرة من المجرمين الاقتراب منه، ما كان منه إلا أن نزع مسماري الأمان لقنبلتين على خصره ليفجرهما بهم، فانفجرتا على الفور، وانشطر الجسد الطاهر إلى قسمين، وارتفعت الروح إلى بارئها.

وامتلأت قلوب المجرمين غيظًا وحنقًا ورعبًا، فبعد أن منوا أنفسهم باعتقاله هاهم يفقدون اثنين من مجموعة الاقتحام.

لقد شاهد بقية العناصر سرعة الأخ بشار في قتل هذين المجرمين، وسرعته في تفجير نفسه، فعرفوا مصيرهم المحتوم عند أي محاولة للاعتداء على مجاهدينا الأبطال.

ولد الأخ بشار السادات في دمشق- حي المهاجرين عام ١٩٥٦م، نشأ في أسرة عريقة معروفة بتدينها، وترعرع في أكنافها، فكان على درجة عالية من الأخلاق وطيب الأصل، انتسب إلى جماعة «الإخوان المسلمين» منذ حداثة سنه، وتربى ضمن صفوفها، فاكتسب ثقافة إسلامية عالية، وخبرة في شؤون التنظيم والحركة، ومن ناحية أخرى كان يتلقى العلم على أيدي عدد من علماء دمشق الأفاضل، سافر إلى مدينة حلب لدراسة الهندسة، وهناك ازدادت ثقافته، وتعلم أمورًا كثيرة،

واكتسب خبرة صقلت شخصيته، كان قوي الروح، لطيف المعاشرة، محببًا إلى من حوله، وبذلك كان له تأثير إيجابي فيمن كل من يخالطه، وقد تميز شهيدنا البطل بكثرة الصيام والقيام وكثرة العبادة، فكان ذاكرًا لله في كل أحواله وشؤونه، إضافة إلى جرأته وشدة بأسه، ومتانة أعصابه وقدرته على تلقي المفاجآت، مع قوة جسمية ناتجة عن استمراره في ممارسة الألعاب الرياضية، وقد ساعدته لياقته البدنية العالية في حركة الجهاد اليومي، وكما ألمحت فقد كانت طاقاته الروحية هائلة، وظهر ذلك من خلال المصائب والنكبات التي ألمت بالتنظيم خلال فترة ملاحقته وحتى لاقى ربه شهيدًا، رحمه الله.

إنه مثال للمؤمن المطمئن بالله، الراضي بقضائه، المحتسب في سبيله، لا يتذمر، ولا يتخاذل، ولا يستسلم أمام الصعوبات، بل كان شعلة ملتهبة بالنشاط والحيوية والعمل الدائب المستمر، انتسب الأخ بشار إلى «الطليعة المقاتلة» عام ١٩٧٩م، وكان انتسابه على يد البطل الشهيد أحمد زين العابدين، لوحق من قبل السلطة المجرمة إثر استشهاد شقيقه أيمن السادات في الشهر الخامس من عام ١٩٨٠م، فانتقل إلى إحدى قواعد المجاهدين، ومكث فيها قرابة سبعة أشهر متواصلة دون أن يخرج منها، ولم يبد عليه أي تذمر أو استياء، بل كان يستغل أوقاته إلى أبعد الحدود في المطالعة وحفظ القرآن، وممارسة التمرينات الرياضية الشاقة، وظل في خدمة إخوانه إلى أن قدر الله له أن يخرج ليمارس حركة الجهاد اليومي، وهنا ظهرت كفاءته العالية، وإدارته الحسنة، وإدراكه السليم، وقد شارك في العديد من عمليات «الطليعة المقاتلة» منها:

عملية النقيب المجرم أديب حيدر، في هذه العملية كانت جرأته الكبيرة عاملًا هامًّا في إنقاذ الأخ الجريح مازن نحلاوي.

كـما نفـذ عـددًا آخـر مـن العمليـات، وفي مداهمـة قاعـدة المـزة ظهـرت متانـة أعصابـه، وقـوة إيمانـه وثقتـه بـالله عـز وجـل، فاندفـع إلى المـوت بنفـس مطمئنـة، بعـد أن أمـضى ليلـة في العبـادة والذكـر والتسـبيح لله تعالى، فـكان من رهبـان الليل وفرسـان النهـار، وأراد الله تعـالى أن ألتقـي بـه في نفـس اليـوم الـذي حصلـت بـه المداهمـة، وكـم كان تأثره شـديدًا لفقـد الإخوة رحمهـم الله، وانطلـق في متابعة عمله في ذلـك اليـوم اللاهب، ولم يعمل بالرخصـة في الإفطار بل أخـذ بالعزيمة، وواصل صيامـه وجهـاده تحت أشـعة الشـمس المحرقـة، وحين أنهـى أعماله كلهـا اصطحبته معـي إلى القاعـدة التـي كنت أقيـم فيها، بعـد أن بلغ منـه الجهد والإنهـاك كل مبلغ، وهنـاك التقـى بـالأخ أكـرم موسـى، وكان اللقـاء حـارًّا بـين أخوين متحابـين بالله، ولكـن الـسرور باللقاء لم يكتمل؛ إذ لم ينته شـهر رمضان المبارك حتى استشـهد الأخ بشـار في آخـر يوم قبـل عيد الفطر، إثـر كمين غـادر، وبمقدار الـسرور الذي حصل باللقـاء كان الحزن والأسـى عـلى الفراق.

فإلى جنان الخلد يا بشار... إنك وإخوانك الأبرار في قلوبنا وضمائرنا... وإن طيفك لا يفارقنا، وبسمتك اللطيفة لا تبرح ذاكرتنا... فوداعًا مع الخالدين...

إن مشاعرنا وأحاسيسنا لتضطرم اضطرامًا بالثأر لدين الله العظيم، ولإخواننا الشهداء الذين كانوا مشاعل هذه الدعوة وغراس هذا الدين، ولشعبنا المضطهد الذي يعيش حياة القهر والاستعباد... لقد طفح الكيل، وفاضت الكأس، وبلغ السيل الزبى.

ولسوف يكون الانتقام رهيبًا قاسيًا، كما كانت المحنة أليمة شديدة، وإن فرح الطغاة لن يدوم، وسرورهم لن يستمر، ولن تنعم نفوسهم بالطمأنينة أبدًا، فقد جُرد سيف الانتقام من غمده؛ لترفعه أياد كلها إيمان وتصميم لبلوغ الهدف المنشود،

وستشهد الأحداث المقبلة مئات الرؤوس الإجرامية الطائفية وهي تتهاوى أمام الزحف الإيماني المقدس.

تحليل لواقع هذه المرحلة:

إن استشهاد إخواننا في شهر رمضان المبارك ترك في نفوس مجاهدينا حزنًا عميقًا، وسبب آلامًا مبرحة، وخلف آثارًا أليمة في نفوس أبناء شعبنا المسلم؛ الذين تخوفوا من تكرار المأساة التي حصلت بين العيدين عام ١٩٨٠م، وزاد من هذه الآلام تبجح المجرمين، الذين قاموا ببث الشائعات التي تقول بأنهم تمكنوا من القضاء على الرؤوس المدبرة في التنظيم المسلح، وأن الباقين هم شباب غير أكفاء، سطحيو التفكير وقليلو الحيلة، كما أظهروا أن إمكانيات التنظيم أصبحت ضعيفة، وادعوا ذلك لسببين:

١- لحاجتهم إلى رفع معنويات عناصرهم، وتحطيم معنويات الشعب.

٢- لأنهم لا يعلمون شيئًا عن إمكانيات التنظيم الحقيقية، لقد توهموا أننا أصبحنا عاجزين عن التنفيذ، بسبب الخسائر التي دفعناها من إخواننا وقواعدنا.

إن الآلام التي سببتها تلك الخسائر لم تكن لتشل تفكيرنا أو تزعزع نفوسنا، بل على العكس من ذلك، فقد ازداد نشاط مجاهدينا، وبدأ التفكير الجدي لتنفيذ عمليات من نوع جديد كانت في السابق مجرد تصورات لا أكثر.

حين اشتدت وطأة الأحداث عام ١٩٨٠م، وازداد بطش السلطة المجرمة، وتوالت الأخبار تترى وهي تنقل أخبار التصفيات البشعة داخل سجون السلطة، في هذه الأوضاع اتجه تفكيرنا نحو الانتقام من رؤوس النظام بواسطة العمليات الاستشهادية، ولكن ضعف الإمكانيات آنذاك حال دون تنفيذ ذلك، وبعد مضي

شهر رمضان المبارك من عام ١٩٨١م، قمنا ببذل جهود جبارة لتأمين الإمكانيات اللازمة، وتم ذلك بعون الله تعالى، وسط ظروف أمنية صعبة تجلت فيها عناية الله تعالى بمجاهدينا؛ الذين استطاعوا أن يؤمنوا الكميات المطلوبة من الديناميت والأسلحة المختلفة، وبقية مستلزمات التنفيذ الضرورية، وكان للأخ الشهيد البطل عمر جواد أبو بكر، أمير «الطليعة المقاتلة» في حماة الفضل الكبير في ذلك.

ومضى عشرون يومًا على استشهاد الأخ البطل بشار السادات، بذل فيها إخواننا جهودًا كبيرة تواصل العمل فيها بالليل والنهار، وتركزت على محورين هما:

١- إعادة بناء الحزام الأمني للتنظيم بشكل متين، ووضع في الحسبان الأساليب المختلفة للسلطة، بحيث أصبحت قواعدنا تستعصي على أساليب المجرمين (تمشيط، مخبرين).

٢- القيام بجهود متواصلة لتأمين مستلزمات التنفيذ لهذه العمليات الجبارة، وخاصة الديناميت، وتم لنا بعون الله هذا الأمر.

وهكذا أصبحت «الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين» بمدينة دمشق؛ في حالة تسمح لها بتوجيه أعنف الضربات وأقساها لرؤوس البغي والإجرام التي تحكم بالبطش والإرهاب، دون تمكينهم من الوصول إلى مجاهدينا وقواعدنا.

وبالرغم من إجراءاتنا الأمنية الشديدة، فإن إخواننا كانوا بحالة استنفار دائم ليلًا ونهارًا بقية عام ١٩٨١م، ولم يركنوا للإجراءات الأمنية التي اتخذناها.

محاولة قتل المجرم رفعت أسد:

وبدأنا بالإعداد لتنفيذ العملية الأولى، وكان الهدف فيها المجرم رفعت أسد، حيث تم استطلاعه بشكل دقيق، فدرست أوقات تحركاته وطرق سيره، وتقرر

تفجيره بسيارة ملغومة بواسطة جهاز لاسلكي عن بعد، ولكن بعد دراسة المنطقة التي سيتم فيها التنفيذ، تبين أن المنطقة مغطاة بأجهزة لاسلكية تتطابق مع أجهزة التفجير المتوفرة لدينا، وهذا يعني أن السيارة ستنفجر لدى وصولها إلى المنطقة مباشرة، ولهذا ألغيت العملية.

كما ظهر أن معظم مناطق دمشق مغطاة بموجات لاسلكية مختلفة ذات توافق مع أجهزتنا، مما جعل هذا النوع من العمليات يحتاج إلى أجهزة تفجير متطورة لا نمتلكها، ولهذا استعضنا عن هذه الأجهزة بإخوتنا المجاهدين الأبطال، وتم تغيير الهدف لاعتبارات تنفيذية بحتة، واخترنا مجلس الوزراء هدفًا آخر.

عملية القائد البطل الشهيد:

عبد الستار الزعيم ١٩٨١/٨/١٧م، مجلس الوزراء:

كما ذكرنا فإن ضباط المخابرات والقيادات السياسية العليا؛ كانوا مخمورين بمداهمة قواعدنا الثلاث خلال شهر رمضان، ولم يخطر ببالهم أن نتمكن من تنفيذ أي عملية كانت، ولكن الله تعالى خيب ظنهم حين تم تنفيذ أكبر عملية تشهدها الساحة السورية حتى هذا التاريخ، ألا وهي عملية تفجير مجلس الوزراء، التي فاجأت المجرمين سواءً من الناحية النفسية أو الأمنية، فلم يكونوا متهيئين لمثل هذه العمليات، مما جعلهم أضحوكة العالم ومجالًا للسخرية والاستهزاء، لقد وضعت الخطة المحكمة لنسف المجلس بمن فيه أثناء جلسة انعقاده، وذلك بعد أن استطلع استطلاعًا دقيقًا.

وفي التاريخ المذكور قام إخوتنا المجاهدون قبل ساعة من تنفيذ العملية بجولة ميدانية حول مبنى رئاسة الوزراء، تبين فيها أن الوزراء مجتمعون داخل المبنى،

والوضع العام كالمعتاد، أعداد السيارات والمرافقات المحيطة بالمجلس كما هي في حالة الجلسات السابقة.

وعلى الفور صدر أمر التحرك لنسف المبنى، وانطلق أحد مجاهدينا الاستشهاديين وهو يقود سيارة شاحنة من نوع (دودج) ذات لون أحمر، وهي محملة بـ(٢٠٠ كغم) من الديناميت وعشر اسطوانات غاز كبيرة الحجم، وكانت الأوامر الصادرة للأخ المجاهد تقضي بالدخول من الباب الخلفي للمبنى، فإذا وافق ذلك وجود سيارات تغلق المنفذ أو حاول حراس المبنى إيقافه، فيجب عليه أن يقتحم المبنى عنوة ويفجر السيارة بنفسه، وبالفعل حين وصل الأخ إلى الباب المعين وجد الطريق سالكًا، فدخل المبنى بسيارته، ولم يعترضه أحد من الحراس، فقد ظنوه منهم، وحسبوا السيارة تابعة للمجلس، وتابع الأخ طريقه بهدوء، ووضع السيارة في الكراج الذي يقع أسفل البناء، ونظر فلم يجد أحدًا يعترضه، ووجد أيضًا أنه لم يبق سوى دقيقتين على انفجار السيارة، فقرر الخروج من الباب بشكل طبيعي، ومرة ثانية ظنه الحراس أحد عناصر المرافقة فلم يستوقفوه، وما كاد الأخ ليبتعد مئتي متر عن المبنى حتى دوى الانفجار المذهل الذي لم تعرف له دمشق مثيلًا من قبل، كان ذلك في الساعة الثانية عشر والنصف ظهرًا، وسمع معظم الناس في مدينة دمشق صوت الانفجار الهائل، كما وصل الصوت إلى أسماع المجرمين من أزلام النظام وإلى طاغيتهم حافظ أسد؛ الذي اتصل برؤساء مخابراته وهو يرتجف رعبًا من هول الصدمة، وطلب منهم تحديد مكان الانفجار على الفور، وكاد أن يصاب بالإغماء حين انقض عليه النبأ كالصاعقة: (انفجار وحريق كبير في مبنى رئاسة الوزراء، وجميع الموجودين في المبنى تحاصرهم النيران).

وانطلقت آلاف العناصر المسعورة بإمرة مئات الضباط؛ الذين جاءوا سريعًا إلى

ساحة العملية فطوقوا المنطقة من كل جهاتها، وقطعوا جميع الطرق المؤدية إلى المبنى، وراحوا ينظرون إلى المشهد التاريخي المذهل وهم في حالة سكر وغيبوبة، ولم تصدق أعينهم بأن المجاهدين قد قاموا بتنفيذ هذه العملية الضخمة، وبدا المبنى وكأنه موقد غاز مشتعل، وكانت ألسنة اللهب ترتفع فوق البناء لعشرات الأمتار، بينما وصل الدخان إلى عنان السماء، ولم تترك النيران شيئًا في طريقها إلا أحرقته، ومما زاد في اشتعال النيران أن المبنى مكيف بالغاز الذي اشتعل من جراء الانفجار، فأتى الحريق على معظم الوثائق، وأدى إلى قتل العشرات من مجرمي السلطة، وحوصر عدد آخر بالنيران، ولم تستطع الحوامات أن تهبط على المبنى لإنقاذهم، فقد كانت ألسنة اللهب تتصاعد فوق سطح المبنى، والسحب الدخانية الكثيفة تنطلق لتغطي سماء دمشق، وحاولت الحوامات الهبوط مرارًا ولكن دون جدوى.

أما حول المبنى فقد كانت سيارات الإطفاء؛ التي تساعدها سيارات الصهاريج التابعة لشركة جبل قاسيون تحاول جاهدة إطفاء النيران المشتعلة، وذهل الوزراء مع رئيسهم القزم عبد الرؤوف الكسم، الذين كانوا قد غادروا المبنى قبيل وصول السيارة المفخخة إلى المبنى، وسارع عدد كبير منهم إلى مكان الحادث ليشاهدوا تدمير قاعة الاجتماعات ومكاتبهم الخاصة بكاملها.

وبعد ساعتين من العمل المتواصل تمكنت السلطة من السيطرة على البناء المحترق، وبدأت سيارات الإسعاف تنطلق مولولة، تنقل الجرحى والقتلى الذين غصت بهم المستشفيات، وقد بلغ عدد القتلى أكثر من مئة قتيل من مجرمي السلطة وأذنابها، بينهم كبار إداريي المبنى، وعدد آخر من كبار الضباط العاملين في المبنى، كما جرح حوالي مئة آخرون.

وفي نهاية النهار تم انتشال عشرات الجثث المتفحمة التي لم تعرف هوية أصحابها، وكما ذكرنا فإن تطويق المبنى قد تم من كل الجهات، ونزل إلى ساحة العملية المجرم: ناصيف، الصباغ، الحلو، الخولي، حمدون، الكسم، قدورة، الأحمر، معين ناصيف، ناصر الدين ناصر، عز الدين ناصر رئيس نقابات العمال، وعدد كبير من ضباط شرطة النجدة والشرطة العسكرية وسرايا الدفاع، وبالرغم من الأعداد الهائلة لزبانية السلطة المنتشرين حول المبنى، فإن ذلك لم يمنع آلاف المواطنين من التجمهر خلف الحزام الأمني لمشاهدة هذا المشهد الرائع الذي طال انتظارهم لرؤيته.

وحاولت السلطة أن تغطي هذه العملية الضخمة بأساليبها العتيقة، فها هي تعلن في إعلامها الكذاب بيانًا وضعه أساطين الدجل لديها: (إن الانفجار الضخم والحريق الهائل اللذين حصلا في مبنى رئاسة الوزراء، ما هما إلا تماس كهربائي أدى إلى اشتعال حريق أسفر عن مقتل ثلاثة من القائمين على خدمة المبنى)، وصار البيان سخرية جديدة لأبناء الشعب الذي شاهد الحريق، وعاين أزلام السلطة وهم ينتشرون في شوارع دمشق مطلقين النار على كل سيارة يشتبهون بها، وغلب الظن عند الخبراء وعند المسؤولين السياسيين أن المجاهدين قد تمكنوا من زرع عبوات ناسفة في كل غرفة من غرف المجلس، والأمر الذي دعاهم إلى هذا الاعتقاد توالي أصوات الانفجارات من غرف المجلس بفعل أنابيب الغاز داخلها، وقد عبر عن هذا الرأي وليد حمدون.

وفي المساء قام المجرم حافظ أسد باستقبال الوزراء، وجهز لهم عشاءً خاصًّا بمناسبة نجاتهم من الانفجار الذي طال بناءهم، لكن الفرحة بنجاة هؤلاء الصعاليك لم تكتمل، فقد حملت الأيام المقبلة خطرًا كبيرًا على أزلام السلطة ورؤوسها، إذ أن عمليات المجاهدين قد دخلت مرحلة جديدة، كما أعلن عن ذلك المجرم وزير

الداخلية حين قال: (لقد فاقت هذه العملية تصورات العقل الأمني في سورية).

وتوالت اجتماعات أكابر مجرميها وهم في حالة هيجان هستيرية، وأصبح مجلس الأمن القومي في حالة انعقاد دائم؛ لبحث الوضع الجديد الذي تعيشه السلطة، ولإيجاد الوسائل المكافئة لمجابهة المخاطر المحدقة، واتخذت عدة إجراءات هستيرية هدفها القضاء على المجاهدين في دمشق قضاءً تامًّا خوفًا من تكرار هذه العملية، فاستنفرت أجهزة المخابرات عناصرها، وانطلق مجرمو السلطة لاعتقال أهالي الإخوة الملاحقين ومعارفهم، حيث تعرضوا للتعذيب الوحشي البشع بالرغم من عدم معرفتهم لأي شيء عن الإخوة الملاحقين، كما بدأت السلطة بحملة تمشيط لأماكن سكن الإخوة المطلوبين وحاراتهم، وكان التركيز جليًّا على الإخوة القياديين في هذه الحملة المسعورة، وفي اليوم التالي للعملية قامت السلطة بحملة غريبة من نوعها استهدفت أصحاب محلات تصليح وتدهين السيارات، فاعتقلت أصحابها والعاملين فيها بطريقة وحشية تنم عن حقد دفين على أبناء الشعب، وقامت بالتحقيق معهم بطريقة وقحة، مدعية بأن السيارة التي نسفت مجلس الوزراء كانت مطلية بطبقة ثانية من الدهان، مما استوجب معاقبة كافة محلات دهان السيارات.

وكما أسلفنا فإن السلطة قد زادت من أعداد عناصرها ومجرميها في شوارع دمشق، على شكل دوريات راجلة أو محمولة، ونصبت الحواجز الثابتة عند مداخل العاصمة، وفي الطرق التي تتوقع استخدامها من قبل الإخوة المجاهدين، لعلها تظفر بأحد الإخوة المجاهدين، وعملت على نصب الحواجز الطيارة داخل المدينة، وتفتيش السيارات المارة بشكل هستيري أحمق، واتخذت إجراءات أمنية مشددة حول المباني الأساسية التابعة لها، وأعطيت الأوامر بإطلاق النار على كل إنسان يشتبه به، وأدى ذلك إلى عشرات الحوادث اليومية التي قتل فيها العديد من

المواطنين الأبرياء، كما قتل أيضًا الكثيرون من عناصر السلطة بطريق الخطأ؛ نتيجة الذعر الذي حل في قلوبهم، وقد وقعت أغلب هذه الحوادث أمام منزل المجرم رفعت أسد على أوتوستراد المزة، وأمام إدارة المخابرات العامة فرع كفرسوسة، ولم تكتف السلطة بهذه الإجراءات، بل دعمت ذلك بعملية تمشيط واسعة النطاق شملت معظم أحياء دمشق، واستمرت شهرًا كاملًا، ففي كل ليلة تقوم آلاف العناصر بتطويق أحد الأحياء السكنية، وتمشطه بيتًا بيتًا، وتعيث داخل البيوت فسادًا، فتسرق وتنهب كل ما خف وزنه وغلا ثمنه، طامعة بكشف قاعدة للمجاهدين، ولكن دون فائدة، فالمجاهدون قد اتخذوا الإجراءات الأمنية الخاصة التي يستعصي التمشيط أمامها بإذن الله.

وهكذا خيم على المدينة جو من الإرهاب لم يسبق له مثيل، وأصبحت دمشق ثكنة عسكرية ينتشر المسلحون فيها بكل مكان؛ لإعاقة حركة المجاهدين الذين برهنوا على قدرتهم الحركية في كل الأوضاع والظروف مهما بلغت صعوبتها.

أما المجلس المتصدع فلن تستطع السلطة أن ترممه إلا بعد مضي ثلاثة أشهر، كان الوزراء خلالها يجتمعون في أماكن سرية من ضمنها مسجد العثمان (الكويتي)، الذي استخدم للاجتماع مرارًا، وسط إجراءات أمنية لم يسبق لها مثيل من قبل، كذلك قام المجرم القذافي في هذه المدة بزيارة صديقه المجرم أسد؛ الذي اصطحبه إلى مجلس الوزراء الساعة الواحدة ليلًا لمشاهدة آثار العملية الربانية، ولم يغب عن بال المجرم العميل أسد الاستغاثة بالخبراء الشرقيين والغربيين، لوضع الخطط الأمنية التي تحول دون تكرار هذه العملية؛ التي مرغت أنفه في التراب، بعد عمله الطويل في وضع الحواجز والسدود أمام أخبار مجاهدينا في سورية.

إن أخبار هذه العملية قد عمت أرجاء العالم، وتناقلتها وكالات الأنباء بالتعليق والتحليل حول النظام الطائفي ومجاهدينا الأبطال، مما زاد في غيظ المجرم أسد وحقده، فبدأ بحملة قمعية دنيئة ضد أبناء شعبنا خاصة في حماة وحلب وقرى شمال سورية، من جهتنا قمنا بإبلاغ الإخوة في حماة بوجوب أخذ الاحتياطات الأمنية الشديدة، تحسبًا لانتقام السلطة هنالك بعد ظهور عجزها التام في مدينة دمشق.

لقد ألقت السلطة في دمشق بكل أوراقها دفعة واحدة، وكما بينا سابقًا فقد انتشرت الحواجز الثابتة والطيارة، ولم تنقطع عمليات التمشيط والاعتقال، وازداد التعذيب الوحشي داخل السجون، إضافة إلى سيل التهديدات المحمومة التي تصدر عن أركان النظام ورؤوسه ضد مجاهدينا، وخاصة الإخوة القياديين منهم، استمرت هذه المدة مدة سبعة عشر يومًا كان الاستنفار فيها ١٠٠٪ لدى السلطة وعند مجاهدينا.

هذه المحاولات الهزيلة لبث الذعر والرعب في نفوس مجاهدينا لم تكن لتغير من الحقيقة التي يعلمها النظام المجرم ورؤوسه شيئًا، ألا وهي حبنا للموت بقدر ما يستمسكون بالحياة، ونحن نبحث عن الموت الذي يتهددوننا به في مظانهم، وإن طعمه في نفوسنا ألذ وأشهى من طعم العسل، وقد ظهر ذلك واضحًا حين حاولنا انتقاء فدائي آخر لتنفيذ العملية الثانية، فكان اندفاع الإخوة جميعًا لتنفيذ العمليات الاستشهادية أكبر برهان على ذلك، وقد طلب الإخوة في بقية المحافظات منا إتاحة المجال لهم للمشاركة في هذه العملية الاستشهادية.

لقد حاولت السلطة بكل ما أوتيت من قوة عدم تمكيننا من تكرار هذه العملية، ولكن هيهات... هيهات، فرياح الانتقام قد عصفت بأركان النظام، تدمر الفساد وتحرق الطغيان، وتجعل المجرمين السفاحين عبرة لمن يعتبر، لقد ظنوا أن حصونهم

وحراساتهم وما اتخذوه من أسباب سوف تمنعهم من انتقام الله جلت قدرته، لقد سلط الله تعالى عليهم هذا الأسلوب الذي يتناسب مع حجم الجرائم التي ارتكبوها بحق شعبنا المؤمن، وكانت العملية التالية:

عملية الأخ القائد:
يوسف أحمد عبيد ١٩٨١/٩/٣م، آمرية الطيران:

قررت قيادة «الطليعة المقاتلة» في دمشق توجيه ضربة قاصمة جديدة إلى نظام المجرم حافظ أسد، ووقع الاختيار هذه المرة على مبنى آمرية الطيران؛ المؤلف من سبعة طوابق، والكائن بالقرب من مبنى الأركان، وهذا المبنى يضم هدفين:

الهدف الأول: فرع المخابرات الجوية، الذي يرأسه المجرم النصيري العميد محمد الخولي، وهذا الفرع معروف بجرائمه الفظيعة وتعذيبه الوحشي، وهو سيف مسلط على رقاب العسكريين في القوى الجوية، ومعظم ضباطه من النصيريين الذين أشرف المجرم أسد على تعيينهم بشكل خاص، نظرًا للأهمية التي يتمتع بها هذا الفرع في متابعة ضباط الطيران، واعتقال كل من يشكون في ولائه لنظام المجرم أسد، وقد كشف هذا الفرع عددًا من المحاولات الانقلابية ضد نظام المجرم أسد، وساهم مساهمة كبيرة في ملاحقة الشباب الإسلامي، واعتقال أعداد كبيرة منهم، وكان الأخ يوسف عبيد معتقلًا في هذا الفرع، وقد أشرف المجرمان محمد الخولي، والمقدم عماد الدين ديب على تعذيبه تعذيبًا شديدًا بشكل مباشر، وشارك هذا الفرع في نصب الحواجز والكمائن وعمليات التمشيط في مدينة دمشق. ويحتل هذا الفرع القبو والطابق الأول من البناء، وقد كان فيه عدد من المعتقلين أثناء تنفيذ العملية، يعتقد أن الأخ يوسف عبيد بينهم.

الهدف الثاني: الآمرية الجوية، وتشغل الطوابق المتبقية، وفيها عدد كبير من الضباط النصيريين؛ الذين أشرف المجرم أسد على تعيينهم بنفسه أيضًا، لتكون له السيطرة الكاملة على القوى الجوية في سورية، ويضم البناء بكامله أكثر من ألف من العناصر والضباط وصف الضباط، إضافة إلى الأعداد الكبيرة من العناصر التي تقوم بحراسة المبنى، وفوهات بنادقها موجهة إلى السيارات المارة في الشارع المقابل، كما توجد عدة سيارات مليئة بالعناصر واقفة إلى جانب المبنى تحسبًا للطوارئ، وفوق كل ذلك فالمنطقة محروسة، وتنتشر الحراسات على بيوت المسؤولين المقيمين فيها.

وفي الساعة الحادية عشرة والربع صباحًا انطلقت سيارة من نوع (بيجو ٣٠٤)، تحمل عبوة ناسفة تزن (٤٠٠ كغم) من الديناميت شديد الانفجار، يقودها أحد مجاهدينا الاستشهاديين البالغ من العمر عشرين عامًا، وعند وصوله إلى مدخل البناء صعد فوق الرصيف ثم اقتحم الباب إلى الساحة، وصعد عدة درجات من درجات المبنى بسيارته المثقلة بالديناميت، كان حراس المبنى ينظرون إليه مشدوهين من فعلته هذه، فقد حسبوه أحد أبناء الضباط السكارى، لذلك لم يطلقوا عليه النار، ولكن دهشتهم زادت حينما ترجل من السيارة، وبدأ بإطلاق النار من مسدسه باتجاههم، كما ألقى قنبلتين يدويتين، مما تسبب في قتل وجرح عدد من عناصر الحراسة، وبسرعة انهالت عليه زخات الرصاص من كل جانب، فارتقى شهيدًا، وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها، وسمع الناس في المنطقة أزيز الرصاص ودوي القنبلتين اليدويتين، فتوجهت على الفور الدوريات الأمنية المتواجدة هناك إلى المبنى؛ لاستيضاح الخبر، ووقف معظم العاملين في المبنى أمام الشرفات والنوافذ المطلة على ساحة الاشتباك، كما هرع عدد من كبار الضباط إلى أسفل البناء بعد تأكدهم من استشهاد الأخ البطل، وعلى رأسهم المجرم اللواء ممدوح أباظة، وهو شاهر مسدسه لتمثيل دور البطل الذي

يقتحم الأهوال، وبعد أن اكتمل جمعهم حول جثة الأخ الشهيد أي بعد ثلاث دقائق من توقف إطلاق النار، انفجرت السيارة الملغومة انفجارًا رهيبًا، أحدث كتلة من اللهب غطت البناء بكامله، وتطايرت جثث المجرمين في الهواء، ومزقت أجسادهم أشلاء متناثرة هنا وهناك، ودمر فرع المخابرات الجوية تدميرًا شبه تام، كما حدث تدمير كبير في طوابق الآمرية، وسقط المئات من صف الضباط والعناصر والضباط قتلى خلال لحظات قليلة، أما أجساد المجرمين المتحلقين حول السيارة فقد مزقت شر ممزق، وصارت قطعًا متناثرة في كل الأنحاء، ومن هؤلاء الممزقين المجرم ممدوح حمدي أباظة صديق المجرم رفعت أسد، وهو مشهور بحقده على المسلمين وتعذيبه لهم، وقد رُفِّع إلى عماد بعد قتله.

لقد كان الانفجار شديدًا إذ سمعه معظم سكان مدينة دمشق، كما سمعه المجرم حافظ أسد وأركان نظامه مباشرة، وحاول المجرم أسد الاتصال بالآمرية للاستفسار عن الخبر ولكن ما من مجيب، فالبناء بأكمله قد تحول إلى مقبرة جماعية لمجرمي السلطة؛ التي قامت على الفور بتطويق المنطقة بآلاف العناصر من سرايا الدفاع، الذين أقاموا طوقًا أمنيًّا محكمًا حول المنطقة، ولم يسمحوا لأي كان بالاقتراب من البناء حتى ضباط الأمن وضباط شرطة النجدة والشرطة العسكرية للتكتم على ما حصل، وجاء عدد كبير من رؤوس النظام إلى مكان الحادث، وذهلوا حين استقبلتهم ثلاثون جثة كانت تقوم بحراسة المبنى قبل الانفجار، وتسبب الانفجار في إحداث حريق سيطر عليه الإطفائيون بسرعة، أما سيارات الإسعاف فقد استمرت بنقل الجرحى إلى المستشفيات، بينما تركت جثث القتلى داخل البناء لمدة ثلاث ساعات دون أن يحركها أحد.

كانت سيارات الإسعاف تتجه من المستشفيات وإليها، فنقل (٧٥) جريحًا إلى

مستشفى المواساة مات منهم عشرون على الفور، وإلى مستشفى التوفيق القريبة من بناء الآمرية (٤٠) جريحًا ماتوا جميعًا عند وصولهم إلى المستشفى، وإلى مستشفى المزة العسكري (٧٩) جريحًا، مات الكثيرون منهم على الطريق وبعد الوصول إلى المستشفى، كما مات ثلاثون شخصًا من الذين نقلوا إلى المستشفى الطلياني، ومات غيرهم من الجرحى في بقية المشافي بمدينة دمشق.

هذه العملية الربانية كانت انتقامًا من الله سبحانه وتعالى لمسلمي سورية وشهدائها الأبرار، لقد فاقت نتائجها كل التصورات؛ إذ أسفرت كما نعتقد عن أربع مئة قتيل وأكثر من مئتي جريح على أقل تقدير، وآخر الأخبار أكدت أن عدد القتلى والجرحى تجاوز (١١٠٠) ألفًا ومئة، بين ضابط وصف ضابط ومستخدم مدني، أما السلطة المجرمة فحاولت التستر على خسائرها في هذه العملية، ومع أن التكتم كان شديدًا إلا أن الأنباء تسربت إلى أبناء الشعب؛ الذين تناقلوا أخبار مئات القتلى والجرحى، ومن ضمن الأنباء المتناقلة قول أحد الضباط الذين دخلوا إلى المبنى بعد حوالي ساعتين ونصف من الانفجار، إذ صرح أنه أحصى حوالي (١٥٠) جثة ملقاة داخل البناء، ونذكر هنا أن أكثر من (٦٠) ضابطًا معظمهم من ذوي الرتب العالية قد قتلوا، وأغلب هؤلاء الضباط من النصيريين أو المرتزقة المأجورين الحاقدين على المسلمين نذكر منهم:

- اللواء ممدوح أباظة، وهو شركسي الأصل، يسكن في منطقة أبي رمانة، ويوجد بجانب بيته كوخ فيه أكثر من عشرة عناصر لحراسة منزله، وهو من المقربين إلى المجرم رفعت أسد، ويعرف عنه عداؤه الشديد للمسلمين وحقده على كل ما يمت للإسلام بصلة في هذا البلد المسلم.

- اللواء إبراهيم الحسن، وهو شقيق اللواء المجرم جميل الحسن رئيس شعبة التنظيم والإدارة.

- كما قتل ضابط برتبة لواء من آل بهلول.

- وقتل أيضًا المقدم عماد الدين ديب، نائب المجرم محمد الخولي في فرع المخابرات الجوية.

- وقتل المدعي العام إسماعيل حبيب، وهو نصيري حاقد على الإسلام وأهله، معروف بإطلاق أحكام الإعدام على كل الذين اشترك في محاكماتهم الصورية.

أما المجرم الخولي فلم يكن في مكتبه الذي دمر تدميرًا كاملًا ساعة الانفجار، وقد لوحظ بشكل ملموس أن جثث القتلى ونعوشهم قد نقلت إلى قرى النصيريين الساحلية، ولم يخرج في دمشق إلا العدد القليل من الجنائز.

هذه العملية أصابت المجرم أسد بصدمة هائلة؛ إذ لم يكن يخطر على باله في يوم من الأيام أن يتمكن المجاهدون من توجيه مثل هذه الضربة إلى الأبنية الأساسية المحصنة التابعة لنظام الإجرام والطغيان، كان اليوم الذي حدثت فيه هذه العملية يومًا مشهودًا في تاريخ سورية وتاريخ شعبها، وكانت نقطة حاسمة أثبتت للنظام أن حمامات الدماء لن تولد إلا الدماء، وأن الإرهاب المسلط على رقاب شعبنا المسلم سوف ينقلب على رؤوس النظام ومرتزقته المأجورين.

وكما عهدنا من قبل؛ فإن أعدادًا كبيرة من عناصر السلطة المدججين بالسلاح والعتاد نزلوا إلى شوارع دمشق، وبدأوا بإطلاق النار على كل سيارة يشتبه بأمرها، لذلك لم يعد أحد من الناس يجرؤ على الاقتراب من مباني السلطة؛ خوفًا من إطلاق النار العشوائي.

أما إعلام النظام الذي أعلن يوم تفجير مبنى رئاسة الوزراء أن الانفجار والحريق قد حدثا بسبب تماس كهربائي؛ فإنه في هذه المرة لم يشر إلى هذه العملية بأي كلام، ولم يصدر عنه أي تعليق، ولكن الذي حصل هو أن السلطة سربت أنباء العملية إلى بعض وكالات الأنباء التي تتعامل معها، وإلى بعض الإذاعات الصليبية مثل (مونت كارلو)، هذه الأنباء المسربة ادعت أن ١٧ شخصًا من المارة قد قتلوا، والتناقض في هذا النبأ واضح تمامًا؛ إذ أنه لا يجرؤ أي مواطن على السير بالقرب من مبنى الآمرية.

إن هذه العملية الجبارة زادت من هيجان السلطة، فأخذ رؤوسها ومجرموها يتصرفون برعونة حمقاء، فاستمرت عمليات التمشيط الواسعة، وبدأت حملة اعتقالات واسعة شملت أعدادًا كبيرة من أقارب الإخوة المطلوبين، وأعدادًا أخرى من الشباب الإسلامي، اعتقادًا منها بأن ذلك سوف يفتح ثغرة في تنظيم المجاهدين تمكنها من إعاقة هذه العمليات؛ التي فاقت تصورات العقل الأمني في سورية، كما صرح بذلك أحد مجرمي السلطة.

أما الطاغوت الجبان حافظ أسد فقد سافر إلى اللاذقية لأسباب عدة وهي:

- **أولًا**: السبب الأمني، فالمجرم حافظ أسد هو شخص جبان؛ إذ حين رأى أن عمليات المجاهدين يمكن أن تطاله هو بالذات سافر إلى اللاذقية فرارًا من الموت.

- **ثانيًا**: للترويح عن نفسه بعد أن هاجت أعصابه، فلم يعد يحتمل سماع المزيد من الانفجارات التي تبشره بمقتل المئات من أزلامه المجرمين.

- **ثالثًا**: ليقدم العزاء لطائفته التي هلك الكثير من أبنائها المجرمين صرعى في هذا الانفجار المدمر.

- **رابعًا:** لإجراء المشاورات واتخاذ القرارات في جو هادئ نسبيًّا.

في هذا الوقت كان مكتب الأمن القومي يتابع اجتماعاته التي استمرت مدة عشرين يومًا، تمخضت عن عدة إجراءات أمنية لحماية النظام ومؤسساته المتسلطة وأشخاصه المجرمين، كان أهم هذه الإجراءات وضع الحواجز الإسمنتية وعوائق الدبابات، وبناء الجدران العالية حول الأبنية الحكومية، ومنع السيارات من المرور أمام هذه الأبنية، وتكثيف الحراسات حولها، بل وقطع الشوارع التي تقع أمام بعضها قطعًا نهائيًّا، وانتشرت الأحواض الإسمنتية حول بيوت المسؤولين، وتوزعت أعداد كبيرة من عناصر المخابرات في شوارع المدينة، كما وضعت الحواجز الثابتة عند مداخل المدينة، وانتشرت الحواجز الطيارة داخلها، وبذلك أصبحت المدينة ثكنة عسكرية، وأضحى منظرها غريبًا بهذه الإجراءات التي لم تشهدها في تاريخها الحديث، لقد أُعطيت الأوامر الصريحة إلى عناصر المخابرات بإطلاق النار على كل سيارة مشبوهة، فتعددت بذلك حوادث إطلاق الرصاص على السيارات بشكل يومي، وبات واضحًا أن السلطة قد فقدت صوابها وهي تحاول منع حدوث عملية ثالثة، ووقفت عاجزة أمام تنظيم سري تعرف العديد من أفراده الملاحقين منذ زمن طويل، دون أن تتمكن من القضاء عليهم، رغم استخدامها للعديد من الوسائل الإجرامية من أجل تحقيق هذا الهدف، لقد انتقمت من أهالي المجاهدين أبشع انتقام، فلم يؤثر ذلك على الإخوة المجاهدين الذين وهبوا نفوسهم رخيصة في سبيل الله عز وجل، راغبين في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، وبطشت بأبناء دمشق فلم تجن من ذلك إلا تعاطفًا من الشعب مع مجاهديه المؤمنين، ولم تفد السلطة من هذه الاعتقالات بأي شيء، فتوجهت بانتقامها نحو مدن الشمال السوري.

وكنـا قد أخبرنا الإخوة في حماة الذين عرفوا فشـل السـلطة الذريع في دمشـق؛ عـن اعتقادنا بأن السـلطة سـوف تتوجه بانتقامهـا الإجرامي على أهـالي مدينة حماة، لذلـك طلبنـا منهم اتخـاذ الاحتياطات اللازمة للحفـاظ على الإخوة هنـاك، فأكدوا لنـا هـذا الـرأي الـذي يتوقعونه أيضًـا، لذلك فقـد أخـذوا حذرهم؛ لمنـع أي خطأ يؤدي إلى حوادث تسـتغلها السـلطة لضرب أبنـاء المدينة.

إن هذه العملية الجبارة التي سكت النظام عنها ونقلها الإعلام العالمي بصورة مشوهة ممسوخة، لم تكن أنباؤها الحقيقية لتخفى على أبناء شعبنا؛ الذين عمت أوساطهم الفرحة الغامرة، فقد كانت هذه العملية بمثابة انتقام مكافئ لما ارتكبته السلطة في مجزرة تدمر.

ورغم النقل الإعلامي السيء لما حصل في هذه العملية، فإن تحليلات الصحف وتعليقات الأخبار لم تستطع إلا أن تعبر عن قوة المجاهدين وشدة بأسهم، ووجهت الانتباه إلى هذا النوع من العمليات؛ الذي بدء يستقطب اهتمام العالم.

كمين للأخوين جمال بارافي وعبد الله الصبان:

في هـذه الأوضاع المتأزمة وأثناء الاسـتنفارات الشـديدة؛ حدثـت عدة أخطاء أدت إلى استشـهاد ثلاثـة من إخواننا رحمهـم الله تعالى، ففي تاريـخ ٧/ ٩/ ١٩٨١م قامـت قـوة مـن عنـاصر المخابـرات التابعـة للمجـرم ناصيـف بنصـب كمـين للأخويـن: جمـال بـارافي، وعبـد الله الصبـان، أمـام مدخـل سـوق الحميديـة، إثـر اعـتراف شـقيق الأخ جمـال عـلى مكان وزمـان اللقـاء المزمع عقـده بينهـم، بعد أن اعتقلتـه العنـاصر التابعـة للمخابرات.

وعند وصول الأخوين إلى المكان المحدد في الساعة العاشرة صباحًا، حاول

المجرمون القبض عليهما بدفع عدد كبير من العناصر المموهة وسط الزحام الطبيعي في المنطقة، ولكن انتباه الأخوين وشدة حذرهما منعا المجرمين من تحقيق أهدافهم؛ إذ تمكنا من استخدام أسلحتهم بشكل سريع أدى إلى قتل وجرح العديد من المجرمين.

وحين شعر المجرمون بقدرة الأخوين على الانسحاب والتخلص من الكمين بدأوا بإطلاق النار بشكل عشوائي كثيف، فأصابوا عشرة من المارة، فتوفي عدد منهم، كما قتل أحد أصحاب المحال التجارية، وقتلوا امرأة من المارة أيضًا، واستطاع الأخ جمال بارافي أن يفجر نفسه على العناصر التي اقتربت منه بعد أن أصيب بعدة طلقات، واستشهد الأخ عبد الله الصبان برصاص المجرمين.

- **الأخ جمال بارافي**، مواليد دمشق- الأكراد ١٩٥٦م طالب سنة رابعة في كلية الهندسة الكهربائية، انخرط في العمل الإسلامي منذ نعومة أظفاره وتربى في كنف الجماعات الإسلامية، فكانت نشأته نشأة دينية صالحة، أهلته كي يصبح من العناصر الإسلامية النشطة في حي الأكراد.

انتسب إلى تنظيم «الطليعة المقاتلة» عام ١٩٨٠م، ولوحق من قبل السلطة في أواخر عام ١٩٨٠م، ساهم بالعديد من عمليات «الطليعة المقاتلة» في مدينة دمشق، وقد تحلى الأخ جمال بالعديد من الصفات الحسنة، فكان طيب النفس، حسن العشرة، قوي القلب مثالًا للجرأة والإقدام، لا يهاب الموت، إضافة إلى تمتعه بثقافة عالية وقوة بدنية جيدة، وقد تسلم إمرة عدة مجموعات في التنظيم الجهادي، رحم الله أخانا الشهيد، وأسكنه فسيح جنانه.

- **الأخ عبد الله الصبان**، مواليد دمشق- مزرعة ١٩٥٦م، طالب سنة رابعة في كلية طب الأسنان، نشأ وتربى ضمن الجماعات الإسلامية منذ حداثة سنه، فكان لذلك الأثر الواضح في صفاته الشخصيَّة، فكان جريئًا مقدامًا، قوي القلب، عالي

الثقافة، لوحق من قبل السلطة في أواخر عام ١٩٨٠م، وساهم بالعديد من عمليات «الطليعة المقاتلة» في مدينة دمشق، عرف عنه- هو والأخ جمال- متانة جسديهما، بفضل ممارستهما لرياضة (الجيدو) العنيفة مدة طويلة من الزمن، رحم الله شهيدينا البطلين، وأسكنهما فسيح جنانه.

تم نقل الجسدين الطاهرين إلى فرع المجرم ناصيف؛ الذي كان يمني نفسه بالقبض عليهما أحياء، وقد أصيب بخيبة الأمل بعد استشهادهما في هذه المرحلة الحرجة، وقد روي عن المجرم ناصيف وعن حقارته- هو وضباطه- ما يندى له الجبين، فقد أقام حفل سكر وعربدة على جسدي الأخوين الطاهرين، فعروهما من ثيابهما وبدأوا يشربون الخمر ويسكبونه عليهما، كما فعلوا من قبل بجثة الشهيد البطل النقيب إبراهيم اليوسف، وجثة الشهيد البطل أحمد زين العابدين؛ التي نقلت إلى جبال النصيرية للقيام بطقوسهم القذرة.

رحم الله شهداءنا الأبرار الذين لن تضرهم هلوسات الحاقدين وإجرامهم، ونحن بإذن الله سوف نبدد أحلامهم حين يصحون من سكرهم على صوت الانفجار الثالث الذي سيهز دمشق هزًا عنيفًا.

اشتباك مع الأخ عبد الرزاق الخضري:

وبتاريخ ١٣/ ٩/ ١٩٨١م، بينما كان الأخ عبد الرزاق الخضري يسير مع أحد الإخوة في منطقة السويقة؛ سمع حديثه أحد المخبرين المتواجدين في المنطقة، فتابعه وبلَّغ أجهزة المخابرات عن شأنه، وعلى الفور طوقت المنطقة بأعداد كبيرة من عناصر المخابرات، فاشتبك معهم الأخ عبد الرزاق، وتمكن من قتل عنصر وجرح آخر، وحين حاصره المجرمون وأحس بعدم قدرته على الانسحاب نزع مسمار الأمان لقنبلة يدوية كانت على خصره وفجر نفسه فيهم، وصعدت الروح الطاهرة نحو بارئها.

رحم الله شهيدنا عبد الرزاق وأسكنه فسيح جنانه.

- **الأخ عبد الرزاق الخضري**، مواليد دمشق- ميدان ١٩٥٧م، طالب سنة ثانية في كلية العلوم (رياضيات- فيزياء)، نشأ في بيئة إسلامية، وترعرع في صفوف «الإخوان المسلمين» منذ صغره، فحفظ أجزاء كثيرة من القرآن الكريم، ونهل من منابع الثقافة الإسلامية، فكان داعية إلى الله بمنطقة سكناه، إذ تسلم إدارة المسجد المجاور لمنزله، فأشرف على توجيه عدة مجموعات فيه، وقد تمتع بعدة صفات حسنة، منها: تواضعه لإخوانه وتسامحه معهم، وكان قليل الكلام، مبتعدًا عن الهزل، هذا وقد انتسب إلى تنظيم «الطليعة المقاتلة» عام ١٩٨٠م، حيث لوحق في أوائل عام ١٩٨١م من قبل السلطة، وكان استشهاده في منطقة السويقة.

رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه... آمين.

اتصال المجرم رفعت أسد ببعض العلماء:

نعود الآن لنبين الموقف الحاصل إثر استشهاد الإخوة الثلاثة، إذ بلغ اليأس مداه لدى أركان السلطة؛ لأنهم لم يتركوا وسيلة من الوسائل لمنع حدوث العملية الثالثة، وأصبحوا على يقين تام من حصولها، ولكنهم جهلوا الهدف الذي ستتوجه إليه هذه المرة، وكان المجرمون في كل جهاز من أجهزة السلطة يتوقعون أن يطالهم الانفجار الثالث، وحاول المجرم أسد اللجوء إلى أسلوب جديد في التعامل مع المجاهدين؛ لإيقاف هذه العمليات، فأرسل شقيقه المجرم رفعت للاتصال ببعض علماء ومشايخ مدينة دمشق في حي الميدان، وقد جاء إليهم المجرم رفعت بنفسه على خلاف العادة- فقد كانوا يُستدعون إلى القصر الجمهوري، حيث يسمعهم المجرم أسد تهديداته- وملأت عناصر مرافقته المنطقة، وبمنتهى (اللطف والأدب) طلب منهم التوسط لدى المجاهدين لإيقاف العمليات الاستشهادية، وأعطاهم وعودًا

كاذبة للإفراج عن المعتقلين مقابل ذلك، وبدأ العلماء بنشر الخبر بين الناس، فوصل سريعًا إلى قيادة المجاهدين التي لم تلق له بالًا، فهي تعلم غدر المجرم أسد وشقيقه العاهر رفعت، وكان الرفض المطلق لهذا العرض لعدة أسباب:

١- لم تلجأ السلطة إلى هذا العرض إلا بعد أن استنفدت كل وسائلها الإجرامية من إرهاب وانتقام وضغط على الشعب الأعزل، حتى تصل إلى طرف خيط يدل على المجاهدين، وبعد أن ظهر عجزها التام عن فعل أي شيء قامت بهذه الخطوة؛ لكسب الوقت الكافي للتفكير في وسائل جديدة للإيقاع بالمجاهدين، وهذا ما أثبته تحرك المخابرات الهائل وتكثيف جهودهم للوصول إلى مجاهدينا، وكأني بالمجرم أسد يحاول تطبيق خطة (غراسياني) لكسب الوقت ضد شيخ المجاهدين عمر المختار، رحمه الله.

٢- إننا نعتقد بأن السلطة قد أعدمت- أو حكمت بالإعدام- كل السجناء من شباب «الإخوان المسلمين»، ومن المستحيل أن تقوم السلطة بالإفراج عنهم، أما بقية السجناء فهم من الذين أخذوا كرهائن للضغط على المجاهدين، وبالتالي فإن على السلطة إطلاق سراحهم دون قيد أو شرط.

٣- إن استمرار هذه العمليات الجبارة سوف يهز النظام من قواعده الأساسية، وسيؤدي إلى حصول حالة من الفوضى والتشتت في صفوف أجهزة السلطة المختلفة، ينتج عنها انشقاقات مختلفة وتناحرات فيما بينها، هذا الوضع الذي سيصل إليه النظام الظالم لا بد أن يعيق مخططاته الإجرامية، وأن يحد من نشاطه المعادي للمسلمين، وهذا ما حصل بالفعل، ولكن شاء الله أن تتوقف مسيرة هذه العمليات قبل أن تحقق غايتها أو تقطف ثمارها بالكامل، وذلك لعدة أسباب أهمها:

لمجزرة الكبرى التي ارتكبتها السلطة الطائفية المجرمة في مدينة حماة، مما دعانا إلى تغيير خططنا بشكل يتناسب مع الواقع الجديد.

جريمة نزع الحجاب

كان مـرور الوقـت يزيـد مخاوف السـلطة مـن حـدوث العملية الثالثـة، فبعد أسـبوعين لوحـظ هيجان السـلطة الكبـير وتوترهـا، من خـلال زيـادة احتياطاتها الأمنيـة لمواجهـة العملية الثالثـة، إزاء هذا الوضـع أخرنا العملية لكسـب الوقت، ولإحضـار المزيـد مـن العتاد والسـلاح وتوزيعه عـلى قواعدنا بشـكل سري دقيق، وكانـت حركـة الإخـوة تتسـم بالدقـة والحـذر، فلـم تتمكـن السـلطة من كشـف أحـد مـن مجاهدينـا، والحمد لله، ولما طـال انتظار السـلطة القاتـل دون حصول أي شيء، تفتقـت عبقريـة مجرميهـا عـن عملية خسيسـة اتصفـت بالحقـارة والوقاحة، وعـبرت عـن دنـاءة مدبريهـا أفضـل تعبـير، ألا وهـي جريمـة نـزع الحجـاب عن رؤوس النسـاء المسلمات.

بعـد مرور شـهر تقريبًـا على تنفيـذ عمليـة آمرية الطـيران، أقيم احتفـال كبير بمناسـبة تخريج إحدى الدفعات من مظليي شـبيبة الثورة التابعين للسـلطة؛ الذين كان بينهـم عـدد كبـير مـن الفتيـات المراهقـات، **وقـد ألقى المجـرم رفعـت خطابًا في هـذا الحفـل تكلـم فيه عـن التقدميـة والرجعيـة، ووعد فيـه المظليـات بمكافآت كبـيرة عـن كل حجـاب ينتزعنـه من فـوق رؤوس النسـاء المسـلمات المحتشـمات، اللائـي يـسرن في شـوارع مدينـة دمشـق، وكان تجـاوب هـؤلاء المراهقـات كبـيرًا، لقـد انتظـرن بفـارغ الصـبر فرصـة كهذه، فكـم آلمهـن طهـارة الفتيات المسـلمات، وأردن بذلـك تغطيـة عيوبهـن حـين تمرغن في مسـتنقع الرذيلة والفسـاد الـذي هيأه لهـن المجـرم حافـظ أسـد**، وانطلقـن لتنفيـذ هـذه العملية بحـماس كبـير، وفوجئ أهـالي مدينـة دمشـق بظاهرة غريبة لم يشـاهدوا مثلهـا، حتى إبان وجود الاسـتعمار

الفرنسي على هذه البلاد، فقد انطلقت آلاف المظليات بشكل مجموعات، يضم كل منها حوالي مئة فتاة، وهن يرتدين اللباس المموه، ويحملن المسدسات على أوساطهن، بينما يسير حولهن مرافقون من عناصر سرايا الدفاع المسلحين بالبنادق الروسية والمسدسات، وبدأت الجريمة القذرة بنزع أغطية الرؤوس عن النساء المصونات في الطرقات، وفي السيارات وفي الباصات، وتم ذلك بوقاحة يعجز عن وصفها القلم واللسان، وكان توزع هذه الجماعات في معظم مناطق دمشق الرئيسية، مثل: المهاجرين، مساكن برزة، أبو رمانة، العفيف، الحميدية، شارع بغداد، ميدان، أكراد، الإطفائية.

وارتسمت علامات الذهول على وجوه المواطنين؛ حيث رأوا حقارة النظام التي فاقت كل التصورات، وحدثت اشتباكات عنيفة بالأيدي أو الأسلحة بين عناصر السرايا والمواطنين، الذين بدأوا يدافعون بدمائهم عن أعراضهم ونسائهم أمام هذه الحقارة الحاقدة، مما أدى إلى استشهاد عدد كبير من المواطنين، وهم يواجهون عناصر السرايا المسعورين، وقُتل عدد من عناصر السرايا في هذه الاشتباكات، كما قتل عدد آخر من المظليات المجرمات.

هذه العملية المدبرة التي خطط لها الطواغيت الصغار، قد أثارت حفيظة الشعب المؤمن وهزت مشاعره، وملأت النفوس نقمة وحقدًا، فالاعتداء الآثم وقع على أعراض كل صفوف الشعب من مدنيين وعسكريين، ووضع الناس بموقف لا بد لهم فيه من الدفاع عن أعراضهم ونسائهم ضد عناصر السلطة ومجرميها.

وبـدأت مئـات المكالمـات الهاتفيـة تنهـال موجهـة إلى رؤوس النظام بـما فيهم المجـرم أسـد، وهي تحـذر من خطـورة الوضـع القائـم، فبـادر رؤسـاء المخابرات إلى إبـلاغ المجرم أسـد بضرورة إيقـاف هذه العمليـة، كي لا يسـتغلها المجاهدون، وأصـدر الطاغيـة أسـد قـرارًا بوقف هـذه الجريمـة في السـاعة الحادية عـشر ليلًا، وفي اليـوم التـالي انتشرت المظليات في شـوارع مدينة دمشـق، وهـن يوزعن الورود عـلى النـاس الذين كانـوا يلعنوهن ويلعنـون رئيسـهنَّ الزنديق الـذي يوجههم إلى الرذيلة والإفسـاد.

وبعـد أيـام معـدودة وقـف المجـرم الفاجـر حافـظ أسـد خطيبًا يعلـن تبريره لهـذا الفعـل الشـنيع، فقـال بصفاقـة ووقاحـة: (إننـا لا نحبـذ الحجـاب فهـو مـن العـادات الباليـة، وأنـا مع توجهـات رفيقاتنا في هـذا المجال)، وتابـع لغطه وهذره بالتحـدث عن إخواننـا المجاهدين، فحاول النيل منهم بسـوء لسـانه، وراح يلصق نعوتـه وصفاتـه بإخواننـا المجاهديـن، وأنهـى كلامـه بتحذيـر جلاوزتـه المجرمين مـن عمليـات المجاهديـن، واعتـبر هـذه العمليات الشـجاعة التي طالـت رؤوس نظامـه في أوكارهـم وجحورهـم خسـة ونذالـة ولؤمًـا، بينـما اعتـبر جريمتـه بنزع الحجـاب عـن رؤوس المسـلمات الطاهـرات تقدمًا وجـرأة وحضـارة، وأعلن عن منـع الحجـاب لطالبـات المدارس.

لقـد كان هـذا العمـل الحقـير طعنـة قوية لشـعبنا المسـلم في عقيدتـه وشرفه، مما دعـا الكثيريـن من أبناء الشـعب إلى منع بناتهم مـن الذهاب إلى المـدارس، وخرجت عـدة مظاهرات رافضة لهذا القرار في ضواحي دمشـق [قطنا، دومـا، التل...]، ولكن دولـة اللصـوص المارقـين والعصابـة المنحرفـين أصرت على تطبيـق هذا القـرار، وفي

تقديرنا أن عملية نزع الحجاب لو تكررت مرة ثانية في شوارع دمشق؛ لأحدثت فوضى تتسبب باستشهاد المئات من المواطنين المسلمين وقتل أعداد كبيرة من عناصر السرايا المجرمين.

لقد أرادت السلطة الغبية من وراء هذا الاعتداء المدبر؛ الذي أثار استغراب الناس وبعض إخوتنا المجاهدين، تحقيقَ مجموعة من الأهداف، أما نحن فلم نفاجأ بهذا العمل أبدًا على الرغم من خسته ودناءته، لأننا كنا نتوقع من السلطة أن تتصرف بمنتهى الطيش والغباء والجنون، وهنا نجمل الدوافع الحقيقية الكامنة وراء هذا الاعتداء الآثم:

١- اختبار قوة الروح الإسلامية لدى الشعب السوري المسلم، فقد عملت السلطة على استفزازه بشكل دنيء، واعتدت على حرماته دون رادع من ضمير أو أخلاق- هذا إن كانت فيهم بقية من ذلك- وأرادت بذلك معرفة ما حققته من إذلال وإفساد لهذا الشعب، من خلال البطش والإرهاب، ونشر شبكات الدعارة؛ التي ترافق وجودها مع وصول المجرم أسد إلى السلطة، لكنها توصلت إلى نتيجة كبرى سطرها عدد كبير من المواطنين بدمائهم، حين تحركوا بشكل عفوي للدفاع عن عقيدتهم، وعن أعراضهم وشرفهم ونسائهم، ولو أن هذا العمل قد تكرر لكانت عواقبه وخيمة على المجرمين.

٢- أرادت السلطة أيضًا الإمساك بعدد من الناس المتدينين، فقد بثت مخبريها في كل مكان؛ لجمع المعلومات عن المواطنين الذين شاركوا في التظاهرات التي جرت ضد قرار منع الحجاب، ولمعرفة الأحاديث التي تدور بين الناس.

٣- أما السبب الأهم من كل هذه الأمور؛ فهو محاولة استدراج المجاهدين في دمشق إلى معركة مكشوفة تتمكن فيها من القضاء عليهم، أو تجبرهم على تنفيذ عمليات محدودة ضد مظليات السلطة لاستغلالها إعلاميًّا، وليكون لها مبرر قوي للبطش بالمسلمين، علها تصل إلى أحد المجاهدين.

إن الاعتداء الآثم على النساء المسلمات في شوارع دمشق؛ ترك الأجواء مشحونة بالحقد والنقمة على السلطة، وشكل علينا ضغطًا كبيرًا قام به الكثيرون من إخواننا الذين هالتهم وقاحة النظام، فطالبوا بالرد السريع العنيف على المظليات ومن يقف وراءهم، كما أن الشعب بدأ ينتظر ردَّ المجاهدين على هذا الاعتداء المدبر.

وتوالت الأيام ولم يحدث أي شيء من هذا القبيل، لأننا وبعون الله لم نكن لنستدرج إلى معركة لم نخطط لها ولم نحدد زمانها ومكانها بأنفسنا مهما كانت الأسباب، فنحن نعلم حقيقة واحدة لا مجال للنقاش حولها، وهي: أن نظام المجرم أسد لو تمكن من القضاء على تنظيمات المجاهدين في سورية- لا قدَّر الله- فإنه سيقوم باستباحة الشعب المسلم، وسيمارس عليه أنواع القهر والإذلال، ويعرضه للفظائع والويلات، لذلك فنحن نسعى دومًا إلى المحافظة على مجاهدينا مهما كانت الظروف، ولا نرد على النظام المتسلط إلا بالعمليات المخططة والمدروسة؛ التي تطال رؤوسه وأدواته القمعية التي يعتمد عليها في تنفيذ مخططاته الإجرامية، ولذلك فقد انتظرنا مدة خمسة عشر يومًا، كان الشعب قد وصل فيها إلى مرحلة كبيرة من الضيق، نفذنا بعدها عملية التفجير الضخمة في هدف فاجأ الشعب والسلطة على السواء، ألا وهو تفجير مستوطنة الخبراء الروس.

عمليـة الشهـيد بشار السادات:

مستوطنة الخبراء الروس ١٩٨١/١٠/٥م

ففي يوم الاثنين، وقبيل (وقفة) عيد الأضحى المبارك بيومين، كانت السلطة قد منحت موظفيها إجازات من العمل بمناسبة حلول العيد، واطمأن رؤوس النظام بعد تجاوز الساعة الثانية عشرة بعد الظهر، وركنوا إلى أن المجاهدين لن ينفذوا أي عملية قبل العيد، وذلك لأن العمليات السابقة قد حدثت ما بين الساعة [١١:٠٠]-[١٢:٠٠] ظهرًا، ومن جهة ثانية فمعظم الأهداف التي يتوقعون تنفيذها قد أصبحت خالية من موظفيها، لذلك منوا أنفسهم بقضاء أسبوع هادئ ومريح، ولكن إرادة الله شاءت أن يكون هذا العيد موعدًا للسلطة بين جثث القتلى والجرحى، فبعد صدور إجازات للموظفين في الدولة كانت منطقة كراجات العباسيين تغص بالآلاف من الناس؛ الذين يريدون السفر إلى مدنهم وقراهم في شمال سورية، وما أن أعلنت الساعة الرابعة إلا ربعًا بعد الظهر حتى انطلق (طوربيد) الموت الثالث، وهو يحمل الهلاك والدمار متجهًا نحو مستوطنة الخبراء الروس، بقيادة أحد مجاهدينا البالغ من العمر عشرين عامًا، وهذا (الطوربيد) عبارة عن سيارة شاحنة صغيرة من نوع (سوزوكي)، حُملت بـ (٦٠٠ كغم) من الديناميت الشديد الانفجار، وعندما اقتربت السيارة من مستوطنة الخبراء الروس الكائنة في منطقة التجارة- قرب العباسيين، قام عناصر الحرس بفتح الباب لـ (مكرو باص) يقل عشرين خبيرًا روسيًّا، وما إن دخل (المكرو باص) حتى تبعته الشاحنة الصغيرة، فلم يتمكن عناصر الحرس من إيقافها، فصوبوا بنادقهم إليها وبدأوا بإطلاق النار عليها، فما كان من المجاهد البطل إلا أن قام بتفجير السيارة فور إطلاق النار، اهتزت مدينة

دمشق لدوي الانفجار العنيف، وصعدت أعمدة الدخان نحو عنان السماء، وعلى الفور قطعت الشوارع المحيطة بالمنطقة، مما أدى إلى توقف السير في القسم الشمالي من مدينة دمشق، وهرعت سيارات الإسعاف مولولة إلى مكان العملية، وأسرع ضباط الشرطة العسكرية بالمجيء إلى ساحة العملية، مع أعداد كبيرة من عناصرهم الذين طوقوا المنطقة وحاصروها، بعد ذلك توافدت عناصر وضباط المخابرات وشرطة النجدة حتى امتلأت المنطقة بالآلاف من العناصر المسلحة، وقد نزل عدد كبير من رؤوس النظام، وفي مقدمتهم المجرم الزنيم رفعت أسد، وزوج ابنته المجرم معين ناصيف رئيس أمن السرايا، ووزير الداخلية، وعدد آخر من الوزراء وكبار مسؤولي السلطة، وكبار ضباط المخابرات الذين وفدوا إلى المنطقة، وهم في حالة ذهول من هذه العملية المفاجئة بالزمان والمكان؛ التي أسفرت عن تدمير واجهة البناء تدميرًا شاملًا، وبعثرت جثث الجواسيس الروس هنا وهناك، وتركت في الأرض حفرة عميقة، وتلاشت جثة أخينا الشهيد رحمه الله، بينما لم يعثر لعناصر الحراسة الموجودين أمام باب المبنى على أي أثر، وانطلقت سيارات الإسعاف وشرطة النجدة إلى مكان الحادث، وبدأت عملية نقل الجرحى والقتلى، ولم تكف سيارات الإسعاف في عملية النقل هذه، فعمد عناصر المخابرات إلى إيقاف السيارات المارة في الشوارع القريبة؛ للمشاركة بنقل المجرمين إلى المستشفيات التي غصت بهذه الأعداد الكبيرة من الجرحى، وروى شاهد عيان ذلك الموقف الذي لا ينسى حين أتى السفير الروسي إلى البناء المدمر، ووقف على أطلال مستوطنته المهدمة، وهو يبكي ويذرف الدموع على رفاقه المجرمين، متناسيًا مجازر حكومته المجرمة ضد الشعوب الإسلامية، وخاصة حرب الإبادة ضد الشعب الأفغاني المسلم، كما روى أيضًا بأن المجرم رفعت أسد حاول تهدئة السفير الروسي، ولكن السفير انتهره بشدة، مكررًا أقواله السابقة

بأن النظام المجرم في سورية لم يؤمن الحماية اللازمة لهؤلاء الجواسيس الروس، في نفس الوقت جرى اتصال سريع بين دمشق وموسكو لمتابعة نتائج العملية، وأوصت الحكومة الروسية بالتكتم الشديد على هذه العملية الجبارة، حفاظًا على سمعتها الدولية، ولم تكن هذه العملية وأمثالها لتخفى على أحد من الناس، فالآلاف من الناس الذين كانوا في منطقة الكراجات سمعوا الانفجار، ورأوا بأم أعينهم كثافة سيارات الإسعاف التي تقوم بنقل الجرحى للمستشفيات، مما ساعد على نشر أنباء العملية في كل المحافظات السورية بنفس اليوم، وزاد عدد القتلى على مائة مجرم جاسوس، بينما كان الجرحى بالمئات، فبناء الجواسيس- الذي يطلق عليه اسم بناء (المرسيدس) مؤلف من (١٤) طابقًا، في كل طابق يوجد ثلاث شقق تقريبًا.

ونشير هنا إلى أن (٢٥) عنصرًا من عناصر المخابرات السورية الذين يقومون بحراسة المبنى قد لاقوا حتفهم، أما المستشفيات التي استقبلت المصابين فهي: المستشفى العسكري بحرستا، مستشفى المزة العسكري، مستشفى المواساة، مستشفى المجتهد، المستشفى الفرنسي، مستشفى الطلياني، مشفى الحياة.

وفي اليوم التالي جرت مراسيم خاصة لتوديع القتلى؛ الذين نقلوا بالطائرات من مطار المزة العسكري إلى روسيا.

هذه العملية الضخمة سببت إرباكًا شديدًا لنظام المجرمين القتلة، وأدت إلى فقدان الثقة به دوليًا، وبرهنت على عجزه عن حماية أسياده الجواسيس، وأكدت من جديد كذب ادعاءاته حول القضاء على المجاهدين، إضافة إلى الرعب الشديد الذي تركته في نفوس مجرمي السلطة؛ الذي بات مؤكدًا لديهم وقوع العملية الرابعة، وما قد تخلفه من أعداد كبيرة متوقعة من القتلى والجرحى. أما شعبنا المصابر فقد

عم صفوفه الفرح والابتهاج، ورأى الانتقام الذي يقدمه المجاهدون لعملية نزع الحجاب عن رؤوس المؤمنات المصونات، ورأى العقاب الصارم لمن يقف وراء المجرم حافظ أسد ويسعى إلى فرض الإلحاد والكفر على شعبنا المؤمن، ورأى مصير الذين يزودون جلادي النظام وسفاحيه بالمعدات الحديثة لتعذيب السجناء الأبرياء، وظهر للعيان تواطؤ الإعلام العالمي، وتستره على جهاد المسلمين وبخاصة في أفغانستان وسورية، فلم تذكر عملية خلع الحجاب، بينما أشير بكلمات بسيطة إلى عملية الخبراء؛ التي علمت بها كل الهيئات الدبلوماسية في دمشق.

رحم الله شهيدنا الغالي وأسكنه فسيح جناته. والله أكبر، ولله الحمد.

لقد أدى نجاح هذه العملية إلى رفع الروح المعنوية لدى أبناء شعبنا في سورية، وتناقل الناس أخبارها، إضافة إلى خبر مقتل السادات العميل على أيدي «الإخوان المسلمين» في مصر، وفي المقابل كانت معنويات أزلام السلطة في الحضيض، وبدأ الانتظار الرهيب للعملية القادمة المرتقبة.

كان استياء رؤوس الإجرام كبيرًا؛ من فشل إجراءاتهم المختلفة في منع حدوث العملية الثالثة، وأصبحوا أمام واقع جديد جعلهم في حالة ارتباك لم يسبق لها مثيل من قبل، وكأني بهم يتمنون لو أنهم عرضوا ما تسفر عنه هذه العمليات من قتلى وجرحى، وما تخلفه من تدمير وتخريب على شاشات التلفزيون، مرفقة بحملة إعلامية هائلة علَّ ذلك يوقف نشاط المجاهدين في دمشق، ولكن نوعية الأهداف لم تكن لتسمح لهم بذلك، فاضطروا إلى التكتم الشديد على أنباء هذه العمليات.

أما استنفار السلطة الكبير في دمشق فإنه لم يتوقف لحظة واحدة، منذ حدوث عملية تفجير مبنى رئاسة الوزراء، إلى ما بعد عملية تفجير الأزبكية واعتقال الأخ

خالد الشامي والقيام بمجزرة حماة المجاهدة، وتضاعف الاستنفار بعد تنفيذ عملية الخبراء الروس، فاستمرت الكمائن والحواجز الثابتة، وزادت الحواجز الطيارة، واتخذت إجراءات شديدة لحماية الأبنية المستهدفة، وكثرت عمليات إطلاق الرصاص على السيارات المشتبه بها، وظهر تصميم السلطة على منع العملية الرابعة، من خلال الصلاحيات المطلقة لعناصر المخابرات بإطلاق الرصاص على كل سيارة يشتبه بها وفعل كل ما من شأنه عرقلة المجاهدين، وبالفعل فقد أصبح التنفيذ خطرًا جدًا، وخوفًا من وقوع السيارة المرسلة في كمين أو حاجز حالة الاشتباه بها وانفجارها في مكان مزدحم بالمارة، فقد قررنا تأجيل العملية الرابعة مدة (٥٥) يومًا تقريبًا، مما أدى إلى انهيار أعصاب المجرمين من الانتظار الطويل، فقد أوقفت مئات السيارات المشتبه بها في شوارع دمشق، وتم تفتيشها وتفتيش أصحابها دون جدوى، وهكذا بدأ استرخاء لا إرادي لدى عناصر المخابرات الذين يئسوا من جدوى هذه الإجراءات، ولم نضيع الوقت أبدًا، فقد تلقينا في هذه المدة أكبر دفعات السلاح والعتاد التي وصلتنا خلال عمر التنظيم، وتم توزيعها بشكل سري دقيق تجلت فيه عناية الله سبحانه وتعالى، كما استمرت عملية بناء التنظيم وترميم ما تهدم خلال المراحل السابقة، وإغلاق الثغرات الضعيفة في بنائنا بشكل لا يُمَكِّن مجرمي السلطة من اختراق صفوفنا.

لقد أظهر الضغط الأمني الشديد الذي مارسه نظام المجرم الصهيوني حافظ أسد صلابة مجاهدينا وقوتهم، فكافة الشباب في التنظيم من أصغر أخ فيه وحتى أمير التنظيم عاشوا خلال هذا العام في حالة استنفار دائمة، مستعدين للموت في كل حين وفي كل آن، لقد اتخذنا قرارنا بتنفيذ هذه العمليات، ونحن نعرف تمامًا مقدار الضغط الهائل الذي ستمارسه السلطة للقضاء علينا، إننا وطَّنّا أنفسنا على كل

الاحتمالات المتوقعة، مدركين حقيقة كبرى في طريقنا، وهي أن حربنا هي حرب **عصابات قبل كل شيء، وأننا لن نستدرج إلى حرب مواجهة مهما كانت إجراءات السلطة، ومهما بلغت وحشية هذه الإجراءات**، وسنسعى لتوجيه أعنف الضربات إلى رؤوس النظام وأدواته القمعية المجرمة بإذن الله، ويالها من مرحلة شديدة ظهرت فيها معادن الرجال، كما تبين فيها أن الباطل مهما قوي وانتفش فإنه ضعيف ذليل أمام الموت، وها هي جموع ضباط المخابرات ورؤوس النظام تنكشف حقيقتها، وانتشرت الروايات المضحكة التي تتحدث عما يقوم به المجرمون من أعمال تدل على مدى جبنهم وهلعهم، وفي تقديري أنه لو وجد هنالك أدنى تكافؤ عددي ومادي بين قوة المجاهدين وقوة النظام؛ لما استطاع هؤلاء المجرمون أن يستمروا ولو لبضع ساعات قليلة أمام مجاهدينا الأبطال.

أما فيما يخص الاتصال مع الإخوة في حماة، فقد أبلغني الأخ عمر جواد أبو بكر، بأن السلطة قد كثفت من ضغطها الأمني على المدينة، وهي تقوم بأعمال استفزازية وقحة؛ لإيذاء المواطنين وإهانتهم، كي تستدرج الإخوة في حماة إلى معركة مكشوفة، وبدأت السلطة تبث الشائعات حول عزمها على إنزال مجرمي سرايا الدفاع؛ لتمشيط المدينة وقتل الآلاف من الأهالي الأبرياء، كما أكد لي الأخ أبو بكر بأنهم لن يسمحوا للسلطة بأن تبطش بالشعب، وأن الإخوة سيدافعون عن أبناء الشعب مهما كانت النتائج، فطلبتُ منه الاستمرار ضمن خطة حرب العصابات، وعدم الدخول في حرب مواجهة مهما كانت الأسباب، لأن هذا يعني القضاء على مجاهدي حماة مع عشرات الآلاف من أبناء المدينة، وسأعود لتفصيل هذه النقطة عند الحديث عن مجزرة حماة، كما أبلغته عن عدم تخلينا عن أسلوب حرب العصابات، كذلك التقيت في هذه المدة بالأخ خالد الشامي؛ الذي نقل لي بعض التفصيلات عن أوضاع حماة،

وعن عزم السلطة على البطش بالمدينة وأهلها، فطلبت منه أن ينقل إلى الإخوة هناك رأينا بوجوب ضبط النفس وتخفيف الحركة، وعدم تأثر أسلوب العمل بما ترتكبه السلطة من جرائم، وما تقوم به من مضايقات بحق الشعب، حتى يتم تجاوز هذه المرحلة، كما نقل لي أخبار الإخوة الموجودين خارج سورية، وعن صدى العمليات عندهم، وعن عزمهم القيام بإجراءات الحسم في الداخل، وسألني عن احتياجاتنا، فطلبت منه المزيد من (الديناميت)، وسأعود لتفصيل هذه الأحداث عند الحديث على اعتقال الأخ خالد الشامي.

عملية فرع الأزبكية التابع للشرطة العسكرية- فرع التحقيق:

كان من نتائج العمليات الضخمة السابقة تردي وضع النظام معنويًّا، وانهيار إعلامه في الداخل والخارج، كما ازدادت جرائمه بشكل لم يسبق له مثيل، فوقع اختيارنا هذه المرة على أحد فروع القمع والإجرام، ألا وهو فرع الأزبكية التابع للشرطة العسكرية، وقد يستغرب البعض اختيار فرع الأزبكية كهدف للتنفيذ، ولكننا سنوضح الدور الإجرامي الذي تقوم به الشرطة العسكرية في ذبح أبناء شعبنا الصابر، هذا الدور الذي استوجب القصاص العادل من المجرمين.

إن المهمة التي أنشئ من أجلها جهاز الشرطة العسكرية هي حفظ النظام داخل الجيش: (ملاحقة المجندين الفارين من الخدمة الإلزامية، رد الهاربين من ساحات القتال في حالة الحرب، إضافة للمهمات الإدارية المتعددة التي تساعد على استقرار النظام في الجيش، واجتثاث الفوضى التي قد تحصل، إنصاف المدنيين من العسكريين في حالة حدوث أي خلاف بين الطرفين...).

وعلى هذا الأساس فهو جهاز عسكري انضباطي، لا علاقة له بالأمور السياسية

بتاتًا، بينما السياسة بعرف السلطة هي من اختصاص فرع المخابرات العسكرية الذي يترأسه المجرم علي دوبا، ولكن ما هي التطورات التي طرأت على فرع الشرطة العسكرية في سورية حتى وصل إلى وضعه الحالي؟

إن الانقلاب الذي قام به المجرم حافظ أسد عام ١٩٧٠م، قد ساهم فيه جهاز الشرطة العسكرية مساهمة فعالة ومباشرة، باعتقال الكثيرين من الضباط والمسؤولين الذين أطاح بهم حافظ أسد، وقد كان على رأس هذا الفرع في تلك المرحلة العميد المجرم علي المدني، وهو من مدينة حماة، وقد كان شريكًا للمجرم أسد في هذا الانقلاب المشؤوم، وقد تخوف المجرم أسد من المجرم علي المدني؛ لأن جهاز الشرطة العسكرية كان جهازًا مستقلًّا في تلك المرحلة بشكل كامل، وكان علي المدني يتمتع فيه بصلاحيات كاملة، مما دعا المجرم أسد إلى إبعاد المجرم علي المدني عن فرع الشرطة العسكرية بعد عدة سنوات، مستغلًّا الظروف المناسبة، وقد صدقت نبوءة الشهيد القائد مروان حديد يوم حقق المجرم علي المدني معه في السجن عام ١٩٧٥م، فقال له: (يا علي المدني، أنت كعب حذاء يدوس عليك حافظ أسد، وعندما تهترئ سيرميك ويأت بغيرك).

كما قام المجرم حافظ أسد بإبعاد بقية المجرمين الذين ساعدوه في الانقلاب الذي قام به، منهم: عبد الرحمن خليفاوي رئيس الوزراء السابق، عدنان دباغ وزير الداخلية، والكثير من الضباط، أمثال: توفيق الجهني النصيري قائد الفرقة الأولى، واستبدلهم بضباط أشد ولاءً، وأكثر طاعةً، وليس لديهم أي مطامح في منافسته على السلطة.

وكان البديل عن المجرم علي المدني ابن خالة المجرم أسد، وهو المجرم قحطان

إسماعيل؛ الذي بدأ يتصرف بمنتهى الغباء والطيش، مما سبب للمجرم أسد إحراجًا شديدًا أمام الضباط والمسؤولين في الحزب والجيش، وبما أن المجرم أسد لم يكن في تلك الأيام (١٩٧٦م) يتمتع بهذا النفوذ في السلطة، فقد اضطر إلى إزاحة ابن خالته من رئاسة الشرطة العسكرية إثر حادثة ملعب العباسيين، فقد حصلت مشاجرة بين عناصر سرايا الدفاع وعناصر الشرطة العسكرية المكلفين بحماية الملعب، أثناء مباراة بكرة القدم بين سورية والكويت، وأصدر يومها قحطان إسماعيل أمرًا لعناصره بإطلاق النار في الملعب، مما أدى إلى سقوط خمسين شخصًا بين قتيل وجريح من عناصر سرايا الدفاع ومن المدنيين، مما أدى إلى حصول ضغط شديد على المجرم أسد، فاضطر إلى خلع قحطان إسماعيل وتعيين المقدم رسمي العيد بدلًا عنه.

وكان المجرم النصراني رسمي العيد مديرًا لسجن المزة، وأدى خدمات كبيرة للمجرم أسد، ومن صفاته أنه يمتلك نفسية سجان يلتزم حرفيًّا بأوامر سيده، ويتمتع بقدر كبير من البذاءة والحماقة والإجرام، وكل المؤهلات التي يملكها أنه مرتزق أعمى الولاء، لم يرتفع عن مرتبة السجانين أبدًا، وهذا ما طمأن المجرم أسد الذي بدأ بإزاحة كبار الضباط (السنة) من فرع الشرطة العسكرية، واستبدالهم بضباط من طائفته النصيرية، أو ضباط سنة مرتزقة يدينون له بالولاء الكامل، وكل همهم في الحياة هو السيارة والمنزل والليالي الحمراء، وهكذا تحول ضباط الشرطة العسكرية إلى مجرمين، كل همهم مساعدة المجرم أسد في تنفيذ جرائمه ومخططاته، ولقد توسعت دائرة التغيير في هذا الفرع حتى شملت صف الضباط والعناصر أيضًا، فتحول فرع الشرطة العسكرية من جهاز لنظام الجيش إلى جهاز إجرامي يطارد الضباط المشكوك بولائهم، ويبطش بكل مسلم يقول: لا إله إلا الله، دون أن يعترض أي ضابط منهم على ذلك.

لقد ربط المجرم أسد جهاز الشرطة العسكرية به مباشرة، فعين المقدم النصيري عادل حافظ نائبًا لرسمي العيد، وعين الكثير من الضباط النصيريين في هذا الفرع، وجعل اتصالهم مباشرًا به، مثل أحد المجرمين النقباء من آل الأحمد، وقد قتل هذا المجرم في الأزبكية، وبواسطة هؤلاء الضباط ضمن ولاء هذا الفرع بشكل كامل، وأصبح من المستحيل على هذا الفرع أن يشترك في أي انقلاب ضد المجرم أسد، وقد ظهرت حقيقة هذا الجهاز الإجرامي عندما بدأت عمليات المجاهدين في سورية منذ عام ١٩٧٦م، فقد اشتركت عناصر هذا الفرع مع عناصر فرع النجدة وفرع الأمن الجنائي في عمليات التطويق والتمشيط، والمداهمات وإطلاق النار على الإخوة، لقد تحولت كل هذه الفروع إلى أجهزة قمع وإجرام، سلطت سيف إجرامها على رقاب الشعب الأعزل، وقد دفع حرصنا على تجنب إراقة دماء عناصر هذه الفروع إلى أن يتمادوا في غيهم، وإلى بذل المحاولات المحمومة للقضاء على مجاهدينا.

فمع بداية عام ١٩٨٠م بدأ ضباط الشرطة العسكرية بإلقاء الخطابات على عناصرهم، يخبرونهم فيها أن مهمتهم أصبحت أمنية، وهي القضاء على «الإخوان المسلمين» في سورية، وبذلك فقد أصبح اشتراك الشرطة العسكرية في عمليات المداهمة التي حصلت لقواعد المجاهدين اشتراكًا فعليًّا، وخاصة في مجزرة ما بين العيدين عام ١٩٨٠م، وعمليات نصب الحواجز والاشتباكات الحاصلة في الشوارع، كما قَصَرَ المجرم رسمي العيد مهمة المباحث العسكرية على محاربة المجاهدين، وهذا الجهاز تابع للشرطة العسكرية، وهو الذي يتولى أمور المجندين الفارين، وعناصره تسير بلباس مدني ويستخدمون سيارات مدنية، هذا وقد استشهد عدد كبير من الإخوة المجاهدين على أيدي دوريات الشرطة العسكرية، كما روي بأن المجرم رسمي كان يتفوه بأحط الكلمات أثناء تطويق قواعد المجاهدين، ويطلب من مجرميه تدمير أي بناء تخرج منه طلقة واحدة من الرصاص فوق رؤوس السكان الأبرياء.

وهكـذا فـإن مجرمـي هـذا الفرع قـد تمـادوا كثـيرًا وتمرغـوا في أوحـال الجريمة بشـكل غـير متوقـع، فكانـوا يبذلـون الجهـود المحمومـة للوصـول إلى مجاهدينا بعد تنفيـذ عملياتنـا الناجحـة، ممـا اضطرنـا للتفكـير في تأديـب عنـاصر هـذا الفـرع- الأدوات المنفـذة، ولكـن إرادة الله شـاءت أن يعتقـل أحـد الإخـوة في أواخـر عـام ١٩٨٠م، ويعـترف بأنـه قـام باسـتطلاع سـيارة زيل تقـل (٣٥) عنـصرًا من عناصر تبديـل الدوريـات الأمنيـة، واعـترف بـأن المجاهديـن ينـوون مهاجمتها، لهـذا قررنا إلغـاء العمليـة، أدى هـذا الاعـتراف إلى اسـتنفار فـرع الشرطة العسـكرية اسـتنفارًا تامًّـا، فأصبـح عنـاصر الفـرع يسـيرون وبنادقهـم مصوبـة إلى صـدور المواطنـين، وزادت بـذاءة ضباطهـم وكـبر الحقـد في صدورهـم عـلى المجاهديـن، وبعـد تفجير مبنـى رئاسـة الوزراء وآمريـة الطيران؛ قام المجرم رسـمي وبقية ضباطـه بنشر أعداد كبـيرة من عناصرهـم في شـوارع مدينة دمشـق، ونصبوا الحواجـز الثابتـة والطيارة؛ للمسـاهمة في القضاء على المجاهدين، مما اسـتوجب تلقينهم درسًـا لا ينسـوه على مر الأيـام، ولم يكـن هنالـك بدل عن القيـام بعملية ضخمـة تقذف في قلوبهـم الرعب، وتقـضي على عـدد مـن رؤوسـهم وأدواتهـم القمعية.

ونذكـر هنـا أن فرع الشرطـة العسـكرية قام بتأمـين عناصر الحراسـة والحماية لكثـير مـن الأبنية المتوقـع ضربها من قبـل المجاهدين في دمشـق، وبذلت في سـبيل ذلـك جهـود كبيرة، ولقـد توقع ضباط هـذا الفـرع كل شيء إلا أن تكـون العملية التاليـة عندهـم، إذ أنهـم ظنـوا بـأن المجاهديـن لا يعرفـون حقيقـة المهـات التـي يقومـون بهـا، مما جعـل الضربة تـأتي مباغتة صاعقة قويـة؛ أدت إلى كسر شـوكتهم وتمريـغ رؤوسـهم العفنـة في التراب.

لقد أثبتت الأيام أن القوى المجرمة مهما بلغت من القوة والجبروت والاستبداد

فإنها لن تستعصي على مجاهدينا، الذين لا يملكون من الإمكانيات المادية إلا النزر اليسير، ولكنهم يملكون إيمانًا بالله تعالى وإيمانًا بعدالة قضيتهم، هذا الإيمان أقوى من كل أسلحة المجرمين الحاقدين.

لقد أثبتت المعركة غباء المجرم رسمي العيد، الذي كان يدفع ضباطه وعناصره دفعًا إلى ساحة الموت، ظنًّا منه أن نفوس إخواننا شبيهة بنفوس عساكره الخائفة الذليلة، التي يمارس عليها هواياته بالتحكم والتسلط والإذلال، ولم تكن ظنونه إلا وهمًا أو ضربًا من ضروب الخيال، فلن تقدر عناصره الذليلة مهما كثرت على قذف الرعب في قلوب إخواننا المجاهدين، ولو كان هذا المجرم يتمتع بذرة من فهم لعلم أن الرتب والنياشين التي يحملها هو وضباطه لا تساوي عندنا جناح بعوضة.

لقد قررنا القصاص من المجرم رسمي العيد، ومن بقية الضباط المجرمين في كافة فروع المخابرات الذين ارتكبوا الجرائم والآثام بحق شعبنا الآمن.

وإن ثأرنا لن يموت بإذن الله مهما طالت الأيام، وها هي الأحداث تتابع لتبرهن يومًا بعد يوم بأن انتقام الله من هؤلاء الكافرين المجرمين قد جاءهم في الدنيا قبل الآخرة ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٦].

ولسوف يزول حكم الإرهاب وتشرق شمس الإسلام فوق ربوع سورية الحبيبة بإذن الله.

ففي يوم الأحد ٢٩/ ١١/ ١٩٨١م، صدرت الأوامر بتنفيذ عملية تفجير فرع الأزبكية التابع للشرطة العسكرية، فانطلق (طوربيد) الموت يقوده المجاهد الشهيد البطل ياسين ساريج، وهذا (الطوربيد) عبارة عن سيارة من نوع (سوزوكي)

محملة بـ (٢٤٠ كغم) من الديناميت، وحين أصبح الأخ المجاهد قريبًا من البناء المستهدف ضاعف سرعته، ودخل بالسيارة إلى أسفل البناء، ثم ترجل منها وبدأ بإطلاق الرصاص على حراس المبنى، الذين فوجئوا بأمر لم يتوقعوه وبجرأة لا عهد لهم بها، وبعد لحظة من التردد بدأوا بإطلاق نيران غزيرة بشكل عشوائي، مما ساعد على إخلاء الشارع من السيارات والمارة، واستشهد الأخ ياسين ساريج على بعد مئتي متر عن المبنى، ودون علم أو دراية خرج عدد من ضباط الشرطة وعناصرهم، وتحلقوا حول السيارة كما حدث في الآمرية تمامًا، وما هي إلا دقائق معدودة حتى دوى الانفجار الرهيب الذي هز مدينة دمشق بأكملها بعد أن ترك مغارة كبيرة في هذا المبنى، وتطايرت أشلاء المجرمين في الهواء، وبعثرت في جوانب الشارع، بينما استنفرت عناصر المخابرات المسعورة، فامتلأت الشوارع بالدوريات، وطوقت المنطقة بأعداد كبيرة من عناصر المخابرات، وكثرت حوادث إطلاق النار على السيارات المشتبه بها، وبدأت عملية واسعة من إخلاء القتلى والجرحى، فاستخدم لذلك إضافة إلى سيارات الإسعاف سيارات المواطنين التي كانت تمر بالقرب من المنطقة.

إن هذه العملية كانت صدمة نفسية كبيرة لضباط الشرطة العسكرية، الذين انهاروا لهول العملية الشجاعة، وكان المجرم رسمي العيد أشدهم انهيارًا حين فقد توازنه، لقد أسفرت العملية عن قتل وجرح حوالي ثلاث مئة شخص، ما بين عنصر أو صف ضابط من الشرطة العسكرية، ولم ينج منهم إلا بعض الجرحى، وقتل أيضًا ما يربو على عشرين ضابطًا، نذكر منهم:

١ - العميد عيد مكاريوس.

٢- عقيد من آل الزعبي.

٣- مقدم من آل زين العابدين.

٤- نقيب من آل الأحمد، وهذا مقرب جدًّا من المجرم أسد.

وقد كتبت السلطة ما يقرب من تسعين اسما من أسماء القتلى والجرحى على نصب تذكاري أقيم بالقرب من مكان الحادث.

ودمر جراء العملية أيضًا مستوصف تابع للمخابرات الجوية يقع داخل المبنى، وقتل فيه (٢٤) عنصرًا، كما قتل عدد من ضباط وعناصر شعب التجنيد التي تقع في نفس المبنى.

ونود هنا قبل التحدث عن نتائج العملية وآثارها ومحاولات السلطة الإعلامية لاستغلال الوضع، نود ذكر بعض الحقائق التي لابد منها لتوضيح الصورة الحقيقية للعملية وما رافقها من أحداث:

١- معظم المجرمين المتواجدين في المبنى هم من الموالين للمجرم أسد الحاقدين على الإسلام، الذين لم يدخروا جهدًا في حربهم ضد المجاهدين.

٢- يعتبر هذا الفرع ذراعًا طويلة ضد المجاهدين، نظرًا لموقعه الحساس بالقرب من مركز المدينة، مما يساعد على تدخله السريع في كل الحوادث التي تجري بين المجاهدين والسلطة.

٣- وقوعه في منطقة سكنية بالقرب من إشارة للمرور، وهذا ما دعا السلطة إلى استغلال الحادثة، وتصويرها على أنها انفجار في سوق تجاري يستهدف المواطنين الأبرياء.

أما نحن فقد أخذنا للأمر عدته، ووضعنا الاحتياطات اللازمة لمنع إصابة أي إنسان بريء، فقد جعلنا توقيت الانفجار بعد مدة خمس دقائق من وصول السيارة إلى المبنى، أي بعد خمس دقائق من حدوث الاشتباك وإطلاق النيران الكثيفة التي سمعها معظم الناس القريبين في المنطقة، وقد أصبح أبناء شعبنا يعلمون ما سيحدث بعد هذه الاشتباكات، فقد اندفع سائقو السيارات مبتعدين عن المنطقة بأقصى سرعة ممكنة، وانقطع مرور السيارات أمام المبنى، وبذلك نجحت إجراءاتنا المتخذة لمنع قتل الأبرياء، فلم يقتل في التفجير أي مواطن بريء، ولم تدمر سيارة مواطن بريء واحد، بل إن السيارات التي احترقت ودمرت هي سيارات الشرطة العسكرية فقط.

هذه العملية الجبارة تركت أزلام السلطة ومجرميها في حالة من الخوف والفزع لم يسبق لها مثيل، وجعلت معنوياتهم في الحضيض، وبات الجميع وهم ينتظرون مصيرهم الأسود المشؤوم، فقامت السلطة بالعمل على محورين:

١- المحور الإجرامي: حيث زجت بكل إمكانياتها القمعية للقضاء على المجاهدين، والانتقام من أبناء الشعب الذين غمرتهم سعادة لا توصف بالرغم من شبح الإرهاب الذي خيم على مدينة دمشق، بعد أن فرضته السلطة من خلال نشر أعداد كبيرة من عناصرها في الشوارع (دوريات متحركة، دوريات مترجلة، حواجز ثابتة وطيارة، مخبرين).

٢- المحور الإعلامي: الذي خرس عن العمليات السابقة بعد أن ابتلعتها السلطة مع ألف غصة، وهي في حالة عجز كامل عن إيقاف هذه السلسلة من العمليات الجريئة، وكم كانت تتمنى أن تستخدم إعلامها للضغط علينا لإيقاف عملياتنا، ولكن نوعية الأهداف السابقة وأماكن تواجدها منع السلطة من ذلك.

أما في هذه العملية فقد بلغ الحنق والغيظ حدًّا عظيمًا عند السلطة، فحاولت تشويهها ووصفها بأنها حصلت في شارع مكتظ بالمارة.

الحملة الإعلامية المسعورة:

تناقلت وكالات الأنباء العالمية والإذاعات أخبار العملية على الفور دون تحديد نوعية الهدف، واكتفت بالإشارة إلى حدوث انفجار رهيب في مدينة دمشق، وفي المساء أصدرت السلطة المجرمة بيانًا كاذبًا حول العملية أذيع من الإذاعة والتلفزيون، وأرفق البيان بعرض صور للمجرمين المضرجين بدمائهم، مدعية أنهم أناس أبرياء قتلوا في حادث الانفجار، ثم عرضت صورة الأخ الشهيد: ياسين ساريج رحمه الله تعالى، وطلبت من عملائها الاتصال بأقرب مركز أمني للإبلاغ عن اسمه، وتكرر عرض هذه المشاهد عدة أيام، ضمن حملة إعلامية بشعة حاولت السلطة من خلالها أن تحقق عددًا من الأهداف المختلفة، وسنبين هنا كذب ادعاءات السلطة ونحاول إيضاح نواياها الخبيثة:

١ - لقد أرادت السلطة أن تؤثر عاطفيًّا على شعبنا الصابر، وذلك بعرض صور القتلى والجرحى الملطخين بدمائهم، بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الإعلام السوري؛ الذي دأب سابقًا على عرض صور مجاهدينا الشهداء دون عرض صور مجرمي السلطة المقتولين آنذاك من أجل تحطيم معنويات الشعب المسلم، أما في هذه العملية فقد اختلف الأمر؛ إذ حاولت استدرار العطف بتقريب كاميرا التلفزيون من الجثث وإظهار مناظر الدماء عليها، ومن الطبيعي أن منظر الشخص القتيل يثير الشفقة بالنسبة للإنسان العامي، ولكن أبناء شعبنا الواعين الذين عرفوا النظام وجرائمه، ما كانت هذه التهويشات الإعلامية لتغير

موقفهـم مـن النظـام العميل، ولو قـدر لأي فـرد من أبناء شـعبنا أن يـرى ما يحدث مـن جرائم وفظائع داخل سـجون الظلـم والطغيان؛ لطالبنا بقتـل العشرات والمئات بـل الآلاف من المجرمـين الذين لطخوا أيديهـم بدماء الأبرياء، ورتعوا بفسـادهم في أنحـاء البلاد، لقد لمسـت السـلطة تعاطف أبناء شـعبنا المؤمن مع مجاهديـه الأبطال، وخاصـة في عمليـات التفجير الجبـارة، فأرادت أن تخفف من هـذا التعاطف بتصوير مناظـر القتلى والجرحـى وعرضها عـلى التلفزيون.

٢- محاولة الضغط على المجاهدين لإرباك صفوفهم الداخلية، وذلك بالتهويش الإعلامي الذي حاول أن يظهر القيادة وكأنها أخطأت في انتقاء الهدف، وإن حكومة الكفر والطغيان أدرى الناس بإيمان وتقوى مجاهدينا وحرصهم على عدم إراقة نقطة دم واحدة من دماء الأبرياء، فلذلك ركزت السلطة على ادعاءاتها على أن عددًا كبيرًا من الأبرياء قد قتلوا في الحادث، ولكن مجاهدينا كانوا أكثر وعيًا وأشد صلابة مما تصورته السلطة.

٣- كانت السلطة تحاول كسب الوقت بأي ثمن؛ علها تتمكن من فتح ثغرة داخل التنظيم، وبالتالي اعتقال أحد الإخوة القياديين للوصول إلى إخوة قياديين آخرين، عند ذلك يتسنى لها إيقاف العمليات إن لم تتمكن من القضاء على التنظيم، وقد رافق هذه الحملة الإعلامية استنفار هائل، وحملة اعتقالات واسعة جدًّا شملت قطاعات كبيرة من أبناء شعبنا الأبرياء، مدنيين وعسكريين، الذين مورست عليهم أحط وأخس أساليب التعذيب التي عرفتها البشرية.

٤- أرادت السلطة أيضًا أن تزعزع الثقة والتعاطف الكبيرين اللذين يحظى بهما مجاهدونا من الشعوب العربية لجهاد شعبنا السوري، فالسلطة تعرف مدى متابعة

الشعوب العربية لجهاد شعبنا السوري، وتعرف ما يقدم من مساعدات، فحاولت تشويه الصورة وجعلها ضد الأبرياء، دون أن تشير إلى أن البناء هو فرع للشرطة العسكرية، كما قامت بتسجيل عدد من أشرطة الفيديو، وتوزيعها على الدول العربية وعدد من الدول الغربية ذات العلاقات الحميمة مع المجرم أسد، وذلك لتشويه صورة مجاهدينا أمام العالم.

استمرت إذاعات العالم ووكالات الأنباء بنقل أنباء هذه العملية لمدة أسبوع، فقد تصدرت أنباء العملية نشرات الأخبار في معظم الإذاعات، واضطر النظام إلى الكشف عن بعض ما يجري في سورية، وإلى فتح ملف «الإخوان المسلمين» من جديد، وبدأت التحليلات عن أوضاع سورية من مختلف الإذاعات والصحف والمجلات، وقد أشار الكثيرون من المعلقين والمحللين إلى ما يجري داخل سورية من بطش وظلم وإرهاب وتنكيل، مما دفع أبناء الشعب المسلم إلى الرد على النظام بنفس الأسلوب، كما أعيدت إلى الأذهان مجزرة تدمر الرهيبة، التي قتل فيها (١٠٠٠) شهيد من خيرة أبناء سورية، أطباء، مهندسين، مدرسين، علماء، طلابًا، إلا أن الدول الاستعمارية تجاهلت حقيقة النظام المجرم، فأرسلت برقيات التعزية والتأييد للمجرم أسد الذي أصبح في وضع نفسي مهزوز، مما دعا كبار المجرمين في العالم إلى شد أزر هذا المجرم العميل؛ للحفاظ على مصالحهم، ولسحق شعبنا المسلم في سورية.

فأرسل المجرم (رونالد ريغن) رئيس أمريكا برقية استنكار إلى المجرم أسد، منددًا بالإرهاب والإرهابيين، ناسيًا أو متغافلًا عن حقيقة أساسية يعرفها كل العالم، وهي أن أمريكا منبع الإجرام، وأن المسؤولين فيها - وعلى رأسهم (ريغن) نفسه - هم أكبر المجرمين في هذا العالم، لقد استباحوا شعوبًا بكاملها حين عينوا عليها حكامًا مجرمين، وأمدوهم بمقومات البقاء، وأعطوهم أحدث وسائل

التعذيب، وعلموهم فنون التصفية الجسدية البشعة، وطرائق الإجرام، ثم بعد ذلك يتشدقون بكل وقاحة وصفاقة بشجب (الإرهاب والإرهابيين) يعنون بذلك الأحرار الذين يدافعون عن بلادهم ودينهم وأعراضهم، استنكر (ريغن) عملية فرع الأزبكية للشرطة العسكرية، وتجاهل حقيقة هذا الفرع القمعية، ونسي أن يستنكر مجزرة تدمر الرهيبة؛ التي قتل فيها ألف شخص من السجناء العزل من السلاح، وعمي وصم عن مجزرة مدينة حماة؛ التي أبيد فيها أربعون ألف شهيد من الشيوخ والأطفال والنساء، ودمرت فيها أحياء بكاملها فوق أهلها وساكنيها، تعادل ثلث المدينة، وعلى غرار رسالة المجرم (ريغن) أرسل المجرم المقبور (ليونييد برجنيف) برقية إلى تلميذه المجرم أسد، استنكر فيها عملية الأزبكية، ونسي هذا المجرم (٢٥) مليونًا من المسلمين أبيدوا في روسيا، ونسي دماء المسلمين في تركستان وأفغانستان التي لم تجف بعد، لقد استنكر قتل حفنة من الجلادين المجرمين الذين أذاقوا شعبنا الأمرين، وكان حريًّا به أن يصمت خجلًا مما يرتكبه هو وزبانيته ضد المسلمين في كل أنحاء المعمورة.

وتوالى سيل البرقيات من أكابر مجرميها، وظهر بكل وضوح أن الشرق والغرب مصمم على دعم نظام المجرم أسد، وهذا ما أكد لنا الحقيقة الكبرى التي سرنا على ضوئها وما زلنا عند قناعتنا بها، ألا وهي: أن جميع حكومات العالم تحارب وصول الإسلاميين إلى الحكم في سورية، حتى وإن كان ذلك خيار الشعب وقراره وانتخابه، وأن الاستعماريين الشرقي والغربي يريدان إبادة المسلمين في سورية وطمس معالمها الدينية، والحفاظ على نظام المجرم أسد وعلى أزلامه الأقزام؛ الذين باعوا سورية وشعبها مقابل كرسي الحكم.

وتأكدت الحقيقة الكبرى وهي أن شعب سورية لن يتخلص من نير هذا النظام

المجرم العميل إلا بالقضاء عليه بالقوة كما تسلط هو بالقوة، ووضع العالم كله تحت الأمر الواقع، كما فعل المسلمون بلبنان في مناطقهم- وذلك أثناء الحرب الأهلية في لبنان- عند ذلك فقط يتمكن شعبنا من استرداد كرامته وحريته السليبة، ويؤدي رسالته إلى العالم بعيدًا عن أجواء الإرهاب والخطف والتعذيب التي تقتل في الشعب روح التنور والتقدم.

ومما حصل بعد تنفيذ العملية أن عدة جهات أعلنت مسؤوليتها عن العملية، منها: منظمة تحرير لبنان من الغرباء، كما كان يحصل عند كل عملية تنفيذ، إلا أن هذه الجهات تراجعت سريعًا تحت الضغط الإعلامي الشديد، بينما أصرت السلطة على نسب العملية إلى جماعة «الإخوان المسلمين» وطليعتهم المقاتلة، ظنًّا منها أن ذلك سوف يسبب الكثير من الإرباكات، ولكننا منذ تأسيس التنظيم الجهادي المسلح على يد الشيخ الشهيد القائد مروان حديد، وإطلاق الرصاصة الأولى بيد القائد الشهيد عبد الستار الزعيم، دأبنا على تحمل مسؤولية كل الأعمال التي نفذناها فوق الساحة السورية، دون خوف أو تردد أو خجل، فتنظيمنا الجهادي يمتلك بفضل الله تاريخًا ناصعًا من التضحية والفداء والبطولة، وسجلًّا حافلًا بأسماء الآلاف من شهداء «الإخوان المسلمين» الذين بذلوا دمائهم وضحوا بكل شيء في سبيل الله؛ لتخليص شعبنا المسلم من الطاغية أسد، وإزاحة جو الإرهاب المسيطر على نفوس الناس، لذلك نحن نتحمل مسؤولية العملية كاملة، ولن يستطيع المجرم أسد مهما أوتي من دعم ومساندة، ومهما امتلك من إمكانيات إعلامية أن يطمس الحقيقة الناصعة، وأن يشوه تاريخ مجاهدينا المليء بالبطولات، ولن يخفى الدور الإجرامي الذي قامت به أجهزة الشرطة العسكرية حين شاركت في تطويق مدينة حماة ومنعت الناس من مغادرة المدينة، وقامت باعتقال الجنود الشرفاء الذين رفضوا أوامر المجرم أسد

وزمرته الطائفية المجرمة في قصف النساء والأطفال وتهديم المنازل فوق رؤوس ساكنيها، هنالك ظهرت بطولات الشرطة العسكرية في محاكمة العسكريين الشرفاء، محاكمات ميدانية تنفذ فيها الأحكام بشكل سريع.

وكان للشرطة العسكرية دور آخر لا يقل خسة وإجرامًا عما ارتكبته بحق شعبنا وجيشنا ومجاهدينا، وذلك حين نصبت حواجزها على الطرق المؤدية إلى لبنان إبان الاجتياح الإسرائيلي للبنان وحصار مدينة بيروت، فمنعت دخول المتطوعين الفلسطينيين الذين أرادوا المشاركة في القتال ضد العدو الصهيوني، لا بل اعتقلتهم وأودعتهم في سجونها، كما منعت أيضًا وصول الإمدادات العسكرية إلى المقاتلين الفلسطينيين هناك.

لقد كانت عملية الأزبكية قصاصًا عادلًا جزاء ما اقترفه مجرموها من بطش وإرهاب، وأذكر هنا أننا أوضحنا في منشورنا الأول الذي وزع عام ١٩٧٩م، وعلم بمحتواه كافة أبناء الشعب السوري، أن معركتنا هي مع المجرم أسد وأركان نظامه وأعوانه، وطلبنا من الضباط والعناصر في الجيش والشرطة عدم الانصياع لأوامر المجرم أسد، وأعلنَّا أن عمليات التعذيب الوحشي التي يمارسها جلادو النظام ومجرموه في أقبية التعذيب لن تثني عزمنا بل ستزيد نار ثأرنا اضطرامًا، وحذرنا كل المتعاونين مع نظام العمالة والإجرام من مغبة فعلهم؛ لأن عمليات المجاهدين سوف تطالهم أينما حلوا وحيثما ارتحلوا، وقلنا يومها: (إن موعدنا معكم ساحات سورية ساحات العزة والبطولة والكرامة).

واستمر مجاهدونا بتصديهم للنظام المجرم وأدواته القذرة رغم الإرهاب الذي أشاعته السلطة فوق ربوع سورية، ونحن نعلن أن عملية الأزبكية ليست هي

الأخيرة، وستثبت الأيام عزم وصدق مجاهدينا، وإن موعدنا معهم ساحات سورية حتى تتحرر من المجرمين، ويعود لها وجهها الإسلامي الأصيل.

خيم على دمشق بعد عملية الأزبكية جو شديد من الإرهاب فاق كل ما سبقه من إرهاب، وعم الفزع كل قطاعات الشعب، وصارت دمشق ثكنة عسكرية، فانتشرت عناصر السلطة في كل مكان، وساد الحذر عند المواطنين العزل الذين خافوا من انتقام السلطة فصاروا يعودون لمنازلهم فور الانتهاء من أعمالهم؛ لئلا يتعرضوا للاعتقال وما يعنيه ذلك من تعذيب وإذلال وإيذاء، إذ أن السلطة اعتبرت كل إنسان لا ينتسب لحزبها أو يؤيد نظامها فهو من «الإخوان المسلمين».

ولم يقتصر الخوف والفزع على المواطنين العزل، بل إن مجرمي السلطة وأزلامها أنفسهم سيطر عليهم الرعب والهلع، وانقطعت قلوبهم عند رؤيتهم بأم أعينهم المصير المشؤوم الذي ينتظرهم، فقد رأوا على شاشات التلفزيون جثثًا لقتلى كانوا قبل أيام ذوي نفوذ وسلطة يأمرون وينهون، ويعتقلون الناس ويرتكبون الآثام وينتهكون الحرمات، مما أدى إلى أن يطلب الكثير من أزلام السلطة منحهم إجازات هروبًا من عمليات التفجير، وسيطر عليهم الرعب داخل مكاتبهم حين توقعوا الموت في كل لحظة.

وبالمقابل فقد وجد فريق آخر لم يرهب الموت أو يخاف القتل، فريق باع نفسه لله عز وجل ورضي بقضائه، ووطن نفسه على الموت في سبيل الله، إنهم مجاهدونا الميامين الذين حملوا أرواحهم على أكفهم وأصابعهم على الزناد دون مبالاة بالموت، مستعدين لكل الاحتمالات.

وبعد مدة وجيزة اختار الله عددًا منهم شهداء، بعد أن سطروا أروع ملاحم البطولة والفداء التي ستظل فخرًا لشعبنا مدى السنين والأيام، وسيعرف شعبنا في

المستقبل إن شاء الله الحقائق المذهلة عن مجاهدينا الشهداء رحمهم الله، وإنما يمنعنا من ذكر شيء عنهم ضرورات أمنية معينة.

وهكذا نرى أن إرهاب السلطة انقلب على أزلامها، ودفع الشعب بكل فئاته ثمن السياسة الإجرامية الحمقاء التي انتهجها المجرم أسد منذ وصوله إلى الحكم.

كيف كان مخططاً للعملية أن تحدث:

إن المخطط الذي كان موضوعًا لتنفيذ العملية يقضي بقيام الأخ ياسين ساريج بعملية استشهادية، غير أنه يخرج من السيارة ويشتبك مع عناصر حراسة المبنى البالغ عددهم أكثر من عشرة عناصر بالقرب من السيارة قبل أن تنفجر، وكانت النتيجة المحتملة في اشتباك كهذا هي أن الأخ ياسين قد يصيب بعض الحراس قبل أن يستشهد، وأن يخفي انفجار السيارة بعد ذلك ما تستدل به السلطة على شخصية المنفذ، غير أن الأمور لم تكن كذلك، فرغم أنه يحمل مسدسًا من عيار (٩ ملم) وأسلحة حرس المبنى بنادق الروسية، إلا جبن عناصر الحراسة لم يكن متصورًا لهذا الحد، فقد ذهلوا لهذا الموقف، وأصيبوا بالصدمة لدى رؤيتهم هذا الفتى الذي لا يتجاوز الثامنة عشرة من عمره وهو يقتحم حراستهم بسيارته، ثم يترجل منها بجرأة لم يشهدوا مثلها من قبل، ويبدأ بإطلاق الرصاص عليهم من مسافة قريبة.

والذي حدث بعد ذلك هو أن الأخ ياسين لاحظ شرود الحراس وذهولهم، فاستغل الوضع الجديد وبادر بالانسحاب، وظل يطلق النار عليهم أثناء انسحابه من ساحة العملية حتى ابتعد عن أنظارهم، ولكن الله سبحانه وتعالى شاء أن يستشهد الأخ ياسين بعيدًا عن ساحة العملية، حين أطلق عليه أحد

حـراس إدارة الوقـود الواقعـة في الشـارع المـوازي النـار مـن الخلـف، وحين شـعر الأخ بإصابتـه وقربهـم منـه فجر نفسـه عليهـم بقنبلتين يدويتـين كانتا معـه، ولكن وجهـه لم يتأثر بانفجارهما، وقامت السـلطة باسـتغلال ذلك فعرضـت صورة الأخ ياسـين على شاشـة التلفزيـون وعرَّفـت عملاءهـا عليه، وسـارعت باعتقـال أفراد عائلتـه حتـى الطفـل الرضيـع، واعتقلـت أصدقـاءه ومعارفـه، ومارسـت ضدهم أبشـع عمليـات التعذيب الانتقامية وأشـنعها مع علمها بأن لا علاقـة لهم بالتنظيم، ولفقت السـلطة مقالًا أذاعته على الملأ، أعلنت فيه أن الأخ ياسـين قد غادر سـورية منـذ شـهر ونصـف إلى الأردن حيث تدرب هنـاك وعاد بالسـيارة الملغومـة، لِتُظهرَ للعـالم أن العمليـات إنما يخطط لهـا من الخـارج، والحقيقة هي أن التاريـخ الذي ذكر هـو تاريـخ مغـادرة الأخ ياسـين لمنزل أهلـه، حين شـعرت القيادة بأن السـلطة على وشـك القيـام بحملـة اعتقالات عشـوائية قد تشـمل الأخ ياسـين؛ الذي اسـتقر به المقـام في إحـدى قواعـد المجاهديـن إلى أن استشـهد في عملية الأزبكيـة، وعلى هذا فهـو لم يغـادر سـورية أبـدًا، وحاولـت السـلطة أن تسـتغل صغر سـن الأخ وعمله بمختلـف المهن الحرة لكسـب قوته، اسـتغلالًا يشـوه سـمعة الأخ ويظهـره بمظهر المرتـزق، ولكـن افتراءها هـذا لم يكن ليغير صورتـه عند من عرفـوا صلاحه وتقواه والتزامـه بـشرع الله، وعرفـوا جهـده وعرقه في كسـب قوته.

وإن شعبنا ليعرف من هم العملاء والمرتزقة، كما يعلم فضل مجاهديه، وقد كان اختيارنا للإخوة الذين نفذوا العمليات الاستشهادية في سن العشرين عامًا تقريبًا، حرصًا منا على المحافظة على الإخوة الحركيين أصحاب الخبرة في العمل، وادخارهم لاستمرار المعركة.

رحم الله شهيدنا الغالي وأسكنه فسيح جنانه.

اعترفت السلطة في بياناتها الرسمية بمقتل (١٠٠) وجرح (١٦٤) عنصرًا من مجرميها، والحقيقة أن عدد القتلى قد فاق ثلاث مئة شخص ما بين ضابط وصف ضابط وعنصر، ونشرت السلطة أيضًا خلال الأيام التي تلت العملية عدة صور مشوهة لقتلاها، مدعية أنهم من الأبرياء الذين لم تعرف أسماءهم، طالبة من المواطنين مساعدتها في التعرف عليهم والإدلاء بمعلومات حولهم، في محاولة مكشوفة لاستمرار عملية الخداع والتضليل.

لقد ادعت السلطة أن هذه العملية قد أسفرت عن قتل وجرح العشرات من الأبرياء، ولكنها لم تتمكن إلا من إجراء مقابلة واحدة مع أحد المواطنين الذي كان مارًّا في الطريق، وأصيب بجروح طفيفة غادر على أثرها المستشفى في نفس اليوم، كما أجرت مقابلة تلفزيونية أخرى مع مارينا روز صاحبة صالون مارينا الواقع في البناية المجاورة لفرع الشرطة، وحاولت استغلال ذلك ضد مجاهدينا، وهذه المقابلة هي أبلغ دليل على أنه لم يسقط أي إنسان بريء في هذه العملية، ولو كان الأمر كما ذكرت السلطة لما توانت عن نشر صورهم وأسمائهم وأماكن عملهم، ولكن شيئًا من هذا الأمر لم يحدث؛ لأن كل من قتلوا هم من العسكريين التابعين للنظام.

وقد نقلت ثلاث طائرات أعداد كبيرة من جثث النصيريين إلى مطار اللاذقية، كما نقلت طائرتان أعدادًا أخرى إلى دير الزور، ولوحظ أن عدد الذين دفنوا في دمشق قليل جدًّا.

كانت العملية نكسة كبيرة للمجرم أسد، ولعميله القزم رسمي العيد، فقد نشرت الرعب والهلع في نفوس أزلامهم المرتزقين.

وقررت السلطة القيام بمسيرة احتجاجية على هذه العملية الجبارة؛ لرد الروح المعنوية المنهارة عند زبانية النظام، وكما هو معتاد قامت أجهزة المخابرات بحشر الناس قسرًا للاشتراك في المسيرة المزمعة، وسط حزام أمني لا يستطيع أحد الإفلات منه، وسيق طلاب المدارس والجامعة وعمال المصانع، والموظفون العاملون في مؤسسات الدولة إلى هذه المسيرة بالإكراه، وأثناء المسيرة قطعت شوارع دمشق، وقامت الإذاعة والتلفزيون بنقل وقائع المسيرة على الهواء مباشرة، وقد ألقيت كلمات مختلفة كان من أبرزها كلمة المجرم عبد القادر قدورة؛ الذي يشغل منصب نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية، وهو لص معروف بفسقه وفجوره وفساده، فقد أرغى وأزبد وخار كما يخور البقر، ومما جاء على لسانه: (إن «الإخوان المسلمين» يقتلون نساء دمشق حرائر العرب)، فهو غاضب لنساء دمشق يدافع عنهن ويثور من أجلهن، وما أغرب ذلك! إذ أن هذا المجرم الزنديق الفاسد لم ينبس ببنت شفة يوم قام المجرم الزنيم رفعت أسد آمرًا سراياه بخلع الحجاب عن رؤوس النساء في دمشق، فأين كان المجرم قدورة الذي نصب نفسه مدافعًا عن حرائر العرب في ذلك الوقت؟ أين كان هو وأضرابه من خنازير النظام؟ لقد كانوا يقضون الليالي الحمراء ويرشفون كؤوس الخمر على أنغام الموسيقى؛ احتفالًا بهتك الأعراض والتعدي على الحرمات، وقد قيل: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، ولنا حساب مع هؤلاء العملاء الذين لن يفلتوا من انتقام شعبنا بإذن الله.

مرحلة ما بعد الأزبكية:

في هذه المرحلة حدثت تطورات هامة وخطيرة كان لها نتائج مهمة أثرت على سير العمل الجهادي في سورية، وهذه التطورات حدثت على صعيدين:

١- الصعيد الداخلي: في دمشق استشهد عدد من إخواننا أثناء مداهمة ثلاث قواعد لنا، واعتقل آخر، وفي حماة تأزمت الأمور كثيرًا، وبدأت السلطة بعملية استفزاز لم يسبق لها مثيل استمرت حتى حدوث المعركة، وانتهت بمجزرة حماة الكبرى حيث كان الاتصال بيننا وبين الإخوة في حماة قد انقطع.

٢- على الصعيد الخارجي: اعتقل الأخ نبيل حبش في قبرص ونقل إلى دمشق، فاعترف على الأخ خالد الشامي، كما اعترف على تنظيم الضباط داخل الجيش، وتم اعتقال الأخ خالد الشامي الذي اعترف على مراسل حماة معنا، الذي اعتقل بدوره، فأدى ذلك إلى اعتقال مراسلنا الأخ أحمد اللحام، فنتج عن ذلك مداهمة قاعدة لنا.

إن هذه التطورات الخطيرة أثرت على سير العمل الجهادي في سورية بشكل سلبي، فقد انكشف تنظيم الضباط العسكريين داخل الجيش، واستشهد عشرات الآلاف من المسلمين في حماة، وتوقف التنظيم في دمشق عن التنفيذ، إن هذه الأحداث المريرة التي عصفت بالساحة الإسلامية داخل سورية كانت بسبب الأخطاء التي ارتكبها الإخوة خارج سورية، فقلة خبرتهم في شؤون التحرك، وعدم اهتمامهم بالنواحي الأمنية بشكل دقيق أسهما في حصول النكبة، ونحن إنما نفصل ذلك حتى يكون للمسلمين درسًا وعبرة فيما حصل، وحتى لا تتكرر الأخطاء مرة أخرى، وليعلم المسلمون أن كل قواهم لن تفيد شيئًا إن لم تتداركهم عناية الله سبحانه وتعالى.

لقد كانت هذه الجولة (في مرحلة المجزة وما بعدها) خاسرة بالنسبة لنا، وبلغ

النظام فيها أوج قوته وانتصاراته، ولكن الله لهم بالمرصاد، فلن يدوم لهم نصر، ولن يهنأ لهم عيش، وسينتفض العملاق المسلم مبعدًا عنه الأنقاض، ليعلي راية الجهاد التي ما خبا نورها أبدًا، وستصبح مجزرة حماة كابوسًا مرعبًا وأشباحًا تلاحق منفذيها، ولن تضيع الدماء الزكية هدرًا، وستثبت الأيام أن الباطل مهما انتفش وطغى فلن يستطيع أن يكبت ثورة رواها (١٠٠) ألف شهيد بدمائهم، ولنا جولات مع النظام بإذن الله حتى نقضي على رؤوسه ورموزه المجرمة العميلة، ونعيد للشعب حريته وكرامته وعزته السليبة.

وفيما يأتي تفصيل الأوضاع التي مررنا بها:

على الصعيد الداخلي في دمشق: كما ذكرنا سابقًا، فقد جن جنون المجرم أسد وزمرته المنحرفة بعد عملية الأزبكية، واستنفروا كافة أجهزتهم الأمنية، والتي قامت بموجة اعتقالات واسعة، ونصبت الحواجز الثابتة والطيارة، وحركت كافة مخبريها، وشاء الله أن يفارقنا عدد من خيرة إخواننا ويمضوا إلى ربهم شهداء، بعد أن لقنوا ضباط المخابرات دروسًا لن ينسوها على مر الأيام، وقد فقدت السلطة ثقتها بصف ضباطها وعناصرها وبقدرتهم على مواجهة إخواننا، مما جعل رؤوس النظام يضغطون على ضباط المخابرات حتى يمارسوا العمل بأنفسهم في المداهمات والاشتباكات، وكان لذلك تأثير في قتل أعداد كبيرة من ضباط المخابرات في دمشق.

استشهاد الأخ عدنان خوجة زاده أبو حمزة:

في ٢/ ١٢/ ١٩٨١م نصب المجرمون التابعون لفرع الأمن الداخلي كمينًا للأخ عدنان، أمام منزله في منطقة المجتهد بإمرة الرائد المجرم غسان العاقل، وحين خرج الأخ إلى عمله الساعة السابعة صباحًا أطبق عليه المجرمون لاعتقاله، ولكنه

تمكن من الإفلات والانسحاب جريًا على الأقدام، مما دعاهم إلى إطلاق النار عليه، وعندما شعر الأخ عدنان بأنه قد أصيب انتزع مسماري الأمان لقنبلتين يدويتين كان يحملهما، ليفجرهما عليهم حينما يقتربون منه، فانفجرتا وقضى شهيدًا بإذن الله.

لقد كانت الأوامر إلى الإخوة بتفجير أنفسهم على عدوهم عند تعرضهم للاعتقال شديدة، وذلك تجنبًا لوقوعهم بالأسر وليثخنوا بعدوهم، وبما أن مكان عمل الأخ عدنان في وزارة الداخلية، وما يعنيه ذلك من سهولة اعتقاله إذا كشفت السلطة أمره، كان تأكيد القيادة شديدًا على عدم حمله للمسدس، لأنه لن يغني عنه شيئًا في حالة الكمين المدروس الذي من المؤكد اشتراك عدد كبير من العناصر فيه، واستعمال القنابل في حزامه وتفجيرها على عدوه في حال حوصر هو الخيار الأنجع، وكان الحرص قائمًا على عدم تكرار ما حدث للأخ الشهيد ظافر بدوي؛ الذي اعتقل غدرًا في شركة الطيران أثناء عمله عام ١٩٧٦م، وكان لهياج المخابرات تأثير واضح في مداهمة الأخ عدنان بالمنزل عوضًا عن الوزارة.

الأخ الشهيد: أبو حمزة:

ولد الأخ الشهيد في دمشق عام ١٩٥٨م، في أسرة كريمة متدينة، وترعرع فيها على حب الإسلام وعلمائه المسلمين، فكان ملتزمًا بواجباته الدينية منذ نعومة أظفاره، وحين شب انفتح على الحياة وتوجه لطلب العلم، فانتسب إلى جامع زيد ابن ثابت الأنصاري حيث تمكن من تحصيل العلم فيه، وكرس معظم أوقاته للدعوة إلى الله عز وجل، واستمر في ذلك إلى أن تصاعدت عمليات المجاهدين في سورية وفتحت أبواب الانتساب للراغبين بالجهاد في سبيل الله.

فكان الأخ عدنان خوجة زاده من أوائل الملبين الذين باعوا أرواحهم لله عز وجل، وبما أنه لم يكن ملاحقًا فقد تمكن من تقديم معلومات جيدة عن المجرمين

وتحركاتهم إلى جماعته المجاهدة، كما أنه قام بالكثير من المهمات الجهادية التي تنفذ بالسر ولا يعلم بها إلا الله، أمضى الأخ الشهيد: أبو حمزة مدة خدمته العسكرية في الشرطة، فكان في البداية ضمن جهاز شرطة النجدة، حيث استطاع أن يموه نفسه جيدًا دون أن يتمكن زبانية السلطة من كشفه، ومن ثم انتقل إلى وزارة الداخلية، ونظرًا لذكائه وسرعة بديهته وخبرته العملية في شؤون الحياة، قام وزير الداخلية بضمه إلى مرافقيه حيث أمضى فترة لا بأس بها من الزمن، ومن ثم انتقل إلى مكتب الوزير في وزارة الداخلية، واستشهد وهو في هذا المكان.

كان الأخ الشهيد واسع الثقافة، متعلمًا، لطيف المعاشرة، حلو الحديث، بهي الطلعة، وجميل المنظر، له خبرة عملية في شتى المجالات الحياتية، كما امتاز بالشجاعة الكبيرة واطمئنان قلبه وثقته بنصر الله عز وجل، وقد كان ينفذ المهمات الملقاة على عاتقه وملؤه الرضا والسرور، وإن صلابته وشجاعته قد تجلتا بعد عملية الأزبكية بشكل واضح، فقد وصل هيجان أجهزة السلطة ذروة لم يبلغها من قبل، وعندما كنا نتباحث في شؤونه الأمنية واحتمالات مداهمته ووقوعه في الأسر، كان جوابه بلهجة الواثق بالله المطمئن إلى عنايته: (بإذن الله لن يصلوا إليَّ وأنا على قيد الحياة)، وكان صادقًا في قوله وفيًّا له، فها هو يفجر نفسه على عدوه دون أي تردد، حفاظًا على سلامة جماعته وإخوانه المجاهدين، لقد ضحى بروحه ليستمر إخوانه بالمسيرة الطيبة المباركة، فإلى جنان الخلد يا أبا حمزة.

هنيئًا لك يوم عرسك، فقد خلفت في قلوب المجرمين حسرة وأسى، وحيرة وضياعًا وتشتتًا في المعلومات، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قامت السلطة بعد استشهاد الأخ أبي حمزة باعتقال أصدقائه وأقربائه الأبرياء في المسجد والوزارة، وصبت عليهم جام حقدها وزندقتها تشفيًا وانتقامًا.

استشهاد الأخ عدنان قهوجي ١٨/١٢/١٩٨١م:

كان استنفار أجهزة المخابرات شديدًا طوال شهرين بعد عملية الأزبكية، لهذا قمنا بتقليص حركتنا وحصرها بأضيق نطاق ممكن، ومع ذلك فقد دفعنا المزيد من الشهداء، فأثناء مرور الأخ عدنان قهوجي وهو يقود سيارة على طريق دمشق - التل، أوقفه حاجز للمخابرات، ولكن الأخ بدلًا من الوقوف ضاعف سرعته واقتحم الحاجز، مما دفع المجرمين إلى إطلاق النار عليه فلاقى ربه شهيدًا، نحسبه كذلك، والله حسيبه.

رحم الله أخانا الشهيد وأسكنه فسيح جنانه.

الأخ عدنان قهوجي أبو محمد:

ولد الشهيد البطل في منطقة التل القريبة من دمشق عام ١٩٥٣م، في بيئة إسلامية متمسكة بالدين محافظة على آدابه، وتربى في أسرة كان لها دور كبير في تحديد معالم شخصيته، انتسب الأخ أبو محمد إلى جماعة «الإخوان المسلمين» وهو ما يزال في سن مبكرة، وتنقل بين أقسامها المختلفة، واحتك بكثير من رجالات «الإخوان المسلمين» وقياداتهم، مما أكسبه وضوحًا في الرؤية، واطلاعًا واسعًا وخبرة بشؤون الجماعات الإسلامية، وقد تخرج من كلية الهندسة المعمارية في جامعة حلب، مما أتاح له التعرف على كثير من شباب «الإخوان المسلمين» في حلب، ومن بينهم صديقه الشهيد البطل تميم الشققي أمير «الطليعة المقاتلة» في حماة، وقد عاصر شهيدنا الكثير من الأحداث والعمليات التي كانت تحصل في حلب مع بدايات العمل الجهادي المسلح، ورأى الكثير من المآسي والآلام التي تسببت بها السلطة لأبناء الشعب في مدينة حلب، وعندما أنهى دراسته عاد إلى دمشق، ليشهد الصراع الدامي الذي كان

يدور بين المجاهدين والسلطة المجرمة من خلال حرب العصابات العنيفة، وعلى الفور بدأ بالبحث عن المجاهدين في دمشق ليضع كافة إمكانياته تحت تصرفهم، وكان له ذلك عن طريق الأخ المجاهد مأمون قباني، واستمرا سوية إلى أن قضى نحبه شهيدًا في سبيل الله، وفي بداية عام ١٩٨١م قامت السلطة المجرمة بمداهمة منزل الأخ في دمشق- ميدان، نهر عيشة، واعتقلت شقيقه الأصغر عمران قهوجي، وبعد مدة وجيزة لوحق شقيقه عاطف أيضًا، ثم اعتقلت السلطة والده وشردت أسرته، ولكن شهيدنا البطل ظل صامدًا كالطود، واستمر في عطائه ومشاركته في المرحلة الجهادية التي أعقبت هذه المدة.

كان شعلة دائبة من النشاط والحركة، واستمر مع الأخ مأمون قباني في رعاية شؤون الملاحقين الذين كانوا تحت إمرتهما، وكم تعرض الأخ أبو محمد للموت المحقق أثناء تحركه في تلك المرحلة العصيبة التي استهلكت كثيرًا من الجهود والإمكانيات، ولكن تصميم الأخ على الشهادة كان بلا حدود، وتحقق له ما أراد وفاز برضوان الله، إن شاء الله.

وترك خلفه زوجة مجاهدة وطفلين صغيرين عمر الأكبر منهما أربع سنوات، لقد كان مصابنا بالأخ المجاهد مصابًا أليمًا، وكانت الفاجعة بفقده كبيرة؛ لأننا فقدنا أخًا من خيرة إخواننا.

كان أبو محمد طيب النفس، حلو الحديث، واسع الثقافة، ثابت القلب، شجاعًا، حسن الصورة طويل القامة، امتاز برجاحة عقله وشدة ذكائه وسرعة بديهته، كما أكسبه حياؤه وأدبه مهابة واحترامًا عند من عرفوه صغارًا أو كبارًا.

كان يتمتع ببنية قوية من جراء عمله في المهن الشاقة أثناء العطل الصيفية حتى يحين موعد متابعة الدراسة.

رحم الله شهيدنا البطل أبا محمد وأسكنه فسيح جنانه، وعهدًا نقطعه على أنفسنا أمام الله بأن نتابع الطريق الذي رواه إخواننا بدمائهم الزكية، وويل لمجرمي السلطة من عواصف الانتقام التي ستهب عاتية بإذن الله.

لـــن يُهْـــدَرَنَّ دمُ الإخـــوان لا أبـــدًا   حتـــى نُجَرِّيـــه أضعافًـــا بـــما انسكبا

اشتباك الأخ أبو عامر:

بعد أربعة أيام من استشهاد الأخ أبي محمد، وأثناء مرور الأخ عاطف قهوجي على طريق عربين- زملكا، وهو يستقل سيارة (هوندا) أجرة، اصطدم بحاجز نصبته عناصر المخابرات التابعة للمجرم ناصيف رئيس فرع الأمن الداخلي، وعندما توقفت سيارة الأخ أمام الحاجز تقدم الرائد نصر الجرف، وطلب من الأخ أبي عامر إبراز هويته التي قدمها له بهدوء ورباطة جأش، وعندما قرأ المجرم اسم عاطف قهوجي، وعرف أنه شقيق الأخ أبي محمد تغير لونه، وحاول الابتعاد عن السيارة مشيرًا إلى العناصر باعتقال الأخ الذي كان أسرع من الجميع، وعلى الفور ترجل من السيارة وهو يطلق النار من مسدسه الرشاش، فأصيب الرائد المجرم بعدة طلقات أردته قتيلًا، كما أصيب اثنان من العناصر، وبدأ عناصر الحاجز البالغ عددهم خمسة عشر عنصرًا بإطلاق النار على الأخ؛ الذي تبادل معهم إطلاق النيران من مسافة قريبة وهو ينسحب إلى البساتين المجاورة دون أن يتمكنوا من إصابته، وقد دفعهم جبنهم وانفعالهم إلى إطلاق النار على سائق السيارة (الهوندا) المسن فأردوه قتيلًا، وبعد برهة من الزمن حضرت قوات أخرى لتعزيز الحاجز، وبدأت حملة بحث واسعة عن الأخ أبي عامر شملت البساتين المحيطة بالمنطقة، ولكن الأخ تمكن من الانسحاب بسلام، والحمد لله.

أثار الاشتباك الخوف والذعر في صفوف المخابرات، وخاصة المجرم ناصيف الذي كان مهزوز الأعصاب مملوءً بالخوف والرعب، فهذا الرائد الثاني من ضباطه الذي يقتل بعد الرائد المجرم هيثم الشمعة، وقد نقلت جثة المجرم النصيري في اليوم التالي إلى صافيتا، وكان المجرم ناصيف على رأس المشيعين، وكان من بينهم عدد كبير من ضباط المخابرات والمسؤولين في المنطقة.

قدر الله يترصد بالمجرمين:

في هـذه المرحلة وقعت حادثة نحسـب أن الله سـبحانه وتعـالى قدرها للانتقام مـن أفـراد المخابـرات؛ الذيـن كانـوا يداهمـون كل إنسـان عـرف بتدينـه وتمسـكه بـشرع الله سـبحانه وتعـالى، ودأب ضباط المخابـرات على احتلال منازل المسـلمين المـراد اعتقالهـم، ووضعـوا عـددًا لا بأس بـه من عناصرهـم داخل هـذه المنازل مع أهلهـا؛ لاعتقـال الملاحقين في حال ترددهم عـلى منازل أهليهـم، واعتقال كل زائر يدخـل البيت، بحجـة تعاونه مـع «الإخوان المسـلمين» الفارين بدينهـم من بطش السـلطة، ومـن ثم ينقـل إلى أحد فروع المخـابرات ليعـاني ما قدر الله لـه من أنواع التعـذيب المختلفة التي تتبعها السـلطة.

وأثناء احتلال عدد من زبانية النظام التابعين للمخابرات العسكرية منزل أحد الإخوة، بالقرب من مسجد زيد بن ثابت، قامت مجموعة أخرى من زبانية النظام تابعة لفرع الأمن الداخلي بمداهمة المنزل لاعتقال الأخ، فحدث اشتباك خاطئ بين عناصر المخابرات بفعل الرعب والهلع من جهة، ومن جهة ثانية بسبب عدم التنسيق بينهم، فقد ظن كل فريق منهم الآخر من المجاهدين، وتم تبادل إطلاق النار الغزير، مما أدى إلى مقتل ثلاثة من المجرمين يعتقد أن الرائد المجرم مطيع المعلم هو أحدهم،

وهذا الضابط المجرم هو أحد أحقر أدوات التنفيذ التابعين لفرع المجرم ناصيف، فقد أشرف على اعتقال أعداد كبيرة من المسلمين، كما شارك في عدد من الكمائن والاشتباكات التي استشهد فيها عدد من الإخوة، وقد أشرف بنفسه على محاولة اعتقال الأخ عدنان نابلسي؛ الذي تمكن من تفجير نفسه فيهم، ولاقى ربه شهيدًا.

وهذا المجرم من عائلة سنية، وهو دمشقي مرتزق باع نفسه للطغاة المجرمين.

إن الرائد المجرم مطيع المعلم قد قتل يقينًا، وشيعت جيفته في منطقة المزة، ولكننا لسنا متأكدين من أن قتله كان في هذه الحادثة أم في غيرها من الحوادث التي جرت في هذه المرحلة، وبهذا فقد خسر فرع المجرم ناصيف ثلاثة ضباط برتبة رائد من ضباطه الذين يعتمد عليهم.

مداهمة مزرعة في الشيفونية- دوما:

في ٢٥/ ١٢/ ١٩٨١م بتقدير الله سبحانه وتعالى، وبسبب الأخطاء التي ارتكبناها في هذه المرحلة اكتشفت السلطة قاعدة لنا، وهي عبارة عن مزرعة في منطقة الشيفونية بالغوطة الشرقية القريبة من دوما، وفي منتصف ليل ٢٥/ ١٢/ ١٩٨١م قامت أعداد كبيرة من عناصر السلطة التابعين لمعظم فروع المخابرات بتطويق المزرعة، وحاولوا الدخول إليها لاعتقال الإخوة وهم أحياء، ولكن إخواننا كانوا يقظين والحارس على أهبة الاستعداد، وسرعان ما انطلقت زخات غزيرة من رصاص الإخوة الذي فاجأ المجرمين، وتابع الإخوة إطلاق النار مع إلقاء بعض القنابل اليدوية، فتمكنوا من قتل وجرح عدد من المجرمين ولاذ رفاقهم بالفرار، وحدث بعد ذلك تبادل لإطلاق النار بين الطرفين استمر مدة ثلاث ساعات، كان دوي الانفجارات وأزيز الرصاص خلالها يسمع بوضوح في منطقة دوما،

وقد وقعت خسائر جسيمة في صفوف المجرمين الذين كانوا يتمركزون في أماكن مكشوفة، بينما كان الإخوة متحصنين بالبناء الموجود داخل المزرعة، وعندما طالت المعركة على المجرمين استعانوا بعدد من الدبابات لاقتحام المزرعة، وتم لهم ذلك بعد استشهاد الإخوة رحمهم الله.

وكم كانت المفاجأة كبيرة حين وجد المجرمون أن عدد الإخوة كان ثلاثة أفراد فقط، لقد خلفت هذه المعركة حوالي خمسين قتيلًا من عناصر السلطة فيهم عدد من الضباط، وتركت أعدادًا كبيرة من الجرحى، وكان بين القتلى ضابط برتبة رائد من فرع المجرم ناصيف، وهو المجرم النصيري مظهر حداد، وهو من المقربين إلى المجرم أسد ونائب للمجرم ناصيف، وأحد أركان الفرع الداخلي للمخابرات، ويرأس مفرزة التجارة للمخابرات.

إن الأعداد الكبيرة من القتلى والجرحى طبيعية جدًّا في معظم المداهمات التي تعرضنا لها، وذلك بسبب حرص المجرم أسد وكبار ضباطه على اعتقال أي أخ على قيد الحياة مهما صغر حجمه التنظيمي، للاستفادة من المعلومات التي يمتلكها عن التنظيم السري للمجاهدين، لأنهم أيقنوا أن مداهمة قاعدة أو عدد من القواعد لن يحسم الأمر لصالحهم، وستستمر عمليات المجاهدين الذين سيتمكنون من تعويض خسائرهم، مما يساعد على متابعة حرب العصابات الطويلة الأمد؛ التي أقضت مضاجع المجرمين ونغصت حياتهم وعكرت صفو عيشهم، وجعلتهم متوتري الأعصاب مؤرقي الأجفان، يخافون على يومهم وغدهم من رصاص المجاهدين ومتفجراتهم؛ التي تنتظرهم في بيوتهم وفي أماكن عملهم وفي الشوارع التي يعبرونها، لذلك كانت الأوامر الملقاة على عناصرهم صريحة وشديدة لاعتقال الإخوة أحياء، وبالطبع فإن هذا الأمر يزيد في خسائرهم، ولا تدري العناصر الحمقى المغفلة أن

المجرم أسد وكبار ضباطه يجعلونهم طعمًا رخيصًا لتحقيق مآربهم الخاصة، ولكن وإن عرفوا فهل يستطيعون التخلص أو التملص أو رفض الأوامر؟ بالطبع لا! لقد أصبحوا ضحية من ضحايا إرهابهم الذي مارسوه، لذلك فهم يفضلون الموت على عصيان الأوامر وما يعني ذلك من اتهامهم بالخيانة، وما يؤدي إليه من تعذيب شديد، فهم أدرى الناس بما في السجون من وسائل رهيبة للتعذيب.

إذًا فهؤلاء هم شرار الناس؛ لأنهم باعوا دينهم بدنيا غيرهم، ولا بد للإرهاب أن ينال أهله في نهاية المطاف.

وهكذا تمضي الحياة وتسفر عن قتل أناس من الطرفين، فيستشهد عدد من إخواننا ويقتل لهم أضعاف مضاعفة، ولكن لا سواء، فقتلانا- بإذن الله- في الجنة، وقتلاهم في النار.

شهداؤنا في هذه المعركة:

١- **الشهيد البطل الداعية مأمون قباني أبو أنس**: ولد الشهيد مأمون عام ١٩٥٦م في حي الميدان بدمشق، لأسرة متدينة نما وترعرع في أكنافها على الإسلام ومحبة رسول الله ﷺ، وما أن بلغ السادسة عشرة من عمره حتى أقبل على دروس العلماء في مساجد دمشق يطلب العلم ليعمل به، واستمر في ذلك مع نشاط خاص بذله في القراءة والمطالعة، وقد التقينا سوية في المسجد ضمن حلقة واحدة لمدة ثلاث سنوات، شاءت إرادة الله بعدها أن نفترق في عام ١٩٧٥م، وقد تنقل الأخ مأمون بين عدد من المساجد في دمشق، حيث استقر به المقام أخيرًا في مسجد الغواص مع عدد من خيرة شباب الحي، وتمكن خلال وجوده في جامع الغواص من استقطاب عدد كبير من الشباب الذين تمكن من دعوتهم بما آتاه الله من ملكات وقدرات، وقد

أشرف بنفسه على تربية حلقة منهم مكونة من عشرين شابًا، فكان نعم المربي، وكانوا نعم الطلاب علمًا ووعيًا وتضحية وفداء، ولا بد من ذكر مرحلة هامة في حياة الأخ الشهيد، وهي مرحلة انتسابه إلى جماعة «الإخوان المسلمين» ما يبين عامي ١٩٧٣-١٩٧٥م، فكان من الإخوة النشطين، وقد كانت علاقته مع الأخ غالب آلوسي، واستمرت هذه العلاقة الوطيدة إلى أن اعتقل الأخ غالب عام ١٩٧٨م، فانقطعت صلة الأخ مأمون بـ «الإخوان المسلمين» فتابع عمله ضمن جامع الغواص، ونظرًا لمعرفتي القديمة بالأخ مأمون وثقتي الكبيرة به فقد اتصلت به، بعد أن قررت قيادتنا توسيع التنظيم، وكان ذلك في عام ١٩٧٨م بعد مقتل المجرم المقدم أحمد خليل السلمان في حي الميسات، ودار حديث شامل بيني وبينه أطلعني خلاله عن وضعه وعمله في مجال الدعوة، وعن انقطاع اتصاله بـ «الإخوان المسلمين» بعد اعتقال الأخ غالب آلوسي، وقدم لي مساعدة مالية جيدة، وتعهد بأن يستمر بتقديم كل ما يمكنه لدعم العمل الجهادي حتى التضحية بنفسه إن تطلب الأمر ذلك، واستمرت اللقاءات، وانضم إليها الأخوان مصباح القاسم ونبيل حبش، واستمرت هذه العلاقة المنتظمة حتى عام ١٩٨٠م وهي تسير ضمن خطوط السرية الكامل، وقد كنا متفقين على عدم دعوة أي فرد من طلاب مسجد الغواص إلى التنظيم الجهادي، حتى لا نعرض بقية الطلاب لانتقام السلطة في حالة انكشاف الأمر، وبقينا على هذا الاتفاق حتى تاريخ إنزال مجموعات «الإخوان المسلمين» من الخارج وتشكيل التنظيم المسلح الجديد عام ١٩٨٠م، وقد تمكنوا من دعوة بعض طلاب المسجد الذين انكشف أمرهم للسلطة سريعًا، بسبب الأخطاء القاتلة التي ارتكبها الإخوة في التنظيم الجديد سامحهم الله، مما أدى إلى اعتقال الأخوين محمود السخني وفايز دبورة وهما من طلاب الأخ مأمون، وبعد فترة من الزمن قررت السلطة اعتقال

الأخ مأمون وطلابه، وعرفنا بالأمر فتم إبلاغ كافة الطلاب بذلك، فسافر بعضهم والتحق بعضهم بمجاهدينا، وشاء الله أن يعتقل بعضهم فيما بعد، كانت ملاحقة الأخ مأمون في الشهر العاشر من عام ١٩٨٠م، وبذلك بدأت مرحلة جديدة من حياة البطل الشهيد الذي تفرغ للعمل الجهادي تفرغًا كاملًا، وكم اعتصر الحزن قلبه على فقد طلابه المعتقلين، وقد زاد من حنق السلطة وغيظها انكشاف أمر شقيقه الأخ عبد الناصر قباني ومعرفة قِدَمه في التنظيم، وتأكدها من أنه قام بتنفيذ عدد من العمليات الجريئة مع تفرغه الكامل للعمل الجهادي، فصبت جام حقدها الأسود على عائلة الأخ مأمون، واعتقلت شقيقته وصهره وأخاه الأكبر، ولم تنج والدته ووالده الطاعن في السن من تهديد المجرمين وشتائمهم، واحتلت منزل أهله ومكث عناصرها فيه فترة طويلة من الزمن انتقامًا وتشفيًا وحقدًا، فهم يعلمون علم اليقين أن الإخوة الملاحقين من مجاهدينا لا يقتربون من منازل أهليهم أبدًا، واحتسب الأخوان مأمون وعبد الناصر هذا الأذى الذي لحق بأهلهم في سبيل الله، ومضيا على طريق الحق لا يهدأ لهما بال ولا يهنأ لهما عيش، حتى ينالا الشهادة ويفوزا بالجنة بإذن الله عز وجل، لقد كانت تلك المدة من الزمن أي نهاية عام ١٩٨٠ وبداية عام ١٩٨١م فترة شديدة، عانى فيها مجاهدونا من الصعوبات ما لا يعلمه إلا الله، وقاسوا الأمرين من نقص الإمكانيات وازدياد الضغط الأمني مع كثرة عدد المطلوبين، وقد كان الشهيدان مأمون وعبد الناصر مثالًا للمسلم المجاهد الصابر، وقد واجه الأخ مأمون المحن المتوالية برباطة جأش وقوة يقين عندما تعرض لسلسلة من الصدمات النفسية العنيفة؛ التي بدأت باعتقال عدد من طلابه مع الأخ مصباح القاسم، فكان صابرًا محتسبًا في سبيل الله، وقد قدر الله له أن يصاب بجرح بليغ في ظهره وآخر في يده يوم وقع اشتباك بينه وبين زبانية السلطة في منطقة مساكن الزاهرة

بتاريخ ١٣/ ١/ ١٩٨١م، وقد تمكن من الانسحاب بصعوبة بالغة رغم الدماء النازفة منه، ثم مكث بعدها في القاعدة مدة ثلاثة أشهر أو أكثر حتى تماثل للشفاء، ولم يكد يستعيد قواه حتى استشهد شقيقه الأخ عبد الناصر أثناء تنفيذ عملية زيد الشريطي، واستمر البطل الشهيد الأخ مأمون قباني في تنفيذ كافة المهمات الملقاة على عاتقه، وإنقاذ من يتمكن من الوصول إليه من الشباب المسلم المعرض للاعتقال، وقد لاقى ربه شهيدًا بعد أن خاض مرحلة التفجيرات الضخمة، منذ عملية تفجير مجلس الوزراء وحتى عملية فرع الأزبكية التابع للشرطة العسكرية، وسط الأجواء الأمنية البالغة الصعوبة، وهو باسم الثغر مطمئن القلب واثق بالله عز وجل، وقد بلغ حقد المجرمين عليه درجة جعلتهم يقومون بتسيير إحدى الدبابات فوق جسده الطاهر بعد استشهاده رحمه الله، كان الأخ مأمون طويل القامة، شديد البنية، خفيف الجسم، سريع الحركة، رقيق القلب، صافي النفس، مهيب الطلعة، حلو الحديث، وافر العلم، تميز بجرأة قلبه وكثرة عبادته، باع نفسه وكل ما يملك لله عز وجل... رحمك الله يا أبا أنس يا خير الرجال... رحمك الله أيها الأخ والصاحب والحبيب... يا من كنت الأنس والمودة والرجولة وصدق العزيمة... ورحم الله أيامًا جميلة عزيزة على قلبي وقلوب إخوانك المجاهدين الذين عرفوك وأحبوك... ولسوف تبقى ذكراك في نفسي تبعث الأمل والإشراق في روحي.... فإلى رحاب الله يا أبا أنس أنت وإخوانك الأبرار... وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٢- **الأخ الشهيد: أيمن سليمان:** وجه صبيح، جسم رياضي رشيق، زاده بهاءً لطف المعاشرة وصدق المودة وصراحة المعاملة، ولد الشهيد أيمن سليمان في دمشق- ميدان، عام ١٩٦٢م، ونشأ بأسرة متدينة، وتلقى العلوم الكونية بجد واجتهاد، ثم دخل كلية طب الأسنان، انتسب إلى أحد الأعمال المسجدية لينهل

مـن العلوم الشرعيـة، وليتعلم السـلوك الإسـلامي الرفيـع، ليتخرج داعيـة إلى الله، عـرف بورعِه وطـول أناته والتزامـه الدقيق بواجباتـه، فكان في مقدمـة أقرانه حركيًا ونشـاطًا، انضـم للتنظيم الجهـادي ولوحق عـام ١٩٨٠م، ويسر الله عـلى يديه بعض الأعـمال الجهاديـة الناجحـة، ثـم استشـهد بمداهمـة قاعـدة الشـيفونية حيـث أبـلى وإخوانـه بلاءً حسـنًا رحمهـم الله تعالى.

٣- الأخ الشهيد: مروان خطاب: همة عالية، بديهة سريعة، ذكاء حاد، عرف به الشهيد مروان خطاب، الذي ولد عام ١٩٦٢م بدمشق- ميدان، لأسرة كريمة عرفت بذودها عن الدين، حاز الشهادة الإعدادية ثم انصرف للعمل بمهنة الطباعة، انتسب لأحد الأعمال المسجدية ليغرف من العلوم الدينية بكل اهتمام، عرف شهيدنا بكرمه وتواضعه، وإيثاره، وتضحيته الكبيرة ونكران الذات، مما جعله مهوى فؤاد جميع إخوانه، انضم للعمل المسلح ولوحق عام ١٩٨٠م، ووفقه الله إلى بعض الأعمال الجهادية، وكانت آخر ملاحمه البطولية يوم كسر جبروت الطغاة، ودافع عن قاعدة الشيفونية موقعًا وإخوانه إصابات بالغة بالأعداء، ثم نال الشهادة مرويًا بدمه الزكي ثرى دمشق الطهور فدى الإسلام العظيم.

اعتقال الأخ نبيل حبش:

قبل أن نتحدث عن اعتقال الأخ نبيل حبش، وما رافق ذلك من أحداث مريرة انعكست آثارها على الساحة السورية برمتها، وما زلنا نعاني من آثارها حتى الآن، نريد أن نذكر حقيقة هامة يغفل البعض عنها، ألا وهي أننا عندما نكتب هذه الأحداث فإننا نكتبها أولًا بدافع من تقوى الله عز وجل، لأننا نعتقد أن هذه المراحل التي عشناها إن هي إلا أمانة في أعناقنا، وعليه فلا يجوز لنا أن نغفل عن أي شيء

منها، ونحن عندما نذكر الحقيقة كاملة فإننا لا نتجنى على أحد؛ إذ ليست لنا خصومة مع أحد، ونرجو ألا يفهم من كلامنا أن لنا موقفًا معينًا من فلان من الناس أو غيره، لأن موقفنا نابع من إيماننا بوجوب التكلم عن هذه الأحداث وعدم إخفاء أي شيء منها، لأننا مسؤولون أمام الله عز وجل عن كل كلمة نقولها، وسنذكر بإذن الله الحقيقة كاملة كانت لنا أو علينا، ونريد أن نذكر أن الإخوة الذين تسببوا في هذه الكوارث هم إخواننا وأحبابنا، وبيننا وبينهم صحبة حياة طويلة قبل كل شيء.

لقد ذكرنا سابقًا أن أحداثًا جسيمة جرت على الساحة السورية بعد عملية الأزبكية، وليست عملية الأزبكية هي السبب فيما جرى من أحداث، ولكن شاء الله أن تأتي هذه الأحداث في هذه المرحلة بالذات.

البداية:

كانت البداية في اعتقال الأخ نبيل حبش حين ذهب إلى قبرص؛ ليلتقي مع أحد الإخوة الدمشقيين، الذي اعتقلته السلطة فاعترف على مكان وزمان لقائه بالأخ نبيل حبش، فاتصلت الحكومة السورية بالحكومة القبرصية وطلبت منها تسليم الأخ نبيل حبش.

وأود هنا قبل التحدث عما سببه اعتقال الأخ نبيل حبش للشعب السوري برمته من آلام مريرة، أود أن أتحدث عن الأخ نبيل حبش المولود بدمشق- ميدان ١٩٥٧م:

عرف الأخ نبيل بتدينه منذ نعومة أظفاره، فقد نشأ في بيئة إسلامية محافظة، وكان يرتاد المساجد في حي الميدان، ويحضر دروس العلم، ويستمع إلى العلماء ليكتسب العلم والتوجيه، وحين بلغ من العمر ستة عشر عامًا انتسب

إلى جماعة «الإخوان المسلمين»؛ القسم التابع للأستاذ عدنان سعد الدين، وكان أمير الأسرة التي ضُم إليها الأخ غالب آلوسي رحمه الله تعالى، وكان ضمن هذه الأسرة أيضًا الأخ مأمون قباني، وعندما اشتدت وطأة الأحداث عام ١٩٧٨م على الساحة السورية إثر اغتيال المجرم إبراهيم نعامة، وقامت السلطة خلال ذلك بحملة اعتقالات واسعة، شملت أعدادًا كبيرة من شباب «الإخوان المسلمين» في سوريا، كان منهم الأخ غالب آلوسي الذي قضى في السجن مدة سنتين، في هذه المدة انقطع اتصال الأخ نبيل حبش بـ «الإخوان المسلمين»، وبقي ملتزمًا ضمن عمل مسجد الغواص حيث كان يقوم بتوجيه بعض الشباب فيه، وفي عام ١٩٧٩م اتصلت بالأخ مأمون قباني الذي أبدى إعجابه بتخطيط وتنفيذ وتكتيك العمليات التي حصلت حتى ذلك التاريخ، وبعد استفسارات عن هوية التنظيم الذي يقوم بتلك العمليات اطمأن الأخ مأمون، حين علم أن تنظيم الشيخ مروان حديد هو الذي ينفذ هذه العمليات الجهادية، ووافق على السير في طريق الجهاد المسلح، ورشح الأخ نبيل للانضمام إلى التنظيم، ولم تمض عدة جلسات على انضمام الأخ نبيل حتى اكتملت المجموعة بانضمام الأخ مصباح القاسم، فكنت ألتقي بهذه المجموعة كل أسبوع مرة أو مرتين، وذلك مدة عام كامل أي إلى بداية عام ١٩٨٠م، وقد كانوا غير ملاحقين، ولم يكلفوا خلال هذه المدة بأي مهمة عسكرية، وإنما كنت أوجه اهتمامهم إلى بعض الطلاب الأذكياء الذين يتوسمون فيهم الشجاعة والجرأة والتضحية، دون أن يدعوهم إلى التنظيم بشكل صريح، وذلك حفاظًا على أمن المسجد وأمن طلابه، ولكي لا نقع في الأخطاء القاتلة، كتلك التي حدثت فيما بعد وأدت إلى كارثة حقيقية حلت بالمسجد وطلابه.

لقد تميز الأخ نبيل بكثرة نقاشاته، وحين نزلت مجموعات التنظيم الجديد من خارج سورية، وبدأ الهرج والمرج وبدأت الأخطاء تتراكم، وكان ذلك مترافقًا مع خروج الأخ غالب آلوسي من السجن بعد اشتداد حدة العمليات الجهادية ضد السلطة، أخذ الأخ نبيل يطرح كثيرًا من الأفكار والأفكار التي لم تكن تطلب منه، والتي لم يكن له علاقة بموضوعاتها؛ إذ أنها من اختصاص القيادة وحدها، وهو حتى ذلك التاريخ لم يكن سوى عنصر عادي في التنظيم.

وقد لاحظت كما لاحظ إخوانه ميله الشديد إلى المناقشات الفكرية وشغفه بها، وابتعاده عن تحمل أي مسؤولية عسكرية أو تنفيذ أي مهمة من هذا النوع.

وشاء الله أن ينتهي التنظيم الجديد في مجزرة ما بين العيدين واستشهاد الأخ غالب آلوسي، وعدنا للتنفيذ، فكلفت الأخ نبيل حبش بتنفيذ إحدى العمليات مع اثنين من الإخوة المنفذين، فكان يتملص بأعذار واهية جدًّا، كان منها: أن هذا الهدف غير مناسب من الناحية التكتيكية، وعرضت عليه هدفًا آخر فرفض كذلك، فتبين لي أنه غير مهيأ من الناحية النفسية لخوض غمار هذه العمليات، في هذه المدة لوحق الأخ نبيل حبش، فتم نقله إلى إحدى قواعد المجاهدين، وبسبب خطأ حاصل تعرف على قاعدة أخرى للمجاهدين، وكان يقيم في هاتين القاعدتين ثمانية من إخواننا الملاحقين.

كانت الأحداث تتسارع والسلطة تقوم كل يوم باعتقال وإيذاء أهالي المطلوبين، وكان الأخ نبيل قد قرر بينه وبين نفسه أن يغادر سورية، ولم يخبر أحدًا بذلك وحتى أقرب الناس إليه وهو الأخ مأمون فلم يعلم عن هذه النية شيئًا، وذات يوم غادر الأخ نبيل حبش سورية إلى لبنان، ومن لبنان إلى الأردن دون أن يخبرنا بذلك.

للوهلة الأولى ظننا أنه معتقل، فقمنا على الفور بإخلاء القاعدتين من الإخوة الملاحقين، وبدأنا بتقصي أخباره حتى تبين لنا بعد عدة أيام أنه قد غادر سورية دون أن يرتب معنا أي طريقة للاطمئنان عليه.

وقد سبب خروجه إرباكًا شديدًا، فبالإضافة إلى معرفته لقاعدتين من قواعد المجاهدين، كان يمتلك معلومات أخرى عن إخوة غير مكشوفين لدى السلطة، وحين وصل إلى الأردن استقبل استقبالًا يليق بمجاهد خاض تجربة الجهاد في سورية، وكان اتصاله مباشرة مع الأخ أمير التنظيم هنالك، حيث تمكن بما آتاه الله من طلاقة لسان وحسن بيان أن يستحوذ على قلوب «الإخوان المسلمين» خارج سورية، وأذكر منهم بالتحديد الشيخ سعيد حوى والأخ عدنان سعد الدين؛ اللذين بدءا يعتمدان عليه في العمل خارج سورية، يتنقل بين بيوتهم بسيارته وينظم شؤونهم المالية وغيرها، والأخطر من ذلك أنه اطلع على تنظيم الضباط داخل الجيش وتعرف على الأخ خالد الشامي، وكان يطلع على المعلومات التي تصل إلى الإخوة من حماة ودمشق، ومما يؤسف له أننا قمنا بإرسال رسالة إلى الإخوة خارج سورية أوضحنا فيها وضع الأخ نبيل، وأنه غادر سورية فرارًا من ساحة المعركة لا كما ادعى بسبب الخلافات، لأن عهد الخلافات قد ولى والتنظيم الذي أنزل إلى دمشق قد انتهى تمامًا، وعلاقتنا مع الإخوة خارج سورية كانت في تحسن مستمر، ولكن الإخوة سامحهم الله لم يلتفتوا إلى كلامنا؛ لأنهم لا يعرفون معنى أن يترك الأخ قاعدتين ويغادر على هذه الشاكلة.

إن البلاء الناتج عن ترك قاعدتين في الداخل لا يعلمه إلا الإخوة الذين عانوا

هذه التجربة، أما الإخوة في الخارج فإن القاعدتين تعنيان لديهم بيتين، يمكن للفرد منهم أن يستأجرهما في ساعة من الوقت بمبلغ معين من المال، أما هنا في الداخل فالقاعدة لا تقدر بثمن؛ لأن السلطة قد ألقت بكل ثقلها لمنعنا من إيجاد القواعد المناسبة لمجاهدينا، وأنا حينما أذكر هذه الأمور فإنني أسأل الله عز وجل أن تكون خالصة لوجهه الكريم، ويعلم الله أن هذا الأخ كان من أحب الإخوة إلى قلبي، ولكننا تعلمنا أن نعامل جميع الناس حسب موقفهم من هذا العمل، وحسب صلابتهم في الدعوة، لا نحابي ولا نداهن، وإنما نبتغي وجه الله تعالى بكل ما نقوم به من الأعمال وما نتمثل به من مواقف.

لقد اعتقل الأخ نبيل حبش في قبرص، واعترف بدوره على الأخ خالد الشامي، وعلى تنظيم الضباط داخل الجيش، مما تسبب باعتقال (٤٠٠)- (٥٠٠) ضابط حسب تضارب الروايات، فأنا لا أملك تقريرًا مفصلًا بأسماء الضباط المعتقلين، وإنما علمت باللواء رفيق حلاوة قائد الفرقة الخامسة، والعميد تيسير لطفي الكائن مقر عمله في الأركان.

اعتقل هؤلاء الضباط بعدما استطاعوا أن يموهوا أنفسهم لمدة عشرين عامًا في الجيش، رغم الأجواء المشحونة بالطائفية والحقد على الإسلام، لقد تحملوا وصبروا كل هذه السنين حتى تأتي ساعة الخلاص من نظام المجرم أسد، وفجأة يعتقلون دفعة واحدة خلال عدة أيام باعتراف من الأخ نبيل حبش، وهم لا يدرون ما سبب اعتقالهم، ولنا عودة لترجمة الأخ خالد الشامي الذي اعترف عليه أيضًا، إذ أن عمله كان على درجة عالية من الخطورة، فهو يتصل بالإخوة في حماة وبنا في دمشق، ويتصل بالإخوة خارج سورية، ويقوم بنقل المعلومات والتنسيق بين جميع الأطراف.

اعتقال الأخ أحمد اللحام:

كما اعتقل الأخ مراسل حماة الذي أعرف اسمه الحركي وهو ياسر، وكان طالبًا في جامعة دمشق وهو مقيم في دمشق أيضًا، ولم يكن مسلحًا فتم اعتقاله واعترف تحت التعذيب على مكان لقائنا معه في شارع بغداد بالقرب من البريد، وكنت أرسل إلى مكان الموعد الذي بيننا الأخ أحمد اللحام.

في الواقع لم نكن نعلم بخبر اعتقال الأخ نبيل حبش في قبرص، ولا باعتقال الأخ خالد الشامي، ولكننا أحسسنا بحركة اعتقالات واسعة شملت الكثيرين من الناس، فامتنعنا عن الذهاب إلى لقاء مراسل حماة، وكان لنا معه أيضًا نقطة ازدلاف دائمة، يومي الاثنين والخميس الساعة [١٢:٠٠] ظهرًا في نفس المكان السابق ذكره.

وبعد مضي ثلاثة أسابيع عن امتناعنا عن الذهاب إلى موعد الأخ ياسر، قررنا النزول إلى الإزلاف، وذهب الأخ أحمد اللحام إلى المكان المحدد، ومن المتوقع أن السلطة قد عالجت الأخ ياسر من آثار التعذيب بشكل سريع وأنزلته إلى مكان اللقاء، أو أنها أنزلت شقيقه بدلًا عنه ليطمئن الأخ أحمد أنه لا يوجد شيء مريب، ولدى وصول الأخ أحمد اقتربت منه سيارة بسرعة كبيرة، ووقفت بجانبه حيث انقض منها على الأخ أحمد خمسة أو ستة عناصر مدربين على هذه العمليات، وظن الأخ أحمد أن الأمر اشتباه عادي، فما كان منه إلا أن ألقى عليهم قنبلة يدوية من حزامه، فقتل ضابطًا برتبة ملازم أول وأحد العناصر، وجرح الأخ أحمد، بينما تمكن بقية المجرمين من الإطباق عليه واعتقاله حيًّا.

لقد وقع الأخ أحمد في الخطأ حين تصرف على هذا النحو، فالأوامر كانت تقضي بتفجير نفسه فورًا على أي مجموعة تحاول اعتقاله في مكان اللقاء، خصوصًا وقد ساورتنا الشكوك من انكشاف هذا الموعد لدى المخابرات، ولكن الله شاء أمرًا آخر.

أما نحن فقد ترددنا كثيرًا حينها حول اعتقال الأخ أحمد، هل اعتقل أم استشهد؟ وبعد مداولات سريعة مع الإخوة في قاعدة مفرق حرستا التي انطلق منها الأخ أحمد، استقر رأي جميع الإخوة على أن الأخ أحمد قد فجر نفسه واستشهد، لما عرفوه عنه من جرأة وإيمان، إضافة إلى قوة بنيته الجسدية، في حين كان معتقلًا على قيد الحياة.

وقبل أن نتكلم عن اعترافات الأخ أحمد لا بد لنا أن نتكلم عن حادثة هامة جرت في هذا اليوم، إذ أن هذا النهار كان من الأيام العصيبة في حياتنا.

استشهاد الأخوين أكرم بصلة وعمار عرنوس:

ففي الساعة الثانية بعد الظهر من تاريخ ١١/ ١/ ١٩٨٢م، أثناء دخول الأخوين أكرم بصلة وعمار عرنوس إلى قاعدة لنا في منطقة عربين القريبة من دمشق للتأكد من الوضع الأمني للقاعدة، حدث اشتباك قصير بين الأخوين وعناصر المخابرات المتواجدين داخل القاعدة، إذ أنها كانت مكشوفة لدى السلطة.

استشهد الأخوان على إثر ذلك رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح جنانه.

لقد كنا نتوقع أن القاعدة هذه قد تكون مكشوفة لدى السلطة، ولكن انقطاع اتصال الأخوين منعنا من تحذيرهم.

مداهمة قاعدة مفرق حرستا:

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر كنت جالسًا أنا والأخ أكرم موسى في قاعدة مفرق حرستا، وكنا نتداول في أمر الأخ أحمد اللحام واحتمالات استشهاده، وكان رأي الأخ أكرم وبقية الإخوة مجتمعًا على استشهاده، ولكن الأخ أكرم طلب مني أن أغادر القاعدة حرصًا على العمل، وللتخفيف من حجم الخسائر في حال كون الأخ أحمد معتقلًا، وبعد إلحاح شديد قررت مغادرة القاعدة، وتم ذلك في الساعة الرابعة والنصف بعد العصر.

وشاء الله أن يعترف الأخ أحمد بعد سبع ساعات من التعذيب الشديد على هذه القاعدة، ظنًا منه أننا قد أخليناها، أما الإخوة في القاعدة فقد كان استنفارهم كاملًا بالبنادق الروسية، والجعب والعبوات الناسفة، والقنابل اليدوية، وارتدى الإخوة لباسهم الكامل، وبدأوا يتناوبون في مراقبة الوضع على النوافذ، وعند وصولي إلى القاعدة الثانية بدأت مداهمة قاعدة مفرق حرستا، لقد أشرف كبار ضباط المخابرات على تعذيب الأخ أحمد، واستخدموا معه أخس الوسائل الإجرامية لانتزاع المعلومات منه، فقد كانوا يشكون في أنه مقيم بالقاعدة معي، وما أن نطق الأخ أحمد بمكان القاعدة حتى أرسلوا عددًا من الضباط ليتبينوا صدقه، وعندما وجدوا المواصفات صحيحة زجت كافة فروع المخابرات بعناصرها وضباطها، وعلى رأسهم المجرم علي دوبا رئيس فرع المخابرات العسكرية أحد أركان النظام الحاكم، كما اشترك المجرم نزار الحلو رئيس فرع العدوي، والمجرم محمد ناصيف رئيس فرع الأمن الداخلي

وضباطهـا، وطوقـت المنطقـة بأعـداد كبيرة مـن العنـاصر تسـاعدها المصفحات، وقطـع طريـق حرسـتا وطريق أوسـتراد دمشـق- حلـب، فالقاعدة تقـع في منطقة معامـل حرسـتا بالضبط.

كان الإخوة منتبهين تمامًا، فما أن اقتربت عناصر المجرمين حتى بادروهم بنيران غزيرة من بنادقهم الروسية، وتابعوا رصاصهم بالعبوات الناسفة، وكانت أوامر المجرم حافظ أسد تقضي باقتحام البيت، واعتقال الإخوة فيه أحياء، خاصة وأنهم اعتقدوا أنني موجود داخل هذه القاعدة، وقد قاموا بعدد كبير من الهجمات التي كان يقتل فيها العناصر وصف الضباط وصغار الضباط؛ الذين كانوا يدفعون دفعًا تحت التهديد بعقوبة الإعدام إن تلكؤوا في تنفيذ الأوامر، وفي كل مرة كان إخوتنا يصدون الهجمات ويوقعون الخسائر، مما دفع الضباط الكبار إلى زج أعداد كبيرة في محاولة يائسة لاعتقال أحد الإخوة وهو حي، وهكذا استمرت المعركة من الساعة السابعة بعد المغرب إلى الساعة [١٢:٣٠] بعد منتصف الليل، وقد كان صمود إخواننا البطولي فائقًا لتصورات المجرمين، مما جعلهم متأكدين من وجودي داخل القاعدة، وهذا ما كان يحدث في كل مرة يتعرضون فيها لمقاومة شديدة، لا لأنني أكفأ من غيري في هذا المجال، ولكن لاعتقادهم بأن البيت الذي أسكن فيه يكون فيه عدد كبير من الإخوة المتمرسين على القتال.

وقـد اسـتخدم الإخـوة أثنـاء المقاومة الــآر- بي- جي، حيـث كان يوجد في القاعـدة عـشر قذائف، كما اسـتخدموا بـارودة الفاز ولهـا أيضًا عـشر قذائف، كما كان يوجـد (٣٥) قنبلـة يدويـة، وحـوالي (١٥) عبـوة ناسـفة بـوزن واحـد كيلـو غـرام لـكل عبـوة، وقـد روي أن الأخ أيمن المصري هـو الـذي كان يطلق قذائف

الـــ آر- بي جـي عـلى المجرمين؛ الذيـن احتمـوا وراء سـيارة براد كبـيرة وضعوها أمـام مدخـل البناية.

وأمام الخسائر الضخمة التي وقعت بالمجرمين، وأمام تذمر العناصر من تنفيذ الأوامر يئس المجرمون الكبـار من اعتقـال الإخوة، فأوعزوا إلى مرتزقتهـم بوقف الاقتحامات، وبإطلاق النيران الغزيرة نحو المبنى من كافة الجهات، وشاء الله أن يستشهد إخواننا، وترتفع أرواحهم إلى الفردوس الأعلى بإذن الله، فمنهم من استشهد بالتفجير، ومنهم برصاص الرشاشات المتوسطة، ومنهم بقذائف الـ آر- بي- جي التي كان يستخدمها المجرمون، وبعد أن توقف القتال قام المجرمون بصب وابل كثيف من النيران، واقتحموا القاعدة ليجدوا عددًا من الإخوة الشهداء، وآخرين ممزقي الأجساد متناثري الأشلاء.

وقد روي أن المجرم ناصيف حينما دخل القاعدة شاهد الأخ أيمن وفتش جيوبه، فوجد معه جوازًا للسفر فقرأ عليه اسم أيمن، ولم ينتبه للكنية فظنني مقتولًا، فلم يتمالك نفسه وأخذ يرقص فوق جثث القتلى، غير آبه لتسعين جثة من عناصره ملقاة على الأرض.

ولكن الله شاء أن لا أكون في هذا البيت، ولكم تمنيت أن أكون معهم أقاتل حتى ألقى ربي شهيدًا.

وبلغ عدد القتلى تسعين قتيلًا، والجرحى (١٢٠) جريحًا، فيهم عدد كبير من الضباط، قام المجرمون بعد ذلك بترميم البناء من الخارج بشكل سريع، ونصبوا عدة كمائن في البناء وما حوله انتظارًا لقدوم أحد الإخوة، ولكن فاتهم أن أصوات

القذائف المنفجرة قد ملأت المسامع في مدينة دمشق، ولذلك فقد اتخذنا الاحتياطات اللازمة لهذا الأمر.

أما الإخوة الشهداء فهم:

١- الأخ الشهيد: أكرم موسى: مواليد دمشق- ميدان، ١٩٥٦م، مساكن الزاهرة، ولد في أسرة متميزة بتدينها، فوالده كان من رجال «الإخوان المسلمين» القدامى، أما والدته فقد كانت داعية إلى الله عز وجل، وقد عرفت بعلمها وتقواها وورعها الشديد، وحرصها على تنشئة أبنائها نشأة دينية خالصة، في هذا الجو الإسلامي الصافي نشأ الأخ أكرم موسى، فكان مؤمنًا تقيًّا ورعًا متمسكًا بسنة رسول الله ﷺ، محبًّا لإخوانه، لطيفًا معهم، مما أكسبه محبة جميع الذين عرفوه من الإخوة. تنقل الأخ أكرم بين كثير من مساجد دمشق لتلقي العلم، ولم تفتر همته أو تكل عزيمته، بل كان يسأل العلماء ويحفظ عنهم علوم دينه وشؤونه، وقد انتسب في إحدى مراحل حياته إلى تنظيم «الإخوان المسلمين»- قسم الأستاذ عصام العطار، فكان من الإخوة العاملين الملتزمين، حيث قام بتوجيه عدة أسر داخل جماعة «الإخوان المسلمين»، أما تحصيله الدراسي فقد حاز شهادة البكالوريا، ثم انطلق إلى مدينة حلب حيث أقام هنالك مدة سنتين درس في جامعتها الهندسة المدنية، ثم عاد إلى دمشق بعد أن اكتسب تجربة خاصة انعكست آثارها على بقية مراحل حياته.

وفي عام ١٩٨٠م حين كانت الأجواء مشحونة والأوضاع متأزمة، يوم أشيع في البلاد أن «الإخوان المسلمين» سيقومون بتفجير ثورة عارمة في ٨

آذار، مما دفع السلطة إلى الاستنفار الهائل الذي لم تشهد دمشق مثيلًا له من قبل، ذلك الاستنفار المهيأ لقمع الثورة المتوقعة في مدينة دمشق، وفي غمرة هذه الأحداث التقيت بالأخ أكرم لأول مرة، وذلك بعد اعتقال الأخ يوسف عبيد بيومين، وكان لقائي به في الطريق العام، فأبدى ترحيبًا لطيفًا واهتمامًا بالغًا بعمل المجاهدين، وطلب مني أن أزوره في بيته، وبعد جلسة استمرت عدة ساعات قرر الأخ أكرم أن ينتسب إلى تنظيمنا المجاهد، في هذه الجلسة لمحت في عيني الأخ أكرم ذكاءً وهاجًا وعبقرية جديرة بالاهتمام، وتوسمت فيه الخير لهذا العمل؛ لما وجدته عنده من خصال، فهو هادئ الأعصاب لطيف المعاشرة، متزن في أفكاره وآرائه، صافي القلب متمتعًا بنفسية شفافة وروح منطلقة، واستمرت لقاءاتي معه كل أسبوع مرة أو اثنتين، نتكلم خلالها على أوضاع المسلمين والجماعات الإسلامية وجماعتنا بالذات، مما جعل الأخ أكرم يطلع على حقيقة الأوضاع، ويتعرف على خطنا العام الذي نسير عليه، ولما اشتدت الاعتقالات التعسفية لشباب الجماعات الإسلامية، تقرر نقل الأخ أكرم موسى إلى قاعدة مساكن الزاهرة؛ التي تبعد عن منزله حوالي ٢٠٠ م، حرصًا على سلامته وسلامة العمل.

وفي القاعدة الجديدة مكث مدة تتراوح بين الشهرين إلى الثلاثة دون الخروج منها، بعد ذلك أصبح يخرج كل أسبوع مرة أو مرتين ليلًا للقيام ببعض المهمات التي يكلف بها، ثم يعود إلى القاعدة، ولما دوهمت كان الأخ أكرم خارجها، وحين عاد وجدها مطوقة بعناصر السلطة والاشتباك على أشده، فوقف حزينًا ينظر إلى إخوانه داخل القاعدة وهم يجودون بأرواحهم

فـداءً للإسـلام العظيم، ممـا ترك في نفسـه آثارًا لم تمح حتـى فارق الحيـاة، وفي اليوم التـالي علمـت أن الأخ أكـرم كان خـارج القاعـدة حـين دوهمـت، فنقـل إلى قاعدة أخـرى كنـت أسـكن فيهـا، وهنا بـدأت أتعـرف عليه عن قـرب، وبـدأت ملامح شـخصيته تتضـح شـيئًا فشـيئًا، فحاز إعجـابي ونال ثقتـي كاملة، فـكان من أقرب الشـباب تفهـمًا للعمـل ولطبيعة حركتـه، وقد ظهر حسـن تفكيره وتدبـيره في كثير مـن شـؤون الحركـة، فكنت أشـاوره وآخـذ برأيـه في كثير مـن الأحيـان، لقد كان دائـم الأحـزان والهمـوم، يشـارك في تحمل المسـؤولية بـكل إمكانياتـه وقدراته، ثم انتقلنـا إلى قاعـدة أخـرى حيـث عملـت عـلى توعيتـه لكثـير مـن الأمـور الأمنيـة والحركيـة، إضافة إلى مشـاركته بالعديد مـن العمليات، وكنت أرسـله لمعالجة كثير مـن القضايـا التنظيميـة، وقـد بلغ نشـاطه الـذروة بعد مداهمـة بيت جوبـر، حيث قمنـا باسـتلام دفعـات كبـيرة مـن السـلاح، ارتكـزت هـذه العمليـة عـلى جهـود الأخ أكـرم بشـكل أسـاسي، فقد شـارك باسـتلام وتوزيـع الكميـات المختلفة من الأسـلحة، كما سـاهم في الإعداد لبعـض عمليات التفجير الضخمـة التي حصلت في دمشـق. هـذا هـو الأخ أكـرم الذي عرفتـه متواضعًا صبـورًا، لـين الجانب يألف ويؤلف، شـديد الاهتـمام بإخوانـه، مهتمًا بفصائل المسـلمين المختلفة، فـكان محورًا للاهتـمام في القاعـدة مـن قبل إخوانه، وهكذا شـاء الله سـبحانه أن نـودع هذا الأخ الحبيـب، لنودعـه أخًـا مـن أفضل الإخـوة الذيـن عرفناهم.

لقـد تـرك فقـده في نفـسي حزنًا ولوعـة وأسـى، وكم تمنيت مـرارًا لـو بقيت في البيـت ولم أخـرج، وقاتلـت مع هـؤلاء الإخوة واستشـهدت معهم، ولكن شـاء الله أن نبتـلى بفقـد أحبابنـا؛ لأن الله لا يريـد لنـا أن نتعلـق إلا بوجهـه الكريـم، فوداعًـا

يـا أبـا أحمـد وإلى جنـان الخلـد إن شـاء الله، وأسـأل الله العـلي الكبـير أن يجمعنـا بك وبإخوانـك الأبـرار في مسـتقر رحمته.

٢- الأخ الشهيد: أيمن المصري: مواليد دمشق- ميدان ١٩٥٧م، ولد لأسرة كريمة ملتزمة بالإسلام، فكانت تربيته دينية خالصة، وقد اضطرته الظروف الصعبة لوالده إلى ترك المدرسة بعد أن نال الشهادة الإعدادية، وقد عمل مع والده في مهنة صناعة الطاولات- حداد إفرنجي، ولم يكن عمله ليشغله عن متابعة العلوم الدينية، فكان يتابع دروس العلماء في كثير من مساجد دمشق.

اتصـف الأخ أيمـن بحـدة الـذكاء، وشـدة الملاحظـة، ودقـة الانتبـاه، وتفتـح الذهـن، وكان عملـه مـع والـده ثـم عملـه في مهنـة (التريكـو) مجـالًا للتعـرف على شـؤون الحيـاة المختلفـة، فتميز في هذا المجال عـلى كثير من أقرانه، وقـدر لي أن ألتقي بـه في عـام ١٩٧٦م أثناء تردده على بعض المسـاجد لتلقي العلـم، حينها كان صغيرًا، وبعـد أن ازدادت معرفتـي بـه بـدأت أكلفـه ببعض المهام التي تتناسـب مع سـنه، دون أن يكـون منظـمًا بشـكل فعـلي، وقـد التحـق بتنظيـم المجاهدين عـام ١٩٧٩م، يـوم التقيتـه في الطريـق وحدثنـي عـن رغبتـه تلـك، فـكان له مـا أراد ونظـم ضمن إحـدى المجموعـات، واسـتمر التزامه ونشـاطه دون كلل أو ملل إلى أن لوحق سـنة ١٩٨٠م، أثنـاء اعتقـال شـباب «الإخـوان المسـلمين» في منطقـة الثريـا بالميـدان، مما اضطرنـا إلى إخراجـه مـن بيتـه ونقلـه إلى بعـض قواعـد المجاهدين، حيـث ظهرت خصالـه الحميـدة وأخلاقـه النبيلـة ومعاملته الحسـنة، فـكان لطيف المعـاشرة مرحًا محبًّـا لإخوانـه، قـام بتنفيـذ عـدد مـن العمليـات وشـارك بأخـرى، وقـد قـام أيضًا

بمهمـة المراسـلة بيننـا وبـين الإخوة في حمـاة، إنه مثـال للمؤمـن الصابر المحتسـب، مثـال لـلأخ الملتزم بطريـق الجهاد. رحمك الله يا أخانا الشـهيد، وجمعنا بك في مسـتقر رحمتـه إنـه سـميع مجيـب. وإنا لله وإنـا إليـه راجعون.

٣- الأخ الشـهيد: أحمد المزيك: مواليد دمشـق- ميـدان ١٩٦٠م، ولد وتربى في عائلـة متدينـة، التحق بجامـع الغواص، وانتظـم في مجموعة مـن مجموعاته، أتم التعليـم الثانـوي، ثـم عمـل مع والـده في دكانـه، وقـد تعرفت عـلى الأخ أحمد عن طريـق الأخ مأمـون قبـاني رحمـه الله، فكلفتـه بمهمة المراسـلة بيننا وبـين الإخوة في الأردن لفترة من الزمن، وقد التقى هناك بالأخ عدنان عقلة والشـيخ سـعيد حوى، وعـدد مـن الإخوة هناك، ونتيجـة لظروفنا الصعبـة في نهاية عـام ١٩٨٠ طُلب منه مغـادرة سـورية والمكوث في الأردن، وقـد نفذ الأمر ومكث في الأردن إلى أواسـط عـام ١٩٨١م، حيـث عـاد إلى دمشـق والتحـق بقاعـدة للمجاهدين، ثـم انتقل إلى قاعـدة أخـرى، وأخـيرًا اسـتقر بقاعدة مفرق حرسـتا حيث سـكنَّا سـوية، وهناك كنـت أسـتمع منـه عن أوضـاع الإخـوة التفصيليـة خارج سـورية، لقـد كان الأخ أحمـد لطيـفَ المعاشرة، حلـو الحديث، شـديد الذكاء، صابـرًا ملتزمًا في سـبيل الله، وقـد أنهـى عـدة دورات عسـكرية تـدرب فيهـا عـلى كثـير مـن أنـواع الأسـلحة المختلفـة خـارج سـورية، وشـاء الله أن نفقـد أخًـا عزيـزًا عـاش معنـا مرحلـة من الجهـاد في سـبيل الله ضـد نظـام المجـرم العميـل... فـإلى جنـان الخلـود يـا أخانـا الشـهيد، وإنـا لله وإنـا إليـه راجعـون.

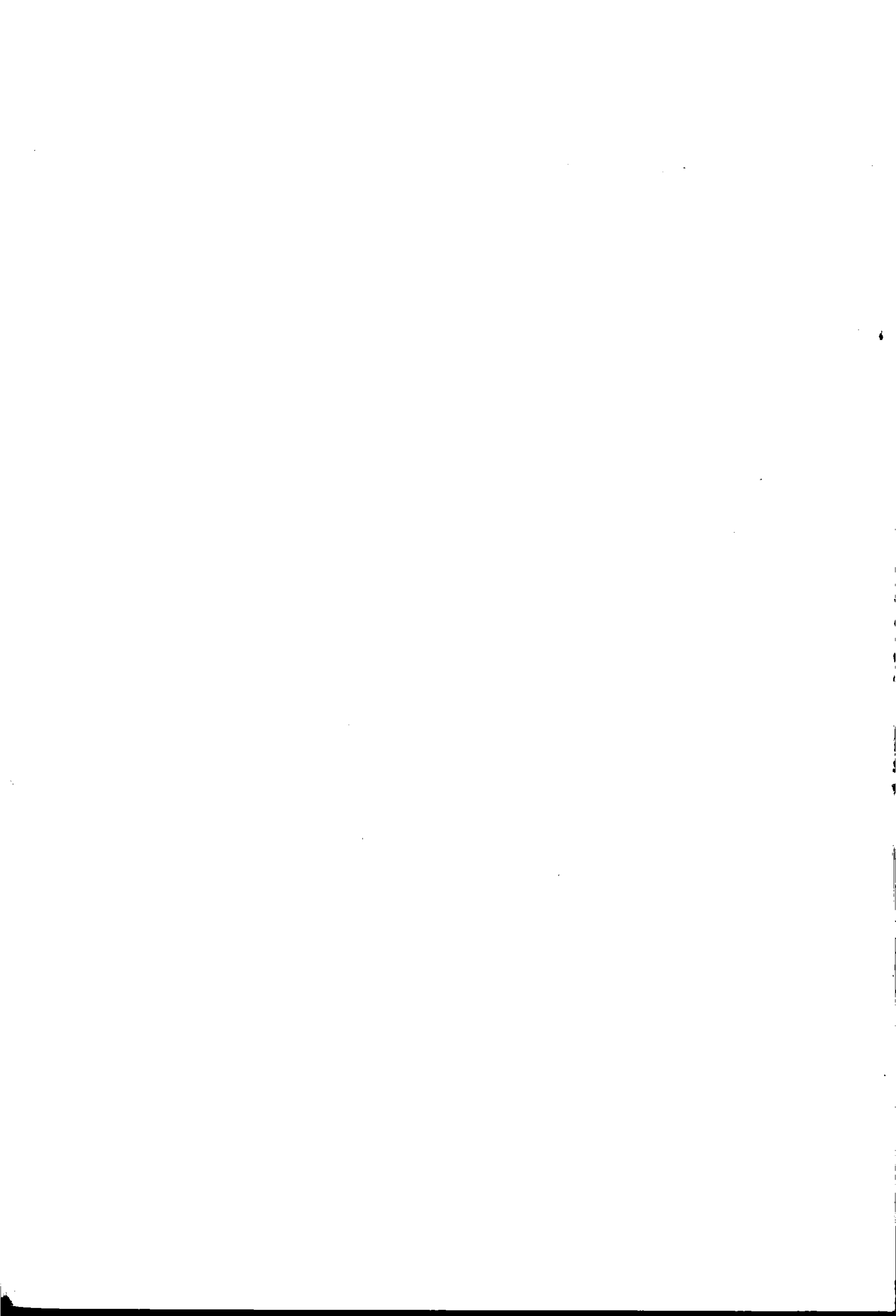
٤- الأخ الشـهيد: محمـد وليـد البني: مواليد دمشـق- باب السريجـة ١٩٦٢م،

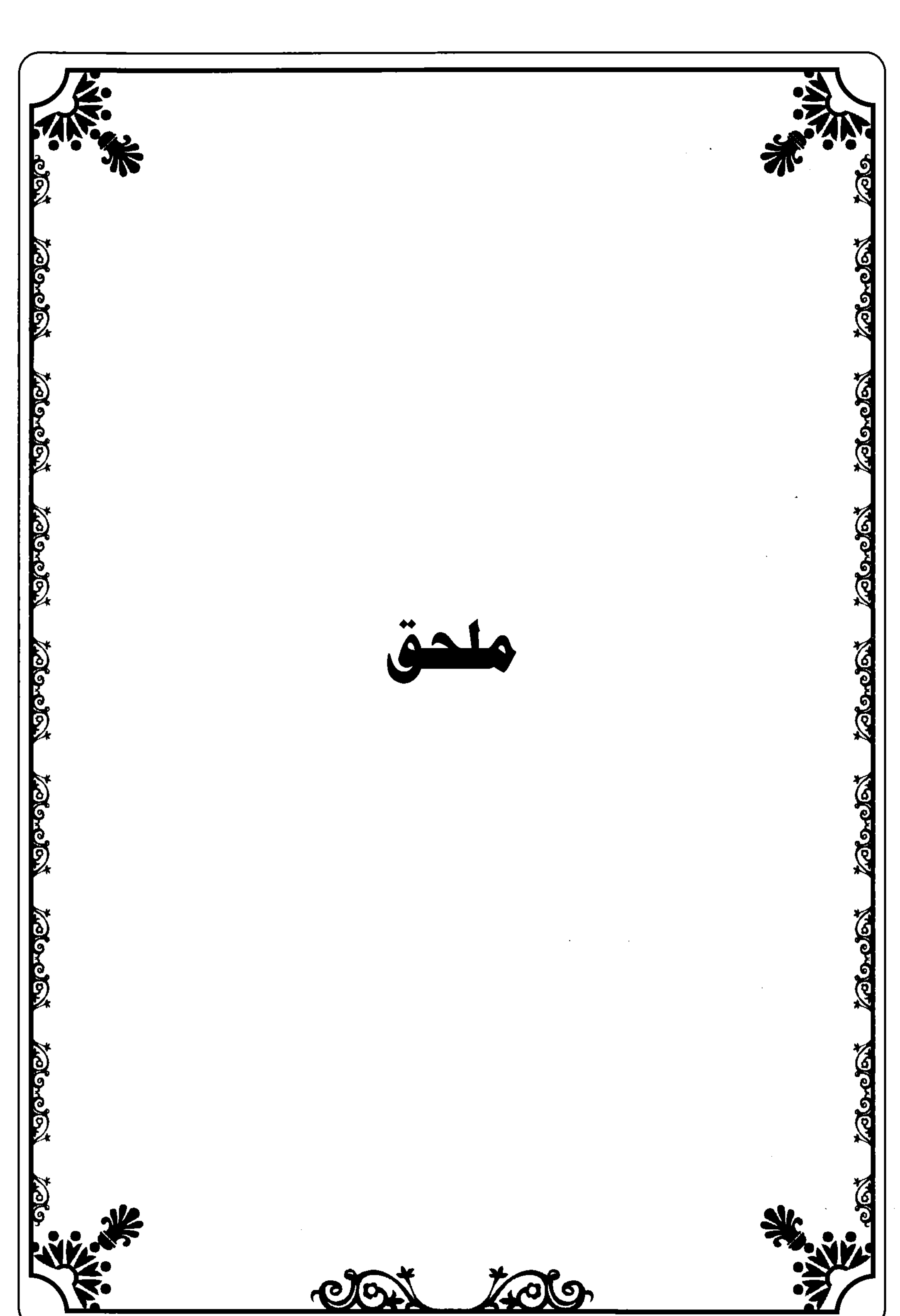
نشأ الأخ وليد في أسرة متمسكة بالدين والأخلاق القويمة، كان يتردد منذ نعومة أظفاره على المساجد، انضم إلى إحدى حلقات جامع الغواص بعد أن كان في جامع زيد بن ثابت، وحين اشتدت الأحداث عام ١٩٨٠م، انخرط ضمن صفوف المجاهدين بعد اجتماعه بالأخ الشهيد: مصباح القاسم، لينال شرف الجهاد في سبيل الله، وقد ترك كلية الصيدلة في سنته الثانية، بعد أن اضطرته الأوضاع الأمنية المتردية إلى مغادرة منزله والالتحاق بقواعد المجاهدين، تاركًا وراءه عرض الدنيا. لقد كان الأخ وليد طيب المعاشرة، حسن المعاملة، خفيف الظل، شديد الذكاء، عرف بتقواه وصلاحه، والتزامه الدائم دون تأفف أو تذمر مهما بلغت التضحيات، استشهد أثناء تصديه لمجرمي السلطة في قاعدة مفرق حرستا مع إخوانه الأبرار... رحم الله شهيدنا الغالي، وجمعنا به في ظل عرشه مع مواكب الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

٥- **الأخ الشهيد: عصام عرعوي**: مواليد دمشق- ميدان ١٩٦٤م، ولد في أسرة كريمة متدينة، فنشأ نشأة دينية صالحة، التزم ضمن حلقة في جامع الغواص؛ لينهل من العلوم الدينية ويتعلم سنة رسول الله ﷺ، وقد ظهرت علامات سخطه على النظام الطائفي منذ حداثة سنه، ولكم تمنى لو يقاتل هؤلاء المجرمين تحت راية المجاهدين، وكان له ما أراد، فسهل الله له طريق الاتصال بالمجاهدين مع الأخ الداعية مأمون قباني، وذلك قبل عملية تفجير مجلس الوزراء، فانتقل إلى إحدى قواعد المجاهدين، لقد تمتع الأخ عصام بصفات الشهامة والجرأة والشجاعة، وحسن المعاملة مع إخوانه، وصدق الحديث رغم

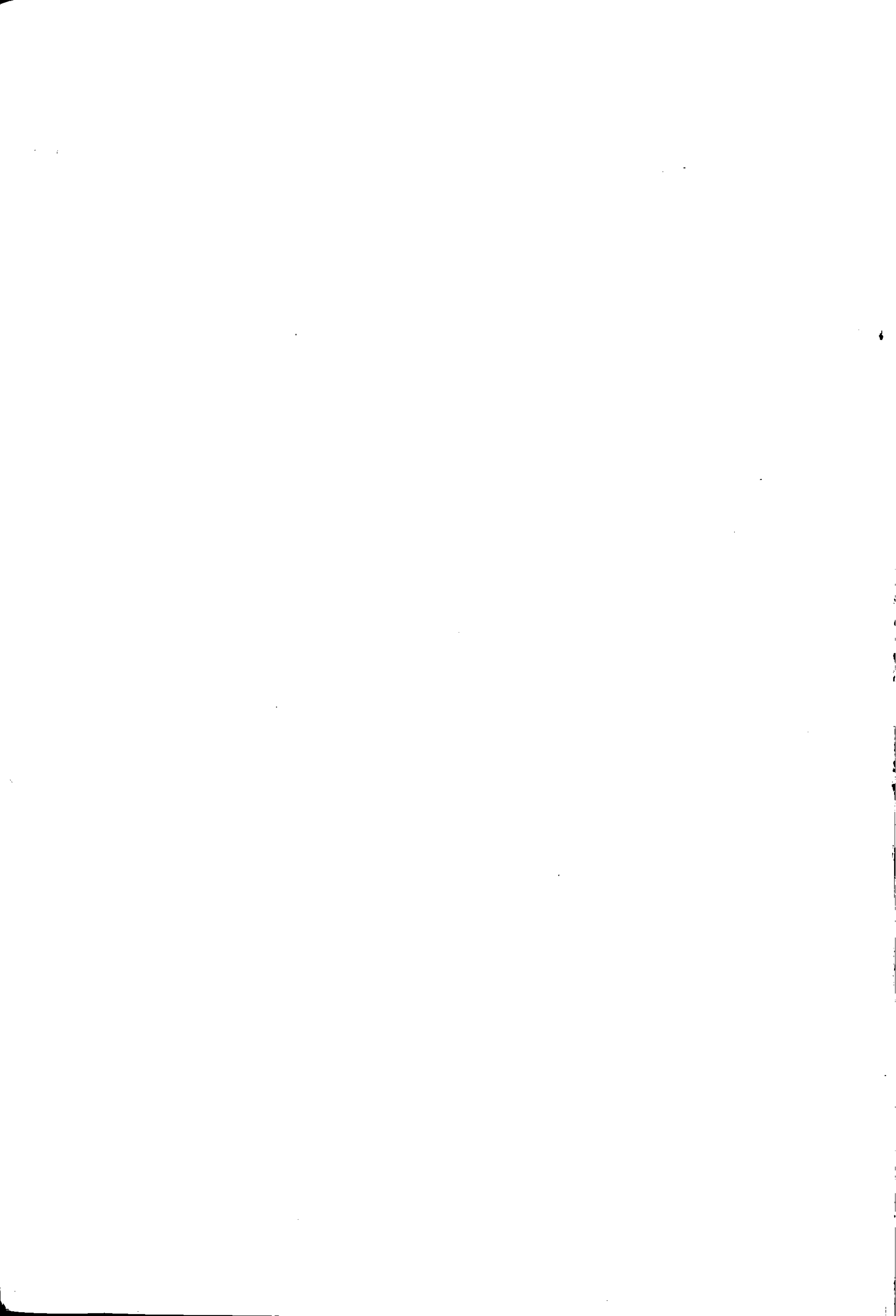
صغـر سـنه، وقد جـرت معه حادثة تـدل على مدى تعلقـه بالمجاهديـن، فحين أتى إلى إحـدى قواعـد المجاهديـن قـام بحرق جـواز سـفر كان يمتلكه، وذلـك ليقطع الطريـق عـلى الشـيطان حين يـراوده بـما لا يريد، إنـه نموذج لـلأخ التقـي الطاهر، النقـي السريـرة، الصـادق العزيمـة، الصـافي القلـب... رحمـك الله يا أبـا مالك... وإنـا لله وإنـا إليـه راجعون...

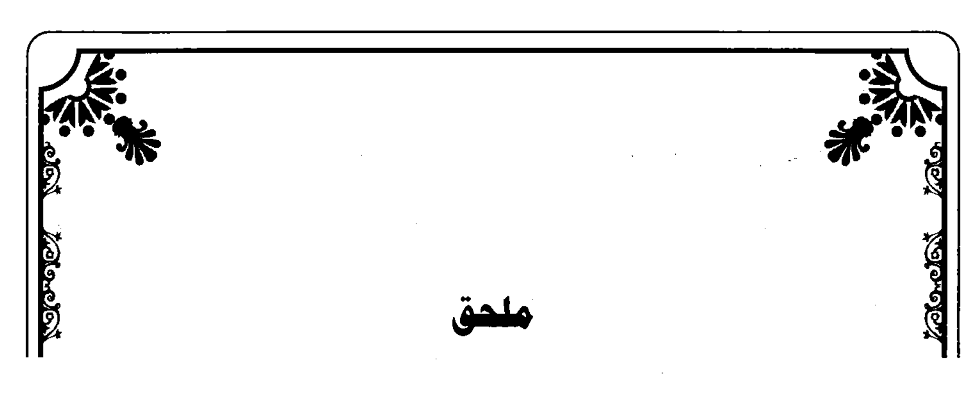
***





ملحق





ملحق

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده تعالى أن اختارنا للسير في هذا الطريق طريق الجهاد في سبيله، ونسأله الثبات والإعانة على باقي الطريق، لقد عشنا بألطافه وسرنا بعنايته، وستتابع الطريق بحفظه ورعايته سبحانه، ونحن واثقون من أن دربنا لا يوصل إلا إلى الجنة، بإذن الله، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وفي هذه الأيام وبعد صبر ومصابرة، وبعد مرور أيام عديدة من الجهاد والمجاهدة التي لم يعلم بما لقيناه فيها من الألم والعذاب، وفقد الإخوان شهيدًا وراء شهيد ومجموعة إثر مجموعة إلا الله.

وكانت فاجعة الفواجع استشهاد قائدنا الأخ المجاهد أيمن شربجي أبو عمر رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه، وكان رحمه الله قد كتب تاريخ العمل الجهادي المسلح في مدينة دمشق منذ قدوم الشيخ مروان حديد رحمه الله تعالى، وكان آخر شيء كتبه في هذا التاريخ مداهمة قاعدة المعمل- مفرق حرستا، وكان يود أن يكتب فصلًا خاصًا عن أحداث مدينة حماة، وعن اتصالاته بالإخوة هنالك قبل وقوع المجزرة، ولكن الظروف الأمنية القاسية والمشاغل الدائمة على صعيد التنظيم قد حالت بينه وبين إتمام الكتابة، ونحن اليوم بعد استشهاده رأينا أنه من الواجب

علينـا، وقـد عاصرنـا تلك المرحلـة الأليمـة وأحداثها أن نتابـع كتابة الأحـداث التي حصلـت، وسـنحاول قـدر مـا نسـتطيع صياغتهـا وفـق نفس الأسـلوب الـذي بدأه رحمـه الله، رغـم الفـرق بـين الأسـلوبين، وكذلك عمـق النظـرة والموقع الـذي كتب فيـه الأحـداث، فقد كتـب التاريخ وكان مؤثـرًا في الأحـداث وفاعلًا فيها، ومعايشًـا لهـا نفسًـا وروحًـا وكيانًـا، فنسـأل الله أن يوفقنـا إلى إتمـام كتابـة مـا حصـل، ونحـن نكتـب تاريـخ هذه السـنوات الخـوالي، تاريـخ الشـهداء الأبـرار والإخـوة الأطهار؛ الذيـن لم تنجب لهم سـورية مثيـلًا في عصرها هذا، فتيـة آمنوا بربهم فبذلـوا أرواحهم في سـبيله، ولم يكـن لهم هدف سـوى مقاومة ظلـم العصابة الطائفيـة المجرمة الحاقدة التـي وصلـت إلى الحكـم بقـوة السـلاح، وتحريـر الشـعب السـوري مـن إجرامهـا واحتلالهـا، ولم يفـت في عضدهـم تخـلي كثـير مـن النـاس عنهـم عنـد اشـتداد المحنة والكـرب، لقـد كانـت المرحلـة التـي نحـن بصـدد الكتابـة عنها أليمـة جـدًّا، تجرعنا فيهـا كـؤوس العذاب، ليس من السـلطة المجرمة فحسـب، وإنما من وضع المسـلمين وقياداتهـم التـي جر اختلافها علينا وعلى شـعبنا المسـلم أشـد الويلات، وقد سـمعنا تحليـلات كثـيرة عن وضع شـعبنا المسـلم في سـورية، وعن الحالـة التي وصـل إليها، وعن الأسـباب التـي أدت إلى ما حصـل، وإن أكثر هذه التحليلات بعـدًا عن الحقيقة القـول بأن الوضع الحالي في سـورية سـببه الحركة الجهادية المسـلحة، نقـول: بأنه أكثر التحليـلات بعـدًا عـن الحقيقـة؛ لأن الجهاد لا يـؤدي إلا للعـزة بـإذن الله، وهو ذروة سـنام الإسـلام، ومـا ترك قـوم الجهـاد إلا ذلوا، وهـو بعيد عـن الحقيقـة؛ لأن تحقيق دولـة الإسـلام وإزالـة دولة الكفـر لا يتم إلا بطريـق واحد وهو الجهاد في سـبيل الله، أمـا السـبب الحقيقـي وراء مـا حصـل فهـو الفرقـة والتنـازع والاختـلاف، قـال الله

سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦]، والحقيقة هي أن المسلمين في سورية بدل أن يكونوا جماعة واحدة تشتتوا ضمن جماعات عديدة متنازعة، فانعكس ذلك على أوضاع كل المسلمين داخل سورية، ولن نخوض هنا في أسباب المنازعات والخصومات وما وراءها من الرغبات والأهواء، وإنما نريد أن نؤكد على أن إخلاص النية وتوحيد الصفوف هو الذي يؤدي إلى تغيير وضع المسلمين في سورية في: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١].

***

مرحلة ما بعد الأزبكية:

استشهد العديد من إخواننا الأبرار في المداهمات والاشتباكات المختلفة التي حصلت في أواخر عام ١٩٨١م، بعد تردي الأوضاع الأمنية وحصول بعض الثغرات نتيجة الضغط الأمني الهائل الذي مارسته جميع فروع المخابرات، وذلك بعد تنفيذ عملية تفجير مبنى فرع التحقيق التابع للشرطة العسكرية الكائن بالأزبكية، لقد كانت هذه الثغرات مما نتعرض له بشكل دائم، وكان لا بد من معاودة البناء من جديد لتعويض ما خسرناه وترميم ما تهدم، ولكن الوضع في هذه المرة كان مختلفًا تمام الاختلاف، فالقضية لا تتعلق بتنظيم دمشق ووضع المدينة الأمني، فالتنظيم في دمشق بقيادة الأخ المجاهد أيمن شربجي رحمه الله حصر المعركة مع رؤوس السلطة وأركانها، وجعل المجابهة مع أجهزة المخابرات المجرمة؛ ولم يتح لهم فرصة البطش بالمواطنين، حيث كانت السلطة تتوق لأي مبرر من أجل البطش بأبناء الشعب العزل، لقد تجاوز الأمر في هذه المرة مدينة دمشق إلى مدينة حماة المجاهدة؛ التي شهدت أبشع مجزرة عرفها العالم اليوم، حينما سلطت مدافع وراجمات الوحدات الخاصة وسرايا الدفاع بحقد دفين نحو المدينة العزلاء، فدمرت أحيائها ونسفت بيوتها بالديناميت فوق رؤوس ساكنيها، لقد كانت مجزرة رهيبة أليمة ارتكبها النظام الطائفي المجرم بإيحاء وتأييد من أسياده المجرمين، وقد كانت أوضاعنا في هذه المرحلة بالذات صعبة للغاية إثر المداهمات والاشتباكات العديدة التي حصلت، ووصلت المصيبة ذروتها بمداهمة قاعدة مفرق حرستا عند معمل كراش، والتي كانت مقرًّا للأخ القائد الشهيد أبو عمر رحمه الله تعالى، رغم كل الصعوبات التي أحاطت بنا في هذه المرحلة، قام الأخ القائد أبو عمر بتجهيز العملية الاستشهادية

الخامسة، وذلك تعاطفًا مع ضحايا أهلنا في مدينة حماة، وكانت العملية موجهة نحو وكر خبيث من أوكار النظام طالما بث أحقاده وسمومه، وهو مبنى وزارة الإعلام الذي تقع فيه مطابع دار البعث.

* * *

الرد على مجزرة حماة:

عملية وزارة الإعلام:

وانطلق (الطوربيد) الاستشهادي الخامس في يوم الخميس ١٨/ ٢/ ١٩٨٢م، وهو عبارة عن سيارة شاحنة صغيرة من نوع (هوندا)، يقودها شهيدنا البطل متجهًا نحو هدفه لقطع لسان الكذب والدجل؛ الذي طالما حاول تغطية وتلميع جرائم النظام ومجازره بحق شعبنا المؤمن، وقد تمكن بطلنا بعون الله من اقتحام المبنى الضخم المؤلف من ثمانية طوابق؛ والذي يضم بالإضافة إلى وزارة الإعلام مطابع دار البعث، واستطاع أن يوصل السيارة المحملة بكمية كبيرة من الديناميت إلى أسفل المبنى صادمًا الحائط بمقدمة السيارة، ولما حاول بعض الحراس الاقتراب منه شهر مسدسه مصليًا إياهم طلقات لا تخيب بإذن الله، ولم يمض سوى وقت قليل حتى أحاطت بالمبنى كتلة من اللهب، ودوى الانفجار العنيف، واهتزت له أنحاء مدينة دمشق، وصعدت روح شهيدنا الغالي إلى بارئها، فسلام عليك يا أخانا الشهيد وأنت في جنات الخلود، أما أكابر أساطين الكذب ودجالي النظام فقد صاروا بين الركام والحطام، بعد أن مارسوا أبشع دور إعلامي حينما برروا للطاغية المجرم وأعوانه جرائمهم بحق شعبنا الصابر، وما كان الله ليذرهم في تخرصاتهم وكفرهم، فجاءتهم هذه الضربة القاصمة من حيث لا يحتسبون، وتدحرجت الرؤوس العفنة المليئة بالحقد على الإسلام وأهله، وأصبح جهاز الإعلام الفاجر بعد هذه الضربة الماحقة متخبطًا في أقاويله ودعاواه، لقد ظن كبار مجرمي المخابرات بأنهم قد ضربوا العمود الفقري للتنظيم، إثر تمكنهم من مداهمة العديد من قواعدنا الهامة وقتل عدد من إخواننا، بالإضافة إلى التأثير

الناتج عن تدمير مدينة حماة؛ إذ تأكد للسلطة أن الديناميت والسلاح والإمداد كان يأتي من حماة، فاطمئنوا إلى أننا غير قادرين على القيام بأي عملية في تلك المرحلة، لذلك فإن استنفارهم الأمني الكثيف الذي كان سائدًا قد خف نسبيًّا في دمشق بعد مجزرة حماة، ولكنهم وقعوا في أوهامهم الفاسدة، فقد كان لمجزرة حماة وما ارتكبه زبانية النظام من فظائع أشد الآلام على نفوسنا، مما جعل الأخ القائد أبو عمر يعيد ترتيب الأوضاع داخل التنظيم بسرعة، ويلملم الصفوف، رغم شدة الضغط الذي كنا نتعرض له وضخامة الخسائر التي حلت بنا، من أجل القيام بهذه العملية الجبارة.

أما إعلام النظام الذي تلقى هذه الضربة الشديدة فقد حاول- كعادته- التقليل من شأنها، ووصفها بأنها أوقعت خسائر طفيفة، وأن العبوة الضخمة التي حملتها السيارة لم تؤدي إلا إلى تحطيم بعض نوافذ المبنى، وقد كان الكذب واضحًا أمام شعبنا الذي عرف من المشافي ضخامة عدد الضحايا، وقد روى شاهد عيان- كان يمر بسيارته بعد وقوع الانفجار بدقائق معدودات- أنه تمكن من حصر سبعين جثة ملقاة من نوافذ المبنى على الشارع العام، وذلك من أثر الضغط الهائل الذي ولدته عبوة الديناميت الضخمة، وقد سارعت فور وقوع الانفجار قوات السلطة وأجهزتها الإجرامية بتطويق مكان الحادث وسد مداخله، وقطع الطرق الموصلة إليه، وأقامت الحواجز لتفتيش المارة، بينما كانت سيارات الإطفاء والإسعاف وسيارات الشرطة المدنية والعسكرية تسرع إلى مكان الانفجار لنقل المصابين إلى المشافي، ونقل المجرم الكذاب أحمد إسكندر أحمد وزير الإعلام إلى المستشفى إثر إصابته إصابات بالغة، وكان قد أنشأ داخل

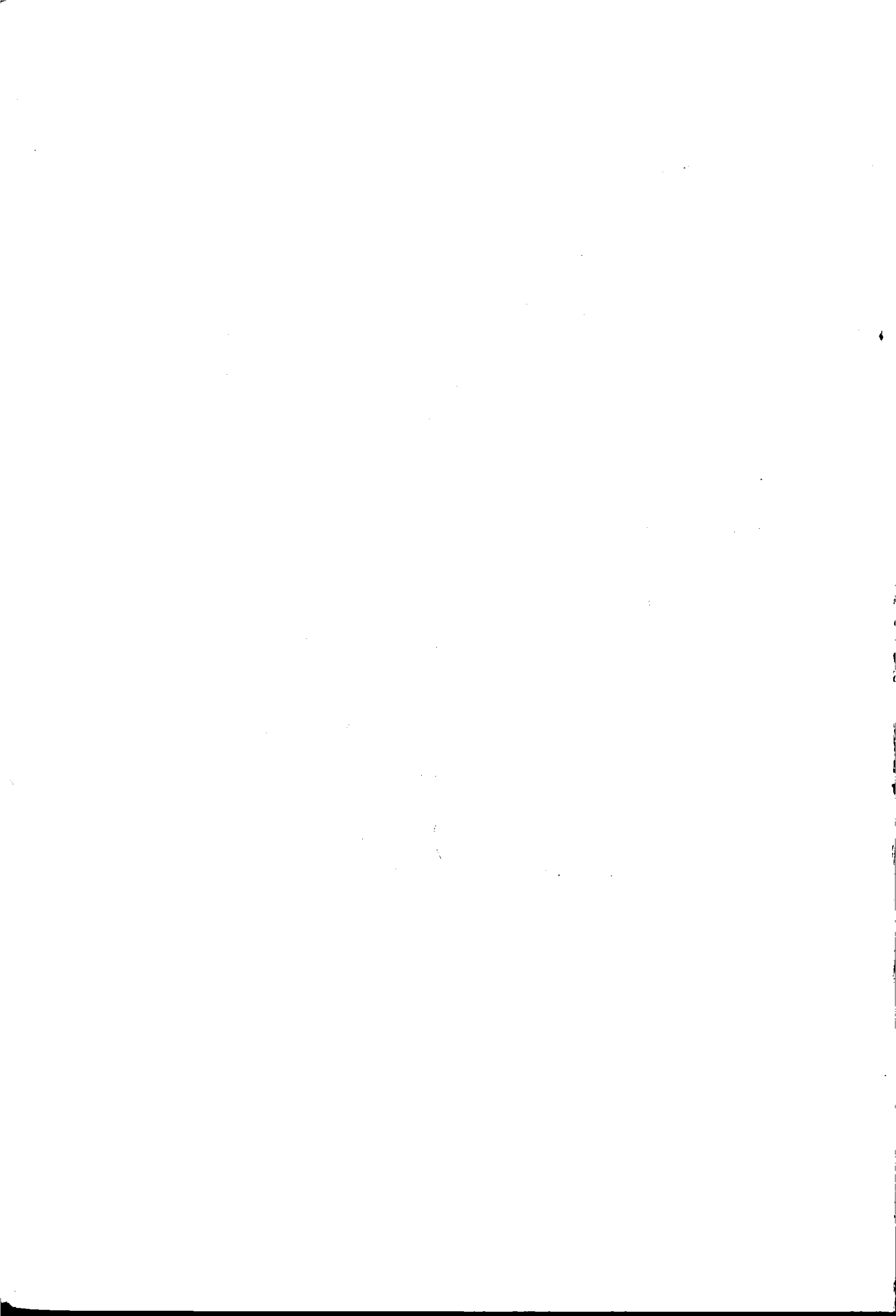
المبنى غرفة محصنة خاصة به في الطوابق العليا تحسبًا لمثل هذه العمليات، وقد مات بعد فترة من الزمن في أحد مشافي لندن بعد سلسلة طويلة من العمليات الجراحية الفاشلة، فإلى جهنم وبئس المصير.

لقد تركت هذه العملية التي خلفت مئات القتلى والجرحى آثارًا واضحة على إعلام النظام؛ حيث بدأ يفقد توازنه المصطنع، وما عاد قادرًا على تغطية جرائم النظام وظلمه كما كان يفعل طوال السنوات السابقة، وعادت أجهزة المخابرات من جديد لتشدد استنفارها إلى أعلى الدرجات بعد أن فوجئت بتوقيت هذه العملية، وما عاد ضباطها يثقون بتحليلاتهم ولا توقعاتهم، فقد أفاقوا من أوهامهم على صوت الانفجار المدوي وراحوا ينصبون الحواجز الثابتة والطيارة، وكثفوا من دورياتهم في الشوارع سواء منها الراجلة أو المحمولة، وازداد إجرامهم واستهتارهم بالشعب، وأصبح استنفارهم المكثف دائمًا لا ينقطع، وذلك في محاولة منهم لاستغلال أي خطأ من جانبنا للإيقاع بنا، ولكن بعكس ما يشتهون تمكن إخواننا من التصرف السليم بانضباط ليس له مثيل تحت قيادة الأخ المجاهد أبي عمر عليه سابغ الرحمات.

والحمد لله رب العالمين

***








فهرس المحتويات

الموضوع　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *



على أثر دمشق

أيمن أحمد الشربجي



أفق